

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الدعوة والإعلام

الدراسات العليا

قسم الدعوة والاحتساب

# اتباع الهوى لدى المدعو

## في العهد النبوي

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد المعيد :

مصطفى بن عبدالرحمن بن محمد البسار

إشراف الدكتور :

حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والاحتساب

ووكيل الكلية

شباط ١٤٣٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# المقدمة

## مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ (١) ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ (٢) ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً • يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ (٣) أما بعد (٤)

لقد خلق الله - ﷻ - الإنسان على الفطرة المستقيمة ، قال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (٥).

وجاء في الحديث عن المصطفى - ﷺ - أنه قال : " ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " (٦)

كما أوردع - ﷻ - في الإنسان ما يجعله مميزاً لاختيار سبيل الخير أو سبيل الشر ، قال - ﷻ - : ﴿ وهديناه النجدين ﴾ (٧) وقال تعالى : ﴿ ونفس وما سواها • فألهمها فجورها وتقواها ﴾ (٨).

(١) سورة آل عمران / الآية ١٠٢

(٢) سورة النساء / الآية ١ .

(٣) سورة الأحزاب / الآية ٧٠ - ٧١ .

(٤) وللإستزادة انظر صحيح الإمام مسلم ، تحقيق : محمد فواد عبدالباقى ، كتاب الجمعة ، باب ( تخفيف الصلاة والخطبة ) ٥٩٣/٢ رقم

: ٨٦٨ ، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، ط : ٥ : ١٤٠٠ هـ . ومسند الإمام

أحمد ٤٩١/١ رقم : ٣٧١٩ وكتاب خطبة الحاجة - الألباني ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : الرابعة : ١٤٠٠ هـ .

(٥) سورة الروم / الآية ٣٠ .

(٦) أخرجه البعاري في كتاب ما جاء في تفسير القرآن ، باب ( لا تبديل لخلق الله ) ٢٠٧/٦ جزء من رقم : ٢٦٨ عالم الكعب - بيروت

ط : الخامسة : ١٤٠٦ هـ .

(٧) سورة البلد / الآية ١٠ .

(٨) سورة الشمس / الآية ٩ - ١٠ .

كما امتن سبحانه وتعالى على عباده بأن بعث فيهم رسله وأنزل عليهم كتبه دعوة لهذه النفس الإنسانية لتقبل على طاعة ربها ، وتعرض عن طاعة ما سواه .

ومع ذلك أبت كثير من النفوس إلا العصيان وسلوك طريق الاعوجاج والطغيان . ولا شك أن هذا يدل على وجود مؤثرات خطيرة تجتال تلك الفطرة السليمة فتنتقلها من الهداية إلى الغواية وإن من أبرز وأخطر تلك المؤثرات " اتباع الهوى " الذي كثر التحذير منه في كتاب الله - ﷻ - وسنة الرسول - ﷺ - وكلام السلف الصالح - رضي الله عنهم - .

وهذا الموضوع " اتباع الهوى لدى المدعو في العهد النبوي " سيبحث - إن شاء الله تعالى - في هذا الأمر وسأسعى فيه جهدي لبحث جملة من الأسباب التي أدت بالمدعو إلى اتباع الهوى ، وجملة من المظاهر والصور الدالة على ذلك ، ومن ثم الحديث عن الآثار والنتائج المترتبة على هذا الصنيع ، وأخيراً الحديث عن سبل الوقاية والعلاج لمثل هذا الداء الخطير .

#### • التعريف بمفردات البحث :

• الهوى لغة واصطلاحاً : بالعودة إلى معاجم اللغة وقواميسها يلحظ القارئ أن لفظ الهوى على الإطلاق يراد به هوى النفس .

قال ابن منظور : " والهوى مقصور هوى النفس " وقال ابن سيده : " الهوى العشق ، وهوى النفس إرادتها والجمع الأهواء " (١) وفي القاموس المحيط : وبالقصر العشق يكون في الخير والشر ، وإرادة النفس " (٢)

والهوى الميل ، وميل النفس إلى الشهوة (٣) قال ابن الجوزي : " الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه " (٤) . إذا استفاد مما سبق أن اتباع الهوى لغة : هو السير وراء ما تهوى وتميل إليه النفوس على تفاوت في درجاته أما اصطلاحاً فيلاحظ أنه لا يتعد كثيراً عن المدلول اللغوي ، ويتضح هذا من خلال ذكر تعاريف بعض العلماء ، وعلى سبيل المثال : قال البغوي - رحمه الله تعالى - : " والأهواء جمع الهوى ، وهو ما تدعو إليه

(١) لسان العرب - ابن منظور ٣٧٢/١٥ ، دار صادر - بيروت ، ط : د ، مادة ( هوى ) .

(٢) القاموس المحيط - الفيروز أبادي ١٧٣٥ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط : الثانية : ١٤٠٧ هـ .

(٣) المعجم الوسيط - د. إبراهيم أنيس وآخرون ١٠٠١/٢ ، المكتبة الإسلامية - تركيا ، ط : د .

(٤) ذم الهوى - ابن الجوزي ، تحقيق : أحمد عطا ١٨ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الثانية : ١٤١٣ هـ .

شهوة النفس " (١) وقال ابن عاشور - رحمه الله تعالى - : " المراد به ما تميل إليه أنفسهم من الانخلاع عن القيود الشرعية والانغماس في أنواع الملذات ، والتصميم على العقائد الضالة " (٢) وقال القاضي البيضاوي - رحمه الله تعالى - : " والهوى رأي يتبع الشهوة " (٣) وفي حقيقة الحال وبالنظر إلى ما ذكر من التعاريف يلحظ أنها متقاربة المعاني ، ومن ثم فإن التعريف المختار لاتباع الهوى ما يلي :

ميل النفس إلى الشهوات والشبهات من غير داعية الشرع والعقل السليم (٤).

♦ المدعو : يقصد به هنا ذلك الإنسان الذي رفض دعوة الإسلام ولم يستجب لها .

♦ العهد النبوي : يقصد به الفترة الزمنية من مبعث النبي - ﷺ - إلى وفاته .

♦ السبب : الحبل ، وما يتوصل به إلى غيره والجمع أسباب (٥) وأعني بالأسباب : مجموعة الطرق

الموصلة إلى مظاهر اتباع الهوى وصوره .

♦ المظهر : يدل على قوة وبروز (٦) والمظهر الصورة التي يبدو عليها الشيء (٧) إذاً فمظاهر اتباع

الهوى : مجموعة الصور والدلالات التي يمكن أن يستدل بها على أن من صدرت منه يكون متبعاً لهواه .

♦ الداخلية والخارجية : أما الداخلية فما كان من داخل النفس الإنسانية .

وأما الخارجية : فما كان من خارجها .

♦ سبل الوقاية : هي ما يوقى به الشيء (٨) وأقصد بالسبل الوقائية : الطرق الشرعية لحفظ الإنسان

المدعو من اتباع الهوى ، وصيائته مما يؤديه ويضره في أمور الدنيا على وجه العموم ، وفي شؤون الدين على

وجه الخصوص

(١) معالم التنزيل - البغوي ، تحقيق : محمد النمر وآخرون ٨٣/٣ ، دار طيبة - الرياض ، ط : الثانية : ١٤١٤ هـ .

(٢) التحرير والتنوير - ابن عاشور ٥٩٨/١ ، ١٧٧/٩ ، الدار التونسية للنشر ، ط : د .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل - البيضاوي ٨٤/١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ .

(٤) انظر التعريفات - الجرجاني تحقيق : إبراهيم الأبياري ٣٢٠ ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الثانية : ١٤١٣ هـ .

(٥) القاموس المحيط - الفيروز أبادي ١٢٣ .

(٦) انظر معجم مقاييس اللغة - ابن فارس ، تحقيق : عبدالسلام هارون ٤٧١/٣ دار الجليل - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١١ مادة ( ظهر )

(٧) المعجم الوسيط - د. إبراهيم أنيس وآخرون ٥٧٨/٢ مادة ( ظهر ) .

(٨) المرجع السابق ١٠٥٢/٢ مادة ( وقى ) .

## • أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

إن اتباع المدعو للهوى يشكل عقبة كئوداً أمام قبوله لدعوة الإسلام وصدق استجابته لها ، ومن ثم فإن تشخيص هذا الداء يعد من الأهمية بمكان ، عله يسهم في إزالة هذا العائق وتلك الآفة ، لتقبل النفس وتستجيب لداعي الله تعالى ، فتفوز وتفلح ، وتخرج من ظلماتها إلى نور الحق المبين .  
ولعل مما يبين أهمية الموضوع ما يلي :

أولاً - ما سلف الإشارة إليه من تتابع نصوص الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح في التحذير الشديد من اتباع الهوى ، وعلى سبيل المثال :

( أ ) قال الله - ﷻ - **أمراً رسوله - ﷺ - بالدعوة والاستقامة على الأمر ، ومحذراً له من اتباع الهوى :**

﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ﴾ <sup>(١)</sup> والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة في كتاب الله تعالى <sup>(٢)</sup>.

( ب ) ثبتت استعادة المعصوم - ﷺ - في السنة المطهرة من اتباع الهوى ، وذلك حين قال : " اللهم

إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء " <sup>(٣)</sup>.

( ج ) كما تعوذ عبداً لله بن مسعود - ﷺ - من ذلك الزمان الذي يقود الهوى الحق ، وبين لأصحابه

الفرق بين الزمانين حين قال : " أنتم في زمان يقود الحق الهوى ، وسيأتي زمان يقود الهوى الحق ، فنعود بالله من ذلك الزمان " <sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الشورى / جزء من الآية ١٥ .

(٢) فعلى سبيل المثال : انظر سورة البقرة / الآية ٨٧ ، ١٢٠ ، ١٤٥ - سورة النساء / الآية ١٣٥ - سورة المائدة / الآية ٤٨ ، ٤٩ ، ٧٠ ، ٧٧ - سورة الأنعام / الآية ٥٦ ، ١١٩ ، ١٥٠ - سورة الأعراف / الآية ١٦٧ - سورة الرعد / الآية ٣٧ - سورة الكهف / الآية ٢٨ - سورة طه / الآية ١٦ - سورة الفرقان / الآية ٤٣ - سورة المؤمنون / الآية ٧١ - سورة القصص / الآية ٥٠ - سورة الروم / الآية ٢٩ - سورة ص / الآية ٢٦ - سورة الجاثية / الآية ١٨ ، ٢٣ - سورة محمد / الآية ١٤ ، ١٦ - سورة النجم / الآية ٣ ، ٢٣ - سورة القمر / الآية ٣ - سورة النازعات / الآية ٤٠ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب ( دعاء أم سلمة ﷺ ) ٥٣٦/٥ رقم : ٣٥٩١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ . قال الألباني : صحيح . انظر صحيح سنن الترمذي - الألباني ، تعليق : زهير الشاويش ١٨٤/٣ رقم : ٢٨٤٠ . مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ، ط : الأولى : ١٤٠٦ هـ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٣٥/١٩ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ .

( د ) وكان علي بن أبي طالب - ؑ - يشتد خوفه من اثنتين وعد منها اتباع الهوى ، وذلك حين

قال : " إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتين طول الأمل واتباع الهوى " (١).

ومن ثم فإن تعوذ المعصوم - ؑ - وتعوذ ابن مسعود - ؑ - وتخوف علي بن أبي طالب - ؑ - لا شك يبين خطورة اتباع الهوى ويبرز أهميته ، وضرورة الاعتناء به تشخيصاً وعلاجاً .

ثانياً - إن كثيراً من أهل الكتاب والمشركون وغيرهم كان اتباع الهوى سبباً رئيساً من أسباب فسادهم وهلاكهم ، وفي هذا الصدد قال القرطبي - رحمه الله تعالى - : " وفساد الإنس يكون على وجهين أحدهما باتباع الهوى ، وذلك مهلك " (٢).

ثالثاً - ما يلاحظ من بدو وظهور كثير من الصور والمظاهر المختلفة التي تدل على اتباع الهوى في العصر الحاضر ، والتي هي بحاجة إلى دراسة تأصيلية تكشف مظاهر هذا الداء ، وتبين أسبابه ، وتضع الحلول والسبل الواقية من الوقوع في حبائله وشراكه .

رابعاً - ما سببه ويسببه اتباع الهوى من الآثار السيئة على العملية الدعوية بكافة أركانها .

خامساً - إن النفس البشرية هي الميدان الأول من ميادين الدعوة إلى الله - ﷻ - فحري أن تتوجه بعض الجهود لذلك الميدان لتكشف ما به من علائق ، وتزيل ما به من عوائق ، فإن " قبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضده " (٣).

سادساً - على الرغم من أهمية الموضوع ومسيس الحاجة إليه لم أجد دراسة علمية تناولته في بحث مستقل وإنما كان الحديث عنه متفرقاً في بطون الكتب ، ومن كتب عنه من المتقدمين - رحمهم الله تعالى - والمعاصرين تناولوا جوانب منه فيها خير كثير ، فجزاهم الله خير الجزاء .

#### • الدراسات السابقة :

بعد الاطلاع والبحث لم أعثر على دراسة علمية تطرقت لموضوع " اتباع الهوى لدى المدعو في العهد النبوي " من منظور دعوي تطرقاً يحيط بجوانبه .

وحيث أن الموضوع لم يسبق بحثه ، فهذا عرض لأبرز الدراسات التي لها علاقة تقريبية بموضوع البحث :

(١) كتاب الزهد - أحمد بن حنبل ، تحقيق : محمد السيد زغلول ١٩٢ رقم : ٦٩٢ ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٩

(٢) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٢/١٤١ .

(٣) الفوائد - ابن القيم ، تحقيق : أحمد عرموش ٤٣ ، دار النفائس - بيروت ، ط : الخامسة : ١٤٠٤ هـ .

## أولاً - الرسائل العلمية :

١ - المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم<sup>(١)</sup> ويتكون هذا البحث من تمهيد وباين وخاتمة ، وقد استغرق قرابة الثلث الأول من الكتاب الحديث عن الإيمانيات ابتداءً من الإيمان بالله وانتهاءً بالقضاء والقدر ، كما تحدثت الباحثة في الباب الثاني عن المعوقين للدعوة الإسلامية ، وتناولت في غالبها ذكر مواقفهم من الإسلام ، كما تطرقت لعقائدهم والرد عليها وإن القدر الذي سيستفاد منه لموضوع بحثي ما تناولته الباحثة أثناء حديثها عن أصناف المدعويين بما يوافق الموضوع الذي أنا بصدده ، ومن خلال منظور مخالف لمنظور البحث المشار إليه حيث إن ما سأبحثه جزئية محددة تعد عائقاً من عوائق قبول الدعوة ، وما تناولته الباحثة كان على وجه العموم وهو المراد من بحثها .

٢ - دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي وسبل علاجها<sup>(٢)</sup> ويتكون البحث من مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة ، تحدثت الباحثة في المبحث الثالث من الفصل التمهيدي عن المؤثرات التي تؤثر على الفطرة ، وعد من بينها : هوى النفس في قرابة ست صفحات مركزاً في ذلك على خطر الهوى وكونه يقود إلى الانحرافات والضلال ، كما تحدثت في الفصل الثالث عن سبل العلاج وضمنه خمسة مباحث جاءت على النسق التالي : المبحث الأول السبل الحسية / المبحث الثاني السبل العقلية / المبحث الثالث السبل الأخلاقية المبحث الرابع السبل الاجتماعية / المبحث الخامس السبل النفسية ، والفارق بين الدراستين واضح ، إذ إن ما ذكره الباحث حول " هوى النفس " إنما قصد منه مجرد الإشارة إلى كونه مؤثراً على الفطرة ، وما سيتناوله البحث الحالي هو التفصيل والتحليل والتشخيص لهذا الداء العضال ، كما سيستفاد من الفصل الثالث في أخذ السبل العلاجية المشتركة لكل داء الأمر الذي يكون له صلة بجانب من جوانب بحثي .

٣ - الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة<sup>(٣)</sup> ويتكون البحث من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، تحدثت الباحثة في المبحث الرابع من الفصل الثالث عن التقليد ، كما تحدثت في الفصل الرابع عن بعض

(١) رسالة تقدمت بها الباحثة / سميرة بنت محمد جمجوم إلى قسم العقيدة في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى لنيل درجة الدكتوراة ، والرسالة مطبوعة نشر دار المجتمع - جدة : ١٤٠٧ هـ .

(٢) رسالة تقدمت بها الباحثة / عبدالرحمن بن يوسف الملاحي إلى قسم الدعوة والاحتساب في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، لنيل درجة الماجستير ، والرسالة مطبوعة دار عالم الكتب - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١٤ هـ .

(٣) رسالة تقدمت بها الباحثة / عبدالرحمن بن معلا اللويحي إلى قسم الثقافة الإسلامية في كلية الشريعة بجامعة محمد بن سعود الإسلامية لنيل درجة الماجستير ، والرسالة مطبوعة : مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٢ هـ .



مظاهر الغلو وذلك تحت عنوان : مجالات الغلو العملية والسلوكية ، وما ذكره الباحث من التقليد ، وبعض مظاهر الغلو ستكون نقطة اشتراك واستفادة بما يلائم طبيعة الموضوع الحالي ، وذلك من خلال الاستفادة من الجوانب المذكورة .

### ثانياً - الكتب والتراكمات العلمية :

١ - أدب الدنيا والدين ( الماوردي ٤٥٠ هـ ) تحدث الماوردي - رحمه الله تعالى - في فصل من كتابه تحت عنوان : العقل والهوى ، وكان مما ذكره الفرق بين الشهوة والهوى ، وبالجملة فحديثه عن موضوع اتباع الهوى مختصر جداً يقع في قرابة عشر صفحات .

٢ - ذم الهوى ( ابن الجوزي ٥٩٧ هـ ) تحدث ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - عن ذم الهوى ، واستغرق نصف الكتاب الحديث عن داء العشق والوقاية منه وسبل علاجه .

٣ - مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع ( د. ناصر بن عبدالكريم العقل ) تناول الدكتور العقل هذا الموضوع من جانبه العقدي .

٤ - وهناك كتيبات أخرى بعضها مأخوذ وملخص من كتابات ابن القيم - رحمه الله تعالى - وبعضها مستقل ولكنه مركز على كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - ومن ذلك :

أ - طرق دفع الهوى خمسون وسيلة للتخلص من الهوى ( تحقيق : خالد أبو صالح )

أخذها المحقق - وفقه الله - من كتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم .

ب - ذم الهوى وما في مخالفته من نيل المنى ( إعداد - أشرف عبدالمقصود )

أخذها المحقق - وفقه الله - من نفس المرجع السابق ، وكان حديثه عموماً عن ذم الهوى ، وتطرق في بعض نقاطه إلى أسباب الهوى وعلاجه .

ج - اتباع الهوى " مظاهره - خطره - علاجه " ( د. سليمان الغصن ) ويعد هذا الكتيب - وحجم

صفحاته من الورق ذات القطع الصغير - من أبرز الكتابات حول الموضوع ، وقد أكثر المؤلف - وفقه الله - فيه من النقول عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - .

وهناك كتيبات أخرى يطول ذكرها وإيرادها ، وفي الجملة فإن ما تناولته هذه الكتب هو الحديث عن اتباع الهوى على وجه العموم ، وليس منها دراسة أكاديمية أحاطت بالموضوع من جانبه الدعوي ، والذي هو

محل الدراسة في هذا البحث ، حيث سيعنى باتباع الهوى لدى المدعو في العهد النبوي ، وسيفيد الباحث - بحسب مشيئة الله تعالى - من هذه الكتب بما يوافق بحثه ، فجزى الله مؤلفيها خير الجزاء .

## • المشكلة البحثية وتساؤلات الدراسة :

إن مما شد الباحث ذلك الكم الهائل من الآيات الكريمة والتي تتضمن في جملتها التحذير من أمر خطير ألا وهو " اتباع الهوى " مما كون لدى الباحث الإحساس بأهمية دراسة مثل هذا الموضوع . ويتأكد هذا الأمر - أعني خطورة اتباع الهوى - بإلقاء نظرة تأمل وتدبر في سيرة المصطفى - ﷺ - بعهدتها المكّي والمدني ، حيث تظهر من المدعويين تلك المواقف المتباينة من قبول ورفض ، ومن مؤازرة وصدود ، وثبات وارتداد ، وسرعة في الاستجابة وتأخر تجاه تلك الدعوة المباركة ، ولا شك في أن ذلك التباين يدل دلالة واضحة على خطورة اتباع الهوى الناجم عن علم أصحابه وتعنتهم لا عن جهلهم . ومن ثم فإن الشعور بهذه المشكلة يتطلب دراستها دراسة علمية متأنية وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية :

- ما مفهوم اتباع الهوى ؟ .
- ما بدايات اتباع الهوى في حياة الإنسان ؟ .
- ما الفرق بين الهوى المحمود والهوى المذموم ؟ .
- كيف يفرق بين خطأ الاجتهاد واتباع الهوى ؟ .
- ما الفائدة الدعوية من ذكر الفرق بين خطأ الاجتهاد واتباع الهوى ؟ .
- ما الأسباب الداخلية لاتباع المدعو للهوى ؟ .
- ما الأسباب الخارجية لاتباع المدعو للهوى ؟ .
- كيف يؤدي الخلل في منهج التلقي إلى اتباع الهوى ؟ .
- ما أثر أهل الكتاب في بث الأهواء ونشرها ؟ .
- ما أثر المشركين والمنافقين في نشر الأهواء ؟ .
- ما المظاهر الفردية لاتباع المدعو للهوى ؟ .
- ما المظاهر الاجتماعية لاتباع المدعو للهوى ؟ .
- ما آثار اتباع المدعو للهوى على الأفراد ؟ .
- ما الآثار المترتبة من اتباع المدعو للهوى على المجتمعات ؟ .
- ما الهدى النبوي في وقاية المدعو من اتباع الهوى ؟ .
- ما الهدى النبوي في علاج المدعو من اتباع الهوى ؟ .

## • منهج البحث :

استخدمت في هذه الرسالة المنهج الاستقرائي : وهو الذي يسعى لحصر الجزئيات وتنظيم المعلومات المتوافرة في قالب معين (١) كما استخدمت المنهج التاريخي وهو الذي يهتم بجمع الحقائق والمعلومات من خلال دراسة الوثائق وغيرها (٢).

وقد عُنيت في هذا البحث ببعض الأمور المهمة ، والتي منها :

- ١ - عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها وأرقامها .
- ٢ - تخريج الأحاديث النبوية من كتب السنة المعتمدة بذكر الكتاب والباب والجزء ورقم الصفحة والحديث وما كان منها في غير الصحيحين نحو السنن الأربع فقد اعتمدت على حكم الشيخ الألباني عليها وكذا مسند الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - فقد ذكرت حكم الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله تعالى - إن كان الحديث في جملة الأحاديث التي حققها .
- ٣ - جمع المادة العلمية من مصادرها الأصلية ما استطعت إلى ذلك .
- ٤ - العناية بتوثيق المعلومة أيأ كانت ، والحرص على تعدد المصادر فيها ما أمكن ذلك ؛ إثراء للمعلومة وتيسيراً للرجوع إليها .
- ٥ - أحياناً أكرر الشاهد لاختلاف المناسبة ولاشتماله على أكثر من وجه للاستشهاد .
- ٦ - شرح بعض الألفاظ الغريبة الواردة في البحث .
- ٧ - ترجمة جل الأعلام الواردين في ثنايا البحث .
- ٨ - عمل فهارس للرسالة تشتمل على : فهرس عام ، وفهرس للآيات القرآنية الكريمة ، وفهرس للأحاديث النبوية الشريفة ، وفهرس للآثار ، وفهرس للأعلام ، وفهرس للآيات الشعرية ، وفهرس للمصادر والمراجع ، وفهرس للموضوعات .

(١) انظر كتابة البحث العلمي صياغة جديدة - أد. عبدالوهاب أبو سليمان ٦٤ ، دار الشروق - جدة ، ط : الرابعة : ١٤١٢ هـ .

(٢) انظر البحث العلمي " مفهومه - أدواته أساليبه " د. ذوقان عبيدات وآخرون ٢٠٥ ، دار أسامة - الرياض ، ط : د : ١٩٩٣ م .

## • خطة البحث :

وضعت خطة للكتابة في هذا الموضوع ، فجعلته في مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول وخاتمة ، وذلك كما يلي :

- ١ - التعريف بمفردات البحث .
  - ٢ - أهمية الموضوع وأسباب اختياره .
  - ٣ - الدراسات السابقة والتراكمات العلمية .
  - ٤ - المشكلة البحثية وتساؤلات البحث .
  - ٥ - منهج الدراسة .
  - ٦ - تقسيم الدراسة .
- الفصل التمهيدي ويحتوي على : المبحث الأول بدايات اتباع الهوى في حياة الإنسان .  
المبحث الثاني موقف الرحي من اتباع الهوى .  
المبحث الثالث الفرق بين خطأ الاجتهاد واتباع الهوى .
- الفصل الأول أسباب اتباع المدعو للهوى في العهد النبوي  
المبحث الأول الأسباب الداخلية لاتباع الهوى .  
المبحث الثاني الأسباب الخارجية لاتباع الهوى .
- الفصل الثاني مظاهر اتباع المدعو للهوى في العهد النبوي  
المبحث الأول المظاهر الفردية لاتباع الهوى .  
المبحث الثاني المظاهر الاجتماعية لاتباع الهوى .
- الفصل الثالث آثار اتباع المدعو للهوى في العهد النبوي  
المبحث الأول آثار اتباع الهوى على الفرد .  
المبحث الثاني آثار اتباع الهوى على المجتمع .
- الفصل الرابع الهدي النبوي في التعامل مع اتباع المدعو للهوى  
المبحث الأول الهدي النبوي في الوقاية من اتباع المدعو للهوى .

المبحث الثاني الهدي النبوي في علاج المدعو من اتباع الهوى .  
الخاتمة وتتضمن ذكر أهم النتائج .

### • شكر وتقدير :

أحمد الله - ﷻ - حمداً كثيراً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، وأشكره حق شكره ، فله - ﷻ - أول الحمد والشكر وآخره ، ومبدأه ومنتهاه ، فله الحمد والشكر حمداً وشكراً لا منتهى لحده ، فلا أحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه - ﷻ - وأثنى عليه رسوله - ﷺ - .

ثم أرى أنه لزاماً علي أن أزجي الشكر الوافر ، والثناء العاطر إلى كل من أسدى إلي معروفاً ، وأعانني في بحثي بأي صورة من صور العون ، وأخص بذلك والدي الكريمين حفظهما الله من كل سوء ومكروه .  
والشكر موصول لهذه الجامعة المعطاء على ما تقدمه وتبذله من خير جم ، وأخص بالشكر والتقدير كلية الدعوة والإعلام بكافة مسؤوليها ، وعلى رأسهم فضيلة عميد الكلية الدكتور عبدالعزيز بن إبراهيم العسكر على ما يقدمونه لأبنائهم الطلاب .

ثم لصاحب الفضيلة الشيخ الدكتور / حمد بن ناصر العمار وفقه الله وسدد خطاه  
الذي كان واسع الصدر والبيت حيث كان لتوجيهاته ونصائحه الأثر الكبير في توجيه البحث والباحث ، فله من الشكر أجزله ومن الدعاء أوفره .

كما أشكر صاحبي الفضيلة المناقشين الفاضلين : فضيلة الدكتور عبد الله بن حمد العويسي الأستاذ المساعد بكلية الشريعة ، وفضيلة الدكتور إبراهيم بن صالح الحميدان الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والاحتساب ووكيل القسم على ما ذهب من ثمين وقتهما وجهدهما في سبيل قراءة هذا البحث لتسديده وتقويمه .

وفي ختام هذه المقدمة ، أقر وأعترف بأن هذا الجهد المقل المتواضع إنما هو بدء محاولة ، وأول صعود في سلم الأبحاث العلمية ، فما كان فيه من صواب ، فأحمد الله تعالى على السداد ، وما كان فيه من خطأ وزلل ونقصان فمن نفسي المقصرة واستغفر الله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

## الفصل التمهيدي

ويشتمل على :

- |               |                                     |
|---------------|-------------------------------------|
| المبحث الأول  | بدايات اتباع الهوى في حياة الإنسان  |
| المبحث الثاني | موقف الوحي من اتباع الهوى           |
| المبحث الثالث | الفرق بين خطأ الاجتهاد واتباع الهوى |

## الفصل التمهيدي

### المبحث الأول بدايات اتباع الهوى في حياة الإنسان

#### المطلب الأول الإنسان والفطرة :

لقد خلق الله الإنسان على الفطرة المستقيمة ؛ أي أنه مهيب لقبول الحق وتبنيه (١) ورفض الباطل ومقاومته .

ويدل على ذلك ما جاء من نصوص الوحي وأقوال السلف - رحمهم الله تعالى - فاجتزئ شيئاً منها يبين المراد :

قال الله ﷻ : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق

الله ﷻ ﴾ (٢) وفي الحديث عن أبي هريرة (٣) - ؓ - قال : قال رسول الله - ﷺ - " كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها من

(١) انظر شرح مسلم - النووي ، مراجعة : خليل الميس ٤٤٩/١٦ ، دار القلم - بيروت ، ط : الأولى : ت . د . د . والمحرر الوجيز - ابن عطية الأندلسي ، تحقيق : المجلس العلمي بفاس ٢٥٨/١٢ ، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة ، ط . د . د . ١٣٩٥ هـ . والدين الخالص - السيد محمد صديق خان ، تحقيق : محمد زهري النجار ١٨٠/٣ ، مكتبة دار التراث - القاهرة ، ط : د . د . وقد أشار الإمام أبي عبد الله القرطبي إلى اختلاف العلماء في معنى الفطرة ، وذكر الأقوال ، ثم رجح ما ذكر بأعلاه ، انظر الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٨ / ١٤ وانظر أخيراً فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر ، تحقيق : عبدالعزيز بن باز وترقيم : محمد فواد عبد الباقي ٣١٧/٣ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الروم / جزء من الآية ٢٩ .

(٣) أبو هريرة الدوسي صاحب رسول الله ﷺ وأكثرهم حديثاً عنه ، اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كبيراً ومما قيل في اسمه أنه : عبدالرحمن بن صخر ، أسلم عام خيبر وشهدا مع النبي ﷺ وكان يحضر عنده ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار ( ت ٥٧ هـ ) انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب - ابن عبد البر ، تحقيق : علي محمد معوض وزميله ٣٣٢/٤ رقم : ٣٢٤١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٥ هـ وأسد الغابة في معرفة الصحابة - ابن الأثير ، تحقيق : علي محمد معوض وزميله ٣١٣/٦ رقم : ٦٣٢٦ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٥ هـ .

جدعاء " (١) ولذا نجد أن الإمام الآجري<sup>(٢)</sup> - رحمه الله تعالى - بوب في كتابه : باب الإيمان أن كل مولود يولد على الفطرة (٣) وجاء أن النبي - ﷺ - كان يوصي أصحابه - رضي الله عنهم - إذا أصبحوا أن يقولوا : " أصبحنا على فطرة الإسلام " (٤) وفي حديث الإسراء ومنه : " فجاءني جبريل - عليه السلام - بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل : اخترت الفطرة " (٥) .

قال الإمام النووي (٦) - رحمه الله تعالى - في شرح الحديث : " فسروا الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة وجعل اللبن علامة لكونه سهلاً طيباً طاهراً سائغاً للشاربين سليم العاقبة ، وأما الخمر فإنها أم الخبائث وجالبة لأنواع من الشر في الحال والمآل والله أعلم " (٧) .

فيتبين مما ذكر أن الله تعالى فطر القلوب على محبته .

- (١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب ( ما قيل في أولاد المشركين ) ٢٠٨/٢ رقم : ١٣٩ وأخرجه مسلم في كتاب القدر ، باب ( معنى كل مولود يولد على الفطرة .. ) ٢٠٤٧/٤ رقم : ٢٦٥٨ .
- (٢) محمد بن الحسين بن عبدالله أبو بكر الآجري له تصانيف كثيرة منها : أخلاق حملة القرآن وأخلاق العلماء والشريعة وغيرها ، توفي ( سنة ٣٦٠ هـ بمكة ) انظر الأعلام - خير الدين الزركلي ٩٧/١ ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط : العاشرة : ١٩٩٢ م .
- (٣) الشريعة - الآجري ، تحقيق : محمد الفقي ١٩٤ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٣ هـ .
- (٤) أخرجه أحمد في المسند ، إعداد د. سمير المجدوب وآخرون ١٦٤/٥ رقم : ٢١١٣٦ ، ٥١٦/٣ رقم : ١٥٣٣٨ ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٣ هـ . وأخرجه الدارمي في كتاب الاستيذان ، باب ( ما يقوله إذا أصبح ) تحقيق : فواز زمر ، خالد العلمي ٣٧٨/٢ رقم : ٢٦٨٨ ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٧ هـ . وانظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - الهيثمي ، تحقيق : عبدالله الدريش ١٥٦/١٠ رقم ١٧٠٠٢ ، دار الفكر - بيروت ، ط : د . د : ١٤١٤ هـ .
- (٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب ( الإسراء برسول الله وفرض الصلاة ) ١٤٥/١ رقم : ١٦٢ .
- (٦) يحيى بن شرف بن حسن أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي ، كبير الفقهاء في زمانه ، كان يقرأ في كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ ، له من التصانيف : الأربعين في الحديث والنبيان في آداب حملة القرآن وتهذيب الأسماء واللغات ورياض الصالحين والمنهاج لشرح صحيح مسلم بن الحجاج وغيرها ( ت ٦٧٦ هـ ) انظر البداية والنهاية - ابن كثير ، تحقيق : أحمد أبوالمحم وأخرون ٢٩٤/١٣ ، دار الريان للتراث - القاهرة ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ . وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين - إسماعيل باشا البغدادي ٥٢٤/٢ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط : د . د : ١٩٥١ .
- (٧) شرح مسلم - النووي ٥٧١/٢ رقم : ١٦٢ . وانظر أعلام الموقعين عن رب العالمين - ابن القيم ، رتبة : محمد عبدالسلام إبراهيم ١٤٦/١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ ، وهذا مما قيل في تفسير الفطرة أيضاً .



قال شيخ الإسلام ابن تيمية (١) - رحمه الله تعالى - : " كل مولود يولد على الفطرة ، فإن الله فطر القلوب على أنه ليس في محبوباتها ومراداتها ما تطمئن إليه وتنتهي إليه إلا الله وحده " (٢) وقال ابن القيم (٣) - رحمه الله تعالى - فالقلوب مفطورة على حب إلهها وفاطرها وتأليهه ، فصرف ذلك التأله والمحبة إلى غيره تغيير للفطرة " (٤) .

ويتبين أيضاً أن النفوس مهية لقبول الحق لولا عوارض تصرفها عن اتباعه وتبنيه ، يقول ابن خلدون (٥) رحمه الله تعالى : " إن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أو شر ، وبقدر ما سبق إليها أحد الخلقين تبعد عن الآخر " (٦) ويزيد الأمر وضوحاً الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - بقوله : " فلو خلوا ودواعي فطرهم لما رغبوا عن ذلك ، ولما اختاروا سواه ، ولكن غيرت الفطر وأفسدت " (٧) ، إذا فالصوارف التي تعرض للفطرة على اختلاف أصنافها سبب في نقل الإنسان من الهداية إلى الغواية ، وذلك كله بعد تقدير الله - ﷻ - واختيار الإنسان إحدى النجدين كما قال

(١) أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني الحنبلي أبو العباس ابن تيمية شيخ الإسلام ، كان ذكياً كثير المحفوظ ، أثنى عليه وعلى علومه وفضائله جماعة من علماء عصره ، له مؤلفات كثيرة منها : الإيمان والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان والسياسة الشرعية ومنهاج السنة وغيرها ( ت : ٧٢٨ ) - انظر البداية والنهاية - ابن كثير ١٤١/١٤ ومدخل المؤلفين والأعلام العرب - فكري الجزائر ٢٥٢/١ مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض ، ط . د . ١٤١١ هـ .

(٢) التحفة العراقية في أعمال القلوب - ابن تيمية ، تحقيق : سليمان الحرش ٨١ ، دار الهدى - الرياض ، ط : الأولى : ١٤٠٧ هـ . وانظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع - عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد ٢٤٩/٤ ، مكتبة المعارف ، ط . د .

(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي أبو عبد الله أحد كبار العلماء كان حسن القراءة والخلق كثير التردد لا يحسد أحداً ولا يؤذيه وله من التصانيف الكبار والصغار كثير ومنها : أعلام الموقعين وإغاثة اللهفان وزاد المعاد ومفتاح السعادة وغيرها ( ت : ٧٥١ ) - انظر البداية والنهاية - ابن كثير ٢٤٦/١٤ ومعجم المؤلفين العرب تراجم مصنفي الكتب العربية - عمر رضا كحالة ١٠٦/٩ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط . د . ١٣٧٦ هـ .

(٤) إغاثة اللهفان في مصادب الشيطان - ابن القيم ، تحقيق : محمد عفيفي ٢٤٩/٤ ، المكتب الإسلامي - بيروت . ط : الثانية : ١٤٠٩ هـ .

(٥) عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الإشبيلي الحضرمي أبو زيد العالم الباحنة ، ولد ونشأ بتونس ، وألف كتباً أشهرها تاريخه المسمى : العبر وديوان المبتدأ والخير واشتهرت مقدمته ( ت : ٨٠٨ هـ بالقاهرة ) انظر هدية العارفين - إسماعيل ٥٢٩/١ والأعلام - الزركلي ٣/٣٣٠ .

(٦) مقدمة ابن خلدون - ابن خلدون ١٣٥ ، دار الجيل - بيروت ، ت . د .

(٧) مفتاح دار السعادة - ابن القيم ، تحقيق : سيد إبراهيم وعلي محمد ٤٣٩/٢ ، دار الحديث - القاهرة ، ط : الأولى : ١٤١٤ هـ .

تعالى : ﴿ وهديناه النجدين ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ (٢) يقول صاحب التسهيل (٣) - رحمه الله تعالى - : " وإنما كفر من كفر لعارض أخرجه عن أصل فطرته التي يبدلها شياطين الإنس والجن بعد الخلق الأولى " (٤) ولذا نجد أن ابن العربي (٥) رحمه الله تعالى قال : " خرجت من بلادي على الفطرة فلم ألق في طريقي إلا مهتدياً حتى بلغت هذه الطائفة - يريد الإمامية والباطنية - فهي أول بدعة لقيت " (٦) فيالإمام - رحمه الله تعالى - استنكر أوضاع قسم من الخليقة تغيرت فطرهم .

وقد ورد في الحديث : " وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً " (٧) والمعنى أنهم أزالوهم عما كانوا عليه ، وجالوا معهم في الباطل (٨) ولذا جاء أن القلب السليم هو السالم من الآفات والعوارض التي تصرفه عن الحق (٩) .

(١) سورة البلد / الآية ١٠ .

(٢) سورة الإنسان / الآية ٣ .

(٣) محمد بن أحمد بن محمد ابن جزى الكلبي أبو القاسم من أهل غرناطة ، فقيه من العلماء من كتبه : تقريب الوصول إلى علم الأصول والتسهيل لعلوم التنزيل وغيرها ( ت : ٧٤١ هـ ) انظر مدرسة التفسير في الأندلس - مصطفى إبراهيم المشني ١٠٢ ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٦ هـ - والأعلام - الزركلي ٣٢٥/٥ ومعجم المؤلفين - كحاله ٢٨٥/٨ .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل - ابن جزى الكلبي ، تحقيق : محمد اليونسي وإبراهيم عوض ٢٦٦/٣ ، أم القرى للطباعة - القاهرة ، ط : د .

(٥) أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي الأندلسي اشتهر اسمه كان رئيساً محتشماً وافر المال صاحب التصانيف ومنها : عارضة الأحوذى في شرح جامع أبي عيسى الترمذي والعواصم من القواصم وأحكام القرآن ( ت : ٥٤٣ هـ ) انظر سير أعلام النبلاء - الذهبي ، تحقيق : حسين الأسد ١٩٧/٢٠ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط : التاسعة : ١٤١٣ هـ - والأعلام - الزركلي ٢٣٠/٦ وهدية العارفين - إسماعيل ٩٠/٢ .

(٦) الاعتصام - الشاطبي ، وبه تعريف السيد محمد رشيد رضا ١٥٠/١ ، دار الفكر ، ط : د .

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب ( الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ) ٢١٩٧/٤ رقم : ٢٨٦٥ .

(٨) انظر شرح مسلم - النووي ٢٠٣/١٧ .

(٩) انظر جامع العلوم والحكم - ابن رجب ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باحس ٢١١/١ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط : الرابعة : ١٤١٣ هـ .

والخلاصة أن أصل خلقة الإنسان على الفطرة المستقيمة " وأن الإنسان لا يكره الحق من حيث هو باطل ولكنه يحب الحق بفطرته ، ويجب الباطل لهواه وشهوته " (١) وعلى الثاني الجسم الغفير ، قال ابن خلدون رحمه الله تعالى : " والشر أقرب الخلال إليه - يريد الإنسان - إذا أهمل في مرعى عوائده ولم يهذب الاقتداء بالدين ، وعلى ذلك الجسم الغفير إلا من وفقه الله " (٢) ولذا يرجع الكثير عند المصائب إلى فطرهم كما حكى ذلك القرآن الكريم ، وكما هو معلوم بالحس والمشاهدة .

---

(١) القائد إلى تصحيح العقائد ، وهو القسم الرابع من كتاب التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل - عبدالرحمن المعلمي ، تحقيق : الألباني ١٧٩/٢ ، مكتبة المعارف - الرياض ، ط : الأولى : ١٣٨٦هـ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ١٤٠ .

## المطلب الثاني بدايات الانحراف في حياة البشر :

وبعد أن تقرر ما ذكر لعله من الملائم الانتقال إلى الحديث عن نقاط هذا المبحث الموسوم ببدايات اتباع الهوى لتتضح الانحرافات الأولى في حياة البشر ، وسأقتصر فيما سأورده هاهنا - بمشيئة الله تعالى - على نقطتين:

أولاهما - استكبار إبليس وعصيانه .

ثانيهما - نيا ابنى آدم .

ومما دفعني لهذا الاقتصار ما يلي :

أولاً - كونهما يمثلان بدايات خط الانحراف في حياة الإنسان .

ثانياً - أن ما حصل - في جملته - على سبيل الاستئناس والأسوة بمثل سالف ، إذ إن تقديم الهوى على

الحق بدافع الحسد أو بأي دافع آخر منشأه قديم قدم الصراع بين الحق والباطل نفسه (١).

وسيتضح من خلال ما سيدون - إن شاء الله تعالى - ما أفرزته وأبرزته تلك البدايات .

### • أولاً - استكبار إبليس وعصيانه :

عندما خلق الله - ﷻ - آدم - عليه السلام - أمر ملائكته بالسجود له تشريفاً وتكريماً قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ (٢).

" فأخبر - جل ثناؤه - أنه أمر إبليس فيمن أمره من الملائكة بالسجود لآدم ثم استنأه - جل ثناؤه - مما أخبر

أنهم فعلوه من السجود لآدم ، فأخرجه من الصفة التي وصفهم بها من الطاعة لأمره ، ونفى عنه ما أثبتته

لملائكته من السجود لعبده آدم " (٣) وهذا الفعل من إبليس شأنه أن يشير بعضاً من التساؤلات في نفس

القارئ والسامع ومفادها :

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٨٨/٦ ، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - الشوكاني ، تدقيق :

سعيد محمد اللحام ٤٥/٢ ، المكتبة التجارية - مكة المكرمة ، ط : د : ١٤١٢ هـ .

(٢) سورة البقرة / الآية ٣٤ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - الطبري ٢٢٤/١ ، دار الفكر - بيروت ، ط . د : ١٤٠٨ هـ .

كيف لم يفعل إبليس ما أمر به ؟ وكيف خالف حال جماعته ؟ وما سبب ذلك ، لأن الشأن غالباً الموافقة في الجماعات ؟ (١) .

فبين المولى - تبارك وتعالى - السبب في ختام الآية ، ولم يبين هنا موجب استكباره ، ولكنه بين في مواضع آخر كقوله : ﴿ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ (٢) وقوله : ﴿ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقتهم من صلصال من حمأ مسنون ﴾ (٣) .

وهاهنا يكمن الداء ، ويبرز السبب الذي دفع إبليس لعصيان الأمر ومخالفته ، إنه الحسد والكبر . وقد بين العلماء - رحمهم الله تعالى - ذلك خير بيان فمنهم :

الإمام مالك (٤) - رحمه الله تعالى - حين قال : " بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكبر ، حسد إبليس آدم وقال قتادة (٥) - رحمه الله تعالى - حسد إبليس آدم على ما أعطاه الله من الكرامة " (٦) وبنحوه قال الإمام الآجري - رحمه الله تعالى - (٧) .

(١) انظر التحرير والتنوير - الطاهر ابن عاشور ٤٢٤/١ وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية - جمع ابن قاسم ١٥٠/٢٨ .

(٢) سورة الأعراف / الآية ١٢ .

(٣) سورة الحجر / الآية ٣٣ .

(٤) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري أبو عبد الله إمام دار الهجرة أحد أعلام الإسلام ، وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة ، صنف الموطأ وغيره ( ت : ١٧٩هـ بالمدينة ) انظر تهذيب التهذيب - ابن حجر ٣٥٠/٥ رقم : ٧٤٨٣ ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ط : الثانية : ١٤١٣هـ والبداية والنهاية - ابن كثير ١٨٠/١٠ والأعلام - الزركلي ٢٥٧/٥ .

(٥) قتادة بن دعامة السدوسي البصري ولد أكمهاً ، مفسر من أحفظ أهل البصرة مات كهلاً بواسط بالطاعون ( سنة : ١١٨هـ ) انظر

ميزان الاعتدال في نقد الرجال - الذهبي ، تحقيق : علي محمد البحاري ٣٨٥/٣ رقم : ٦٨٦٤ ومشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء

الأقطار - ابن حبان البستي ، تحقيق : مرزوق علي إبراهيم ١٥٤ رقم : ٧٠٢ وتهذيب التهذيب - ابن حجر ٥٤٠/٤ رقم : ١٣٩١ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٢٠٣/١ - ٢٠٤ وانظر المحرر الوجيز - ابن عطية ١٨٠/١ .

(٧) انظر الشريعة - الآجري ٣٢٣ .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي (١) - رحمه الله تعالى - : " والحسد وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته أنه حسد آدم على ما خص به من الاجتباء ، ولما دعى إلى السجود استكبر وأبى ، وتمرد وعصى " (٢) وقال ابن الأثير (٣) - رحمه الله تعالى - : " فلم يسجد كبيراً وبغياً وحسداً (٤) . ولا غرابة وقد قيل : الحسد والحرص ركنا الذنوب ومنهما أنتج ذنب إبليس وآدم ، فإبليس حسد آدم فصار لعيناً وطريداً (٥) . ومعلوم أن رفضه وإبائه للامثال لم يكن تردداً ولا تأملاً ، وإنما كان اختياراً وعناداً ، لأن الإباء : الامتناع بالاختيار (٦) . ولهذا يقول الألويسي (٧) - رحمه الله تعالى - في بيان كفر إبليس : " وقيل عن عناد حملة عليه حب الرياسة والإعجاب بما أوتي من النفاسة ، ولم يدر المسكين أنه لو امتثل ارتفع قدره ، وسما بين الملأ فخره ولكن :

- (١) محمد بن محمد بن محمد الطوسي الشافعي المعروف بالغزالي أبو حامد مشارك في أنواع من العلوم ، وله مصنفات في فنون متعددة ومنها إحياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة وغيرهما ( ت : ٥٠٥ هـ ) انظر سير أعلام النبلاء - الذهبي ٣٢٢/١٩ والبداية والنهاية - ابن كثير ١٨٥/١٢ ومعجم المؤلفين - كحاله ٢٦٦/١١ ومداخل المؤلفين - فكري الجزائر ١٠٩٤/٢ .
- (٢) إحياء علوم الدين - الغزالي ١٧٠/٣ ، عالم الكتب ، ط . د .
- (٣) أبو الحسن علي بن محمد الشيباني ابن الأثير ، مصنف التاريخ الكبير الملقب بالكامل ، وكان إماماً علامة إخبارياً ، كان منزله مأوى لطلبة العلم ( ت : ٦٣٠ هـ ) انظر سير أعلام النبلاء - الذهبي ٣٥٣/٢٢ رقم : ٢٢٠ ومداخل المؤلفين - فكري الجزائر ٢٧/١ .
- (٤) الكامل في التاريخ - ابن الأثير ، تحقيق : أبي الفداء عبدالله القاضي ٢٨/١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٧ هـ .
- (٥) الذريعة إلى مكارم الشريعة - الراغب الأصفهاني ، تحقيق : أبو اليزيد العجمي ٣٤٩ ، دار الوفاء - المنصورة ، ط : الثانية : ١٤٠٨ هـ .
- (٦) انظر التفسير الكبير - الرازي ٢١٥/٢ - ٢١٦ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ . وانظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - أبو السعود ٨٩/١ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط : الثانية : ١٤١١ هـ . وانظر أيضاً أنوار التنزيل وأسرار التأويل - البيضاوي ٥٣/١ ، قال ابن القيم : " وأخير فيها - يشير إلى قصة إبليس مع آدم - أن امتناع إبليس من السجود كان كبيراً منه وكفراً ، وبجرد إباء " بدائع الفوائد ، تحقيق : معروف رزيق وآخرون ١١٨/٤ ، دار الخیر - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٤ هـ . وانظر بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية ، جمع - يسري السيد محمد ٣٠٤/١ ، دار ابن الجوزي - الدمام ، ط : الأولى : ١٤١٤ هـ .

(٧) عمود بن عبدالله الحسيني الألويسي مشارك في بعض العلوم ، ولد وتوفي في بغداد من كتبه : تفسير روح المعاني وحاشية على القطر وغيرهما ( ت : ١٢٧٠ هـ ) انظر هدية العارفين - إسماعيل ٤١٨/٢ والأعلام - الزركلي ١٧٦/٧ ومعجم المؤلفين - كحاله ١٧٥/١٢ .

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده (١).

ولم يكتب الطريد بمخالفة الأمر ، بل تبعه بقياسه الفاسد وترجيحه المبني على الهوى حين قال : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ (٢) " فلم يمثل أمر الحق ترفعاً عنه ، وزعماً بأنه خير الخليقة عنصراً وأزكى جوهرأ " (٣).

فهو أول من قاس ، وما عبت الشمس والقمر إلا بالمقاييس ، كما قاله ابن سيرين ، وينحوه قال الحسن - رحمهما الله تعالى - (٤).

وقال ابن الجوزي (٥) - رحمه الله تعالى - : " وينبغي أن تعلم أن إبليس شغله التلييس أول ما التبس عليه الأمر فأعرض عن النص الصريح على السجود ، فأخذ يفاضل بين الأصول ، ثم أردف ذلك بالاعتراض على الملك الحكيم ، فقال : ﴿ أرايتك هذا الذي كرمت علي ﴾ (٦) والمعنى : أخبرني لم كرمته علي ، ثم أتبع ذلك بالكبر ثم امتنع عن السجود (٧).

وقد بين العلماء - رحمهم الله تعالى - بطلان قياسه من وجوه عديدة (٨) ولذا يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " إن المادة الإبلية هي المارج من النار ، وهو ضعيف يتلاعب به الهوى فيميل معه كيفما مال ولهذا غلب الهوى على المخلوق منه فأسره وقهره " (٩).

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - الألويسي ٣٦٨/١ ، دار الفكر - بيروت ، ط . د . : ١٤١٤ هـ . وانظر أيضاً إغانة اللهفان - ابن القيم ٢٨٠/٢ .

(٢) سورة الأعراف / الآية ١٢ .

(٣) تفسير القرآن الحكيم الشهر المنار - محمد رشيد رضا ٢٦٦/١ ، دار الفكر - بيروت ، ط . د .

(٤) سنن الدارمي ، باب ( تغير الزمان وما يحدث فيه ) ٧٦/١ رقم : ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٥) عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي أبو الفرج ، يمتد نسبه إلى أبي بكر الصديق برز في علوم كثيرة ، كثير التصنيف من مولفاته :

تلييس إبليس وصيد الخاطر وذم الهوى وغيرها ( ت : ٥٩٧ هـ ) انظر البداية والنهاية - ابن كثير ٣١/١٣ ومعجم المؤلفين - كحاله

١٥٧/٥ ومدخل المؤلفين - فكري الجزائر ٣١١/١ .

(٦) سورة الإسراء / جزء من الآية ٦٢ .

(٧) انظر تلييس إبليس - ابن الجوزي ، تحقيق : د . السيد الجميلي ٣٤ ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الخامسة : ١٤١٢ هـ .

(٨) فعلى سبيل المثال : انظر بدائع الفوائد - ابن القيم ١١٨/٤ حيث بين فساد قياس إبليس من خمسة عشر وجهاً .

(٩) المرجع السابق ١١٩/٤ .

ولم يكتف العدو بما فعل بل سارع وبادر لطلب النظرة والإمهال حين قال : ﴿ قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون ﴾ (١) ؛ ليتمكن من إغواء ذرية آدم .

وقد ذكر الله - ﷻ - قصة إبليس مع الأبرين وأنه لم يزل يخدعهما ويعدهما ويمنيهما الخلود حتى حلف لهما بالله جهد يمينه أنه ناصح لهما (٢) ولهذا قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : " فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم - عليه السلام - وقد بذل عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم " (٣) .

وخلاصة الحديث ومقصوده : أن ما نشأ من الحسد والكبر في نفس إبليس وما ترتب على ذلك من آثار قاده إلى مهالك تلو مهالك فاستحق اللعن والإبعاد لما ارتكبه من المخالفة والعناد بعد أن شق الحسود قميصه من دبر ، واشتعلت في قلبه نيران الحسد ، فعارض النص بالمعقول ، كفعل أوليائه من المبطلين فجمع بين الجهل والظلم والكبر والحسد ، والمعصية ومعارضة النص بالرأي والعقل (٤) ولكن كما يقال : الحسد يقشر القلب كما يقشر القراد (٥) الجلد فيمص الدم (٦) فكيف إذا صاحب الحسد غيره من الرزايا والدنايا؟! ، وأصبح مثل سوء يقتدى به : فكل من رد نصوص الوحي بالأقيسة فسلفه في ذلك إبليس (٧) كما قاله الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٨) - رحمه الله تعالى - ويقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - : "

(١) سورة ص / الآية ٧٩ .

(٢) انظر إغائة اللهفان - ابن القيم ٢/٢٩٠ .

(٣) تلبس إبليس - ابن الجوزي ٣٣ .

(٤) الدين الخالص - محمد صديق خان ٢/٤٣٢ .

(٥) القراد : دوية متطفلة ذات أرجل كثيرة تعيش على الدواب والطيور . المعجم الوسيط - د . إبراهيم أنيس وآخرون ٢/٧٢٤ مادة (قرد) .

(٦) شرح السنة - البغوي ، تحقيق : زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط ١/٢٩٩ ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : الثانية : ١٤٠٣هـ

(٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين الشنقيطي ١/٧٣ ، عالم الكتب - بيروت ، ط . د .

(٨) محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي الجكني ولد ١٣٢٥هـ في بلدة تسمى " تنبه " من بلاد شنقيط المعروفة الآن بموريتانيا ، تخرج عليه أجيال متلاحقة من العلماء ، من مؤلفاته : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن وهو أهم مؤلفاته وآخرها ، ودفع إيهام الاضطراب

عن آيات الكتاب ومذكرة في أصول الفقه وغيرها ( ت : ١٣٩٣هـ بمكة ) انظر عقود الجمان من أضواء البيان - عبد الله بن محمد بابا

الشنقيطي ، مقدمة الكتاب دار روضة الصغير - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١٣هـ وعلماء ومفكرون عرفتهم - محمد المجدوب ١/١٧١ ، دار الشواف - الرياض ، ط : الرابعة : ١٩٩٢م .



وكل من عارض نصوص الأنبياء بقياسه ورأيه فهو من خلفائه وأتباعه " (١) قال ابن الأثير - رحمه الله تعالى - : " فأولهم وإمامهم ورئيسهم إبليس " (٢).

هذا ما أردت إبرازه في هذه النقطة ، وسوف يأتي مزيد بيان - إن شاء الله تعالى - في الفصل المتعلق بالأسباب المؤدية إلى اتباع الهوى ، والتي للشيطان فيها نصيب ، وذلك ببيان شئ من أعماله وخطواته لإضلال بني آدم وحملهم على اتباع الأهواء ، والله الموفق والعاصم بفضله .

### • ثانياً - نبأ ابني آدم :

إن مما ورد في التنزيل ذكره نبأ ابني آدم ، وخلاصته على ما دونه كثير من المفسرين - رحمهم الله تعالى - أن الحرص على زخرف من زخارف الدنيا الزائلة قاد أحد الأخوين إلى الندامة والخسران . قال الله ﷻ : ﴿ وَاْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٠١﴾ لَنْ بَسَطْتُ إِلَى يَدِكَ لَتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمَكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ ذَلِكَ جِزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٣﴾ فَطَوَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَذَمَّتْهُ فَصَبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٠٤﴾ (٣).

قال ابن كثير (٤) - رحمه الله تعالى - : " يقول تعالى مبيناً وخيم عاقبة البغي والحسد والظلم في خبر ابني آدم لصلبه في قول الجمهور (٥) وهما قاييل وهاييل كيف عدا أحدهما على الآخر فقتله بغياً عليه وحسداً له فيما وهبه الله تعالى من النعمة وتقبل القربان الذي أخلص فيه الله ﷻ " (٦).

(١) بدائع الفوائد - ابن القيم ١٢٠/٤ .

(٢) الكامل في التاريخ - ابن الأثير ٢٣/١ .

(٣) سورة المائدة / الآية ٢٧-٣٠ .

(٤) إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الدمشقي الشافعي المعروف بابن كثير ، من تصانيفه تفسير القرآن العظيم والبداية والنهاية ومختصر علوم الحديث لابن الصلاح وغيرها ( ت : ٧٧٤هـ ) انظر معجم المؤلفين - كحاله ٢٨٣/٢ وهدية العارفين - إسماعيل ٢١٥/١ .

(٥) إشارة إلى الخلاف الوارد في تحديد هوية ابني آدم ، ولمزيد من الإطلاع انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن - ابن جرير ١٨٩/٤ والجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٨٨/٦ والمحرر الوجيز - ابن عطية ٧٧/٥ وقد اختار ابن جرير وابن عطية والقرطبي هذا القول .

(٦) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣٩/٢ .

ويبرز هنا موقفان ونموذجان لكل موقف أسبابه المؤدية إليه :

■ فأما الموقف الأول : فهو نموذج لضبط النفس وثباتها ، وامثالها وطاعتها نتيجة الخشية والتقوى .

■ وأما الموقف الآخر : فهو نموذج لانفلات النفس واضطرابها نتيجة لسيرها خلف هواها .

فبعد أن تقبل قربان أحدهما - وهو هايل - ورد قربان الآخر - وهو قايل - دب الحسد في قلب الأخير وسرى في نفسه سريان النار في الهشيم فأوقعه في مهاوي الردى ، وذلك بعد صلوات وجولات ، وإقدام وإحجام بين الخشية والحسد في نفس الجاني المذكور .

وفي هذا الصدد يقول ابن عاشور (١) - رحمه الله تعالى - : " دل ( طوع ) على حدوث تردد في نفس

قايل ، ومغالبة بين دافع الحسد ودافع الخشية " (٢) حتى غلب شره خيره ، وكان من حيلته إرضاء الداعي النفساني الطفيف وترجيحه على جملة من المعاني الشريفة ، فذلك ذو نفس يوشك أن تدعوه دوماً إلى

هضم الحقوق فكلما سنحت له الفرصة قتل ، ولو دعته أن يقتل الناس جميعاً لفعل " (٣) .

فرجل هذا شأنه لا شك أن خلال الشر ومنافذ الهوى أقرب إليه من غيره ، قال ابن خلدون : " والشر

أقرب الخلال إليه - يريد الإنسان - إذا أهمل في مرعى عوائده ، ولم يهذب الاقتداء بالدين " (٤) .

ومما يبين تأثير الحسد على ابن آدم على الرغم من تذكيره وزجره بالموعظة تلو الموعظة : ما قام به أخوه الصالح - الذي قال إني أخاف الله رب العالمين - من ارتكاب جريمة القتل والإقدام عليها دون ارتداع لمن

---

(١) محمد الطاهر ابن عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه ، له مصنفات منها : التحرير والتنوير في التفسير

ومقاصد الشريعة الإسلامية وغيرها ( ت : ١٣٩٣ هـ ) انظر الأعلام - الزركلي ١٧٤/٦ .

(٢) التحرير والتنوير - ابن عاشور ١٧٢/٦ وانظر تفسير القرآن الحكيم - محمد رشيد رضا ٣٤٥/٦ . وقد قيل عنه : وإنما لم يتقبل قربانه لأنه لم يكن رجلاً صالحاً بل كانت له خطايا ، ولم يكن من المتقين ، أي أن نفسه مهينة لمسايرة الهوى وترجيحه على ما سواه . انظر التحرير والتنوير - ابن عاشور ١٦٩/٦ .

(٣) انظر المرجع السابق ١٧٨/٦ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ١٤٠ .

حقه عليه الجنو ، ودفع الأذية عنه ، فكان منه أن " توعد بالقتل لفرط الحسد له " (١) على قبول قربانه ، ورفع شأنه عند ربه (٢).

قال الشيخ السعدي (٣) - رحمه الله تعالى - : " فلم يرتدع ذلك الجاني ولم ينزجر - بمواعظ أخيه له - ولم يزل يعزم نفسه ويجزمها حتى طوعت له قتل أخيه ، الذي يقتضي الشرع والطبع احترامه " (٤).

ولهذا يقال : الحسد أول جريمة ظهرت على وجه الأرض (٥) فهو أول معصية في السماء ، وأول جريمة في الأرض ، وقديماً قيل : " إذا نصر الهوى ذهب الرأي " (٦).

وخلاصة القول ومقصوده : إن النفس عندما تنحرف عن الحق بمنة ويسرة تكون عرضة للأهواء المختلفة التي توردها شر الموارد ، وتوصلها إلى أسوأ النتائج والعواقب ، وقد جاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود

(٧) - أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ؛ لأنه أول من سن القتل " (٨).

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل - البيضاوي ٢٦٢/١ .

(٢) روح المعاني - الألويسي ١٦٤/٤ . وينقل ابن عطية بقوله : وقال سائقوا هذا القصص : فحسد قبايل هايبيل وقال له : أتمشي على الأرض يراك الناس أفضل مني . المحرر الوجيز ٧٧/٥ وانظر معالم التنزيل - البغوي ٤٢/٣ .

(٣) عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله آل سعدي ، أمه من آل عثيمين ، يعد من علماء الحنابلة ، له مصنفات منها : تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن والقواعد الحسان وغيرهما ( ت : ١٣٧٦ بعنيزة ) انظر روضة الناظر عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين - محمد بن عثمان القاضي ٢٣٩/١ رقم : ١٠٣ والأعلام - الزركلي ٣٤٠/٣ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - السعدي ، تحقيق : محمد زهري النجار ٢٨٠/٢ ، مكتبة الهدى ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ وانظر أيضاً الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٩٣/٦ .

(٥) التحرير والتنوير - ابن عاشور ١٧٠/٦ .

(٦) ذم الهوى - ابن الجوزي ٢٧ .

(٧) عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الإمام الحبر ، فقيه الأمة أبو عبدالرحمن الهذلي المكي البصري ، كان من السابقين الأولين وحن النجباء العالمين ، ومناقبه غزيرة ، روى علماً كثيراً ، شهد بدرأ والحديبية وهاجر المجرتين جميعاً ، وهو من ضمن من أوصى رسول الله ﷺ بأخذ القرآن عنهم ( ت : ٣٢ هـ بالمدينة ودفن بالقيع ) انظر الاستيعاب - ابن عبدالبر ١١٠/٣ رقم : ١٦٧٧ وأسد الغابة - ابن الأثير ٣٨١/٣ رقم : ٣١٨٢ وسير أعلام النبلاء - الذهبي ٤٦١/١

(٨) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ( قول الله تعالى : وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ) ٢٦٨/٤ رقم : ١٩٣ وأخرجه مسلم في كتاب القسامة ، باب ( بيان إثم من سن القتل ) ١٣٠٣/٣ رقم : ١٦٧٧ .

ونقل عن عبد الله بن عمرو (١) - هـ - أنه قال : " إن أشقى الناس رجلاً لابن آدم الذي قتل أخاه  
وينحوه قال النخعي (٢) - رحمه الله تعالى - " (٣) .

ولا يخفى ما قام به إبليس من المعارضة والمخالفة وبالتالي فإن له بذلك كفل من الآثام تلو كفل .  
قال إبراهيم النخعي - رحمه الله تعالى - : " ما من مقتول يقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول  
والشيطان كفل منه " (٤) .

وقال الإمام القرطبي (٥) - رحمه الله تعالى - بعد أن ذكر الحديث السابق : " وبهذا الاعتبار  
يكون على إبليس كفل من معصية كل من عصى بالسجود ؛ لأنه أول من عصى به وكذلك  
كل من أحدث في دين الله ما لا يجوز من البدع والأهواء " (٦) .

وكيف لا " وأول كيده ومكره - أي إبليس - أنه كاد الأيوين بالأيمن الكاذبة " (٧) ثم كاد أحد ولدي  
آدم ، ولم يزل يتلاعب به حتى قتل أخاه وأسخط أباه ، وعصى مولاه ، فسن للذرية قتل النفوس " (٨) .

فالشيطان : " هو صاحب الأيوين حين أخرجهما من الجنة ، وصاحب قايل حين قتل أخاه ، وصاحب قوم  
نوح حين أغرقوا ، وقوم عاد حين أهلكوا بالريح العقيم ، وصاحب قوم صالح حين أهلكوا بالصيحة

---

(١) عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي هـ أسلم قبل أبيه وكان كثير العبادة ، وكان فاضلاً عالماً قرأ القرآن والكتب المتقدمة  
( ت : ٦٣ هـ وقيل غير ذلك ) انظر أسد الغابة - ابن الأثير ٣/٣٤٥ رقم : ٣٠٩٢ والإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر ٤/١١١ رقم :  
٤٨٣٨ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط . د . ١٨٥٣ .

(٢) إبراهيم بن يزيد الأسود النخعي أحد الأعلام يكنى أبو عمر ، كان يتوقى الشهرة ( ت : ٩٥ هـ ) انظر تذكرة الحفاظ - الذهبي ٧٣/١  
رقم : ٧٠ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط . د . والإشارة إلى وفيات الأعيان المنتقى من تاريخ الإسلام - الذهبي ، تحقيق : إبراهيم صالح  
٥٤ ، دار ابن الأثير - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ .

(٣) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن - ابن جرير ٤/١٩٤ وتفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٢/٤٣ .

(٤) المرجع السابق ٤/١٩٤ .

(٥) محمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرحي أبو عبد الله القرطبي المالكي ، له من الكتب : جامع أحكام القرآن والاعلام بما في دين النصارى  
واظهار محاسن دين الإسلام وغيرهما ( ت : ٦٧١ هـ ) انظر هدية العارفين - إسماعيل ٢/١٢٩ ومدخل المؤلفين - فكري الجزائر ٣/١٢٥٧  
ومدرسة التفسير في الأندلس - مصطفى المشني ٩٨ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٦/٩٢ . وانظر أيضاً الاعتصام - الشاطبي ١/١٢١ .

(٧) إغاثة اللهفان - ابن القيم ١/١٧٧ .

(٨) المرجع السابق ٢/٢٩١ . وانظر أيضاً الدين الخالص - محمد صديق حسن ٢/٤٣٤ .

وصاحب فرعون وقومه حين أخذوا الأخذة الراية ، وصاحب قريش حين دعوا يوم بدر ، وصاحب كل هالك ومفتون " (١) .

هذا ما أردت تدوينه حول تلك البدايات ، ومقصودي بيان ما لها من الأثر على كثير من الأمور اللاحقات كما سيظهر ذلك - إن شاء الله تعالى - في فصول هذا البحث .  
والله الموفق والمعين .

---

(١) المرجع السابق ١/١٧٧ .

## المبحث الثاني موقف الوحي من اتباع الهوى

### المطلب الأول الهوى المذموم بين الشهوة والشبهة

وسأتناول هذه الجزئية من خلال النقاط التالية :

أولاً : إن الفتن والأمراض التي تعرض على القلوب فتكون سبباً في ضعفها أو فسادها كثيرة ومتنوعة ، وهي لا تخرج بمجموعها عن الشهوة والشبهة ؛ أي إما أن تكون فتنة شهوة أو شبهة أو منهما جميعاً .

قال ابن أبي العز الحنفي (١) - رحمه الله تعالى - : " إن أمراض القلوب نوعان مرض شبهة ومرض شهوة " (٢) وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " والفتنة نوعان : فتنة الشبهات وهي أعظم الفتنتين وفتنة الشهوات ، وقد يجتمعان للعبد وقد ينفرد بإحدهما " (٣) وكلاهما مذكور في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - ﷺ - فعلى سبيل المثال : قال - ﷺ - : ﴿ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾ (٤) وقال - ﷺ - : ﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ﴾ (٥) فالأول مرض الشهوة ، والثاني مرض الشبهة (٦) .

ومثال الجمع بينهما كما في سورة التوبة عند قوله - ﷺ - : ﴿ فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا ﴾ (٧) فلاستمتاع إشارة إلى اتباع الشهوات ، والخوض إشارة إلى

(١) علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي ، كان قاضي القضاة بدمشق ( ت : ٧٩٢هـ ) انظر هدية العارفين - إسماعيل

٧٢٦/١ والأعلام - الزركلي ٣١٣/٤ ومدخل المؤلفين - فكري ١٠٠٥/٢ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز ، تحقيق : د . عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط ٢٥٨/١ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط : الرابعة : ١٤١٢هـ .

(٣) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٢٣٩/٢ .

(٤) سورة الأحزاب / جزء من الآية ٣٢ .

(٥) سورة البقرة / جزء من الآية ١٠ .

(٦) انظر إغاثة اللهفان - ابن القيم ٢٦/١ وشرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز ٢٥٨/١ .

(٧) سورة التوبة / جزء من الآية ٦٩ .

اتباع الشبهات (١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " فقله سبحانه : ﴿ فاستمتعتم بخلاقكم ﴾ إشارة إلى اتباع الشهوات وهو داء العصاة ، وقوله - ﷺ - : ﴿ وخضتم كالذي خاضوا ﴾ إشارة إلى اتباع الشبهات وهو داء المبتدعة ، وأهل الأهواء والخصومات وكثيراً ما يجتمعان " (٢).

وجاء عن حذيفة (٣) - ﷺ - قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : " تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مרבداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه " (٤).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " فإذا أسود وانكس عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطيران متراميان به إلى الهلاك :

أحدهما : اشتباه المعروف عليه بالمنكر وربما استحکم فيه هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، والحق باطلاً والباطل حقاً .

الثاني : تحكيمه هواه على ما جاء به الرسول - ﷺ - وانقياده للهوى واتباعه له " (٥).

فاجتمع فيه هنا الشبهة والشهوة .

وفي قصة إبليس مع آدم حين شام عدو الله الأبوين فأحس منهما إيناساً وركوناً إلى الخلد في تلك الدار ففرهما وخدعهما ، فحصلت الشبهة من قول العدو وإقسامه بالله جهد إيمانه أنه ناصح لهما

(١) انظر أعلام الموقعين - ابن القيم ١٠٦/١ . وبدائع التفسير - جمع يسري السيد ٣٦٨/٢ . وشرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز ٣٣٩/١ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم - ابن تيمية ، تحقيق : د . ناصر العقل ١٠٤/١ ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ . وانظر أعلام الموقعين - ابن القيم ١٠٦/١ .

(٣) حذيفة بن اليمان القطيعي يكنى أبو عبد الله ﷺ ، كان من كبار أصحاب رسول الله ﷺ ، وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ يوم الخندق ينظر إلى قريش ، وكان عمره ﷺ يسأله عن المناقنين ( ت : ٣٦ هـ ) انظر الاستيعاب - ابن عبد البر ٣٩٣/١ رقم : ٥١٠ وأسد الغابة - ابن الأثير ٧٠٦/١ رقم : ١١١٣ وسير أعلام النبلاء - الذهبي ٣٦١/٢ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب ( بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه يآرز بين المسحدين ) ١٢٨/١ رقم : ١٤٤ .

(٥) إغاثة اللهفان - ابن القيم ١٦/١ .

فاجتمعت الشبهة والشهوة<sup>(١)</sup> والحاصل أن هذين المرضين وهاتين الفتنتين مما يعرض على القلوب ، وهما جنس تحته أنواع كثيرة من الشبهات والشهوات .

ثانياً - إن احتمال ورود الشبهة أو الشهوة على قلب الإنسان وارد ، ولكن العبرة في كيفية التعامل مع ذلك الوافد ، وعلى سبيل المثال أذكر ما حصل في زمن الصحابة - رضي الله عنهم - ليتبين المراد : فقد جاء عن أبي هريرة - ؓ - قال : " جاء ناس من أصحاب النبي - ﷺ - فسألوه : أنا نجد في أنفسنا ما يتعاضم أحدنا أن يتكلم به ، قال : وقد وجدتموه ؟ قالوا نعم ، قال : ذاك صريح الإيمان " (٢).

ذكر في شرح الإمام النووي - رحمه الله تعالى - : " أن الخواطر على قسمين :  
الأول - خواطر ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهي التي تدفع بالإعراض عنها ، وعلى هذا يحمل الحديث .

الثاني - الخواطر المستقرة التي أوجبتها الشبهة فإنها لا تدفع إلا بالاستدلال والنظر في إبطائها " (٣).  
ولا ريب أن الله - ﷻ - حكمة في ذلك - أي في ورود الشبهات والشهوات - وهي ابتلاء العباد وامتحانهم أخذاً من عموم قوله - ﷻ - : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور ﴾ (٤).

وفي هذا الصدد قال الشيخ عبدالرحمن المعلمي<sup>(٥)</sup> - رحمه الله تعالى - ما نصه : " إن حكمة الحق في الخلق اقتضت أن تكون هناك بينات وشبهات ، وأن لا تكون بينات قاهرة ، ولا الشبهات غالبية ، فمن جرى مع فطرته من حب الحق ورباها ونماها وآثر مقتضاها ، وتفقد مسالك الهوى إلى نفسه فاحترس منها لم تنزل

(١) انظر المرجع السابق ١٧٩/١ - ١٨٠ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب ( بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وحدها ) ١١٩/١ رقم : ١٣٢ .

(٣) شرح مسلم - النووي ٥١٣/٢ .

(٤) سورة الملك / الآية ٢ .

(٥) عبدالرحمن بن يحيى بن علي المعلمي العنمي البمني ، فقيه من العلماء ، عين آخر حياته أميناً لمكتبة الحرم المكي ، له مصنفات منها :

التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل وأضواء على السنة وكتاب العبادة وغيرها ( ت : ١٣٨٦ هـ ) انظر الأعلام - الزركلي

٣٤٢/٣



تتحلى البيئات ، وتتضاءل عنده الشبهات ، ومن اتبع الهوى ، وآثر الحياة الدنيا ، ترقعت دونه البيئات واستهوته الشبهات ، فذهبت به إلى حيث ألفت رحلها أم قشعم " (١) وكذلك الحال في الشهوات . وبهذا يتبين خطرهما على العبد ، بل ربما كانا سبباً في هلاكه ، بيد أن فتنة الشبهات أشد خطراً وأعظم ضرراً ، " ولاسيما إذا اقترن بذلك - إشارة إلى ضعف البصيرة وقلّة العلم (٢) - فساد القصد وحصول الهوى ، فهناك الفتنة العظمى ، والمصيبة الكبرى " (٣) . وفي تقرير هذا الأمر قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " واتباع الأهواء في الديانات أعظم من اتباع الأهواء في الشهوات " (٤) وقال ابن أبي العز - رحمه الله تعالى - بعد أن بين أن للقلب مرضان - شهوة وشبهة - : " وأردؤهما مرض الشبهة " (٥) وتقدم قول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " وهي أعظم الفتنتين " (٦) يشير إلى فتنة الشبهات .

ثالثاً - إن اتباع الهوى المذموم قد يكون تارة لشبهة ، وتارة لشهوة ، وقد يكون تارة مركباً منهما جميعاً . وليبان ذلك وإيضاحه أقول مستعيناً بالله :

(١) القائد إلى تصحيح العقائد - العلمي ١٨٨/٢ .

(٢) وبيان ذلك كما قال ابن القيم : " ولما كان في القلب قوتان : قوة العلم والتمييز ، وقوة الإرادة والحب ، كان كماله وصلاحه باستكمال هاتين القوتين " ومعلوم أن الفتن التي تعرض على القلوب هي أسباب مرضها ، وهي فتن الشبهات والشهوات ، فالأولى توجب فساد العلم والاعتقاد ، والثانية توجب فساد القصد والإرادة ، ولهذا جاء أن معنى القلب السليم : الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله - ﷻ - ونهيه ، ومن كل شبهة تعارض خبره . انظر إغاثة اللهفان - ابن القيم ١١/١ - ٣٧ . وقد بين الله - ﷻ - كمال القوتين في نبيه - ﷺ - قال - ﷻ - : ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ﴾ سورة الشورى / جزء من الآية ١٥ قال القاضي البيضاوي - رحمه الله تعالى - : " والأول إشارة إلى كمال القوة النظرية ، وهذا ﴿ وأمرت لأعدل بينكم ﴾ إشارة إلى كمال القوة العملية " أنوار التنزيل وأسرار التأويل - البيضاوي ٣٦١/٢ . قال ابن القيم : " فهو - ﷻ - الكامل في علمه وفي عمله وقد وصف - ﷻ - بذلك خلفاءه من بعده " بدائع التفسير - جمع يسري السيد ٢٩٨/٤ . وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية - جمع ابن قاسم ٣٨٤/٣ .

(٣) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٢٣٩/٢ .

(٤) الحسبة في الإسلام - ابن تيمية ، تحقيق : سيد بن أبي سعدة ٨٠ ، مكتبة دار الأرقم - الكويت ، ط : الأولى : ١٤٠٣ هـ . وانظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع ابن قاسم ١٣٢/٢٨ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز ٣٦٠/٢ . وانظر مجموع الفتاوى - ابن تيمية ١٠٣/٢٠ - ١٠٥ ، ٦٠/٣٦ .

(٦) انظر ص ١٧ من هذا البحث .

إن كثيراً من آي الذكر الحكيم التي ورد فيها سير أولئك الذين يتبعون أهواءهم - سواء كان ذلك بالنص عليهم بأنهم متبعوا الهوى ، أو بما يفهم من سياق الآيات أنهم كذلك - يلحظ من خلال ما قاموا به من مخالفات ، وما ارتكبه من منهيات أن أعمالهم تلك مبنية على الشبهات أو الشهوات أو منهما جميعاً وعلى سبيل المثال :

ما حكاه الرب - ﷻ - عن حال بني إسرائيل مع أنبيائهم - عليهم السلام - حين قال : ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ﴾ (١).

قال ابن عاشور - رحمه الله تعالى - : " والمراد به ما تميل إليه أنفسهم من الانخلاع عن القيود الشرعية والانغماس في أنواع الملذات ، والتصميم على العقائد الضالة " (٢).

فالمستلذات متعلقة بالشهوات والتصميم على العقائد الضالة متعلق بالشبهات وقد يكون بهما جميعاً . وكذلك ما حكاه الله - ﷻ - من تحذير نبيه - ﷺ - حين قال - ﷻ - : ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ﴾ (٣).

قال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (٤) - رحمه الله تعالى - : " أي ما تهواه نفسه من الشهوات وترك النظر والاستدلال " (٥) فلفظ الهوى قد شملهما .

ومما يبين دخول الشبهة في الهوى ما نقله الرازي (٦) - رحمه الله تعالى - وهذا نصه : وقال آخرون : " إن صاحب الشبهة صاحب هوى في الحقيقة لأنه ما تمم النظر والاستدلال فإنه لو أتى بتمام النظر والاستدلال

(١) سورة البقرة / الآية ٨٧ .

(٢) التحرير والتنوير - ابن عاشور ٥٩٨/١ .

(٣) سورة طه / الآية ١٥ - ١٦ .

(٤) محمد جمال الدين بن محمد بن قاسم الخلاق من سلالة الحسين السبط ، إمام أهل الشام في عصره ، له مؤلفات منها : محاسن التأويل في التفسير ودلائل التوحيد وغيرها ( ت : ١٣٣٢ هـ ) انظر الأعلام - الزركلي ١٣٥/٢ ومعجم المؤلفين - كحاله ١٥٧/٣ .

(٥) محاسن التأويل - القاسمي ١٥٨/١١ .

(٦) محمد بن عمر بن الحسين القرشي ، انتشرت تواليفه في البلاد شرقاً وغرباً ومنها : مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير قال عنه النهي : وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظامم وسحر وانحرافات عن السنة والله يعفو عنه فإنه توفي على طريقة حميدة والله يتولى السرائر ( ت : ٦٠٦ هـ ) انظر سير أعلام النبلاء - النهي ٥٠٠/٢١ رقم : ٢٦١ وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - حاجي خليفة ١٥٧٧/٢

دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط . د ومدخل المؤلفين - فكري ١١٣٤/٣ .

لوصول إلى الحق ، فحيث لم يصل إليه علمنا أنه ترك النظر التام بمجرد الهوى " (١) ونحن هذا الكلام يقول المعلمي - رحمه الله تعالى - ما نصه : " ومخالفة الهوى للحق في العلم والاعتقاد - أي في الشبهات ، وقد تقدم بيان ذلك - قد تكون لمشقة تحصيله ، فإنه يحتاج إلى البحث والنظر وفي ذلك مشقة ، وتحتاج إلى سؤال العلماء ، والاستفادة منهم... ويحتاج إلى لزوم التقوى طلباً للتوفيق والهدى ، وفي ذلك ما فيه من المشقة " (٢) .

ولعل مما يؤكد هذا الأمر ما يلحظ من أن الإمام الشاطبي (٣) - رحمه الله تعالى - عندما تحدث عن لفظ ( أهل الأهواء ) خصه ابتداءً بالذين أنشاؤها وابتدعوها وخاضوا بأنظارهم فيها ، ولم يدخل العوام في ذلك المسمى ؛ لأنهم متبعين لا منظرين . ثم نجده - رحمه الله تعالى - يعمم الإطلاق قليلاً ليشمل العامة المقلدة ، وعلل ذلك بقوله : " إذ كان من حق من كان هذا سبيله أن ينظر في الحق إن جاءه ، ويبحث ويتأني ، ويسأل حتى يتبين - [ هكذا ] (٤) له فيتبعه ، أو الباطل فيجتنبه " (٥) .

ويتضح مما ذكر : أن الشبهة قد تكون ملبسة على صاحبها ، فإن بين له الأمر ولم يتقبل فهو الهوى كحال أهل الكتاب الذين يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم ، وإن ادعى الاشتباه وعدم التمييز بلا بحث عن الصواب فهو الهوى .

والحاصل أن لفظ الهوى يعم الشبهات والشهوات (٦) .

(١) التفسير الكبير - الرازي ١١٣/٤ .

(٢) القائد إلى تصحيح العقائد - المعلمي ١٨١/٢ .

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الفرناطي الشهير بالشاطبي ، أصولي حافظ من أئمة المالكية ، من مؤلفاته : الموافقات

الاعتصام وغيرهما ( ت : ٧٩٠ هـ ) انظر الأعلام - الزركلي ٧٥/١ . ومدخل المؤلفين - فكري الجزائر ٧٥٤/٢ .

(٤) لعله يوجد سقط كلمة : الحق والله أعلم .

(٥) الاعتصام - الشاطبي ١٦٤/١ .

(٦) نجد أن الإمام الماوردي - رحمه الله تعالى - يرى أن الشهوة من نتائج الهوى فيقول : " فأما فرق ما بين الهوى والشهوة مع اجتماعهما في العلة والمعلول ، واتفاقهما في الدلالة والمندلول ، فهو أن الهوى مختص بالأراء والاعتقادات ، والشهوة مختصة بنيل المستلذات ، فصارت الشهوة من نتائج الهوى ، وهي أخص والهوى أصل هو أعم " أدب الدنيا والدين - الماوردي ، تحقيق : مصطفى السقا ومحمد سكر ٥٩ دار إحياء العلوم - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ . وقال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : " قال الحكيم : إن الشهوة من نتائج الفكر " ذم الهوى - ابن الجوزي ٣١ .

قال ابن رجب (١) - رحمه الله تعالى - : " فجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله - ﷻ - ورسوله - ﷺ - وقد وصف الله - ﷻ - المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه ، قال تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (٢) وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء " (٣) وتقدم قول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " واتباع الأهواء في الديانات أعظم من اتباع الأهواء في الشهوات " (٤) .

إذ النفوس تهوى ما يضرها ولا ينفعها : لجهلها بمضرته لها تارة ، ولفساد قصدتها تارة ، ولجموعهما تارة (٥) .

---

(١) عبدالرحمن بن أحمد بن رجب السلامي الحنبلي أبو الفرج من العلماء ، له مؤلفات منها : جامع العلوم والحكم والقواعد الفقهية وشرح جامع الترمذي وغيرها ( ت : ٧٩٥ هـ ) انظر الأعلام - الزركلي ٢٩٥/٣ ومعجم المؤلفين - كحاله ١١٨/٥ .

(٢) سورة القصص / جزء من الآية ٥٠ .

(٣) جامع العلوم والحكم - ابن رجب ٣٩٧/٢ .

(٤) انظر ص ٢٠ من هذا البحث . وانظر أيضاً مجموع فتاوى ابن تيمية - جمع ابن قاسم ١٣٤/٢٨ .

(٥) إغاثة اللهفان - ابن القيم ١٩٠/٢ . وانظر أيضاً القائد إلى تصحيح العقائد - المعلمي ١٨٠/٢ - ١٨١ . ففيه كلام نافع مفيد .

## المطلب الثاني موقف نصوص الكتاب والسنة من اتباع الهوى :

إن الناظر في كتاب الله - ﷻ - وسنة رسوله - ﷺ - يلحظ شدة الاعتناء بهذا الأمر ، والحرص على تقريره وإبرازه ، وسواء كان ذلك بالأمر بالاستقامة والثبات على المنهج ، أم بالنهي والتحذير من تلك العوارض والصوارف الصادة عن الحق والتي من أخطرها آفة اتباع الهوى .  
ولقد ورد الكثير من نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف - رحمهم الله تعالى - في تقرير ما ذكر ، وتبيينه خير بيان حتى بلغ درجة الاستفاضة والاشتهار مما يجعل محاولة حصرها في هذا المقام متعذر ، ولكن سأكتفي - بمشيئة الله - بذكر ما يدل على المراد وفيه غنية إن شاء الله تعالى :

### أولاً : موقف القرآن الكريم من اتباع الهوى :

معلوم أن الله - ﷻ - لم يخلق الخلق عبثاً ولا باطلاً ، بل خلقهم لحكمة بالغة ولغاية عظيمة قال - ﷻ - : ﴿ أفحسبتم أننا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ (١) وقال - ﷻ - : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ﴾ (٢) قال القاضي البيضاوي (٣) - رحمه الله تعالى - : " ..أو للباطل الذي هو متابعة الهوى ، بل للحق الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع " (٤) .  
وبناء عليه فإن الحث على الاستقامة ولزوم الأمر ، والتحذير من بنيات الطريق وصوارف الحق من متطلبات تلك الغاية العظيمة .  
قال الله - ﷻ - : ﴿ أمرأ رسولهُ ومصطفاه - ﷺ - بالدعوة والاستقامة ، ومخذراً له من اتباع الهوى : ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ﴾ (٥) .

(١) سورة المؤمنون / الآية ١١٥ .

(٢) سورة ص / جزء من الآية ٢٧ .

(٣) عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي صاحب التصانيف ومنها : أنوار التنزيل المعروف بتفسير البيضاوي وطوابع الأنوار وغيرها ( ت : ٦٨٥ هـ ) انظر البداية والنهاية - ابن كثير ٣٢٧/١٣ ومفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم - طاش كبرى زاده ٩٢/٢ دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٥ هـ .

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل - البيضاوي ٣١١/٢ .

(٥) سورة الشورى / جزء من الآية ١٥ . قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات كل منها منفصلة عن التي قبلها حكم برأسها " تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١١١/٤ .

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " فأمره سبحانه أن يدعو إلى دينه وكتابه ، وأن يستقيم في نفسه ، كما أمره ، وأن لا يتبع هوى أحد من الفرق " (١) وقال الحافظ ابن جزئ الكلبي - رحمه الله تعالى : " أي دم على ما أمرت به من عبادة الله وطاعته وتبليغ رسالته ، وأهواؤهم ما كانوا يجبون من الكفر والباطل كله " (٢) . كما نجد نصوصاً كثيرة في كتاب الله تعالى قد تضافرت في التحذير من اتباع أهواء الآخرين ، وسواء أكان ذلك النهي مختص ببعض الأمور كالحكم أو على وجه العموم ، وعلى سبيل المثال : قوله تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير ﴾ (٣) قال ابن كثير : " فيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعدما علموا من القرآن والسنة " (٤) وقال ابن عاشور في الآية : " تحذير لكل من تلقى الإسلام أن لا يتبع بعد الإسلام أهواء الأمم الأخرى " (٥) وقال تعالى : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ (٦) وقال تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ (٧) قال ابن القيم : " قسم - تعالى - الأمر بين الشريعة .. وبين اتباع أهواء الذين لا يعلمون ، فأمر بالأول ونهى عن الثاني " (٨) وهكذا نجد أن " الله - ﷻ - أمر نبيه - ﷺ - أن يتبع ما أنزل إليه ، ولا يتبع أهواء من تقدم من الأمم فيما اختلفوا فيه ، ففعل - ﷻ - وحذر أمته الاختلاف والاعجاب بالرأي واتباع الهوى " (٩) .

(١) بدائع التفسير - جمع يسري السيد ١١٥/٤ .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل - الكلبي ٣٢/٤ وانظر معالم التنزيل - البغوي ١٨٧/٧ .

(٣) سورة البقرة / الآية ١٢٠ .

(٤) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١٥٥/١ .

(٥) التحرير والتنوير - ابن عاشور ٦٩٥/١ .

(٦) سورة المائدة / جزء من الآية ٤٩ .

(٧) سورة الجاثية / الآية ١٨ .

(٨) بدائع التفسير - جمع يسري ١٤٨/٤ .

(٩) الشريعة - الآجري ٥ .

وقد فقه الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - هذا الأمر ، فحثوا عليه بعد أن تشبثوا به ، وفي هذا الصدد قال حذيفة - ؓ - : " يا معشر القراء (١) استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً ، فإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتكم ضلالاً بعيداً " (٣) .

قال ابن حجر (٤) - رحمه الله تعالى - : " استقيموا أي اسلكوا طريق الاستقامة ، وهي كناية عن التمسك بأمر الله - ﷻ - فعلاً وتركاً " وقال - رحمه الله تعالى - : " وكلام حذيفة منتزع من قوله - ﷻ - : ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٥) (٦) .

وقال ابن عباس (٧) - ؓ - : " لمن طلب منه أن يوصيه : " عليك بتقوى الله - ﷻ - والاستقامة ، اتبع ولا تبتدع " (٨) وقال ابن مسعود - ؓ - : " عليكم بالطريق فلئن لزمتموه لقد سبقتم سبقاً بعيداً ، ولئن خالفتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتكم ضلالاً بعيداً " (٩) .

---

(١) المراد بهم العلماء بالقرآن والسنة والعباد ، وكان في الصدر الأول إذا اطلقوا القراء أرادوا بهم العلماء . فتح الباري - ابن حجر ٣٢٠/١٣ وعمدة القاري شرح صحيح البخاري - العيني ٢٩/٢٥ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط . د .

(٢) المراد بهم العلماء بالقرآن والسنة والعباد ، وكان في الصدر الأول إذا اطلقوا القراء أرادوا بهم العلماء . فتح الباري - ابن حجر ٣٢٠/١٣ وعمدة القاري - العيني ٢٩/٢٥ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ( الاقتداء بسنن رسول الله ) ١٦٧/٩ رقم : ٥٤ .

(٤) أحمد بن علي بن محمد بن حجر الحافظ العسقلاني ، من مصنفاته : الإصابة في تمييز الصحابة وفتح الباري شرح صحيح البخاري وبلوغ المرام من أحاديث الأحكام وتهذيب التهذيب وغيرها ( ت : ٨٥٢ هـ بالقاهرة ) انظر هدية العارفين - إسماعيل ١٢٨/١ والأعلام - الزركلي ١٧٨/١ ومداخل المؤلفين - فكري ٣٤٣/١ .

(٥) سورة الأنعام / الآية ١٥٣ .

(٦) فتح الباري - ابن حجر ٣٢٠/١٣ رقم : ٧٢٨٢ ، وانظر عمدة القاري - العيني ٢٩/٢٥ رقم : ٥٤ .

(٧) عبد الله بن عباس بن عبدالمطلب الهاشمي يكنى أباالعباس ؓ ، دعا له النبي ﷺ بالفقه في الدين ، وكان الفاروق يحبه ويدنيه ويشاوره وكان يسميه فتى الكهول ، وقال فيه ابن مسعود ؓ : نعم ترجمان القرآن ابن عباس ؓ ( ت : ٦٨ هـ ) انظر الاستيعاب - ابن عبدالر ٦٦/٣ رقم : ١٦٠٦ والإصابة - ابن حجر ٩٠/٤ رقم : ٤٧٧٢ .

(٨) شرح السنة - البغوي ٢١٤/١ وشرح أصول اعتقاد أهل السنة - اللالكائي ٨٦/١ رقم : ١٠٦ وما بعده والإبانة عن شريعة الفرقه الناجية ومجانبة الفرق المذمومة - ابن بطة ، تحقيق : رضا معطي ٣١٩/١ رقم : ١٥٧ ، دار الراية - الرياض ، ط : الثانية : ١٤١٥ هـ .

(٩) الإبانة عن شريعة الفرقه الناجية - ابن بطة ٣٣٢/١ رقم : ١٨٧ .

والخلاصة أن آفة اتباع الهوى من أخطر الصّوارف عن الحق وقد كثرت - كما سبق - التحذير منها في كتاب الله - ﷻ - وذمها .

قال حبر الأمة وترجمان القرآن - ﷺ - : " ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه " (١) .

وقال طاووس (٢) رحمه الله تعالى : " ما ذكر الله هوى في القرآن إلا عابه " (٣) .

وقال الشاطبي - رحمه الله تعالى - في بيان ذلك : " والآخر الهوى وهو المذموم لأنه لم يذكر في القرآن إلا

في سياق الذم ، ولم يجعل ثم طريقاً ثالثاً ، ومن تتبع الآيات ألقى ذلك كذلك " (٤) .

وأكتفي بما دونت فيما يتعلق بهذه الجزئية وانتقل إلى التي تليها وهي :

### ثانياً - موقف السنة النبوية من اتباع الهوى :

ومما جاء في السنة المطهرة لتقرير هذا الأمر وبيانه ما يلي : لقد ورد في عدة أحاديث الأمر بلزوم

الكتاب والسنة والحث على التمسك بهما وأنها عصمة من الضلال والغواية لمن اعتصم بهما ، جاء في

حديث جابر (٥) - ﷺ - الطويل في صفة حج النبي - ﷺ - : " وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن

اعتصمتم به : كتاب الله " (٦) وورد في حديث العرياض بن سارية (٧) - ﷺ - قال : وعظنا رسول الله

- ﷺ - يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال رجل : إن

(١) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٦ / ١١١ .

(٢) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن روى عن عدد من الصحابة كالعبادة الأربعة وأبي هريرة وعائشة وزيد بن أرقم وغيرهم

كان من عباد أهل اليمن ومن سادات التابعين ( ت : ١٠٦ هـ وقيل غير ذلك ) انظر تهذيب التهذيب - ابن حجر ٩ / ٣ رقم : ٣٣٨٨

والأعلام - الزركلي ٣ / ٢٢٤ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - اللالكائي ١ / ١٣٠ رقم : ٢٢٨ .

(٤) الاعتصام - الشاطبي ١ / ٥٢ .

(٥) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي ﷺ شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صغير ، كان من المكثرين الحفاظ للسنن ، وكف

بصره في آخر عمره ( ت : ٧٤ هـ بالمدينة وقيل غير ذلك ) انظر الاستيعاب - ابن عبد البر ١ / ٢٩٢ رقم : ٢٩٠ وأسد الغابة - ابن الأثير

١ / ٤٩٢ رقم : ٦٤٧ .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الحج ، باب ( حجة النبي ﷺ ) ٢ / ٨٩٠ رقم : ١٢١٨ .

(٧) عرياض ابن سارية السلمى أبو نجیح ﷺ صحابي مشهور من أهل الصفة ومن البكائين ( ت : ٧٥ هـ ) انظر الإصابة - ابن حجر

٤ / ٢٣٤ رقم : ٥٤٩٣ وأسد الغابة - ابن الأثير ٤ / ١٩ رقم : ٣٦٣٠ ومشاهير علماء الأمصار - ابن حبان ٨٧ رقم : ٣٣١ .



هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: "أوصيكم بتقوى الله... وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ" (١) قال الخطابي (٢) - رحمه الله تعالى - : " وإنما أراد بذلك الجحد في لزوم السنة فعل من أمسك الشيء بين أضراسه وعض عليه منعاً له أن ينتزع ، وذلك أشد ما يكون من التمسك بالشيء " (٣) .  
 وكان - هـ - كما في حديث جابر بن عبد الله - هـ - إذا خطب يقول : " أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد " (٤) .

كما تخوف - عليه الصلاة والسلام - على أمته من أمور منها : مضلات الأهواء وعدما - هـ - من المهلكات فقال : " إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى " (٥) وجاء في حديث آخر : " فأما المهلكات فشح مطاع ، وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه " (٦) كما أخرج - هـ - بوقوع الأهواء وتجاريها بالأمة حين قال : " وإنه سيخرج من أممي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما

(١) أخرجه الترمذي في كتاب العلم ، باب ( ما جاء في الأخذ بالسنة واحتساب البدع ) ٤٣/٥ رقم : ٢٦٧٦ وأخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب ( في لزوم السنة ) تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ٢٠٠/٤ رقم : ٤٦٠٧ ، المكتبة العصرية - بيروت ، ط : د . قال عنه الألباني صحيح ، انظر صحيح سنن الترمذي ٣٤١/٢ رقم : ٢١٥٧ .

(٢) أبو سليمان حمد ويقال أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي ، أحد المشاهير الأعيان والفقهاء المجتهدين الكثيرين ، له مصنفات منها : معالم السنن وشرح البخاري وغيرها ( ت : ٣٨٨ هـ ) انظر البداية والنهاية - ابن كثير ٣٤٦/١١ والأعلام - الزركلي ٢٧٣/٢ .  
 (٣) معالم السنن شرح سنن أبي داود - الخطابي ، تخريج وترقيم : عبدالسلام عبدالشافى محمد ٢٧٨/٤ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ، باب ( تخفيف الصلاة والخطبة ) ٥٩٢/٢ رقم : ٨٦٧ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٥٦٤/٤ - رقم : ١٩٧١٨ وأورده صاحب الحجة في بيان المحجة - الأصبهاني ٢٥٠/١ - رقم : ١٠١ ، وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح انظر بقية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد - الدويش ٤٤٦/١ - رقم : ٨٩١ .

(٦) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - الهيثمي ، كتاب الإيمان ، باب ( في المنجيات والمهلكات ) ٢٦٩/١ - رقم : ٣١٣ ، قال فيه المنذري وهو مروى عن جماعة من الصحابة وأسانيده وإن كان لا يسلم شئ منها من مقال فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى ، انظر الترغيب والترهيب من الحديث الشريف - المنذري ، تعليق : مصطفى عمارة ، كتاب الصلاة ، باب ( الترغيب في انتظار الصلاة بعد الصلاة )

٢٨٦/١ رقم : ١٤ ، دار الريان للتراث ، ط : د : ١٤٠٧ هـ . وقال عنه الألباني حسن . انظر صحيح الترغيب والترهيب - الألباني

١٨٢/١ ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٢ هـ . وسلسلة الأحاديث الصحيحة - الألباني ٤١٢/٤ رقم : ١٨٠٢ ، مكتبة المعارف - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١٢ هـ .

يتجارى الكلب لصاحبه " (١) وقد دعا المصطفى - ﷺ - ربه - ﷻ - أن يعينه من هذه الأهواء ، وأن يجنبه إياها ، فقد كان - ﷻ - يقول : " اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء " (٢) .

وبالنظر إلى أقوال الصحابة - رضي الله عنهم - في هذا الشأن ومن جاء بعدهم يلحظ شدة اعتنائهم بما حثهم عليه كتاب ربهم - ﷻ - وسنة نبيهم - ﷺ - فهذا الفاروق - ﷺ - يحث على الاتباع ، وعلى وضع القرآن في مواضعه وعلى عدم اتباع الهوى فيقول : " سيأتي أناس يجادلونكم بشبهات القرآن ، فجادلوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله " (٣) وقال أيضاً - ﷻ - : " إنما هذا القرآن كلام فضعوه مواضعه ، ولا تتبعوا به أهواءكم " قال الشاطبي - رحمه الله تعالى - في بيان ذلك : " أي فضعوه على مواضع الكلام ولا تخرجوه عن ذلك ، فإنه خروج عن طريقه المستقيم إلى اتباع الهوى " (٤) وقد استعاذ الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - وتخوفوا مما استعاذ منه نبيهم - ﷺ - فهذا عبد الله بن مسعود - ﷻ - يستعيذ بالله من ذلك الزمان الذي يقود الهوى الحق ، ويبين لأصحابه الفرق بين الزمانين فيقول : " أنتم في زمان يقود الحق الهوى ، وسيأتي زمان يقود الهوى الحق فنعوذ بالله من ذلك الزمان " (٥) وكان علي بن أبي طالب - ﷻ - يشتد خوفه من اثنتين وعد منها اتباع الهوى وذلك حين قال : " إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتين طول الأمل واتباع الهوى " (٦) ويتضح مما دون وذكر أن اتباع الهوى مما عظم التحذير منه في كتاب ربنا وسنة نبينا وكلام سلفنا الصالح ولا شك أن هذا الاعتناء يدل على ضرورة التنبيه لمثل هذا الأمر قال ابن القيم : " إن الترحيد واتباع الهوى متضادان فإن الهوى صنم ، ولكل عبد صنم في قلبه بحسب هواه وإنما بعث الله رسله بكسر الأصنام وعبادته وحده لا شريك له ، وليس مراد الله كسر

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب ( شرح السنة ) ١٩٨/٤ رقم : ٤٥٩٧ قال الألباني : حسن انظر صحيح سنن أبي داود ٨٦٩/٣ رقم : ٣٨٤٣ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب ( دعاء أم سلمة ) ٥٣٦/٥ رقم : ٣٥٩١ قال عنه الألباني : صحيح ، انظر صحيح الترمذي ١٨٤/٣ رقم : ٢٨٤٠ .

(٣) الإبانة - ابن بطة ٢٥٠/١ رقم : ٨٣ والشرعية - الآجري ٥٢ .

(٤) الاعتصام - الشاطبي ٢٣٩/١ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٣٥/١٩ .

(٦) كتاب الزهد - الإمام أحمد بن حنبل ١٩٢ رقم : ٦٩٢ .

الأصنام المحسدة وترك الأصنام التي في القلب بل المراد كسرهما من القلب أولاً " (١) وقال الماوردي (٢): " وأما الهوى فهو عن الخير صاد وللعقل مضاد " (٣) وجاء عن التسري (٤) قوله: " واتباع الهوى هو المذموم ومقصود القوم تركه البتة " (٥).

وأختم هذا المبحث بقول الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى - : " وللعلماء في هذا الباب في ذم الهوى ومخالفته كتب وأبواب أشرنا إلى ما فيه كفاية منه ، وحسبك بقوله - ﷺ - : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى ﴾ (٦) (٧) وبتقرير الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى - حيث قال : " إنه قد ثبت في الأصول العلمية أن كل قاعدة كلية أو دليل شرعي كلي إذا تكررت في مواضع كثيرة وأتى بها شواهد على معان أصولية أو فرعية ، ولم يقترن بها تقييد ولا تخصيص مع تكررها وإعادة تقررها فذلك دليل على بقائها على مقتضى لفظها من العموم " (٨).

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين - ابن القيم ٤٨١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط . د : ١٤٠٣ هـ .

(٢) علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي البصري ، صاحب التصانيف الكثيرة ومنها : الأحكام السلطانية وأدب الدنيا والدين والنكت والعيون وغيرها ( ت : ٤٥٠ هـ ) انظر البداية والنهاية - ابن كثير ٨٥/١١ والأعلام - الزركلي ٣٢٧/٤ .

(٣) أدب الدنيا والدين - الماوردي ٥١ .

(٤) سهل بن عبد الله بن يونس التسري أبو محمد صوفي مشارك في أنواع من العلوم ( ت : ٢٨٣ هـ ) انظر حلية الأولياء - أبو نعيم

١٨٩/١٠ والفهرست - ابن النديم ٢٦٣ ، دار المعرفة - بيروت ، ط . د ومعجم المؤلفين - كحاله ٢٨٤/٤ .

(٥) الاعتصام - الشاطبي ١ / ٩٤ .

(٦) سورة النازعات / الآية ٤١ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٦ / ١١٢ ، وقد بين الراغب - رحمه الله تعالى - : أن الله - ﷻ - ذم اتباع الهوى ، وسرد عدد من

الآيات الكريمات . انظر المفردات - الراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ٥٤٨ ، دار المعرفة - بيروت ، ط . د .

(٨) الاعتصام - الشاطبي ١ / ١٤١ .

## المبحث الثالث الفرق بين خطأ الاجتهاد واتباع الهوى

### المطلب الأول احتمال ورود الخطأ على الإنسان

إن الله - ﷻ - كرم بني آدم ، وزادهم تكريماً وشرفاً وعظماً للمسؤولية عندما حملهم الأمانة واستخلفهم في الأرض ليقوموا شرع رب العالمين ، قال - ﷻ - : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ (١) وقال - ﷻ - : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ (٢) والذي منحه تلك المزايا هو أعلم به وبحاجته وبما يعترّيه من الضعف والشرة ، فكان من حكمة الله - ﷻ - بعباده أن تجاوز عنهم الخطأ والنسيان والجهل - لما يعلم من طبيعة الإنسان - رحمة منه - بخلقه وتكرماً وتفضلاً .

ويدل على ذلك جملة من نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف - رحمهم الله تعالى - ومنها :

• قال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ... ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ (٣)

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن الله - ﷻ - قال : " قد فعلت " (٤) .

• وجاء في الحديث عن أبي ذر الغفاري (٥) - ﷺ - قال : قال رسول الله - ﷺ - : " إن الله تجاوز

عن أمّتي الخطأ والنسيان وما استكروها عليه " (٦) .

(١) سورة الأسراء / الآية ٧٠ .

(٢) سورة البقرة / جزء من الآية ٣٠ .

(٣) سورة البقرة / جزء من الآية ٢٨٦ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب ( بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق ) ١١٦/١ رقم : ٢٠٠ .

(٥) أبوذر الغفاري ، اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً والمشهور حنذب بن حنادة ﷺ ، كان من كبار الصحابة وفضلاهم قديم الإسلام يقال : إنه أسلم بعد أربعة فكان خامسهم ، ثم انصرف إلى بلاد قومه فأقام بها حتى قدم على النبي ﷺ المدينة ( ت : ٣١ وقيل ٣٢ هـ بالريذة ) انظر الاستيعاب - ابن عبد البر ٢١٦/٤ رقم : ٢٩٧٤ وأسد الغابة - ابن الأثير ٩٦/٦ رقم : ٥٨٦٩ .

(٦) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطلاق ، باب ( طلاق المكره والناسي ) ٦٥٩/١ رقم : ٢٠٤٣ وصححه الألباني ، انظر صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٧/١ رقم : ١٦٦٢ ، وإرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - الألباني ١٢٣/١ رقم : ٨٢ ، وانظر أيضاً تخريجات ابن رجب للحديث في جامع العلوم والحكم ٣٦١/٢ رقم : ٣٩ .

ولعله من الملائم أن أذكر بعضاً من الأمثلة العملية الدالة على صدور الخطأ من الإنسان فمن ذلك :

■ ما كان من فعل خالد بن الوليد (١) - ؓ - مع بني جذيمة من قتل وأسر حتى أن الرسول - ﷺ - عندما بلغه الأمر تيراً من صنيع خالد - ؓ - ، فقد جاء عن سالم عن أبيه - ؓ - قال : " بعث النبي - ﷺ - خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا ، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ، ودفع إلى كل رجل منا أسيره حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل أسيره ، فقلت والله لا أقتل أسيري ، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره حتى قدمنا على النبي - ﷺ - فذكرناه ، فرفع النبي - ﷺ - يده فقال : " اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد مرتين " (٢)

وقد بين العلماء - رحمهم الله تعالى - أن هذا الصنيع كان اجتهاداً منه - ؓ - من قبيل الخطأ ، فينقل الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - عن الإمام الخطابي - رحمه الله تعالى - قوله : " الحكمة في تبرئه - ؓ - من فعل خالد - ؓ - مع كونه لم يعاقبه على ذلك لكونه مجتهداً أن يعرف أنه لم يأذن له في ذلك خشية أن يعتقد أحد أنه كان بإذنه ، ولينزجر غير خالد بعد ذلك عن مثل فعله " (٣) ونقل - رحمه الله تعالى - أيضاً : " فإن إثم المخطئ مرفوع ، وإن كان فعله ليس بمحمود " (٤).

■ ومثال آخر ما جاء عن عبد الله بن أبي أوفى (٥) - ؓ - قال : لما قدم معاذ - ؓ - من الشام سجد للنبي - ﷺ - قال : " ما هذا يا معاذ ؟ " قال : أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم ويطارقتهم فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك فقال رسول الله - ﷺ - : " فلا تفعلوا ، فإني لو كنت آمراً أحداً أن

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي أبو سليمان ؓ ، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية ، وكان سيفاً من سيوف الله ﷻ على الكفار والمنافقين ( ت : ٢١ وقيل ٢٢ هـ ) انظر الاستيعاب - ابن عبد البر ١١/٢ رقم : ٦٢١ وأسد الغابة - ابن الأثير ١٤٠/٢ رقم : ١٣٩٩ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب ( بعث النبي - ﷺ - خالد إلى بني جذيمة ) ٣٢١/٥ رقم : ٣٣٩ .

(٣) فتح الباري - ابن حجر ٢٢٦/١٣ رقم : ٧١٨٩ .

(٤) المرجع السابق ، وانظر السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار - الشوكاني ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ٥٧٨/٤ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى ، ت : د .

(٥) عبد الله بن أبي أوفى واسمه علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي صحابي جليل ؓ ، نزل الكوفة وكان آخر من مات بها من الصحابة ( ت : ٨٨ وقيل ٨٩ هـ ) انظر الإصابة - ابن حجر ٣٨/٤ رقم : ٤٥٤٦ والبداية والنهاية - ابن كثير ٨١/٩ .

يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها " (١) وبنحوه عند أبي داود (٢) من حديث قيس بن سعد (٣) - هـ - (٤).

قال الشوكاني (٥) - رحمه الله تعالى - : " وفي هذا الحديث دليل على أن من سجد جاهلاً لغير الله لم يكفر " (٦).

■ ومثال آخر ما جاء عن أبي هريرة - هـ - عن النبي - هـ - قال : " كان رجل يسرف على نفسه ، فلما حضره الموت قال لبيه : إذا أنا مت فأحرقوني ، ثم اطحنوني ، ثم ذروني في الريح ، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً ، فلما مات فعل به ذلك ، فأمر الله الأرض فقال : اجمعي ما فيك منه ، ففعلت ، فإذا هو قائم ، فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : يارب خشيتك ، فغفر له ، وقال غيره : مخافتك يارب " (٧).

وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - كثيراً ما يردد هذا الحديث - كما يحكي ذلك عن نفسه - ومما قال فيه : " فهذا رجل شك في قدرة الله - هـ - وفي إعادته إذا ذري ، بل اعتقد أنه لا يعاد ، وهذا كفر باتفاق المسلمين لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك ، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه ، فغفر له

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب النكاح ، باب ( حق الزوج على المرأة ) ٥٩٥/١ رقم : ١٨٥٣ ، قال عنه الألباني حسن صحيح ، انظر صحيح سنن ابن ماجه ٣١٢/١ رقم : ١٥٠٣ .

(٢) سليمان بن الأشعث بن إسحاق أبوداود السجستاني أحد أئمة الحديث الرحالين إلى الآفاق في طلبه ، جمع و صنف وله السنن المشهورة المتداولة بين العلماء ( ت : ٢٧٥ هـ ) انظر البداية والنهاية - ابن كثير ٥٨/١١ .

(٣) قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي - هـ ، كان من فضلاء الصحابة وأحد دعاة العرب وكرماتهم ، ومن ذوي الرأي الصائب والمكيدة في الحرب كان يلي أمور النبي - هـ وروى عنه أحاديث ( ت : ٥٩ وقيل ٦٠ هـ ) انظر أسد الغابة - ابن الأثير ٤٠٤/٤ رقم : ٤٣٥٤ والطبقات الكبرى - ابن سعد تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ١٢١/٦ رقم : ١٩٢٩ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٠ هـ .

(٤) انظر سنن أبي داود ، كتاب النكاح ، باب ( في حق الزوج على المرأة ) ٢٤٤/٢ رقم : ٢١٤٠ .

(٥) محمد بن علي بن محمد الشوكاني من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء ، له مؤلفات كثيرة منها : نيل الأوطار والبدر الطالع وفتح التقدير وغيرها ( ت : ١٢٥٠ هـ ) انظر البدر الطالع بحسان من بعد القرن السابع - الشوكاني ٢١٤/٢ رقم : ٤٨٢ ، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة ، ط . د ، والأعلام - الزركلي ٢٩٨/٦ ومعجم المؤلفين - كحاله ٥٣/١١ .

(٦) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار - الشوكاني ، كتاب الوليمة والبناء على النساء وعشرتهم ، باب ( إحسان العشرة وبيان حق الزوجين ) ٢٣٦/٦ رقم : ١١ .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ٨/٥ رقم : ٢٧٤ .

بذلك " (١) ونقل بدر الدين العيني (٢) عن الإمام الخطابي قوله ومما جاء فيه : " ولجهله حسب أن هذه الحيلة تنجيه " (٣).

والمقصود أن وقوع الإنسان في الخطأ وارد بغض النظر عن السبب الدافع إلى ذلك ، إذ إنها أسباب متعددة ومتنوعة ، وليس من مقصود المبحث تقصيصها .

وأختم هذا المبحث بقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - حين قال : " فإن من سوى الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - يجوز عليهم الصغائر والكبائر مع إمكان أن يكون ذلك الشخص صديقاً أو شهيداً أو صالحاً " (٤).

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية - جمع ابن قاسم ٢٣١/٣ وانظر ٤٠٩/١١ ، وانظر أيضاً فتح الباري - ابن حجر ٦٤٨/٦ رقم : ٣٤٨١ .  
(٢) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد الحنفى المعروف بالعيني بدر الدين أبو محمد ، من تصانيفه : شرح الجامع الصحيح للبخاري سماه عمدة القاري ( ت : ٨٥٥ هـ ) انظر معجم المؤلفين - كحاله ١٥٠/١٢ ومداخل المؤلفين - فكري ١٠٨٦/٢ .  
(٣) عمدة القاري - العيني ٦٢/١٦ رقم : ٢٣٣ .  
(٤) رفع الملام عن الأئمة الأعلام - ابن تيمية ٨٤ .

## المطلب الثاني الفرق بين خطأ الاجتهاد واتباع الهوى

وبعد أن تقرر ما ذكر من احتمال ورود الخطأ على بني الإنسان ، قد يرد ههنا إشكال في معرفة الفرق بين من أقدم على الفعل أو أحجم عنه ، فلم يحالفه الصواب فأخطأ بعد الاجتهاد أو نتيجة للجهل لا للعناد ، وبين من فعل شيئاً من ذلك اتباعاً للهوى :

فما الفرق بين خطأ الاجتهاد - والخطأ عموماً - واتباع الهوى ؟

وما الفائدة الدعوية المترتبة على ذكر ذلك الفرق ؟

فيقال : إن اليون شاسع بين خطأ الاجتهاد ، وبين اتباع الهوى ، ويكفي عذراً للأول أنه معفو عنه شرعاً بل هو مأجور إن كان من أهل الاجتهاد - كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى - وذمماً للآخر وغضاً من طرفه ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح من ذم الهوى ومرتابه .  
ومع ذلك فإن التعرف على علامات كل منهما مطلب يحتاج إليه رفعا للظلم ودفعاً له ، وحشاً على العدل وتأيداً له .

وسأعرض هذه القضية من خلال نواح ثلاثة ، وبها يتضح المراد إن شاء الله - ﷻ - :

### ◆ الأولى من ناحية الأسباب :

○ أما الأول - وهو خطأ الاجتهاد - فإن له أسبابه الموصلة إليه ، وقد بينها العلماء - رحمهم الله تعالى - خير بيان ، ومن جملة من تحدث عنها ابن السيد البطليوسي <sup>(١)</sup> - رحمه الله تعالى - وعد ثمانية أوجه وأشار أن كل ضرب من الخلاف متولد منها متفرع عنها <sup>(٢)</sup> وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - حيث ذكر أصنافاً ثلاثة ، وأشار إلى أنها تنفرع إلى أسباب متعددة <sup>(٣)</sup> .  
وليس من مقصود هذا المبحث تتبع تلك الأسباب وبيانها ، بقدر ما هو الإشارة إليها ؛ ليعلم أن الأئمة

(١) أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد ولد ونشأ في بطليوس في الأندلس ، صاحب التصانيف ومنها : شرح الموطأ والأسباب الموجهة لاختلاف الأئمة وطبع باسم : الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم ( ت : ٥٢١ هـ ) انظر سير أعلام النبلاء - النعبي ٥٣٢/١٩ رقم : ٣١٥ وكشف الظنون - حاجي خليفة ٤٨/١ والأعلام - الزركلي ١٢٣/٤ .

(٢) انظر الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم - البطليوسي ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية ٣٣ ، دار الفكر - دمشق ، ط : الثالثة : ١٤٠٧ هـ .

(٣) انظر رفع الملام عن الأئمة الأعلام - ابن تيمية ٨ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع ابن قاسم ٢٣١/٢٠ وللإطلاع على تلك الأسباب تراجع الإحالات المثبتة .



- رحمهم الله تعالى - وكل باغ للحق مريده لا يتقصدون المخالفة وركوب الخطأ .  
وفي هذا الصدد قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - ما نصه : " وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة  
- المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً - يتعمد مخالفة رسول الله - ﷺ - في شئ من سنته دقيق ولا جليل فإنهم  
متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول - ﷺ - وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا  
رسول الله ﷺ " (١) .

○ وليتضح بهذا ، الفرق بين خطأ الاجتهاد واتباع الهوى ؛ إذ إن لخطأ الاجتهاد والاختلاف عموماً  
أسبابه المتعارف عليها عند أهل العلم ، والتي يقدرونها حق قدرها ، ويحترمونها أهلها ويحجلونهم ، ولا ينطبق  
هذا على اتباع الهوى ؛ إذ له أسبابه الخاصة - على اختلاف أصنافه وتعدد أنواعه - بيد أن القاسم المشترك  
بينها جميعاً أنها أسباب سوء ، ومفاتيح شر ، وسيزداد الأمر وضوحاً - إن شاء الله تعالى - أثناء الحديث عن  
تلك الأسباب في الفصل الأول من هذا البحث .

◆ الثانية من ناحية النية والمقصد : إذ " إن صلاح الأعمال والحركات بإصلاح نياتهما  
ومقاصدهما ، فكل عمل فهو تابع لنية عامله ومقصده وإرادته ، وتقسيم الأعمال إلى صالح وفاسد هو  
باعتبارها في ذواتها تارة ، وباعتبار مقاصدها ونياتھا تارة " (٢) .  
ولذا نجد ابن القيم - رحمه الله تعالى - حين قسم الناس إلى أربعة أقسام ذكر منهم : من هو مهتد في علمه  
راشد في قصده ، وبين أن هؤلاء هم ورثة الأنبياء ، ومنهم من هو مهتد في علمه غاو في قصده وعمله  
هؤلاء هم الأمة الغضبية ومن تشبه بهم ، وهو حال كل من عرف الحق ولم يعمل به ، ومنهم من ضل  
وغوى فيهما (٣) .

ومعلوم أن النيات والمقاصد أمرها داخلي لا يمكن الاستدلال عليها إلا بعلامات وأمارات خارجية تدل  
عليها ، ولهذا قال الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى - في اتباع الهوى : " إلا أن هذه الخاصية راجعة في المعرفة  
بها إلى كل أحد في خاصة نفسه ؛ لأن اتباع الهوى أمر باطني ، فلا يعرفه غير صاحبه إذا لم يغالط نفسه

(١) المرجع السابق ٨ ، وانظر أيضاً مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع ابن قاسم ٢٣١/٢٠ .

(٢) إغاثة اللهفان - ابن القيم ١٨٩/٢ .

(٣) انظر بدائع التفسير - جمعه يسري السيد ٢٧٦/٤ .

إلا أن يكون عليها دليل خارجي" (١) وبالنظر إلى خطأ الاجتهاد وإلى اتباع الهوى يلحظ أن لكل منهما علامات تميز أحدهما عن الآخر ، ومن تلك السمات ما يلي :

○ إن مقصود الأول إصابة الحق وإن لم يخالفه ؛ إذ أن الحق أول مطالبه ، وليس من مقصوده مخالفة الصواب لهوى مسيطر بل جهده في تحصيله وإن تجاوزه ، ولذا يظهر على من هذه صفته تحري الحق في أقواله وأفعاله ، والندم على صدور الخطأ والمبادرة إلى خلافه .

وأذكر بعضاً من الأمثلة تبين المراد : لقد كان من طريقة الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - ومن سار على نهجهم تحريم للحق وبعدهم عن أهواء النفوس حتى ظهر ذلك في أعمالهم ، فهذا عبد الله بن مسعود - ؓ - عندما سئل عن مسألة شهراً أو قريباً من ذلك ، قال : " سأقول فيها بجهد رأيي ، فإن أصبت فالله - ؓ - يوفقني لذلك ، وإن أخطأت فهو مني " (٢) وبنحوه قال معاذ بن جبل - ؓ - حين بعثه الرسول

- ؓ - إلى اليمن مما يؤكد تحريمه للحق - ؓ (٣) ولهذا وجد في كلام غير واحد من الأئمة تعليق القول بموجب الحديث على صحته فيقول : " قولي في هذه المسألة كذا ، وقد روي فيها حديث بكذا ، فإن كان صحيحاً

فهو قولي " (٤) وقال الفاروق - ؓ - : " السنة ما سنه الله - ؓ - ورسوله - ؓ - لا تجعلوا خطأ الرأي سبباً للأمة " (٥) وبناء عليه فإن ما يحصل من الخطأ إنما هو نتيجة اجتهاد ، أو نتيجة زلة عارضة تقتضيها الطبيعة

البشرية ، لا أنها طريق مسلك يدعى إليه ، وإنما كما يقال : " لا يصير أسيراً ، وإنما يميل يسيراً " (٦) .  
فهذا الفاروق - ؓ - في صلح الحديبية يراجع رسول الله - ؓ - على ما جاء فيه من شروط ، ثم يراجع أبابكر - ؓ - فيوصيه بلزوم غرز النبي - ؓ - ومسلكه ، فماذا أحدث هذا الصنيع في نفس عمر - ؓ - والذي يعد اجتهاداً منه وحرصاً على رفع سنام الإسلام ، يقول : " فعلت لذلك أعمالاً " (٧) .

(١) الاعتصام - الشاطبي ٢ / ٢٣٥ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند - شاکر ٧٤/٦ رقم : ٤٠٩٩ و ١٣٧/٦ رقم : ٤٢٧٦ قال عنه أحمد شاکر إسناده صحيح .

(٣) انظر شرح السنة - البغوي ١١٦/١٠ وسير أعلام النبلاء - الذهبي ٤٤٨/١ .

(٤) رفع الملام عن الأئمة الأعلام - ابن تيمية ١٩ .

(٥) أعلام الموقنين - ابن القيم ٤٣/١ .

(٦) ذم الهوى - ابن الجوزي ٢٤٤ .

(٧) أخرجه البعاري في كتاب الشروط ، باب ( الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ) ٤/٤١ جزء من رقم : ١٨ .

قال ابن حجر رحمه الله تعالى " .. المراد به الأعمال الصالحة ليكفر عنه ما مضى من التوقف في الامتثال ابتداء " (١).

وجاء في سيرة ابن هشام (٢) - رحمه الله تعالى - ما يصرح بهذا حيث قال عمر الفاروق - ؓ - : " ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ ؛ مخافة كلامي الذي تكلمت به ، حتى رجوت أن يكون خيراً " (٣).

وقد تقدم ذكر بعض الأمثلة في مطلب احتمال ورود الخطأ على الإنسان فلترجع (٤).  
كما تقدم قول ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة يتعمد مخالفة رسول الله - ﷺ - في شيء من سنته دقيق ولا جليل " بل أكد - رحمه الله تعالى - أنه في حال وجود قول لأحدهم قد جاء حديث صحيح بخلافه أنه لا بد له من عذر في تركه (٥).

إذاً من علامات خطأ الاجتهاد أن صاحبه من متحري الحق ، فالحق أول مطالبه ، فلا يقدم عليه هوى متبعاً وإذا ما ند عنه وتبين له الخطأ من الصواب سارع وبادر إلى اعتناقه ، وندم على ما قد فاته .  
○ وأما اتباع الهوى فمقصود صاحبه طاعته ، وتقديمه على ما سواه حتى قيل إن : " النفس إذا هوت شيئاً مالت إليه ، حتى تكون عند الذي هوت أكثر من كونها عند جسدها ، وقيل أيضاً : " الهوى ملك عسوف ، وسلطان ظالم ، دانت له القلوب ، وانقادت له النفوس " (٦).

(١) فتح الباري - ابن حجر ٤٣٥/٥ رقم : ٢٧٣١ .

(٢) أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري راوي السيرة ، وإنما نسبت إليه فيقال : سيرة ابن هشام ؛ لأنه هذبها وزاد فيها ونقص منها وحرر أماكن واستدرك أشياء ( ت : ٢١٨ هـ . عصر ) انظر البداية والنهاية - ابن كثير ٢٩٤/١٠ ومداخل المؤلفين - فكري ١٨٣٠/٤ .

(٣) السيرة النبوية - ابن هشام ٣١٧/٣ .

(٤) انظر ص ٣٢ من هذا المبحث .

(٥) انظر ص ٣٦ من هذا المبحث ، وانظر رفع الملام عن الأئمة الأعلام - ابن تيمية ٩ .

(٦) ذم الهوى - ابن الجوزي ٣٢ .

ومن سمات من هذا صفتة - أعني متبع الهوى - ما يلي :

إن الهوى أول مطالبه ، والحق بما فيه من الأدلة إنما يأخذه بالتبع <sup>(١)</sup> ولذا يظهر على من هذه صفتة عدم تحري الحق وتبعه ، فليس ذلك من مقصوده ، وإنما هو الهوى لا غير ، فلا ندم على الخطأ ، ولا مسارعة إلى الصواب ، بل تجده يكابر ويعاند حتى رضي بإهلاك نفسه وماله ، ولم يرض بمخالفة هواه ، قال الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى - بعد أن بين أن مخالفة ما تهوى الأنفس شاق عليها ، وضعب خروجها عنه : " وكفى شاهداً على ذلك حال المحبين ، وحال من بعث إليهم رسول الله - ﷺ - من المشركين وأهل الكتاب وغيرهم ، ممن صمم على ما هو عليه ، حتى رضوا بإهلاك النفوس والأموال ولم يرضوا بمخالفة الهوى " <sup>(٢)</sup> .

ومن الأمثلة التي تبين حال هؤلاء ما يلي :

لقد كان من سنن أهل الكتاب والمشركون ومن تابعهم الميل مع أهوائهم حيث مالت إلا إلى الحق وقد ظهر ذلك بوضوح في أعمالهم ومواقفهم : فعلى سبيل المثال ما ذكره ربنا - ﷺ - عن الذي آتاه آياته فانسلخ منها ، واتبع هواه حيث قال - ﷺ - : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ﴾ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ﴿ <sup>(٣)</sup> .

قال قتادة - رحمه الله تعالى - : " هذا مثل ضربه الله - ﷺ - لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله ، وقال عطاء - رحمه الله تعالى - ما ملخصه : " وهذه أشد آية على العلماء ، وذلك أن الله - ﷺ - أخبر أنه آتاه آياته ، فاستوجب بالسكون إلى الدنيا واتباع الهوى تغيير النعمة عليه ، ومن الذي يسلم من هاتين الخلتين إلا من عصمه الله " <sup>(٤)</sup> .

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - مبيناً فساد قصد هذا الرجل واتباعه لهواه عمداً لا جهلاً : " إنه غوى بعد الرشد - والغى الضلال في العلم والقصد - ولم يكن اختياره للأدنى عن خاطر وحديث نفس ، ولكنه كان

(١) انظر الاعتصام - الشاطبي ١٣٤/١ والموافقات - الشاطبي ١٦١/٤ .

(٢) الموافقات - الشاطبي ١١٦/٢ والاعتصام - الشاطبي ١٦٠/١ .

(٣) سورة الأعراف / الآية ١٧٥ - ١٧٦ .

(٤) معالم التنزيل - البغوي ٣٠٤/٣ وانظر فتح القدير - الشوكاني ٣٨٦/٢ .

عن إخلاد إلى الأرض وميل بكليته إلى ما هناك ، فرغب عن هدى مولاه ، واتبع هواه ، فجعل هواه إماماً له يقتدي به ويتبعه ، فضل بعد العلم واختار الكفر على الإيمان عمداً لا جهلاً " (١) .

ومن هذا القبيل ما حصل من بني إسرائيل في حادثة تحويل القبلة في زمن المصطفى - ﷺ - قال - ﷺ - :

﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ﴾ (٢) وقد نقل المفسرون - رحمهم الله تعالى

- ما يبين عناد أهل الكتاب على الرغم من معرفتهم للحق وتجليه لهم : فقال صاحب الكشاف (٣)

عند قوله - ﷺ - : ﴿ ما تبعوا قبلتك ﴾ (٤) : " لأن تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة ، إنما

هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك أنك على الحق " (٥) وقال صاحب التحرير

والتنوير : " والمعنى أن إنكارهم أحقية الكعبة بالاستقبال ليس عن شبهة حتى تزيله الحجة ، ولكنه مكابرة

وعناد ، فلا جدوى في إطناب الاحتجاج عليهم " (٦) .

إذا فالأهواء الفاسدة هي التي صدتهم عن الاتباع ، وقادتهم إلى المكابرة والعناد ، ويبين صاحب التسهيل

المراد بتلك الأهواء حين قال : " ويعني به ما هم عليه من الأديان الفاسدة ، والأقوال المضلة ؛ لأنهم اتبعوها

بغير حجة ، بل بهوى النفوس " (٧) ومما يؤيد ما قال ما حدث لزيد بن عمرو بن نفيل حين خرج إلى

الشام يسأل عن الدين الصحيح ويتبعه فالتقى بعالم من اليهود ، فسأله عن دينهم وأخبره أنه يرغب في

اعتناقه ، فقال - أي العالم اليهودي - : " لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله " ثم إن

زيداً طلب منه أن يدلّه على دين غيره ، فقال : " ما أعلمه إلا أن يكون حنيفياً ، قال زيد : وما الحنيف ؟

(١) الفوائد - ابن القيم ١٣٢ - ١٣٣ بتصرف .

(٢) سورة البقرة / جزء من الآية ١٤٥ .

(٣) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري صاحب الكشاف ، العلامة كبير المعتزلة كان داعية إلى الاعتزال ، الله يساعه ( ت : ٥٨٣ هـ )

انظر سير أعلام النبلاء - الذهبي ١٥١/٢٠ رقم : ٩١ ومدخل المؤلفين - فكري ٦٠٠/١ .

(٤) سورة البقرة / جزء من الآية ١٤٥ .

(٥) الكشاف - الزمخشري ٢٠٣/١ .

(٦) التحرير والتنوير - ابن عاشور ٣٦/٢ .

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل - ابن جزئ الكلبي ١٠٤/١ وانظر الشريعة - الآجري ٤٤٦ .

قال : دين إبراهيم ، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله ، فخرج زيد فلقني عالماً من النصارى فذكر مثله " (١) وأجابه عالم النصارى بنحو ما أجاب به عالم اليهود .

فالحاصل أنهم اتبعوا الهوى مع علمهم بالحق ، فقدموه عليه ، ولم يرضوا بغير الهوى بديلاً ، وأعرضوا عن براهين الحق وأنواره ، فضلوا عن سواء السبيل ، وفي هذا الصدد قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " فإن الضال عن الطريق قد يكون متبعاً لهواه عالماً بأن الرشده والهدى في خلاف ما يعمل " (٢) .

إذاً من علامات اتباع الهوى أن صاحبه جعله من أول مطالبه وأخر الحق وبراهينه ، وإذا ما سردت له البيّنات ، فجلت له الحق من الباطل والخطأ من الصواب تجده يكابر ويعاند حفاظاً على ما أشرب من هواه

### ◆ الثالثة من ناحية الجزاء

○ إن خطأ الاجتهاد صاحبه معفو عنه ، بل هو مأجور إن شاء الله تعالى ، ويدل على ما ذكر ما جاء في حديث عمرو بن العاص - ؓ - أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول : " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر " (٣) .

قال ابن حجر رحمه الله تعالى : " قوله : ( باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ) يشير إلى أنه لا يلزم من رد حكمه أو فتواه إذا اجتهد فأخطأ أن يأثم بذلك ، بل إذا بذل وسعه أجر ، فإن أصاب ضوعف أجره " (٤) .

وقال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " فإن المجتهد لا يلحقه قليل ذلك ولا كثيره - يشير إلى الوعيد - بل يلحقه ضد ذلك من الأجر والثواب ، وقال في موضع آخر : " فإن الله - ﷻ - كما غفر للمجتهد إذا أخطأ غفر للجاهل إذا أخطأ ولم يمكنه التعلم " (٥) بل لقد قيل : " إن المرء إذا نسب المسلم إلى الكفر ونحوه متأولاً وغضباً لله - ﷻ - لا لهواه ، فإنه يثاب على نيته وقصده .

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ، باب ( حديث زيد بن عمرو بن نفيل ) ١٢٤/٥ رقم : ٣١٢ .

(٢) بدائع التفسير - جمع يسري السيد ١٥٠/٤ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ( أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ) ١٩٣/٩ رقم : ١٢٠ . وأخرجه مسلم في كتاب الأفضية ، باب ( بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ) ١٣٤٢/٣ رقم : ١٧١٦ .

(٤) فتح الباري - ابن حجر ٣٩٣/١٣ رقم : ٧٣٥٢ .

(٥) رفع الملام - ابن تيمية ٦٣ ، ٦٧ .

وفي هذا الصدد يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " إن الرجل إذا نسب المسلم إلى النفاق والكفر متأولاً وغضباً لله - ﷻ - ورسوله - ﷺ - ودينه لا لهواه وحظه ، فإنه لا يكفر بذلك ، بل لا يآثم ، بل يشاب على نيته وقصده " (١) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " فمن صح إيمانه عفي له عن الخطأ والنسيان وحديث النفس " (٢) ولهذا قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - معلقاً على موقف الفاروق - ﷺ - السابق ذكره في صلح الحديبية ما نصه : " وإلا فجميع ما صدر منه كان معذوراً فيه بل هو مأجور لأنه يجتهد فيه " (٣) .

ويؤكد هذا الأمر ما قاله صاحب الإنصاف - رحمه الله تعالى - رداً على من قال :

ولا بن معين في الرجال مقالة سيسأل عنها والمليك شهيد

فإن يك حقاً قوله فهو غيبة وإن يك زوراً فالعقاب شديد

فقال رحمه الله تعالى : " وما أخلق قائل هذا الشعر بأن يكون دفع مغرماً ، وأسر حسواً في ارتقاء (٤) لأن ابن معين (٥) فيما فعل أجدر بأن يكون مأجوراً من أن يكون مأزوراً ، وألا يكون في ذلك ملوماً بل مشكوراً " (٦) .

والمقصود أن من هذا شأنه فهو مأجور ومعفو عنه (٧) .

(١) زاد المعاد - ابن القيم ٤٢٣/٣ ، وانظر جامع العلوم والحكم - ابن رجب ٣٦٩/٢ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٧٦١/١٠ .

(٣) فتح الباري - ابن حجر ٤٣٥/٥ رقم : ٢٧٣١ .

(٤) هذا مثل يضرب في الرجل يظهر أمراً وهو يريد غيره . انظر حاشية الإنصاف - البطليوسي ١٦٤ .

(٥) يحيى بن معين بن عون القطفاني أبوزكريا ، العلم الثبت الحجة ، إمام الجرح والتعديل ( ت : ٢٣٣ هـ بالمدينة ) انظر ميزان الاعتدال

الذهبي ٤١٠/٤ رقم : ٩٦٣٦ وتقريب التهذيب - ابن حجر ٥٩٧ رقم : ٧٦٥١ .

(٦) الإنصاف - البطليوسي ١٦٤ .

(٧) لقد نبه العلماء - رحمهم الله تعالى - أن هذا فيمن هو أهل للاجتهاد ، فنقل النووي - رحمه الله تعالى - ما نصه : " قالوا فأما من ليس

بأهل للحكم فلا يحل له الحكم ، فإن حكم فلا أجر له ، بل هو آثم " شرح مسلم - النووي ٢٥٥/١٢ رقم : ١٧١٦ ، وأما الخطأ عموماً فقد تقدم بيانه .

○ وبالنظر إلى جزاء متبع الهوى ، فإنه على خلاف الأول ؛ إذ هو مأزور (١) بل إن عليه إثم وإثم من اتبعه ، وقد تقدم بيان ذلك أثناء الحديث عن بدايات اتباع الهوى في موقف إبليس من آدم - ﷺ - وقايل من أخيه (٢) .

وأختم هذا المبحث - وبه ختام الفصل - بذكر الفائدة الدعوية المترتبة على ما ذكر من الفرق بين خطأ الاجتهاد - والخطأ عموماً - واتباع الهوى .  
فأقول مستعيناً بالله :

إن مما هو مقرر في عقيدة أهل السنة والجماعة اجتماع الخير والشر في الشخص الواحد ، وبمعنى آخر أن للشر مراتب كما أن للخير مراتب ، وتلك المراتب والدرجات تتفاوت في الإنسان سلباً وإيجاباً نقصاً وزيادة .

وفي بيان هذا الأمر قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " ولا ريب أن الكفر والفسوق والمعاصي درجات ، كما أن الإيمان ، والعمل الصالح درجات " (٣) وقال الشاطبي - رحمه الله تعالى - في البدع : " إن البدع إذا تؤمل معقولها ، وجدت رتبها متفاوتة ، فمنها ما هو كفر صراح ، كبدعة الجاهلية التي نبه عليها القرآن كقوله تعالى : ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ﴾ (٤) وكذلك بدعة المنافقين حيث اتخذوا الدين ذريعة لحفظ النفس والمال ، وما أشبه ذلك فيما لا يشك أنه كفر صراح ، ومنها ما هو من المعاصي التي ليست بكفر ، أو يختلف هل هي كفر أم لا ؟ ومنها ما هو معصية ، ويتفق عليها على أنها ليست بكفر ، ومنها ما هو مكروه ... فمعلوم أن هذه البدع ليست في رتبة واحدة ، فلا يصح مع هذا أن يقال إنها على حكم واحد هو الكراهة فقط ، أو التحريم فقط " (٥) .

(١) انظر الاعتصام - الشاطبي ١٤٥/١ .

(٢) انظر ص ٧ - ١٢ من هذا الفصل .

(٣) إغاثة اللهنان - ابن القيم ٢٠٦/٢ .

(٤) سورة الأنعام / جزء من الآية ١٣٦ .

(٥) الاعتصام - الشاطبي ٣٧/٢ ، ٥٧ .



ولذا نجد أن الإمام البخاري (١) - رحمه الله تعالى - بوب في صحيحه باب ( كفران العشير وكفر دون كفر ) (٢) وباب ( ظلم دون ظلم ) (٣).

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - في شرح حديث الباب الأخير : " وفي المتن من الفوائد - وذكر منها - : وأن درجات الظلم تتفاوت كما ترجم له " (٤).

والخلاصة أن الشخص الواحد يجتمع فيه الخير والشر ، فيحب بقدر ما فيه من الخير ، ويبغض بقدر ما فيه من الشر ، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : " إذ الشيء الواحد يجتمع فيه وصفان يجب من أحدهما ويكره من الآخر " (٥).

ولهذا فإن معرفة هذا الأمر وفقهه من الأهمية بمكان ؛ ليتمكن الداعية إلى الله تعالى من حسن معاملة كل بما يلائمه ويناسبه بلا إفراط ولا تفريط ، قال الزمخشري - رحمه الله تعالى - عند ذكر قوله تعالى :

﴿ وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين ﴾ (٦) " والمعنى : ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ، ونلخصها في صفة أحوال المجرمين ، من هو مطبوع على قلبه لا يرجي إسلامه ، ومن يرى فيه أمارة القبول ، وهو الذي يخاف إذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في الإسلام إلا أنه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم ، فتعامل كلاً منهم بما يجب أن يعامل به " (٧).

---

(١) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله ، صاحب الصحيح الحافظ إمام أهل الحديث في زمانه وللمقننى به في أوانه أجمع العلماء على قبول صحيحه وصحة ما فيه ، وكذلك سائر أهل الإسلام ( ت : ٢٥٦ هـ ) انظر تهذيب الأسماء واللغات - النووي ٦٧/١ وتهذيب التهذيب - ابن حجر ٣٣/٥ رقم : ٦٦٤٤ والبداءة والنهاية - ابن كثير ٢٨/١١ .

(٢) انظر صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب ( كفران العشير وكفر دون كفر ) ٢٤/١ .

(٣) المرجع السابق ٢٦/١ .

(٤) فتح الباري - ابن حجر ١٢٠/١ رقم : ٣٢ .

(٥) التحفة العراقية - ابن تيمية ٤٩ .

(٦) سورة الأنعام / الآية ٥٥ .

(٧) الكشاف - الزمخشري ٢٩/٢ .

وقال أبو السعود (١) - رحمه الله تعالى - : " ولتستوضح أنت يا محمد - ﷺ - سبيل المجرمين ، فتعاملهم بما يليق بهم " (٢).

---

(١) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي أبو السعود ولد بقرية بالقرب من القسطنطينية من تصانيفه : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز في تفسير القرآن ( ت : ٩٥١ هـ ) انظر معجم المؤلفين - كحاله ٣٠١/١١ ومداخل المؤلفين - فكري ٦٧٨/٢ .

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز - أبو السعود ١٤١/٣ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط : الثانية : ١٤١١ هـ وانظر محاسن التأويل - القاسمي ٥٥٣/٦ .

# الفصل الأول أسباب اتباع المدعو للهوى في العهد النبوي

ويشتمل علي :

- |               |  |
|---------------|--|
| المبحث الأول  | الأسباب الداخلية لاتباع المدعو للهوى . |
| المبحث الثاني | الأسباب الخارجية لاتباع المدعو للهوى . |

# الفصل الأول أسباب اتباع المدعو للهوى في العهد النبوي

## تمهيد :

إن الله - ﷻ - خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وزوده بما يجعله محسناً لاختيار أحد السيلين - سبيل الحق أو سبيل الباطل - وكتب وقدر - ﷻ - لكل منهما أسباباً موصلة إليها ، وأخر مانعة وصادة من الولوج إليها ، والأسباب الموصلة أو المانعة لهذا أو ذاك كثيرة ، وبعضها يتفرع عن بعض .

وما سيتناوله هذا الفصل - بمشيئة الله تعالى - هو الحديث عن جملة من الأسباب والتي تم انتقاؤها بعد شئ من التتبع والاستقراء أدى إليها جهد الباحث - على ضعفه وقلة بضاعته - حيث رأى أنها أهم الأسباب

الموصلة والمؤدية بمن يسلكها إلى اتباع الهوى بمظاهره المختلفة (١).

وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين :

### المبحث الأول : الأسباب الداخلية لاتباع الهوى :

ويشمل : المطلب الأول النفس الأمارة بالسوء .

المطلب الثاني الإخلاق إلى الأرض وزخرفها .

المطلب الثالث صفتا الظلم والجهل .

المطلب الرابع صفتا الكبر والحسد .

### أما المبحث الثاني : الأسباب الخارجية لاتباع الهوى :

ويشمل : المطلب الأول تسلط الشيطان ووسوسته .

المطلب الثاني جهود أهل الكتاب في نشر الأهواء .

المطلب الثالث جهود المشركين في نشر الأهواء .

المطلب الرابع جهود المنافقين في نشر الأهواء .

المطلب الخامس الخلل في مصدر التلقي .

(١) وسيأتي الحديث - إن شاء الله تعالى - عن المظاهر في الفصل الثاني ص ١١٢ .

## المبحث الأول الأسباب الداخلية لاتباع الهوى المطلب الأول النفس الأمارة بالسوء

إن المتأمل في كتاب ربنا - ﷻ - يلحظ اعتناء الكتاب العزيز بشأن النفس الإنسانية عموماً (١) ومن ذلك ذكر أوصافها : إذ تارة تنعت بالاطمئنان ، وتارة تنعت بالأمر بالسوء ، وتارة توصف باللوم والمحاسبة (٢) و" نجد في القرآن الكريم أيضاً وصفاً للشخصية السوية والشخصية غير السوية ، ووصفاً للعوامل المكونة لكل من السواء وعدم السواء في الشخصية " (٣) .  
وما سأطرق إليه في هذه النقطة - بمشيئة الله تعالى - إنما هو الحديث عن النفس الأمارة بالسوء ، والمفتونة بالشهوات والهوى (٤) وذلك ببيان طبيعتها وما جبلت عليه .  
ويوضح هذا الأمر ويجليه ما يلي :

قال الله - ﷻ - في قصة نبيه يوسف - ﷺ - : ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ (٥) .  
قال القاضي ابن عطية الأندلسي - رحمه الله تعالى - : " والنفس أمارات بالسوء مائلة إليه ، وأماراة بناء مبالغة " (٦) وقال الطاهر ابن عاشور - رحمه الله تعالى - : " أي لا أدعي براءة نفسي من ارتكاب الذنب ؛

---

(١) وليبان ذلك فإن كلمة " النفس " ومشتقاتها في القرآن الكريم وردت مرات عديدة ، فعلى سبيل المثال : وردت كلمة " نفس " ٦١ مرة ، وكلمة " نفساً " ١٤ مرة ، و " نفسك " ١٠ مرات ، و " الأنفس " ١٣ مرة ، و " أنفسكم " ٤٩ مرة ، و " أنفسهم " ٩١ مرة .  
انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبدالباقي ٨٨١ - ٨٨٥ ، دار الحديث : القاهرة ، ط : الثانية : ١٤٠٨ هـ .  
ولمزيد من التفصيل انظر إغاثة اللهفان - ابن القيم ١٢٥/١ ، وانظر أيضاً غرائز النفس البشرية وأمراضها ومنهج الإسلام في معالجتها - د. مرسي شعبان السويدي ٥٢/١ ، دار الصحابة للتراث - طنطا ، ط : الأولى : ١٤١٢ هـ ، وانظر أيضاً الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم - د. عبدالرحمن بن إبراهيم المطرودي ١٥٦ ، مطابع التقنية للأوفست - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١٠ هـ .

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية - جمع ابن قاسم ١٤٨/٢٨ .

(٣) القرآن وعلم النفس - د. محمد عثمان نجاتي ٢٠٦ ، دار الشروق - القاهرة ، ط : الرابعة ١٤٠٩ هـ .

(٤) انظر إغاثة اللهفان - ابن القيم ٢٨٨/٢ ، ١٢٧/١ .

(٥) سورة يوسف / جزء من الآية ٥٣ .

(٦) المحرر الوجيز - ابن عطية ٣٢١/٩ .

لأن النفوس كثيرة الأمر بالسوء " (١) وقد ذكر القرطبي - رحمه الله تعالى - أن هذه النفس مشتبهة للسوء (٢) ، فهي " تحرص على جعل الأعضاء تعمل تحت إمرتها فتجلب الشر إلى صاحبها إذا كان الدافع هو الهوى " (٣) ولا شك في أن كونها أمانة بالسوء وصف ذم لها (٤) ولهذا تتابعت عبارات السلف - رحمهم الله تعالى - في إيضاح هذا الأمر وإبراز خطورته ، وذلك ببيان كون النفس الأمانة بالسوء مجبولة على حب الهوى حيناً ، وحيناً يجعلها منبع الشر ومأوى الرذيلة والأهواء المختلفة ، وحيناً يجعلها سبباً في وقوع صاحبها في ظلمات الأسر .

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " فمن عرف حقيقة نفسه وما طبعت عليه علم أنها منبع كل شر ومأوى كل سوء " (٥) وبين ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - أن النفس مائلة إلى الهوى حين قال : " اعلم وفقك الله أن النفس مجبولة على حب الهوى " (٦) وقال الألوسي - رحمه الله تعالى - : " والنفس من حيث هي إنما تهوى غير الأفضل ؛ لأنها مجبولة على حب الملاذ " (٧) بل إنها تؤثر هواها على الحق وتنشط بما يلائمها منه ، قال الشاطبي - رحمه الله تعالى - : " إن الدخول تحت تكاليف الشريعة صعب على النفس ؛ لأنه أمر مخالف للهوى ، وصاد عن سبيل الشهوات فيثقل عليها جداً ؛ لأن الحق ثقيل ، والنفس إنما تنشط بما يوافق هواها لا بما يخالفه " (٨) " فليس على النفس الأمانة أشق من العمل لله وإيثار رضاه على هواها " (٩) .

ويؤكد خطر النفس ، وعظيم شرها أن الرسول - ﷺ - أمر أبابكر - ؓ - أن يستعيذ بالله من شرها ، وذلك حين طلب الصديق - ؓ - من المصطفى - ﷺ - أن يعلمه شيئاً يقوله إذا أصبح وإذا أمسى وإذا أخذ مضجعه .

- 
- (١) التحرير والتنوير - ابن عاشور ٥/١٣ ، وانظر أيضاً إغائة اللهفان - ابن القيم ١/١٢٧ ، ١٤٠ .  
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٩/١٣٨ ، وانظر أيضاً الفوائد - ابن القيم ٢٣٠ .  
(٣) أدب الإسلام - صالح حمدي حماد ١٩٣ ، مطبعة هندية بالموسكي - مصر ، ط : الثانية : ١٣٣١هـ .  
(٤) انظر إغائة اللهفان - ابن القيم ١/١٢٩ ، وانظر أيضاً التفسير الكبير - الرازي ٢٨/٢٤٢ .  
(٥) مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين - ابن القيم ١/١٤٣ ، دار الحديث - القاهرة ، ط . د .  
(٦) ذم الهوى - ابن الجوزي ٣٦ وانظر ٤٥ .  
(٧) روح المعاني - الألوسي ١٥/٨٩ ، وانظر أيضاً أدب الدنيا والدين - الماوردي ٣٣١ ، وذم الهوى - ابن الجوزي ١٤٥ .  
(٨) الاعتصام - الشاطبي ١/١٢٤ .  
(٩) الجواب الكافي - ابن القيم ٢٢٩ .

فعن أبي هريرة - \* - قال : قال أبو بكر - \* - : " يارسول الله علمني شيئاً أقوله إذا أصبحت ، وإذا أمسيت ، وإذا أخذت مضجعي ، قال : " قل اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة أو قال : اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض ، رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه " (١).

قال صاحب تحفة الأحوذى - رحمه الله تعالى - عند قوله - \* - : " أعوذ بك من شر نفسي " أي من ظهور السيئات الباطنية التي جبلت النفس عليها " (٢) ولهذا كان من أعظم أنواع الأسر ضرراً بالأسير من وقع في شرك تلك النفس وذل لها وانقاد " فمن استولت عليه النفس صار أسيراً في حكم الشهوات محصوراً في سجن الهوى " (٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " ولهذا يبقى الإنسان عند شهوته وهواه أسيراً لذلك ، مقهوراً تحت سلطان الهوى أعظم من قهر كل قاهر ، فإن هذا القاهر الهوائي القاهر للعبد هو صفة قائمة بنفسه لا يمكنه مفارقتها البتة " (٤) وهكذا فمن أطلق نفسه فيما تحب أو وقعته فيما يكره " (٥) قال الغزالي - رحمه الله تعالى - : " وإنما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه ، والشقاوة في أن تملكه نفسه " (٦) إذ إن من الناس فئة حاذت نفوسهم النفوس الإبليسية في جبلتها وطبيعتها حيث يقول الشيخ ولي الله الدهلوي (٧) - رحمه الله تعالى - : " وهناك قوم قريبوا المآخذ من الشياطين جبلة بأن

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٢/١ رقم : ٥١ قال أحمد شاكر : اسناده صحيح ١٧٥/١ رقم : ٥١ ، وأخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب (١٤) ٤٣٥/٥ رقم : ٣٣٩٢ ، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب ( ما يقول إذا أصبح ) ٣١٦/٤ رقم : ٥٠٦٧ . قال الألباني صحيح . انظر صحيح سنن الترمذي ١٤٢/٣ رقم : ٢٧٠١ .

(٢) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي - المباركفوري ٢٣٧/٩ رقم : ٣٦١٦ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٠ هـ . (٣) ذم الهوى - ابن الجوزي ٤٦ .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية - جمع ابن قاسم ٥٨٧/١٠ .

(٥) صيد الخاطر - ابن الجوزي ، تحقيق : محمد عوض ١٣٦ ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الثالثة : ١٤١٠ هـ .

(٦) إحياء علوم الدين - الغزالي ٧٤/٣ .

(٧) أحمد بن عبدالرحيم بن وحيه المعروف بشاه ولي الله الدهلوي الهندي الحنفي أبو عبدالعزیز ، من مولفاته : حجة الله البالغة والفوز الكبير في أصول التفسير وغيرها ( ت : ١١١٤ هـ ) انظر معجم المؤلفين - كحاله ٢٧٢/١ .

كان مزاجهم فاسداً يستوجب آراء مناقضة للحق منافرة للرأي الكلي على طرف شاسع من محاسن الأخلاق ، وكسباً بأن لا بست هيئات خسيصة وأفكار فاسدة ، وانقادت لوسوسة الشياطين " (١) .

ولعل هذا يوضح لنا وجود شئ من التوافق والتعاون بين شياطين الإنس والجن في إبطال الحق ، وإفساد الخلق ، وإن الناظر في أحوال المدعورين في العهد النبوي - على اختلاف أصنافهم - ممن ناصبوا الدعوة العداة قصداً لا عرضاً يجدهم من هذا القبيل .

فكم حملت تلك النفوس أصحابها على مصافحة الهوى ومعانقته مع بدو الحق وإشراقه : " فهي التي بكبرها وحسدها أَلقت إبليس في بحر الضلال " (٢) وهي التي أودت بقايل إلى البوار والخسار ، فإنما حصل ذلك بحسب ما تدعوه إليه نفسه الأمانة بالسوء (٣) وهي أيضاً سبب من أسباب تشبث الكفار في عهد المصطفى - ﷺ - بما هم عليه من أباطيل ، وذلك لأن مخالفة ما تهوى الأنفس شاق عليها ، " فلا تجد في الخلق فتنة ولا فضيحة ولا ضلالاً ولا معصية إلا وأصلها النفس وهواها " (٤) إذ إن النفس كثيرة التلون (٥) ويندرج تحتها ، ويدخل في مضمونها كل من عميت نفسه عن رؤية الحقيقة كالنفس المنافقة والكافرة ، والمنحرفة والآثمة ، والمعوجة والظالمة ، وغير السوية ، فلا ريب في أن هذه النفوس الأمانة بالسوء معطلة الخواس في الخير ، نشطة في إرسال موجات الشر والفتنة والفساد والضلال (٦)

فاتباع الهوى بالاستجابة لهذه النفس من أعظم الضلال (٧) .

وسيتضح شئ من هذا - إن شاء الله تعالى - أثناء الحديث عن الأسباب الداخلية والخارجية لاتباع الهوى وأثناء ذكر الآثار المترتبة على اتباع الهوى .

- 
- (١) حجة الله البالغة - الدهلوي ، تعليق : محمد شريف سكر ١١٢/١ ، دار إحياء العلوم - بيروت ، ط : الثانية : ١٤١٣هـ .
- (٢) منهاج العابدين - الغزالي ، تعليق : موفق الجيز ٧٢ ، الحكمة - سورية ، ط : الأولى : ١٤١٥هـ .
- (٣) تيسير الكريم الرحمن - السعدي ٢٨١/٢ .
- (٤) منهاج العابدين - الغزالي ٧٤ .
- (٥) مقدمة ابن خلدون - ابن خلدون ١٠٠ .
- (٦) غرائب النفس البشرية وأمراضها - د. مرسي السويدي ٦١/١ .
- (٧) مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين - د. عمر بن سليمان الأشقر ٤٢٠ ، دار النفائس - الأردن ، ط : الثانية : ١٤١١هـ .



وخلاصة القول ومقصوده " إن النفس جبل عظيم شاق في طريق السير إلى الله - ﷻ - وكل سائر لا طريق له إلا على ذلك الجبل فلا بد أن ينتهي إليه ، ولكن منهم من هو شاق عليه ، ومنهم من هو سهل عليه ، وفي ذلك الجبل أودية وشعوب ، وعقبات ووهود ، ولصوص يقتطعون الطريق على السائرين ، ولا سيما أهل الليل المدلجين " (١).

وختاماً فإن الأهواء والشُرور المختلفة إما أن تصدر من النفس الأمارة بالسوء ، وإما أن تصدر من الشيطان ومن تأمل القرآن والسنة وجد اعتناءهما بذكر الشيطان ومحاربتة أكثر من ذكر النفس ، فتحذير الرب تعالى لعباده منه أكثر من تحذيره من النفس (٢).

---

(١) مدارج السالكين - ابن القيم ٨/٢ ، وانظر أيضاً طريق المحرّتين وباب السعادتين - ابن القيم ، تعليق : عمر بن محمود أبو عمر ١٩١ دار ابن القيم - الدمام ، ط : الأولى : ١٤٠٩ هـ .

(٢) إغائة اللهفان - ابن القيم ١٤٥/١ - ١٤٦ ، وسيأتي الحديث عن تسلط الشيطان ووسوسته في مطلع المبحث الثاني من هذا الفصل بإذن الله تعالى ص ٧٠ .

## المطلب الثاني الإخلاق إلى الأرض وزخرفها

إن مما تميل إليه النفس الأمارة بالسوء ، ويزينه الشيطان للعبد الإخلاق إلى الحياة الدنيا وزهرتها

ونسيان الآخرة ونعيمها (١) حتى يصير الإنسان متنقلاً في درجات الغواية هابطاً من سلم الهداية إلى درك الشقاوة ، فيعيش ليومه وساعته ، محافظاً بكل ما أوتي من القوة والنفاسة على متاعها الزائل ، ومغلقاً كل منفذ يوصل الحق إليه .

ويبين خطر هذا الأمر وعظيم ضرره ، تلك التوجيهات الربانية الكريمة ، والتحذيرات النبوية الشريفة ، وما أثر عن السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - والتي بمجموعها تحذر من الركون إلى هذه الدار ، ومن الانخداع بزينتها وزخرفها ؛ إذ أن عاقبة ذلك اتباع الأهواء ، والإعراض عن الحق وحججه .

قال الله - ﷻ - : ﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ (٢) قال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي - رحمه الله تعالى - : " وإنما وصف عيش الدنيا بذلك لما تمنيه لذاتها من طول البقاء ، وأمل الدوام ، فتخدعه ثم تصرعه " (٣) .

وقد أخبر المصطفى - ﷺ - أنه لا يخاف على أمة فتنة الفقر وإنما يخاف بسط الدنيا وتنافسها وإهلاكها وذلك حين قال - ﷺ - : " فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكنني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم " (٤) قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - معلقاً على الحديث : " وفيه أن المنافسة في الدنيا قد تجر إلى هلاك الدين " (٥)

(١) انظر إيغاة اللهبان - ابن القيم ١٦٦/١ .

(٢) سورة آل عمران / جزء من الآية ١٨٥ .

(٣) محاسن التأويل - القاسمي ٣١٦/٤ .

(٤) أخرجه البيهاري في كتاب المغازي ، ( باب ) ١٩٩/٥ رقم : ٦٢ ، وأخرجه مسلم في كتاب الزهد والرفائق ٢٢٧٣/٤ رقم :

٢٩٦١ . والمراد بالتنافس من المنافسة وهي : الرغبة في الشيء ومحبة الإنفراد به ، والمغالبة عليه . فتح الباري - ابن حجر ٢٩٥/١١ رقم :

٦٤٢٥ ، وانظر أيضاً شرح صحيح مسلم - النوري ٣٠٨/١٨ .

(٥) فتح الباري - ابن حجر ٣٢٣/٦ رقم : ٣١٥٨ .

وقد جاء من حديث ثوبان (١) - ﷺ - مولى رسول الله - ﷺ - قال : قال رسول الله - ﷺ - : " يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها " قال : قلنا : يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ ؟ قال : " أنتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غشاء كغشاء السيل ، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن " قال : قلنا : وما الوهن ؟ قال : " حب الدنيا وكراهية الموت " (٢) .

فالنظر إلى زينة الحياة الدنيا فتنة (٣) .

وليس مقصودي هنا الاستقصاء في بيان ضررها على من أخذ إليها - وإن كان سيأتي مزيد بيان إن شاء الله تعالى لهذا فيما سيأتي - وإنما أردت التنبيه على كونها عائق من عوائق قبول الحق وتبنيه ، وكونها سبب لاتباع كثير من الأهواء. عظاهرها المختلفة ؛ إذ " إن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغياناً وركوناً إلى العاجلة ، وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله - ﷻ - والدار الآخرة " (٤) وقد علم عدو الله إبليس أن الرغبة في الإخلاد عموماً مطلب في نفس الإنسان ، فكان من مداخلة على أبي البشر - ﷺ - وذلك حين " شام عدو الله الأبوين ، فأحس منهما إيناساً وركوناً إلى الخلد في تلك الدار ، في النعيم المقيم ، فعلم أنه لا يدخل عليهما من غير هذا الباب فقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين ، كما قال

الله ﷻ : ﴿ ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ (٥) (٦) .  
بل إن تلك الرغبة يشترك فيها معظم الناس حيث يقول ابن خلدون - رحمه الله تعالى - مقررراً هذا الأمر :

(١) ثوبان بن جهمد يكنى أبو عبد الله صحابي شهير ﷺ مولى رسول الله ﷺ ، لم يزل مع رسول الله ﷺ حضراً وسفراً إلى أن توفي رسول الله ﷺ ، فخرج إلى الشام ، كان ممن حفظ عن رسول الله ﷺ وأدى ما وعى وروى أحاديث خوات عدد ( ت : ٥٤ هـ بمجموع ) انظر أسد الغابة - ابن الأثير ١/٤٨٠ رقم : ٦٢٤ والاستيعاب - ابن عبد البر ١/٢٩٠ رقم : ٢٨٦ والفخر المتوالي فيمن انتسب للنبي ﷺ من الخدم والموالي - الحافظ السخاوي ، تعليق : مشهور عمود سلمان ٣٧ رقم : ٣٢ ، مكتبة المنار - الأردن ، ط : الأولى : ١٤٠٧ هـ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/٣٥٠ رقم : ٢٢٣٩٣ .

(٣) انظر تفسير سورة النور - ابن تيمية ، تخريج : د. عبد العلي عبد الحميد حامد ١٠٤ ، الدار السلفية - الهند ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ

(٤) زاد المعاد - ابن القيم ٣/٢٢١ .

(٥) سورة الأعراف / جزء من الآية ٢٠ .

(٦) إغاثة اللهفان - ابن القيم ١/١٧٩ .

" والناس متطلعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة ، وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها " (١) وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في هذا الصدد أيضاً : " وأنت إذا تأملت أحوال الناس وجدت هذا الضرب هو الغالب على الناس ، وهم عمار الدنيا ، وأقل الناس عدداً من هو على خلاف ذلك وهو من أشد الناس غربة بينهم لهم شأن ، وله شأن " (٢) فهي من المواطن التي تضعف عندها نفوس الكثير من البشر ، ولهذا لما خرج قارون بزنته فرآه من يريد الحياة الدنيا تمنى مثل ذلك الوضع والمقام ، قال - ﷺ - : ﴿ فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم ﴾ (٣) قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخارفها وزينتها تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي " (٤) قالوها " جرياً على سنن الجبلية البشرية من الرغبة في السعة واليسار " (٥) إذ طالب الدنيا منهوم لا يشبع ، وعطشان لا يروى (٦) ومما يلحظ أن من صفات سمات من تعلق بالدنيا وزينتها ، رد الحق ومقاومته ، بل والانسلاخ منه إلى متاعها الفاني ، قال الطاهر ابن عاشور - رحمه الله تعالى - عند قوله - ﷺ - : ﴿ ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة ﴾ (٧) : " أي لا تكن إرادة الزينة سبب الإعراض عنهم ؛ لأنهم لا زينة لهم من بزة وسمت " (٨) وقال ابن كثير - رحمه الله تعالى - عند قوله - ﷺ - : ﴿ ولكنه أخلد إلى الأرض ﴾ (٩) واتبع هواه ﴿ ما نصه : " أي مال إلى زينة

(١) مقدمة ابن خلدون ٣٩ .

(٢) الفوائد - ابن القيم ، تحقيق : أحمد راتب عرموش ١٣٥ ، دار النفائس - بيروت ، ط : الخامسة : ١٤٠٤هـ .

(٣) سورة القصص / الآية ٧٩ .

(٤) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣/٣٨٦ .

(٥) محاسن التأويل - القاسمي ١٣/١٢٧ .

(٦) انظر أخلاق العلماء - الآجري ، تحقيق : إسماعيل الأنصاري ٦٨ ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد ، ط

٥ : ١٣٩٨هـ ، وانظر أيضاً إغاثة اللهفان - ابن القيم ١/٦٠ .

(٧) سورة الكهف / جزء من الآية ٢٨ .

(٨) التحرير والتنوير - ابن عاشور ١٥/٣٠٥ .

(٩) والمراد بالإخلاد إلى الأرض : القعود والتقاعد ، والركون إليها ظناً منه أنه يخلد فيها . انظر هدي الساري مقدمة فتح الباري - ابن

حجر ، تحقيق : عبدالعزيز بن باز وترقيم : محمد فواد عبدالباقى ١٠٠ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٠هـ والمفردات

غريب القرآن - الراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ١٥٤ ، دار المعرفة - بيروت ، ط . د .

الحياة الدنيا وزهرتها ، وأقبل على لذاتها ونعيمها ، وغرته كما غرت غيره من أولي البصائر والنهى " (١) فهي السبب الذي من أجله لم يرفع ولم يشرف (٢) إذ إن حب الدنيا رأس كل خطيئة (٣) . وقد كان الإخلاق إلى الأرض وزخرفها - ولا يزال - سبباً من الأسباب التي حملت أهل الكتاب والمشركون والمنافقين على اتباع أهوائهم ، وجمودهم على مذاهبهم وتوجهاتهم الباطلة ، ومما يبين هذا الأمر على وجه الاجمال ما يلي :

قال الرازي - رحمه الله تعالى - عند قوله ﷺ : ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتهم وفريقاً تقتلون ﴾ (٤) : وإنما كانوا كذلك لإرادتهم الرفعة في الدنيا ، وطلبهم لذاتها والترؤس على عامتهم ، وأخذ أموالهم بغير حق ، وكانت الرسل تبطل عليهم ذلك فيكذبونهم لأجل ذلك ويوهمون عوامهم كونهم كاذبين ، ويحتجون في ذلك بالتحريف وسوء التأويل " (٥) .

وهذا يبين لنا أن متاع الحياة الدنيا قد أبعث أناساً عن الحق كما قال ﷺ : ﴿ بل تمتعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ﴾ ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون ﴿ (٦) قال القاضي أبو السعود - رحمه الله تعالى - : " بل تمتعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول - ﷺ - من أهل مكة وآباءهم في العمر والنعمة ، فاغترؤوا بالملهة ، وانهمكروا في الشهوات ، وشغلوا بها عن كلمة التوحيد .. ولما جاءهم الحق ازدادوا كفراً وعتواً ، وضموا إلى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به " (٧) .

كما أن الرغبة في العائدات المادية والاجتماعية وغيرها من زخارف الحياة كان سبباً في تأخر إسلام خزاعة على الرغم من موقفهم المسالم للمسلمين ، يقول د. أكرم ضياء العمري بعد أن بين مدى العلاقة بين خزاعة وقريش : " ولعل هذا العوامل أعاققت - في نفس الوقت - انتشار الإسلام في خزاعة عامة ، وبني المصطلق خاصة الذي يستفيدون إلى جانب الموقع التجاري بوجود مناة الطاغية في ديارهم معنوياً ومادياً حيث يحج

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٢/٢٥٥ .

(٢) المحرر الوجيز - ابن عطية ٢/٢٠٧ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل - البيضاوي ١/٣٦٧ .

(٤) سورة البقرة / جزء من الآية ٨٧ .

(٥) التفسير الكبير - الرازي ٣/١٦٢ .

(٦) سورة الزخرف / الآية ٢٩ - ٣٠ .

(٧) إرشاد العقل السليم - أبو السعود ٨/٤٥ ، وانظر أيضاً كلمة الحق في القرآن الكريم - الراوي ٢/٦١٧ وما بعدها .

إليها العرب " (١) " وقد تجرأت بنو المصطلق على المسلمين لأمر منها : رغبتها في أن يبقى الطريق التجاري مفتوحاً أمام قريش لا يهدده أحد ؛ لما في ذلك من مصالح لها محققة " (٢) .

وأما ما يتعلق بالمنافقين فبالقاء نظرة عاجلة إلى حياتهم يلحظ عليهم التشبث بهذه الحياة وزينتها ، ولعل ما بدر من زعيمهم عبد الله بن أبي (٣) حيال دعوة المصطفى - ﷺ - خير شاهد على ذلك ، فقد ردها وناصبها العدا ، لرعمه أنها قد سلبت ملكه ، وبالتأمل في سورة التوبة نجد أنها قد " عرت المنافقين ، وبينت أنهم لا يؤمنون بقدر الله ، ويحبون الحياة ، ويرغبون عن الجهاد بالنفس خوفاً من الموت " (٤) بل إن الميل الجزئي إلى زخرف من زخارف الحياة قاد المسلمين إلى نوع من الهزائم ، وما وقعة أحد وحنين عنا ببعيد (٥) .

وخلاصة القول ومقصوده : إن الإخلاق إلى الأرض وزخرفها ، وباء عظيم ، وعائق من عوائق صحة السير إلى الله - ﷻ - فهو شاغل عن الدين ، وعن عبادة رب العالمين كما قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - عند قوله - ﷻ - : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴾ (٦) : أي شغل عن الدين ، وعبادة ربه بالدنيا " (٧) .

ويزيد الأمر خطورة : أنه قل أن يسلم منه البشر حتى الصالحين أنفسهم - إلا من رحم الله تعالى - ومن ثم تابعت الرصايا للتنبيه على ضرره ، فيذكر أن لقمان قال لابنه : " يا بني إن الدنيا بحر عميق ، وقد غرق

(١) المجتمع المدني في عهد النبوة - د. أكرم العمري ٩٤ ، ط : الأولى : ١٤٠٤ هـ .

(٢) السيرة النبوية الصحيحة - د. أكرم العمري ٤٠٥/٢ ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، ط : الخامسة : ١٤١٣ هـ .

(٣) عبد الله بن أبي بن سلول المنافق كان رأس المنافقين ، نزل في ذمه آيات كثيرة مشهورة ، لما مات أراد رسول الله ﷺ أن يصلي عليه - بعد أن طلب منه ابن أبي ذلك - فقام الفاروق ﷺ ليحول دون ذلك ، فأنزل الله ﷻ حكمه في شأن الصلاة على المنافقين ( ت : ٩ هـ ) انظر تهذيب الأسماء واللغات - النووي ٢٦٠/١ رقم : ٢٨٥ والبداية والنهاية - ابن كثير ٣١/٥ .

(٤) المرجع السابق ٥٣٣/٢ .

(٥) وللإطلاع على ما ذكر : انظر على سبيل المثال : صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب ( غزوة أحد ) ٢١٤/٥ رقم : ٨٦ وباب ( قول الله تعالى ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ) ٣١٠/٥ رقم : ٣١٩ ، وانظر أيضاً صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب ( في غزوة حنين ) ١٣٩٨/٣ رقم : ١٧٧٦ .

(٦) سورة الكهف / جزء من الآية ٢٨ .

(٧) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٨٠/٣ ، وانظر أيضاً الجواب الكافي - ابن القيم ٣٣٠ .

فيه ناس كثير ، فلتكن سفيتك فيها تقوى الله ﷻ " (١) وقد قيل لعلي بن الحسين (٢) - ؑ - من أعظم الناس خطراً ؟ فقال : من لم ير الدنيا خطراً لنفسه " (٣) ولهذا نجد أن عبداً لله بن مسعود - ؑ - يقول مستغرباً : " ما كنت أحسب أن في أصحاب محمد - ؑ - أحد يحب الدنيا حتى نزلت : ﴿ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ﴾ (٤) (٥) فإذا كان مثل هذا القول قد قيل في خير جيل وجد على وجه الأرض فغيرهم من باب أولى وأحرى ، ولعل فيما ذكر ودون إيضاحاً وتبياناً لكون هذا الجانب سبباً خطيراً من الأسباب الحاملة للناس على اتباع الهوى .

والله المستعان وعليه التكلان .

(١) إحياء علوم الدين - الغزالي ١٧٩/٣ - ١٨١ .

(٢) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي المشهور بزين العابدين ، كان ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعاً ، كان مع أبيه يوم قتل سنة ٦١ هـ وهو يومئذ ابن ثلاث وعشرين سنة وكان مريضاً فسلم ( ت : ٩٤ هـ وقيل غير ذلك ) انظر تهذيب التهذيب - ابن حجر ١٩٢/٤ رقم : ٥٤٢٢ والبداية والنهاية - ابن كثير ١٠٩/٩ والطبقات الكبرى - ابن سعد ١٦٢/٥ رقم : ٧٥٥ والإشارة إلى وفيات الأعيان - الذهبي ٥٣ .

(٣) عيون الأخبار - ابن قتيبة ٣٣١/٢ ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط . د .

(٤) سورة آل عمران / جزء من الآية ١٥٢ .

(٥) كتاب الزهد - أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني ، تحقيق : د. عبدالعلي عبدالحميد ٩٨ ، الدار السلفية - بومباي ، ط : الأولى :

١٤٠٣ هـ ، وانظر أيضاً المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية - ابن حجر ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ٣/٣١٤ رقم : ٣٥٦٧ دار المعرفة - بيروت ، ط . د . ١٤١٤ هـ .

## المطلب الثالث صفتا الظلم والجهل

إن الله - ﷻ - بين في كتابه العزيز أنه - ﷻ - لما عرض الأمانة على بعض مخلوقاته العظيمة ، فأبين حملها إشفاقاً وخوفاً منها حملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ، وذلك في قوله - ﷻ - : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ (١).

إن هاتين الصفتين - أعني الظلم والجهل - من الصفات المذمومة في بني البشر ، ويذم فيهم أيضاً صفتا الكبر والحسد ، وسيأتي الحديث عنهما - إن شاء الله تعالى - في المطلب الرابع .  
فهذه النوعت النفسية كانت ولا زالت سبباً من الأسباب المانعة من قبول الحق ، ومن ثم قادت صاحبها ومن لا يسته إلى صنوف من المهالك ، والتي من أبرزها فساد الدين ، واتباع أهواء النفوس من شهوات أو شبهات أو منهما جميعاً ؛ إذ إن منشأ السيئات من الجهل والظلم ، فهما داءان خطيران ، ولاشك في أن اتباع الهوى - على وجه العموم - من أسوأ السيئات ، كما أن الكبر والحسد يمثلان جانباً كبيراً من فساد معتقد كثير من الناس وسلوكياتهم .

وقد تواردت وتكاثفت هذه الصفات منذ قديم الدهر وحديثه في عدو الله إبليس ، فكان سلفاً ومثلاً لأتباعه ، ومن استن بسننه ، وسار على خطواته ومنهاجه .  
ويوضح هذا الأمر ويجليه ما يلي :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " وكل من خالف ما جاء به الرسول - ﷺ - لم يكن عنده علم بذلك ولا عدل ، بل لا يكون عنده إلا جهل وظلم " (٢).  
كما بين ابن القيم - رحمه الله تعالى - أن الجهل والظلم حصل من بني آدم من ناحيتين فقال : " وقع الجهل والظلم من ابن آدم بمعنيين : بالدين الفاسد ، والدنيا الفاجرة ، طلبوا بهما النعيم ، وفي الحقيقة فإنما فيهما ضده " (٣).

(١) سورة الأحزاب / الآية ٧٢ .

(٢) الفرقان بين الحق والباطل - ابن تيمية ، تحقيق : حسين غزال ٨٧ ، دار إحياء العلوم - بيروت ، ط : الثالثة : ١٤٠٧ هـ .

(٣) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٢/٢٥٤ .



وبنحوه قال الراغب الأصفهاني (١) - رحمه الله تعالى - (٢) وقال الراغب أيضاً : و "الظلم هو الانحراف عن العدل ، ولذلك حد بأنه : وضع الشيء في غير موضعه المخصوص به ، وقد تقدم أن العدل يجري مجرى النقطة من الدائرة فتجاوزها من جهة الإفراط عدوان وطغيان .. والانحراف عنها في بعض جوانبها جور والظلم أعم الأشياء " (٣) فالظلم بغبي يبعد صاحبه عن هداية الله " (٤) ويرى ابن عقيل - رحمه الله تعالى - أن الظلم سار في الناس لا يمنعهم منه إلا العجز عنه فيقول ما نصه : " رأيت الناس لا يعصمهم من الظلم إلا العجز ، ولا أقول العوام بل العلماء " (٥) وقال ابن خلدون - رحمه الله تعالى - : " ومن أخلاق البشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض " (٦) .

ويذكر ابن تيمية - رحمه الله تعالى - أن المختلفين ما اختلفوا إلا للبغي والظلم ، فيقول بعد أن سرد من الأدلة ما يعضد قوله : " إن المختلفين ما اختلفوا حتى جاءهم العلم والبيانات ، فاختلفوا للبغي والظلم لا لأجل اشتباه الحق بالباطل عليهم " (٧) .

وكما أن الظلم بغبي فالجهل " تيه للإنسان ، وعمى يبعده عن رؤية الحق ، وإدراكه كما يجب أن يكون " (٨) .

وقد جعل الرسول - ﷺ - الجهل مرضاً ، وشفاءه سؤال أهل العلم ، وذلك في حديث الذين أفتوا بالجهل فهلك المستفتي بفتواهم ، فقد جاء عن جابر - رضى الله عنه - قال : خرجنا في سفر ، فأصاب رجلاً منا حجر فشججه

(١) أبو القاسم الحسين بن محمد الأصبهاني الملقب بالراغب ، صاحب التصانيف ومنها : الذريعة إلى مكارم الشريعة والمفردات في غريب القرآن وغيرها ( ت : ٥٠٢ هـ ) انظر سير أعلام النبلاء - الذهبي ١٢٠/١٨ : ٦٠ ومدخل المؤلفين - فكري ٥٢٨/١ .

(٢) انظر الذريعة إلى مكارم الشريعة - الأصفهاني ٢٢٢ .

(٣) المرجع السابق ٣٥٧ .

(٤) كلمة الحق في القرآن الكريم - الراوي ٦٠٠/٢ .

(٥) الجرح والتعديل - القاسمي ، تحقيق : محمد القاضي ٤٢ ، دار الحديث - مصر ، ط . د .

(٦) مقدمة ابن خلدون ١٤٠ .

(٧) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية - ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ٢٦٤/٥ ، جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية - الرياض ، ط : الأولى : ١٤٠٦ هـ .

(٨) كلمة الحق في القرآن الكريم - الراوي ٦١٦/٢ .

في رأسه ، ثم احتلم ، فسأل أصحابه فقال : هل تجدون لي رخصة في التيمم ؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة ، وأنت تقدر على الماء ، فاغتسل فمات ، فلما قدمنا على النبي - ﷺ - أخبر بذلك ، فقال : " قتلوه قتلهم الله ، ألا سألوا إذا لم يعلموا ، وإنما شفاء العي السؤال " (١) .

قال صاحب عون المعبود (٢) - رحمه الله تعالى - : " والمعنى أن الجهل داء ، وشفاءها السؤال والتعلم " (٣) ومما يذكر في هذا الصدد : أن أحد السلف بكى يوماً بكاءً شديداً ، فقيل له : أمصية نزلت بك ؟ فقال : لا ، ولكنه استفتي من لا علم عنده (٤) ونجد البغوي (٥) - رحمه الله تعالى - يشكو حال أهل زمانه من غلبة هوى النفوس والجهل عليهم (٦) .

ويتسع مفهوم الجهل ليشمل كل عاص لله - ﷻ - فيقول أبو العالية - رحمه الله تعالى - : " سألت أصحاب محمد - ﷺ - عن هذه الآية - يشير إلى قوله ﷺ : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ (٧) فقالوا لي : كل من عصى الله فهو جاهل ، وقال الحسن وغيره : إنما سموا جهالاً لمعاصيهم ، لا أنهم غير مميزين ، ومنه قول ابن مسعود - ﷺ - : كفى بخشية الله علماً ، وكفى بالإغترار بالله جهلاً " (٨) .

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة واللفظ له ، باب ( في المجرح يتيمم ) ٩٣/١ رقم : ٣٣٦ ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة ، باب ( في المجرح تصيبه الجنابة ) ١٨٩/١ رقم : ٥٧٢ ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٤١١/١ رقم : ٣٠٥٦ قال عنه الشيخ أحمد شاكر : اسناده صحيح والحديث ثابت وإن كان ظاهره الانقطاع . المسند - شاكر ٢٢/٥ رقم : ٣٠٥٧ ، وقال عنه الشيخ الألباني حسن انظر صحيح سنن أبي داود ٦٨/١ رقم : ٣٢٥ .

(٢) محمد شمس الحق العظيم أبادي الهندي أبو الطيب محدث من آثاره شرح كبير على سنن أبي داود ( ١٢٧٣ - .. هـ ) انظر معجم المؤلفين - كحاله ٧٢/١٠ .

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود - العظيم أبادي ٣٦٧/١ رقم : ٣٣٢ .

(٤) الحوادث والبدع - أبو بكر الطرطوشي ، تحقيق : علي بن حسن الحلبي الأثري ٧٧ ، دار ابن الجوزي - الدمام ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ .

(٥) الحسين بن مسعود بن محمد الفراء أبو محمد ، صاحب التفسير وشرح السنة وغيرها ، كان ديناً ورعاً زاهداً صالحاً وكان عالماً علامة ( ت : ٥١٦ هـ ) انظر سير أعلام النبلاء - النهي ٤٣٩/١٩ رقم : ٢٥٨ والبداية والنهاية - ابن كثير ٢٠٦/١٢ والأعلام - الزركلي ٢٥٩/٢ ومدخل المؤلفين - فكري ١٨٣/١ .

(٦) انظر شرح السنة - البغوي ٣/١ حيث ذكره في معرض حديثه عن مقصده بهذا الكتاب .

(٧) سورة النساء / جزء من الآية ١٧ .

(٨) مجموع فتاوى ابن تيمية - جمع ابن قاسم ٢٢/٧ - ٢٣ .

وقد عدّه ابن القيم - رحمه الله تعالى - من الأسباب المانعة من قبول الحق فقال : " وهذا السبب هو الغالب على أكثر الناس فإن من جهل شيئاً عاداه ، وعادى أهله " (١) إذ إن الجهل يحجز صاحبه عن ادراك الحق والوصول إليه ، قال الله - ﷻ - : ﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ﴾ (٢) قال القرطبي - رحمه الله تعالى - : " أي يجهلون الحق " (٣) وقال الشوكاني - رحمه الله تعالى - : " جهلاً يحول بينهم وبين درك الحق والوصول إلى الصواب " (٤).

كما أن الجهل يمنع صاحبه من الرؤية الواضحة الصائبة ، ويجعله يتبنى من القضايا والأراء ما فيه تلفه وعطبه وشاهد ما ذكر ما حصل لبني إسرائيل مع نبي الله موسى - ﷺ - حينما جاوز بهم البحر ، ورأوا ما رأوا فطلبوا حنيئذ مثل صنيع الذين شاهدوهم ، ونظيره ما حصل في أمة محمد - ﷺ - مع مسلمة الفتح - رضي الله تعالى عنهم - حينما مروا بشجرة ذات أنواط فطلبوا محاکاتهم أيضاً ، قال - ﷻ - عن الفئة الأولى : ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ﴾ (٥) قال القرطبي - رحمه الله تعالى - : " ونظيره قول جهال الأعراب وقد رأوا شجرة خضراء للكفار تسمى ذات أنواط يعظمونها في كل سنة يوماً ، فقالوا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط " (٦).

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى - ابن القيم ، تخریج : مصطفى الشليبي ٤١ ، مكتبة السوادي - جدة ، ط : الثانية : ١٤١٠هـ .

(٢) سورة الأنعام / الآية ١١١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٤٥/٧ .

(٤) فتح القدير - الشوكاني ٢٢٢/٢ .

(٥) سورة الأعراف / الآية ١٣٨ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٧٤/٧ ، وأخرجه الترمذي في كتاب الفتن ، باب ( ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم ) ٤١٢/٤ رقم : ٢١٨٠ ، وذكره ابن هشام في السيرة النبوية ٤٤٢/٤ ، وانظر السيرة النبوية الصحيحة - د. أكرم ضياء العمري ٤٩٧/٢ .

ولهذا نجد أن نبي الله موسى - ﷺ - قد استعاذ بالله أن يكون من الجاهلين ، فقال - ﷺ - حاكياً حال موسى مع قومه في شأن البقرة : ﴿ قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴾ (١) .  
قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : " يعني من السفهاء الذين يروون عن الله تعالى الكذب والباطل " (٢) .

وقال أبو عبد الله القرطبي أيضاً بعد أن ذكر بعضاً من الأقوال : " وفي هذا كله دليل على قبح الجهل ، وأنه مفسد للدين " (٣) وكيف لا يكون كذلك وقد عده ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس ، وذلك حين قال : " أعلم أن الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل " (٤) وقال في موضع آخر : " إن من جهل العلم مال إلى الهوى " (٥) .

وقد فقه المتربصون بالدين وأهله - سالفاً وآتفاً - هذا الأمر ، فهؤلاء المشركون من قريش كانوا يحدثون نوعاً من التشويش على القرآن حين يتلوه المصطفى - ﷺ - لتلا يستمع إليه ، فلا يفهم ، ومن ثم فلا يتبع ، قال الله - ﷻ - : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ (٦) .

قال القاضي ابن عطية الأندلسي - رحمه الله تعالى - : " قوله - ﷺ - حكاية لما فعله بعض قريش كأبي جهل وذلك أن رسول الله - ﷺ - كان يقرأ القرآن في المسجد الحرام ، ويصغي إليه الناس من مؤمن وكافر فخشى الكفار استمالة القلوب بذلك ، فقالوا : متى قرأ محمد فلنلغظ نحن بالمكاء والصفير والصياح وانشاد الشعر والأرجاز حتى يخفى صوته ، ولا يقع الاستماع منه .. وكانت غايتهم التي تمنوها طمس أمر محمد - ﷺ - وإماتة ذكره ، وصرف القلوب عنه " (٧) .

(١) سورة البقرة / جزء من الآية ٦٧ .

(٢) جامع البيان - ابن جرير ٣٣٧/١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٣٠٣/١ .

(٤) تلبس إبليس - ابن الجوزي ١٦٥ وانظر ٥١ .

(٥) انظر المرجع السابق ٢٩٧ ، وانظر الاعتصام - الشاطبي ٢٩/١ .

(٦) سورة فصلت / الآية ٢٦ .

(٧) المحرر الوجيز - ابن عطية ١٧٩/١٤ - ١٨٠ ، وانظر روح المعاني - الألوسي ١٨٣/١٣ .

وقال القاسمي - رحمه الله تعالى - عند قوله - ﴿ لعلكم تغلبون ﴾ (١): أي تصلون من أراد استماعه عن استماعه ، فلا يسمعه ، وإذا لم يسمعه ولم يفهمه لم يتبعه ، فتغلبون بكيدكم هذا حججه التي يغلب بها عقولكم " (٢).

وكما أن لقريش أسوة بغيرهم ، فلغيرهم أسوة بهم ، والكل قدوة في السوء .  
وخلاصة القول ومقصوده : إن الجهل والظلم منشئ للسيئات ، وإنه من أعظم الفتن والشرور - قديماً وحديثاً - ومن أكبر أسباب الضلال لأنهما يحولان بين صاحبهما وبين اتباع الحق (٣) ومن ثم يحملانه على اتباع الهوى " إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة ، وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية " (٤).

ولا شك أن هذين الجانبين متحققان في أصناف المدعويين من أهل الكتاب والمشركون والمنافقين وغيرهم ممن كان في العهد النبوي الشريف ، وبشيء من النظر والتأمل في سيرهم وأطوار حياتهم يتضح ما ذكر جلياً ولعله يأتي مزيد بيان في ثنايا هذا البحث فيما يتعلق بتقرير هذا الأمر بمشيئة الله تعالى .

(١) سورة فصلت / جز من الآية ٢٦ .

(٢) محاسن التأويل - القاسمي ٢٦٩/١٤ .

(٣) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية - جمع ابن قاسم ٢٨٧/١٤ وانظر الحسنة والسيئة - ابن تيمية ، تقديم : د. محمد غازي ٥٧ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط . د . وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية - جمع ابن قاسم ١٤٦/٢٨ .

(٤) زاد المعاد - ابن القيم ١٨/٣ .

## المطلب الرابع صفات الكبر والحسد

وهذان المرضان من الأدواء الخطيرة أيضاً ، وقد شهرا بصورة واضحة جلوية في أهل الكتاب ، وعلى الأخص في اليهود منهم ، كما بانا في المشركين والمنافقين وغيرهم ، مما قادهم جميعاً إلى الإعراض عن النهج السليم من بعد ما تبين لهم ، ورضوا بالانحطاط في دركات الهوى ومغباته .  
ومما يسفر هذا الجانب ويبينه ما يلي :

جاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود - ؓ - عن النبي - ﷺ - قال : " الكبر بطر الحق وغمط الناس " (١) .

قال النووي - رحمه الله تعالى - : " وأما بطر الحق فهو دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً " (٢) .

وقد كان لإبليس القدوة السالفة في الكبر والحسد ، فهو أول من سنهما للذرية ، نقل ابن عطية - رحمه الله تعالى - أثناء تفسيره لسياق الآيات المتحدثة عن امتناع إبليس من السجود لآدم - ؑ - قول مالك - رحمه الله تعالى - وهذا نصه : " بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكبر والشح ، حسد إبليس آدم وتكبر " (٣) .  
وقد سلك سبيله كل من لهم به أسوة ، كحال الشرذمة الذين استكبروا من الكفار ، قال - ؓ - :

﴿ لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً ﴾ (٤) والمعنى أنهم : " اضمروا الاستكبار عن الحق والعتاد في قلوبهم " (٥) وقد أشار ابن منظور (٦) - رحمه الله تعالى - إلى هذا المعنى حين قال : " واستكبار الكفار أن لا يقولوا لا إله إلا الله " (٧) وهكذا كان حال صناديد قريش كأبي جهل وغيره ، يشنون

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب ( تحريم الكبر وبيانه ) ٩٣/١ رقم : ٩١ .

(٢) شرح صحيح مسلم - النووي ٤٤٩/١ ، وانظر فتح الباري - ابن حجر ٣١٧/١٠ .

(٣) المحرر الوجيز - ابن عطية ١٨٠/١ ، وانظر أيضاً ص ٨ من هذا البحث .

(٤) سورة الفرقان / جزء من الآية ٢١ .

(٥) فتح القدير - الشوكاني ١٠٠/٤ .

(٦) محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل ابن منظور الأنصاري الأفريقي الإمام اللغوي الحجة ولد بمصر ، صاحب لسان العرب ( ت : ٧١١ هـ )

انظر الأعلام - الزركلي ١٠٨/٧ ومفتاح السعادة - كبرى زاده ١٢١/١ .

(٧) لسان العرب - ابن منظور ١٢٦/٥ ، دار صادر - بيروت ، ط : د . مادة ( كبر ) .

العطف ويلوون الجيد خيلاء وتكبراً عن الحق (١) وهو الداء ذاته المتكرر في صنديد الغرب الكافر وغيره إذ " إن الفساد الأكبر في المنهج الغربي هو الاستكبار عن عبادة الله ، واتخاذ آلهة أخرى أنداداً لله " (٢) وكما أن الكبر صارف عن الحق ، فإن الحسد أيضاً " داء نفسي وبيل ينبي عن خبث وشر يصرف صاحبه عن الحق - مع معرفته به - ويسوقه إلى الباطل مع ادراكه لسوء مغبته ، وقد وقع فيه إبليس من قبل ، كما وقع فيه كثير من أهل الكتاب حين جاءهم الحق " (٣) قال بعض السلف - رحمهم الله تعالى - : " أول خطيئة كانت هي الحسد ، حسد إبليس آدم - ﷺ - على رتبته ، فأبى أن يسجد له ، فحمله الحسد على المعصية " (٤) إذ إن الحسد " تمني زوال نعمة عمن يستحقها ، ولربما كان مع ذلك سعى في إزالتها " (٥) وقد كان ذلك من إبليس ، فالحسد من أكبر أسباب الهوى (٦) ومن أعظم الأسباب المبعدة عن الصواب ، ولهذا عده ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - من أعظم الأسباب الصارفة عن الحق حين قال : " ومن أعظم الأسباب الحسد ، فإنه داء كامن في النفس .. وهذا السبب وحده كاف في رد الحق " (٧) وقد بين القرآن الكريم طبيعة نفسيات الحاسدين كما قال الله - ﷻ - : ﴿ إِن تَمْسِكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ (٨).

قال القرطبي - رحمه الله تعالى - : " والمعنى في الآية : أن من كانت هذه صفته من شدة العدواة والحقد والفرح بنزول الشدائد على المؤمنين ، لم يكن أهلاً لأن يتخذ بطانة .. ولقد أحسن القائل في قوله :

- 
- (١) انظر التحرير والتنوير - ابن عاشور ٢٠٨/١٧ .  
(٢) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر - محمد قطب ٢١٢ ، دار الوطن - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ .  
(٣) كلمة الحق في القرآن الكريم - الراوي ٥٩٦/٢ .  
(٤) إحياء علوم الدين - الغزالي ١٦٣/٣ ، وانظر أيضاً ص ٩ وما بعدها من هذا البحث .  
(٥) الذريعة إلى مكارم الشريعة - الأصفهاني ٢٩٥ ، وانظر أيضاً زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي ١٣١/١ ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : الرابعة : ١٤٠٧ هـ .  
(٦) انظر الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام ، النشأة والأسباب - د. ناصر العقل ١٦٤ ، دار الوطن - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١٥ هـ .

(٧) هداية الحيارى - ابن القيم ٤١ - ٤٢ .

(٨) سورة آل عمران / جزء من الآية ١٢٠ .

كل العداوة قد ترجى إفاقتها إلا عداوة من عاداك من حسد (١)

ولقد أحسن أيضاً ابن حزم (٢) - رحمه الله تعالى - حين قال : " فإن ذوي التراكيب الخبيثة يبغضون لشدة الحسد من أحسن إليهم ، إذا رأوه في أعلى من أحوالهم " (٣) وبالنظر إلى واقع المدعويين - من أهل الكتاب والمشركون وغيرهم - من خلال سيرهم ومراقفهم حيال دعوة المصطفى - ﷺ - نجد مصداق وحقيقة ما ذكر أما ما يتعلق بأهل الكتاب ، فقد بين المولى - ﷺ - وجود هذا الداء الدفين فيهم خير بيان ، فقال تعالى : ﴿ بثسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ﴾ (٤) قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : " وهذه الآية وما أخبر الله فيها عن حسد اليهود محمداً - ﷺ - وقومه من العرب ؛ من أجل النبوة والحكمة فيهم دون اليهود من بني إسرائيل حتى دعاهم ذلك إلى الكفر به مع علمهم بصدقه ، وأنه نبي مبعوث ، ورسول مرسل " (٥).

وقال الله - ﷻ - : ﴿ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم ﴾ (٦) قال ابن عباس - ﷺ - : " هم يهود المدينة ، ونصارى نجران ، فالمشركون مشركوا أهل مكة " (٧) قال الشيخ محمد رشيد رضا (٨) - رحمه الله تعالى - : " يقول الله تعالى للمؤمنين إن هؤلاء الذين علمتم شأنهم مع أنبيائهم حسدة .. فهم لحسدهم لا يودون أن ينزل عليكم أدنى خير من ربكم .. أما أهل الكتاب فلحسدهم للعرب أن يكون فيهم الكتاب والنبوة ، وهو ما كانوا يحتكرونه لأنفسهم ، وأما

(١) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١١٨/٤ ، وانظر إحياء علوم الدين - الغزالي ١٦٤/٣ .

(٢) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم عالم الأندلس في عصره ، صنف الكتب المشهورة ومنها : الفصل في الملل والأهواء والنحل والمخلى وجوامع السيرة ومداواة النفوس رسالة في الأخلاق وغيرها ( ت : ٤٥٦ هـ ) انظر البداية والنهاية - ابن كثير ٨٩/١٢ والأعلام - الزركلي ٢٥٤/٤ .

(٣) مداواة النفوس - ابن حزم ، تحقيق : إبراهيم بن محمد ٣٣ ، مكتبة الصحابة - طنطا ، ط : الأولى : ١٤٠٧ هـ .

(٤) سورة البقرة / جزء من الآية ٩٠ .

(٥) جامع البيان - ابن جرير ٤١٦/١ ، وانظر أيضاً الشريعة - الآجري ٣ .

(٦) سورة البقرة / جزء من الآية ١٠٥ .

(٧) زاد المسير - ابن الجوزي ١٢٦/١ .

(٨) محمد رشيد بن علي رضا البغدادي الأصل ولد في طرابلس وتعلم فيها ، ثم رحل إلى مصر وأصدر مجلة المنار ، من تصانيفه تفسير القرآن الحكيم المسمى بتفسير المنار ، لم يكمل ( ت : ١٣٥٤ هـ بالقاهرة ) انظر معجم المؤلفين - كحاله ٣١٠/٩ والأعلام - الزركلي ١٢٦/٦ .



المشركون فلأن في التنزيل المرة بعد المرة من قوة الإسلام ورسوخه وانتشاره ما خيب آمالهم في تربصهم الدوائر بالنبي - ﷺ - وانتهاء أمره " (١).

وقد كان اليهود قبل المبعث يخبرون بقرب خروج نبي (٢) كما بينت أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب (٣) - رضى الله عنها - ما دار بين أيها وعمها عندما بعث الرسول - ﷺ - وملخصه : أن هذا النبي المبعوث هو هو المذكور في ثنايا كتبهم ، ولكنهم رفضوا الدعوة الجديدة ، وناصبوها العداً بغياً وحسداً من عند أنفسهم (٤) مع أنهم يعرفونه - ﷺ - كما يعرفون أبناءهم ، وكانوا بصفته عالمين ، قال الإمام ابن جرير - رحمه الله تعالى - : " وكان ممن تكبر عن الخضوع لأمر الله - ﷻ - الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله - ﷺ - وأخبارهم الذين كانوا برسول الله - ﷻ - وصفته عارفين ، وبأنه الله رسول عالمين ، ثم استكبروا مع علمهم بذلك عن الاقرار بنبوته ، والإذعان لطاعته بغياً منهم له وحسداً " (٥).

وأما ما يتعلق بالمشركين فهذا أمية بن أبي الصلت كان طالباً للحق باحثاً عنه ، فاطلع على كتب أهل الكتاب وقلب النظر فيها ، فلم ير فيها سبيل نجاة ، وأخبر بقرب خروج نبي من العرب ، فلما خرج كفر به بغياً وحسداً ، وكان الأولى بمثله اتباعه لحصول بغيته وضالته ، ولكنه الحسد الذي يفعل بصاحبه الأفاعيل فيبعده من الحق ، ويدنيه من الهوى ، وفي هذا الصدد قال الطاهر ابن عاشور - رحمه الله تعالى - : " إن أمية بن أبي الصلت الثقفي كان ممن أراد اتباع دين غير الشرك طالباً دين الحق ، ونظر في التوراة والإنجيل ، فلم

(١) تفسير القرآن الحكيم - محمد رشيد رضا ١/٤١٢-٤١٣ ، وعند قوله ﷺ : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ سورة البقرة / جزء من الآية ١٠٩ والمعنى : " أي نمتى وأراد كثيراً من أهل الكتاب من اليهود ﴿ لو يردونكم ﴾ معالم التنزيل : البغوي ١/١٣٦ وانظر أيضاً تيسير الكريم الرحمن - السعدي ١/١٢٤ " فأخبر تعالى أن حبهم زوال نعمة الإيمان حسد " الإحياء - الغزالي ١/١٦٥ " فهذا الود في أن يرتدوا عن الإسلام ويعودوا كفاراً كان نتيجة الحسد لتفضلهم عليهم به " الحديث النبوي وعلم النفس - د. محمد عثمان نجاتي ١١٠ ، دار الشروق ، ط : الأولى : ١٤٠٩ هـ .

(٢) انظر السيرة النبوية - ابن هشام ١/٢١١ وما بعدها ، فقد عقد فصلاً عن إنذار يهود برسول الله ﷺ ، وانظر الطبقات الكبرى - ابن سعد ١/٢٧٠ وما بعدها

(٣) صفية بنت حيي بن أخطب بن النضير ﷺ ، وهم من بني إسرائيل ، كانت زوج سلام بن مشكم اليهودي ثم حلف عليها كنانة بن أبي الحقيق فقتل عنها يوم خيبر ، واصطفاها رسول الله ﷺ يوم خيبر ، وكانت عاقلة من عقلاء النساء ( ت : ٣٦ وقيل ٥٠ هـ ) انظر أسد الغابة - ابن الأثير ٧/١٦٨ رقم : ٧٠٦٣ والاستيعاب - ابن عبد البر ٤/٤٢٦ رقم : ٣٤٣٩ .

(٤) انظر السيرة النبوية - ابن هشام ٢/٥١٩ .

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - ابن جرير ١/٢٢٨ ، وانظر أيضاً إغاثة اللهفان - ابن القيم ٢/٤٩٥ .

ير النجاة في اليهودية ولا النصرانية ، وتزهّد وتوحى الحنيفة دين إبراهيم ، وأخبر أن الله يبعث نبياً في العرب ، فطمع أن يكونه ، ورفض عبادة الأصنام وحرم الخمر .. فلما بعث محمد - ﷺ - أسف أن لم يكن هو الرسول المبعوث في العرب .. فلم يؤمن بالنبي - ﷺ - حسداً " وقال أيضاً في موضع آخر : " فهذا الضال تحمل كلفة اتباع الدين الصالح وصار يطلبه في حين كان غير مكلف بذلك في زمن الفترة ، فلقي من ذلك نصباً وعناء ، فلما حان حين اتباع الحق ببعثة محمد - ﷺ - تحمل مشقة العناد والإعراض عنه في وقت كان جديراً فيه بأن يستريح من عنائه لحصول طلبته " (١) كما أن أبا جهل وقريشاً كانوا يقرون بصدق المصطفى - ﷺ - وأمانته ، ويعلنون أنهم ما جربوا عليه كذباً (٢) " فلما جاءهم رسول الله - ﷺ - بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما حدث ، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم غيوب حين سأله عما سأله عنه ، حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه ، فعتوا على الله - ﷻ - وتركوا أمره عياناً " (٣) .

وخلاصة الحديث ومقصوده فيما يتعلق بهذه الأشياء النفسية المذكورة : أنها سبب من الأسباب الحاملة لكثير من الناس على اتباع الهوى ، والممانعة لهم من قبول الحق وتبنيه ، وأن كل من لا يسته ومازجته ووجدت إليه طريقاً ومسلكاً فأسوته الأولى في ذلك إبليس ، فإنه " قد جمع بين الجهل والظلم ، والكبر والحسد " (٤) وغيرها من الأمور .

(١) التحرير والتنوير - ابن عاشور ١٧٤/٩ - ١٧٧ .

(٢) انظر صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب ( قوله وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب ) ٣١٠/٦ رقم : ٤٦٨ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب ( في قوله تعالى : وأنذر عشيرتک الأقربين ) ١٩٣/١ رقم : ٢٠٨ ، ومسند الإمام أحمد ٥٤٦/٣ رقم : ١٥٤٨٢ .

(٣) السيرة النبوية - ابن هشام ٣١٣/١ .

(٤) انظر إغاثة اللهفان - ابن القيم ٢٨٩/٢ .

## المبحث الثاني الأسباب الخارجية لاتباع الهوى

### المطلب الأول تسلط الشيطان وسوسته

إن المتأمل في القرآن الكريم يلحظ أمراً يستدعي الانتباه ألا وهو تكرار الحديث عن الشيطان الرجيم وذلك في عدد كبير من الآيات البينات ، وبأساليب شتى مختلفة ، حيث نجد أن السياق الكريم يأتي تارة للتحذير من اتباع خطوات الشيطان وإبراز عداوته ، وتارة يرد ببيان أعماله ومفسداته (١) وكذلك قد عنيت السنة المطهرة - على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام - بإظهار هذا الجانب وإبرازه . ويوضح هذا الأمر ويجليه ما يلي :

قال الله - ﷻ - : ﴿ يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان ﴾ (٢) " وفتن الشيطان حصول آثار وسوسته ؛ أي لا تمكنوا الشيطان من أن يفتنكم ، والمعنى النهي عن طاعته " (٣) إذ إنه صاد عن الحق ، وصارف عن الدين كما قال القرطبي - رحمه الله تعالى - : " أي لا يصرفنكم الشيطان عن الدين " (٤) فهو شديد الصد عن سبيل الله - ﷻ - وقد روي في السيرة النبوية - على صاحبها أزكى السلام وأتم التسليم - ما يبين هذا الأمر عملياً ويؤكد ، إذ إنه حاول قتل الدعوة في مهدها ، ووثدها في مستهل حياتها - لتلك الحقبة - وذلك حين اجتمع الرسول - ﷺ - - بمن معه في العقبة على استخفاء من قومهم - حتى أنهم يتسللون تسلل القطا - فما كان من هذا العدو العنيد إلا أن صاح وصرخ بالقوم ؛ ليهبوا إلى تلك الفتنة ، فيفسدوا ما قرره ذلك

---

(١) فقد ورد لفظ الشيطان في القرآن الكريم ٦٨ مرة ، ولفظ الشياطين ١٧ مرة ، انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فواد عبدالباقى ٤٨٥ - ٤٨٦ ، ولزيد من الإيضاح انظر على سبيل المثال من عني بتصنيف آيات الكتاب العزيز نحو : تصنيف آيات القرآن الكريم - محمد محمود إسماعيل ٣٢٨/٢ - ٣٤١ ، دار اللواء - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١٣ هـ . وانظر أيضاً تفصيل آيات القرآن الحكيم - حول لآبوم ، ترجمة : محمد فواد عبدالباقى ١٧٣ و ٥٧٥ ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الثانية : ١٩٦٩ م ، وانظر أيضاً الجهاد في سبيل الله . حقيقته وغايته - د. عبدالله أحمد القادري ٣٩٢/١ - ٤٠٠ ، دار المنارة - جدة ، ط : الثانية : ١٤١٣ هـ ، حيث تحدث المؤلف عن بيان خطر الشيطان على النفس البشرية .

(٢) سورة الأعراف / جزء من الآية ٢٧ .

(٣) التحرير والتنوير - ابن عاشور ٧٧/٨ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٢٠/٧ .

الاجتماع الخير ، والذي به نجاتهم لو كانوا يفتقرون ، جاء في ذكر أحداث بيعة العقبة عن كعب - هـ - ما نصه : " فلما بايعنا رسول الله - هـ - صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل الجبابب - والجبابب المنازل ، والمراد منازل منى - هل لكم في مذمم والصبابة معه ، قد اجتمعوا على حربكم " (١) وليس من المستغرب صدور هذا الصنيع منه ، فهو للإنسان عدو مبين من مستهل خلقه وإلى أن يموت ، بل عدواته قديمة مع أبي البشر - هـ - كما تقدم بيان ذلك (٢).

جاء في الحديث عن أبي هريرة - هـ - قال : قال النبي - هـ - : " كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بإصبعه حين يولد ، غير عيسى بن مريم ، ذهب يطعن ، فطعن في الحجاب " (٣).

قال القرطبي - رحمه الله تعالى - : " هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسليط " (٤).

بل ورد ما يبين ملازمة الشيطان للإنسان ، فعن علي بن حسين - رضي الله عنهما - عن صفية بنت حيي - رضي الله عنها - قالت : " كان رسول الله - هـ - معتكفاً فأتته أزوره ليلاً ، فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام معي ليلتي - وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد - فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبي - هـ - أسرعا ، فقال النبي - هـ - علي رسلكما ، إنها صفية بنت حيي ، قالوا : سبحان الله يارسول الله ! قال : إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءاً ، أو قال شيئاً " (٥).

---

(١) السيرة النبوية - ابن هشام ٤٤٧/٢ ، وانظر أيضاً تاريخ الأمم والملوك - الطبري ٥٦٣/١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الثالثة : ١٤١١ هـ . و الوفا بأحوال المصطفى - ابن الجوزي ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ٢٣٠ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ . والطبقات الكبرى - ابن سعد ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ١٧٢/١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٠ هـ . ومن الملاحظ أن الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله رحمة واسعة - يرى أن الذي صرخ إنما هو رجل من المشركين كان يجول في مضارب الخيام ، ومنازل الحبيج ، وكان صوته جهيراً يوقظ النيام ، وقد علق الشيخ الألباني - حفظه الله تعالى - على هذا القول بأنه بعيد . انظر فقه السيرة - الغزالي ، تخريج : محمد ناصر الدين الألباني ١٦٢ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط : السابعة : ١٩٧٦ م .

(٢) انظر ص ٧ وما بعدها من هذا البحث .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب ( صفة إبليس وجنوده ) ٢٥٣/٤ رقم : ٩٣ :

(٤) فتح الباري - ابن حجر ٥٨١/٦ وانظر أيضاً لقط المرجان في أحكام الجان - السيوطي ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ٢٨٩ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٦ هـ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب ( صفة إبليس وجنوده ) ٢٥٢/٤ رقم : ٨٨ .

ولهذا أثر عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه كان يقول : " كيف نتجو من الشيطان وهو يجري منا بجرى الدم " (١).

ويؤكد تلك الملازمة أيضاً ما جاء من أن الشيطان يبست على الخيشوم .  
فعن أبي هريرة - ؓ - عن النبي - ﷺ - قال : " إذا استيقظ - أراه أحدكم - من منامه فتوضأ ، فليستثر ثلاثاً ؛ فإن الشيطان يبست على خيشومه " (٢).

قال بدر الدين العيني - رحمه الله تعالى - : " .. ظاهر الحديث يقتضي أن هذا يقع لكل نائم ولكن يمكن أن يقال : هذا يقع لمن لم يحتس من الشيطان بشئ من الذكر " (٣).

وقد أخبر المولى - ؓ - عن شدة عدواة الشيطان ، وذكر توعدده بإهلاك ذرية آدم - ؓ - واحتناكها ، والقعود لها بكل مرصد بغية إضلالها وإغوائها .

فقال الله - ﷻ - : ﴿ قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴿ (٤).

قال القاضي ابن عطية - رحمه الله تعالى - : " هذا تركيد من إبليس في أنه يجد في إغواء بني آدم " .  
وقال أيضاً : " ومقصد هذه الآية أن إبليس أخبر عن نفسه أنه يأتي إضلال بني آدم من كل جهة ، وعلى

كل طريق يفسد عليه ما أمكنه من معتقده وينسيه صالح أعمال الآخرة ويغريه بقيح أعمال الدنيا " (٥).  
فالشيطان قاعد لعباد الله يضلهم عن طريق الحق وسبيل النجاة ؛ لئلا يعبدوا الله ، ولا يوحدوه (٦).

(١) مكائد الشيطان - ابن أبي الدنيا ، تحقيق : مجدي السيد ٦١ ، مكتبة القرآن - القاهرة ، ط . د . وانظر أيضاً لقط المرجان - السيوطي . ٢٩٠ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب ( صفة إبليس وجنوده ) ٢٥٦/٤ رقم : ١٠٣ .

(٣) عمدة القاري - العيني ١٨٢/١٥ وانظر فتح الباري - ابن حجر ٤٢٢/٦ .

(٤) سورة الأعراف / الآية ١٦ - ١٧ .

(٥) المحرر الوجيز - ابن عطية ٢٢/٧ .

(٦) انظر تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١٩٥/٢ ، والبداية والنهاية - ابن كثير ، تحقيق : د. أحمد أبو ملحوم وآخرون ٦٧/١ ، دار الريان للتراث - القاهرة ، ط : الأولى : ١٤٠٨هـ ، والشريعة - الآجري ١٢ ، وانظر أيضاً المواجهة : الصراع مع الشيطان وحزبه - حسن قطامش ٣٦ وما بعدها ، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١٥هـ .

وقد جاء في الحديث عن سيرة بن أبي فاكه (١) قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : " إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام فقال : أتسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أهلك ؟ قال : فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة ، فقال : أتهاجر وتذر أرضك وسماءك ؟ وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول ، قال : فعصاه فهاجر ، قال : ثم قعد له بطريق الجهاد ، فقال له : هو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل ، فتكح المرأة ويقسم المال ، قال : فعصاه فجاهد .. " (٢).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " فالشيطان بالرصد للإنسان على طريق كل خير " (٣) ولا غرابة فهو الذي " طلب من الله - ﷻ - أن يؤخر أجله إلى يوم البعث حتى يتمكن من إغواء آدم - ﷺ - وذريته وقد أجابه الله - ﷻ - إلى ما طلب ، وقال له : ﴿ إنك من المنظرين ﴾ (٤) (٥) بل بلغ من عظيم كيدِه وشدة شغفه أنه يمي بني آدم السير في طريق الأهواء وركوبها ، قال البغوي - رحمه الله تعالى - عند قوله تعالى : ﴿ ولأمنينهم ﴾ (٦) : قيل : أمنينهم ركوب الأهواء " (٧).

وفي الحديث عن المصطفى - ﷺ - : " وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً " (٨).

(١) سيرة بن الفاكه ويقال ابن أبي الفاكه صحابي ﷺ نزل الكوفة ، قيل إنه مخزومي ( ت : ٨٧ هـ ) انظر أسد الغابة - ابن الأثير ٤٠٥/٢ رقم : ١٩٣٥ والإصابة - ابن حجر ٦٤/٣ رقم : ٣٠٨٠ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦٣٤/٣ رقم : ١٥٩٣٨ ، وأخرجه النسائي في كتاب الجهاد ، باب ( ما لمن أسلم وهاجر وجاهد ) ٣٢٩/٦ رقم : ٣١٣٤ قال عنه الألباني في صحيح سنن النسائي : صحيح ٦٥٧/٢ رقم : ٢٩٣٧ .

وانظر آكام المرجان في أحكام الجنان - الشبلي ، تحقيق : مصطفى عاشور ١٨٣ ، مكتبة الساعي - الرياض ، ط . د . ففيه تعليق مفيد إن شاء الله ، وانظر أيضاً مدارج السالكين - ابن القيم ٢٤٥/١ .

(٣) إغاثة اللهفان - ابن القيم ١٥١/١ .

(٤) سورة الأعراف / الآية ١٥ .

(٥) دعوة التوحيد - د. محمد خليل هراس ٧٩ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٦ هـ .

(٦) سورة النساء / جزء من الآية ١١٩ .

(٧) معالم التنزيل - البغوي ٢٨٩/٢ .

(٨) تقدم تخريجه ص ٥ من هذا البحث .

فهو حريص كل الحرص على تغيير فطرة الإسلام ، وحمل الناس على الأهواء ، قال بعض العلماء - رحمهم الله تعالى - : " إن الشيطان يأمر بالكفر ، وتغيير فطرة الإسلام التي فطر الله الخلق عليها " (١) .  
 وفي سبيل الوصول إلى الغاية التي ينشد لها بجده يعمل أعمالاً كثيرة ، ويسلك سبلاً شتى " من سبيل الباطل والتي ليس منها سبيل يهدي إلى الحق ، فيستزل الإنسان بكسبه ، ويستحوذ عليه بسعيه وعمله " (٢) .  
 وما ينبغي أن يتفطن له ههنا : أن سلطان الشيطان ووسوسته إنما هو على الذين يتولونه ، ولا سبيل له على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، كما قال الله - ﷻ - : ﴿ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴿ (٣) .

فسلطانه إنما هو على من اتبعه من الغاوين (٤) قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - : " ولما علم عدو الله إبليس أن المدار على القلب والاعتماد عليه ، أجلب عليه بالوساوس ، وأقبل بوجوه الشهوات إليه وزين له من الأحوال والأعمال ما يصد به عن الطريق ، وأمدته من أسباب الغي بما يقطعه عن أسباب التوفيق ، ونصب له من المصايد والحبال ما إن سلم من الوقوع فيها لم يسلم من أن يحصل له بها التعويق " (٥) وقال عاشور - رحمه الله تعالى - عند قول الله - ﷻ - : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ﴾ (٦) : فالانسلاخ عن الآيات أثر من وسوسة الشيطان وإذا أطاع المرء الوسوسة تمكن الشيطان من مقاده ، فسخره وأدام إضلاله " (٧) " فلا إله إلا الله كم فتن بسخره من إنسان ، وكم حال به بين القلب وبين الإسلام ؟ وكم جلا الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة وشنع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة ؟ وكم بهرج من الزيوف على الناقدين ، وكم روج من الزغل على العارفين ؟ فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والأراء المتشعبة ، وسلك بهم

(١) أضواء البيان - الشنقيطي ٤١٦/١ .

(٢) كلمة الحق في القرآن الكريم - محمد الراوي ٦١٠/٢ .

(٣) سورة النحل / الآية ٩٩ - ١٠٠ .

(٤) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٢١٦/٢ .

(٥) المرجع السابق ٧/١ .

(٦) سورة الأعراف / الآية ١٧٥ .

(٧) التحرير والتنوير - ابن عاشور ١٧٦/٩ وانظر أيضاً مصائب الإنسان من مكائد الشيطان - ابن مفلح ١٣ ، دار الفد العربي - القاهرة

ط . د ولقط المرجان - السيوطي ١٢٧ .

من سبل الضلال كل مسلك ، وزين لهم من عبادة الأصنام ، وقطيعة الأرحام ، وواد البنات ، ونكاح الأمهات ، ووعدهم الفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان " (١).

وهذا ظاهر في أهل الكتاب وكفار مكة وغيرهم من أهل الشرك والانحراف ، ويؤكد هذا الأمر ويقرره ما حصل لهم مع رسول الله - ﷺ - من مواقف مردية وأخر مخزية ، وقد بين الشوكاني - رحمه الله تعالى - أن الكفار استجابوا لإيحاء الشيطان حين قال : " وقد فعل الكفار ذلك (٢) امتثالاً لأمر الشيطان واتباعاً

لرسمه " (٣) فهو سبب من الأسباب المؤدية إلى تزيين عبادة الأصنام ورد الحق بعد ظهوره ، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " ومن أسباب عبادتها أيضاً - يشير إلى الأصنام - أن الشياطين تدخل فيها ، وتخطبهم منها ، وتخبرهم ببعض المغيبات ، وتلهم على بعض ما يخفى عليهم ، وهم لا يشاهدون الشياطين " (٤).

وقال القاضي البيضاوي - رحمه الله تعالى - عند قول الله ﷻ : ﴿ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (٥) : وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره " (٦) فهو يريهم سبي الأعمال حسناً (٧).

ولم يكف الشيطان بهذا ، بل أبقى إلا المشاركة الفعلية في إضلالهم وإغوائهم ، وما يوم بدر عنا يبعيد وذلك أنه " لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر ، فكاد ذلك يشيهم ، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك (٨) وكان من أشرف بني كنانة ، فقال لهم : أنا لكم جار من أن تأتكم

(١) إغاثة اللهفان - ابن القيم ١٧٦/١ .

(٢) إشارة لما ورد في الآية الكريمة من سورة النساء / الآية ١١٩ ﴿ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتِكُنْ آذَانَ الْأَنْعَامِ .. ﴾ .

(٣) فتح القدير / الشوكاني ٧٧٩/١ .

(٤) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٣١٩/٢ .

(٥) سورة القمر / الآية ٣ .

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل / البيضاوي ٤٤٥/٢ .

(٧) انظر محاسن التأويل - القاسمي ٤٨/١٥ ، وقد بوب الإمام الآجري في الشريعة : باب ذكر ما أخبر الله - ﷻ - أنه أرسل الشياطين على الكافرين فيضلونهم ١٥٨ فليراجع .

(٨) سراقه بن مالك بن حشم بن مالك المدلجي الكناني يكنى أبا سفيان ، ورد أنه أدرك رسول الله ﷺ وصاحبه ﷺ وهما في طريق الهجرة إلى المدينة ليظفر بالجعل المعلن من قريش ، فكان في أول النهار طالبا لهما وفي آخره حارساً أميناً عليهما ، فقد طلب من الرسول أن يدعو له ووعد بتعمية الطلب من ورائه ، ألبسه الفاروق سوارى كسرى ومنطقته وتاجه المبشر بها ( ت : ٢٤ هـ ) انظر الاستيعاب - ابن عبد البر ١٤٨/٢ رقم : ٩٢١ وأسد الغابة - ابن الأثير ٤٢١/٢ رقم : ١٩٥٥ .



كثانة من خلفكم بشئ تكروهونه ، فخرجوا سراعاً " (١) ويذكر أنه بعد أن رأى جند الله قد نزلت من السماء فر ونكص على عقبيه ، وهكذا نجده أوردتهم ثم أسلمهم بعد أن تبرأ منهم ، وادعى خوفه من الله رب العالمين ، وكما قال الأول :

دلاهم بفرور ثم أسلمهم إن الخبيث لمن والاه غرار (٢).

وخلاصة القول ومقصوده : " إن فتن الشيطان ومكايده كثيرة ، ولكثرتها وتشبثها بالقلوب عزت السلامة " (٣) إذ إنه " يطيف بالعبد من أين يدخل عليه فلا يجد عليه مدخلاً ولا إليه طريقاً إلا من هواه " (٤) " والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس ، والعبور من بعض الثلم ، وللعُدو حملات ، فتارة يحمل فيدخل الحصن ، فيكر عليه الحارس فيخرج ، وربما دخل فعاث ، وربما أقام لغفلة الحارس ، وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستخدم وأقيم يستنبط الحيل في موافقة الهوى ومساعدته وربما صار كالفقيه في الشر " (٥) " فهو صاحب الأبرين حين أخرجهما من الجنة ، وصاحب قاييل حين قتل أخاه ، وصاحب قوم نوح حين أغرقوا ، وقوم عاد حين أهلكوا بالريح العقيم ، وصاحب قوم صالح حين أهلكوا بالصيحة ، وصاحب فرعون وقومه حين أخذوا الأخذة الراية ، وصاحب قريش حين دعوا يوم بدر ، وصاحب كل هالك ومفتون " (٦).

(١) السيرة النبوية - ابن هشام ٦١٢/٢ ، وانظر أيضاً سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - محمد بن يوسف الصالحى الشامي ، تحقيق إبراهيم التزوي وزميله ٣٦/٤ ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة ، ط . د . : ١٤١١ هـ .

(٢) انظر المرجع السابق ٦٦٣/٢ وزاد المعاد - ابن القيم ١٨١/٣ ، ولقط المرجان - السيوطي ٢٧٤ ، وللإطلاع على مواقف آخر انظر مصائب الإنسان من مكائد الشيطان - ابن مفلح ١١٠ وما بعدها وإغاثة اللهفان - ابن القيم ١٧٤/١ .

(٣) تلبس إبليس - ابن الجوزي ٤٥ .

(٤) بدائع التفسير - جمع يسري السيد ٣٥٢/٣ .

(٥) تلبس إبليس - ابن الجوزي ٥٠ .

(٦) سبق ذكره ص ١٥ من هذا البحث .

## جهود أهل الكتاب والمتركين والمنافقين في نشر الأهواء

### تمهيد :

إن من أعظم العقبات التي تقف في وجه الحق وانتشاره عقبة أعداء الإسلام الذين يتربصون به وبأهله الدوائر ، فلا يألون جهداً في محاربتة ، ولا يدخرون وسعاً في كل ما من شأنه تحطيم أو اضعاف صرح الحق وبنائه بشتى الأهواء ، والتي يسعون جهدهم في نشرها وبثها بكافة الطرق والوسائل . وإن من أبرز وأخطر الأعداء الذين جابهوا الدعوة في العهد النبوي – على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى السلام – تلك الفئات النكدة التي سببت الكثير من المعاناة للمسلمين وهم :

- أهل الكتاب وعلى الأخص اليهود منهم .

- المشركون .

- المنافقون .

وما سيتناوله هذا المبحث - بحسب شريعة الله تعالى - هو الحديث عن هذه الفئات ، وذلك ببيان شئ من الجهود التي يقومون بها لنشر الأهواء وترويجها .

## المطلب الثاني جهود أهل الكتاب في نشر الأهواء :

إن مما يعلم من نصوص الكتاب والسنة أن أهل الكتاب جاءهم الحق واضحاً جلياً ، فاتخذوه وراءهم ظهرياً ، وأعرضوا عنه على الرغم من أنهم ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ (١) فهم " يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول - ﷺ - كما يعرف أحدهم ولده " (٢) إذ إنهم " أمروا أن يؤمنوا به ، فعلمناؤهم عاندوا وجهالهم قلدوا " (٣) ويدل على معرفتهم بفساد منهجهم وبطلانه - قبل البعثة - وعلمهم بأنه قد حان ظهور النبي الموعود به في كتبهم ، ما ورد في حديث عبد الله بن عمر (٤) - ﷺ - من أن النبي - ﷺ - لقي زيد بن عمرو بن نفيل ، ومما جاء فيه : " أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينهم ، فقال إني لعلي أن أدين دينكم ، فأخبرني ، فقال : لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله - ﷻ - قال زيد ما أفر إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً أو أني أستطيعه ، فهل تدلني على غيره ، قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً ، قال زيد : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، ولا يعبد إلا الله ، فخرج زيد فلقي عالماً من النصارى فذكر مثله " (٥) .

وعندما بعث المصطفى - ﷺ - ما كان من أكثرهم إلا معاندة الحق ومشاقة الله ورسوله ، حتى إن الرسول - ﷺ - يقسم لليهود أنهم يعلمون بنبوته ، ويمثله صنع عبد الله بن سلام (٦) - ﷺ - معهم ، وذلك كما جاء في الحديث الذي يرويه أنس بن مالك - ﷺ - ومما ورد فيه : " فقال رسول الله - ﷺ - يامعشر اليهود ويلكم

(١) سورة البقرة / جزء من الآية ١٤٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١٨٤/١ ، وانظر فتح الباري - ابن حجر ٣٥٠/٧ وسبل الهدى والرشاد - الصالحى ٥٥٦/٣ ، ١٣/٥

(٣) تلبس إبليس - ابن الجوزي ٨٩ - ٩١ .

(٤) عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن ﷺ كان من أهل الورع والعلم ، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه وكل ما يأخذ به نفسه ( ت : ٧٣ هـ بمكة ) انظر الاستيعاب - ابن عبد البر ٨٠/٣ رقم : ١٦٣٠ وأسب الغابة - ابن الأثير ٣٣٦/٣ رقم : ٣٠٨٢ .

(٥) سبق تخريجه ص ٤٠ من هذا البحث .

(٦) عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف ﷺ من ذرية يوسف النبي ﷺ ، كان من بني قينقاع ، أسلم أول ما قدم النبي ﷺ المدينة ( ت : ٤٣ هـ بالمدينة ) انظر الإصابة - ابن حجر ٨٠/٤ رقم : ٤٧١٦ .

اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً ، وأني جنتكم بحق ... فخرج  
- أي عبداً لله بن سلام هـ - فقال : يامعشر اليهود اتقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، وأنه  
جاء بحق " (١) .

ومما يذكر عن اليهود في سبب سكناهم خبير أنهم " إنما قصدوا تلك الناحية لما كانوا وعدوا به من ظهور  
رسول الله " (٢) والأمر كذلك فيما يتعلق بالنصارى ، وما وفد بجران الذين رفضوا المباشلة - خوفاً من  
كونه نبي زعموا - إلا دليل على عنادهم وبغيهم (٣) وعلى كل " فالنصارى أتباع كل ناعق ، مستحيون  
لكل محرق ومبطل " (٤) فلا غرابة في جحدهم رسالة محمد - ﷺ - وقد سبوا الله رب العالمين (٥) .  
ولم يقف الأمر عند هذا الحد - من النكران ورفض الاعتراف - بل تجاوزه إلى قيامهم بجهود كبيرة تهدف في  
جملتها إلى الكيد للإسلام وأهله - كيف وهم أئمة الضلال - فبذلوا في سبيل ذلك شتى الطرق وصنوف  
المكر والحيل ، بل بلغ كيدهم في محاولة حمل دعواتهم وهداتهم على اتباع الهوى ، هذا وبالإضافة إلى ما في  
كتابهم المحرف (٦) من عقائد فاسدة ضالة في الله - ﷻ - وفي أنبيائه - عليهم الصلاة والسلام - وفي التعامل  
مع الأميين - فيما يتعلق باليهود - حيث تدعو جميعها إلى الإفساد في الأرض واتباع مختلف الأهواء .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب ( هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة ) ١٦١/٥ رقم : ٣٩٢ ، وقد ذكر ابن تيمية - رحمه الله  
تعالى - الأوجه التي تبين صدق الرسالة عند أهل الكتاب ، انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ابن تيمية ٣٥٩/٢ وما بعدها  
وللاستزادة انظر كتاب ماذا تقول التوراة والإنجيل عن محمد - أحمد ديدات ، ترجمة وليد عثمان ، دار ابن الجوزي - الدمام ، ط : الأولى :  
١٤١٠هـ .

(٢) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٤٩٥/٢ .

(٣) انظر صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب ( قصة أهل بجران ) ٥/٦ رقم : ٣٧٣ .

(٤) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٤٠٣/٢ .

(٥) انظر هداية الحيارى في أحوبة اليهود والنصارى - ابن القيم ٤٧ وسيأتي مزيد بيان - إن شاء الله - لهذا في نهاية هذه النقطة .

(٦) وللإطلاع على شيء مما حصل في كتب القوم من التحريف والتبديل : انظر على سبيل المثال : إغاثة اللهفان - ابن القيم ٤٨٠/٢

حيث بين - رحمه الله تعالى - أقوال الناس في التوراة ، وانظر هداية الحيارى - ابن القيم ، وانظر مقدمة المحقق لكتاب الرد الجميل لإلهية

عيسى بصريح الإنجيل - أبو حامد الغزالي ، تحقيق : د. محمد الشرقاوي ، دار أمية - الرياض ، ط : الأولى : ١٤٠٣هـ ، ٧٠ وما بعدها

حيث بين المحقق ما بها من تحريف ، مع إحالاته إلى كتب تحدثت في نفس الموضوع ، وانظر الكتاب نفسه للغزالي ١٠٥ وما بعدها

والأسفار المقدسة قبل الإسلام - د. صابر طعيمة ، عالم الكتب - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٦هـ ، ومحاضرات في النصرانية - محمد أبو

زهرة ، دار الفكر العربي - القاهرة ، ط . د وأخيراً انظر صيحة تحذير من دعاة التنصير - محمد الغزالي ، دار الصحوة - القاهرة ، ط :

الأولى : ١٤١٢هـ ، وقد تحدث عن المقصود في أماكن شتى .

وإن الناظر في كتابهم المقدس بعهديه القديم والجديد يجد مصداق وحقيقة ما ذكر ، بل إن الدهشة والذهول يجيطان بالباحث عندما يتنقل من إصحاح إلى آخر ، ويقلب النظر في تلك الأسفار فيخرج بشعور مفاده أن طبيعة أهل الكتاب لا تنفك - في الغالب - عن ديانتهم وعقيدتهم التي شكلوها وفق ميولهم وأهوائهم .

وقد أبان القرآن الكريم جهود أهل الكتاب في نشر الأهواء ، قال الله تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ (١) قال ابن جزئ الكلبي - رحمه الله تعالى - عند قوله ﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم ﴾ : " قيل أئمتهم في دين النصرانية كانوا على ضلال في عيسى ، وأضلوا كثيراً من الناس ، ثم ضلوا بكفرهم بمحمد - وقيل هم اليهود " (٢) وقال الرازي - رحمه الله - : " إنه تعالى وصفهم بثلاث درجات في الضلال فبين أنهم كانوا ضالين من قبل ، ثم ذكر أنهم كانوا مضلين لغيرهم ، ثم ذكر أنهم استمروا على تلك الحالة حتى أنهم الآن ضالون كما كانوا " (٣) .

وقد كتب شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في رسالته القبرصية إلى ملك قبرص ما نصه : " وكانت بنو إسرائيل أمة قاسية عاصية ، تارة يعبدون الأصنام والأوثان ، وتارة يعبدون الله ، وتارة يقتلون النبيين بغير الحق ، وتارة يستحلون محارم الله بأدنى الحيل " (٤) وقال أيضاً - رحمه الله تعالى - ناعثاً حالهم ومبيناً أن عملهم كعمل فرعون : " ولهذا أخبر الله تعالى عنهم بنظير ما أخبر به فرعون " (٥) فهم أمة فساد وبغي .

(١) سورة المائدة / الآية ٧٧ .

(٢) التسهيل - ابن جزئ الكلبي ٣٣١/١ ، وانظر روح المعاني - الألوسي ٣٠٨/٤ .

(٣) التفسير الكبير - الرازي ٥٣/١٢ .

(٤) الرسالة القبرصية - ابن تيمية ، تحقيق : علي المدني ١٧ ، دار المدني - جدة ، ط . د : ١٤٠٦ هـ .

(٥) الحسنه والسيئة - ابن تيمية ٨٦ ، " ما أخبر به فرعون " هكذا دونت ولعل الصواب عن فرعون .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - عند قوله - ﷺ - : ﴿ ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين ﴾ (١) " أي من سجتهم أنهم دائماً يسعون في الإفساد في الأرض ، والله لا يحب من هذه صفة " (٢).

وكان مما فعلوه ترويحاً لباطلهم ، ودحضاً للحق المنزل من عند الله - ﷻ - ما قاموا به من نشر الشبهات والشهوات ، وما حادثة تحويل القبلة عنا ببعيد ، فقد انتهزها اليهود وأخذوا يشككون من خلالها فاستجاب لهم نفر من ضعاف القلوب ، فرجعوا عن دينهم (٣) وما طعنهم في جبريل حامل الوحي - عليه السلام - وقولهم إنه عدو لهم إلا من هذا القبيل (٤) وبنحوه ما يطرحونه من أسئلة التعنت ، وما يلقنونه قريشاً من تلك الأسئلة ؛ ليحاربوا بها النبي - ﷺ - ويخرجوه بزعمهم إلا دليل على ما ذكر أيضاً (٥) وما محاولاتهم لتشويه العقيدة بجلهم العقيم واستفساراتهم المغرضة إلا سند آخر ، فقد " قال أبو رافع القرظي - حين اجتمعت الأحزاب من يهود ، والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ - : أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ وقال رجل من أهل نجران نصراني - يقال له الرئيس - : أوداك تريد منا يا محمد وإليه تدعوننا ؟ أو كما قال " (٦) فتعوذ رسول الله - ﷺ - بالله من تلك المقولة ، وبين لهم أنه - ﷺ - ما بذلك بعثه الله - ﷻ - ولا أمره به ، هذا بالإضافة إلى إدعاء نصارى نجران بأن الله - ﷻ - هو المسيح بن مريم ، وأن المسيح ابن الله ، وأنه ثالث ثلاثة ، وإدعاء اليهود أن عزيزاً ابن الله ، فكذب الرسول - ﷺ - قول الجميع وأبطل دعواهم (٧).

(١) سورة المائدة / جزء من الآية ٦٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٧٢/٢ .

(٣) انظر صحيح البخاري ، كتاب ما جاء في تفسير القرآن ، باب ( وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم .. ) ٤٩/٦ رقم : ١٥

وانظر فتح الباري - ابن حجر ٢١٦/٨ رقم : ٤٤٨٦ ، والتسهيل - ابن حزم ١١٠/١ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن - القرظي ٢٧/٢ وأسباب النزول - الواحدي ٢٥ وإغاثة اللهفان - ابن القيم ١٧٥/٢ .

(٥) انظر السيرة النبوية - ابن هشام ٣٠٠/١ ، ٥٧١/٢ .

(٦) للرجع السابق ٥٥٤/٢ وانظر تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣٥٦/١ وأسباب النزول - الواحدي ٩٦ .

(٧) انظر المرجع السابق ٥٧٠/٢ - ٥٧٥ ، وسبل الهدى والرشاد - الصالحى ٦٤٣/٦ وزاد المعاد - ابن القيم ٦٢٩/٣ وما بعدها وما ورد

في ذلك من آيات الكتاب العزيز .

وقد كان من حيلهم العملية لبث الشك والريب في النفوس دخولهم في الإسلام نفاقاً ، ثم خروجهم منه حيث اجتمع نفر من أهل الكتاب فقال " بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة زنكفر به عشية ؛ حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع ، ويرجعون عن دينه " (١).

وقد ذكر الله - ﷻ - ذلك الصنيع منهم فقال - ﷻ - : ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ﴾ (٢).

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم ، وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار ، ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح ، فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ؛ ليقول الجهلة من الناس : إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين " (٣).

وبلغ الأمر بزعيم من زعماء يهود يقال له : كعب بن الأشرف - وهو الأرذل - أن يتشيب بنساء المسلمين وينشر فحشاً من القول ، قال عنه ابن حجر - رحمه الله تعالى - : " فرجع كعب إلى المدينة وتشيب بنساء المسلمين حتى آذاهم " (٤).

ومع ما ذكر - وهو قليل مما يفعلون - فإن محاولات القوم تجاوزت إلى أنبياء الله ورسله - عليهم الصلاة والسلام - ليفتنوهم ويصرفوهم عما هم عليه ، ومن ثم يحملونهم على اتباع أهوائهم ، فيجعلون من القائد مقوداً ، ومن التابع متبوعاً ، وليس هذا الصنيع منهم خاصاً في عهد النبوة - على صاحبه الصلاة والسلام - بل إن تاريخهم مع الهداة حافل بمثل هذه المحاولات الضالة الآثمة ، قال الله - ﷻ - : ﴿ لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون ﴾ (٥).

(١) المرجع السابق ٥٥٣/٢ .

(٢) سورة آل عمران / الآية ٧٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣٥٢/١ ، وانظر إغاثة اللهفان - ابن القيم ٤٦٠/٢ .

(٤) فتح الباري - ابن حجر ٤٢٨/٧ وللإطلاع على مزيد من مكرهم وخبتهم انظر المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف

الإسلام منهم - د. سميرة محمد جمجوم ٢١٩ وما بعدها ، ٢٩١ وما بعدها ، دار المجتمع - جدة ، ط . د . ١٤٠٧ هـ .

(٥) سورة المائدة / الآية ٧٠ .

قال الطاهر ابن عاشور - رحمه الله تعالى - عند تفسيره لهذه الآية الكريمة : " وهذا تعليم عظيم من القرآن بأن من حق الأمم أن تكون سائرة في طريق إرشاد علمائها وهداتها ، وأنها إذا رامت حمل علمائها وهداتها على مسaire أهوائها ، بحيث يعصون إذا دعوا إلى ما يخالف هوى الأقوام فقد حق عليهم الخسران كما حق على بني إسرائيل ؛ لأن في ذلك قلباً للحقائق ، ومحاولة انقلاب التابع متبوعاً والقائد مقوداً " (١).

ولقد ذم الله - ﷻ - أهل الكتاب بما ارتكبه من المآثم والمحارم (٢) كما بين سبحانه وتعالى محاولة القوم فتنة الرسول - ﷺ - فقال تعالى : ﴿ واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ (٣).

قال ابن اسحاق (٤) - رحمه الله تعالى - : " وقال كعب بن أسد وابن صلوياء وعبد الله بن صوريا وشأس بن قيس بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد لعننا نفتنه عن دينه ، فإنما هو بشر " (٥). بل إن سوء معتقدهم ودناءة نفوسهم قادتهم إلى التكذيب والقتل للهداة الدعوة من أنبياء الله ورسله - عليهم الصلاة والسلام - فقال تعالى حاكياً ذلك الصنيع منهم : ﴿ كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون ﴾ (٦).

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله تعالى - : " كلما جاءهم رسول لنا بما لا تشتهي نفوسهم ، ولا يوافق محبتهم كذبوا منهم فريقاً ، ويقتلون منهم فريقاً " (٧) وقال ابن عاشور - رحمه الله تعالى - : " فإن استمرار

(١) التحرير والتنوير - ابن عاشور ٢٧٤/٦ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣٣٥/١ .

(٣) سورة المائدة / جزء من الآية ٤٩ .

(٤) محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة ولد سنة ثمانين ورأى أنس بن مالك ﷺ بالمدينة وسعيد بن المسيب ( ت نحو : ١٥٠ هـ )

انظر سير أعلام النبلاء - الذهبي ٣٣/٧ رقم : ١٥ ومدخل المؤلفين - فكري ٦٣/١ .

(٥) السيرة النبوية - ابن هشام ٥٦٧/٢ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٣٨/٦ ومعالم التنزيل - البغوي ٦٦/٣ وأسباب النزول

- الواحدي ١٦٧ .

(٦) سورة المائدة / جزء من الآية ٧٠ .

(٧) جامع البيان - ابن جرير ٣١١/٤ .



صنيعهم ذلك مع جميع الرسل في جميع الأوقات دليل على أن التكذيب والقتل صار سجيتين لهم لا تتخلفان " (١).

ويروى أن بني إسرائيل كانوا يقتلون في اليوم ثلاثمائة نبي ، ثم تقوم سوقهم آخر النهار " (٢).

وقد حاول اليهود مراراً قتل المصطفى - ﷺ - فمن ذلك إهداؤهم الشاة المسمومة له - ﷺ - بخير (٣).

وكسحروهم له - ﷺ - بواسطة رجل من بني زريق يقال له : لبيد بن الأعصم (٤) حيث ذكر أن رؤساء اليهود جاءت إلى لبيد بن الأعصم - وكان حليفاً في بني زريق وكان ساحراً - فقالوا له : يا أبا الأعصم أنت أسحرنا وقد سحرنا محمداً فلم نصنع شيئاً ، ونحن نجعل لك جعلاً على أن تسحره لنا سحراً ينكوه فجعلوا له ثلاثة دنانير " (٥).

وقد كانت لهم محاولات أخرى ، كانتهازم فرصة مجئ المصطفى - ﷺ - إليهم بشأن دية العامرين ، فخلأ بعضهم ببعض فقالوا : " لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن ، فمن رجل يظهر على هذا البيت ، فيطرح عليه صخرة ؛ فيريحنا منه ؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب : أنا ، فأتى رسول الله - ﷺ - الخبير فانصرف عنهم " (٦).

ويضاف إلى ما سبق جهد القوم في إثارة النعرات وإحياء الثارات ، وتحزيب الأحزاب على المسلمين وإعانة المنافقين لهدم صرح الدين ، ومما يذكر في هذا الصدد أن للنصارى جهداً في بناء مسجد الضرار كفرةً

(١) التحرير والتنوير - ابن عاشور ٢٧٣/٦ ، ٥٩٦/١ وانظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل - البيضاوي ٧٤/١ وتفسير القرآن الحكيم - محمد رشيد رضا ٣٧٧/١ .

(٢) المحرر الوجيز - ابن عطية ٢٨٧/١ وانظر روح المعاني - الألوسي ٥٠٠/١ .

(٣) انظر صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب ( الشاة التي سمت للنبي ﷺ بخير ) ٢٩٠/٥ رقم : ٢٦١ وصحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب ( السم ) ١٧٢١/٤ رقم : ٢١٩٠ .

(٤) انظر صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب ( السحر .. ) ٢٤٥/٧ رقم : ٧٧ .

(٥) فتح الباري - ابن حجر ٢٧٨/١٠ رقم : ٥٧٦٣ .

(٦) السيرة النبوية - ابن هشام ٥٦٣/٢ ، وانظر معالم التنزيل - البغوي ٢٨/٣ وعامس التأويل - القاسمي ١١٩/٦ وانظر محاولات اغتيال النبي - عبد المنعم الهاشمي ٨٤ وما بعدها ، ١١٢ ، مكتبة البخاري - الكويت ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ .

وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرساداً لمن حارب الله - ﷻ - ورسوله ﷺ (١) وسيأتي له مزيد بيان - إن شاء الله تعالى - أثناء الحديث عن جهود المنافقين في نشر الأهواء (٢) .

والمقصود بيان : " أن القوم بيت الحيل والمكر والخبث ، وأنهم كانوا يتنوعون في عهد رسول الله - ﷻ - بأنواع الحيل والكيد والمكر عليه وعلى أصحابه " (٣) والتي من أخطرها وأنكبتها جرحاً محاولة قتله - ﷻ - " والذين يقتلون النبيين ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، لا يبالون بعد ذلك بجرمة أحد ، ولا يتورعون عن إيقاد نار حرب يبدو لهم فيها سراب ، أو يتوهمون من ورائها تحقيق كيد ، ولا تشقى الإنسانية بشئ كما تشقى بهؤلاء " (٤) .

ومما تقدم عرضه وذكره يتضح أن لأهل الكتاب جهوداً مستمرة في الكيد لدين الإسلام وأهله ، وقد اتخذت تلك الجهود صوراً وأشكالاً متنوعة : فحيناً يشككون في مصدر الرسالة ، وحيناً ينشؤون الشبه والشبهات وحيناً يتبنونها ، ولهم في تنفيذ ذلك طرقهم المختلفة .

ولعله من المناسب - قبل أن أختتم الحديث حول هذا الأمر - أن أسرد بعضاً من نصوصهم المحرفة ؛ ليتقرر ما سبق تقريره ، ويزداد بياناً ما سلف تبيانه ، حيث إن المطلع على شئ مما جاء في كتب القوم يخرج بقناعة مفادها : أن طبيعة أهل الكتاب ملازمة - في الغالب - لعقيدتهم ؛ أي أنهم ينطلقون من خلالها ، ويتوجهون بتوجيهاتها (٥) وأنها - أي كتب القوم - كتب وأسفار - في جملتها - تسعى لنشر الأهواء ، وحمل الناس عليها .

وسأتناول هذه الجزئية - باختصار - من خلال ثلاثة محاور تبين عقيدتهم في الله - ﷻ - وفي الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وما جاء في تلك الكتب من الحث على نشر الفواحش ، ثم بيان أن الأسفار اليهودية تأمر بإبادة البشر ، وسأثبتها هنا دون التعرض لكل منها بتعليق ؛ حيث أن ما جاء في سطورها كاشفاً لراميها وفاضحاً لزييفها وأباطيلها ، فهي بذاتها تدل على وهن وهزال في نفسها ، ويدل على المقصود ما يلي :

(١) وللإطلاع على ما ذكر انظر صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب ( قتل كعب بن الأشرف ) ٢٠٨/٥ رقم : ٨٠ وتاريخ الأمم

والملوك - الطبري ٩٠/٢ والتفسير الكبير - الرازي ١٥٤/١٦ وأسباب النزول - الواحدي ٢١٩ .

(٢) انظر ص ١٠٠ من هذا البحث .

(٣) إغانة اللهفان - ابن القيم ٤٥٦/٢ .

(٤) كلمة الحق في القرآن الكريم - الراوي ٧٤٥/٢ .

(٥) المقصود تلك العقيدة المحرفة الموافقة لأهوائهم وميولهم .

جاء في سفر التكوين أن الرب عندما اطلع على وجه الأرض فرأى الإنسان شعباً واحداً ، وتجمعه لغة واحدة ، خشى المنافسة على ألوهيته منهم ، فنزل إليهم وبلبلهم ، ومنه سميت مدينتهم بابل ، وهذا نص ما في سفرهم :

" وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة ... وقالوا هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسما . ونصنع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه كل الأرض \* فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم بينونهما \* وقال الرب هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه \* هلم ننزل ونببل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض \* فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض . فكفوا عن بنيان المدينة \* لذلك دعي اسمها بابل . لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض . ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض " (١) وجاء في أسفارهم وصف الرب - تعالى عما يقولون - أنه ينصب ويتعب ومن ثم يجعل له يوماً للراحة ، وأنه موصوف بالخداع ، وأنه عرضة لأن يراجع فيما يصدر من أحكام ، بل ويعاتب ويصرخ فيه ، كما نعتوه بالإنجاب والولد - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - :

جاء في سفر التكوين أيضاً : " فأكملت السموات والأرض وكل جندها \* وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل . فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل \* وبارك الله اليوم السابع وقدمه . لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً " (٢) وجاء في سفر إرميا ما نصه : " فقلت آه يا سيد الرب حقاً إنك خداعاً خادعت هذا الشعب وأورشليم قائلاً يكون لكم سلام وقد بلغ السيف النفس " (٣) وجاء في سفر الخروج أن الرب حمي غضبه على شعب موسى عندما صنعوا العجل المسبوك وسجدوا له ، فعزم على إفنائهم ، فراجع موسى فندم الرب على الشر الذي قال إنه سيفعله بشعبه : " فالآن اتركني ليحمي غضبي عليهم وافنيهم . فأصيرك شعباً عظيماً فتضرع موسى أمام الرب إلهه .. ارجع عن هو غضبك واندم على الشر بشعبك " (٤) وجاء في سفر صموئيل الأول ما نصه : " وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً \* ندمت على أنني قد جعلت شاؤل ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي .

(١) الكتاب المقدس : سفر التكوين ، الإصحاح ١١ ( ١ - ٩ ) ص ١٧ ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، ط . د .

(٢) سفر التكوين ، الإصحاح ٢ ( ١ - ٣ ) ص ٥ .

(٣) سفر إرميا ، الإصحاح ٤ ( ١٠ ) ص ١٠٧٩ .

(٤) سفر الخروج ، الإصحاح ٣٢ ( ٧ - ١٣ ) ص ١٤٠ .

فاغتاظ صموئيل وصرخ إلى الرب الليل كله " (١) وورد في رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ما نصه :

" نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح " (٢) كما ورد بنحوه في الرسالة إلى العبرانيين فحاء :

" لأنه لمن الملائكة قال قط أنت ابني أنا اليوم ولدتك . وأيضاً أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً " (٣) .

وأما عقيدتهم في الأنبياء فلا تقل سوء عن معتقدهم في الله - ﷻ - وفي كل سوء وشر ، فنجد أنهم يصفون الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - تارة بالسكر ، وتارة بارتكاب الفواحش واقتزافها ، وتارة بصناعة الأوثان والدعوة إليها ، وتارة وتارة ، ومما يسفر عن المقصود ما يلي :

جاء في سفر التكوين أن نبي الله نوح - ﷻ - يتعاطى الخمر فيسكر - قبحهم الله وأخزاهم - وهذا نص ما عندهم : " وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً \* وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه " (٤)

كما اتهموا نبي الله داود - ﷻ - بمراسلته لمرأة بعدما افتتن بها وهذا نص كلامهم : " وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم . وكانت جميلة المنظر جداً \* .. فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئتها ثم رجعت إلى بيتها \* وحبلت المرأة فأرسلت داود وأخبرت داود وقالت إنني حبلى " (٥) كما اتهموا هارون - ﷻ - بصناعة العجل والدعوة إليه ، فقد ورد في سفر الخروج ما نصه : " ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا . لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه \* فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها ... فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً .. ونادى هارون وقال غداً عيد الرب " (٦) .

(١) صموئيل الأول ، الإصحاح ١٥ (١٠ - ١١) ص ٤٥٠ .

(٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ، الإصحاح الأول (٢) ص ٣١٢ .

(٣) الرسالة إلى العبرانيين ، الإصحاح الأول (٥) ص ٣٥٣ .

(٤) سفر التكوين ، الإصحاح ٩ (٢٠ - ٢١) ص ١٥ .

(٥) سفر صموئيل الثاني ، الإصحاح ١١ (٢ - ٥) ص ٤٩٨ ، ولمزيد من الاطلاع على فحش القوم وخبثهم انظر : سفر التكوين ،

الإصحاح ١٩ (٣٠ - ٣٧) ص ٢٩ وسفر الملوك الأول ، الإصحاح ١١ (١ - ١٢) .

(٦) سفر الخروج ، الإصحاح ٣٢ (١ - ٦) ص ١٤٠ .

وهكذا لا تكاد تجد في التوراة المحرفة أن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - يدعون أحداً إلى عبادة الله - ﷻ - بل تجدهم يسكرون ويزنون ويصنعون الأوثان .. (١).

وأما حث تلك الأسفار على الفواحش واقترافها ، فلعل فيما ذكر واستشهد به من نصوص دليل على هذا الأمر ، ولزيد من إبراز هذا الجانب أنقل شيئاً يؤكد المراد والمقصود :

جاء في التلمود كما نقل إبراهيم خليل أحمد (٢) ما نصه : " مصرح لليهودي أن يسلم نفسه للشهوات إذا لم يمكنه مقاومتها " وجاء : " ليس للمرأة اليهودية أن تبدى أية شكوى إذا زنى زوجها بأجنبية في المسكن المقيم فيه مع زوجته " وجاء : " اللواط بالزوجة جائز لليهودي " (٣) واليهود يستيحيون اتيان الذكور من العالمين (٤).

وأما ما يتعلق بالمحور الثالث ، فإن أسفار اليهود تحثهم وتأمروهم بإبادة البشر وسلبهم ؛ إذ أنهم - أي الأممين - الكلاً المباح لهذه الشرذمة القليلة من اليهود - كما يزعمون - ولإيضاح المراد أذكر ما يلي :

ورد في سفر التثنية ما نصه : " وأما مدن هولاء الشعوب التي يعطيك الرب إهلك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما \* بل تحرمها تحريماً الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب

إهلك " (٥) وجاء في سفر العدد : " وكلم الرب موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلاً \* كلم بني إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان \* فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم \* تملكون الأرض وتسكنون فيها لأنني قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها \* وتقتسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم الكثير تكثرون له نصيبه والقليل تقللون له نصيبه . حيث خرجت له القرعة فهناك يكون له . حسب

(١) انظر الإيدز وباء العصر - د. محمد بن علي البار ود. محمد أمين صافي ٢٠ دار المنارة - جدة ، ط : الأولى : ١٤٠٧هـ .

(٢) الأستاذ إبراهيم خليل أحمد عاش زمناً يؤمن بالكتاب المقدس ، ويلتزم به بعهديه القديم والجديد ، ويتخذ دينا له إلى أن شرح الله -

ﷻ - صدره للإسلام . انظر مقدمة كتاب : إسرائيل والتلمود : إبراهيم خليل أحمد ، ٥ ، دار المنار - القاهرة ، ط . د : ١٤١٠هـ .

(٣) إسرائيل والتلمود - إبراهيم خليل أحمد ٦٤ .

(٤) انظر الكتاب المقدس : سفر القضاة ، الإصحاح ١٩ ( ٢٠ - ٢٥ ) وانظر إسرائيل والتلمود : إبراهيم خليل ٦٤ والإيدز وباء العصر :

د. محمد البار وزميله ، حيث أفادا أن اليهود بهذه القصة التي في سفر القضاة - والمحال إليها - قد أباحوا اللواط .

(٥) سفر التثنية ، الإصحاح ٢٠ ( ١٦ - ١٧ ) ص ٣١١ وانظر سفر التثنية أيضاً ، الإصحاح ١١ ( ٢٣ - ٢٥ ) ص ٢٩٨ وفيه أن كل

مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم .

أسباط آبائكم تقتسمون \* وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها " (١) وجاء في مقدمة الترجمة العربية " لبروتوكولات " حكماء صهيون - المنسوب لليهود - ما نصه : " نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه ، ومحركي الفتن فيه وجلاديه " (٢)(٣) .

وخلاصة القول ومقصوده : إن أهل الكتاب أهل بغي وفساد وإفساد لا يألون جهداً في نشر الأهواء وحمل الناس عليها - كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً - ويشهد عليهم بهذا تاريخهم المديد مع أنبياء الله ورسله - عليهم الصلاة والسلام - من أولهم وإلى آخرهم وهو محمد - ﷺ - المبعوث رحمة للعالمين ، ومع أمته من بعده وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها (٤) .

(١) سفر العدد ، الإصحاح ٣٣ ( ٥٥ - ٥٠ ) ص ٢٧٢ وانظر سفر التثنية ، الإصحاح ٧ ( ١ - ٢٦ ) ص ٢٩٠ وفيه بيان اختيار الرب لهم ، وحنهم على طرد الشعوب وعلى عدم الشفقة عليهم كما يزعمون .

(٢) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة : محمد التونسي ٧ دار التراث - القاهرة ، ط . د ، وبغض النظر عما أثير من خلاف حول مصداقية هذا الكتاب ، فإن لسان حال القوم أصدق من لسان المقال ، وأن السيطرة الخفية قائمة بتلك البروتوكولات أو غيرها ، انظر المرجع السابق ١٩ - ٢٢ .

(٣) ربما يكون من الملاحظ أن معظم الاستشهادات كانت من نصوص العهد القديم ، والحامل على ذلك زعم اليهود بأنها منزلة من عند الله - ﷻ - بخلاف كتب العهد الجديد فإنهم يجمعون على كونها من وضع بشر معروفين ، ثم لما لليهود من كيد أشد ، وفي هذا قال ابن حزم : " جمهور اليهود يزعمون أن التوراة التي بأيديهم منزلة من عند الله على موسى .. وأما النصارى فقد كفونا هذه المؤونة كلها ؛ لأنهم لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عند الله على المسيح ، ولا أن المسيح أتاهم بها ، بل كلهم أولهم عن آخرهم .. لا يختلفون في أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة " الفصل في الملل والأهواء والنحل - ابن حزم ١٣/٢ وقد ذكر أن الإنجيل الذي كان في زمان النبي هو مجموعة الأناجيل التي بيد النصارى اليوم ، انظر مناظرة الهند الكبرى بين الشيخ رحمة الله والقس بيفندر ، تحقيق : د. أحمد السقا ٧٣ ، مكتبة الإيمان - المنصورة ، ط : الأولى : ١٤١٢ هـ ، وهناك دراسة تفيد أن علماء اليهود والنصارى المحدثين منهم من يقول : إن التوراة لم تنزل على موسى أصلاً . انظر المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم - د. محمد بن علي البار ٧ وما بعدها ، دار القلم - دمشق ، ط : الأولى : ١٤١٠ هـ .

(٤) وللإطلاع على شيء من كيد القوم الحديث لأمة الإسلام : انظر على سبيل المثال ما سبق الإشارة إليه آنفاً وهو بروتوكولات حكماء صهيون ، و مؤامرة الصهيونية على العالم - أحمد عطار ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط : الثالثة : ١٣٩٩ هـ ، و النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة - غازي فريخ ، دار النفائس - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ ، وانظر الغارة على العالم الإسلامي - ل . ل شاتليه ، ترجمة : محب الدين الخطيب وزميله ، المكتبة السلفية - القاهرة ، ط : الرابعة : ١٣٩٨ هـ ، وانظر أخيراً تنصير المسلمين بحث في أخطر استراتيجية طرحها مؤتمر كولورادو التنصيري - عبدالرزاق ديار بكرلي ، دار النفائس - الرياض ، ط : الثانية : ١٤١١ هـ .

## المطلب الثالث جهود المشركين في نشر الأهواء

إن مما تقدم بيانه أن المشركين كانوا يقرون بصدق المصطفى - ﷺ - وأمانته ، وقد أعلنوا أمام ملاء من الناس أنهم ما جربوا عليه كذباً (١) فهو - ﷺ - صاحبهم الذي يعرفون تفاصيل أحواله الشريفة ، قال الله - ﷻ - : ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ (٢) .

قال القاسمي - رحمه الله تعالى - : " والخطاب لقريش .. وذكره - ﷺ - بعنوان صاحبهم للإعلام بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة ، وإحاطتهم بمحاسن شؤونه المنيفة " (٣) وقال ابن جزئ الكلبي - رحمه الله تعالى - عند قوله - ﷻ - : ﴿ أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ﴾ (٤) : " والمعنى أم لم يعرفوا محمداً - ﷺ - ويعلموا أنه أشرفهم حسباً وأصدقهم حديثاً وأعظمهم أمانة وأرجحهم عقلاً " (٥) .

بل إنهم يعرفون ما هو أكثر من ذلك ، فالقوم - كما في قصة لقائهم ببحيرى الراهب - وأنهم اجتمعوا إليه أثناء سيرهم إلى الشام فأخبرهم بشأن الغلام الذي برفقة عمه ، وأنه النبي المنتظر ، وذلك بعد أن تحقق من وجود علامات النبوة فيه ، وبين تخوفه عليه من يهود ، فأشار إلى عمه بإرجاعه ، كل ذلك كان على مسمع من أشياخ قريش الذين صحبهم في تلك الرحلة (٦) كما سمع أبو سفيان (٧) - قبل إسلامه - ومن معه قول هرقل عظيم الروم - بعد محاورات واستفسارات - ومفاده : أنه كان عالماً بخروج نبي ، وكان من

(١) انظر ص ٦٩ من هذا البحث .

(٢) سورة النجم / الآية ٢ .

(٣) محاسن التأويل - القاسمي ٢٢٢/١٥ وانظر فتح القدير - الشوكاني ١٤٩/٥ .

(٤) سورة المؤمنون / الآية ٦٩ .

(٥) التسهيل - ابن جزئ ١١٥/٣ .

(٦) انظر سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب ( ما جاء في بدء نبوة النبي ) ٥٥٠/٥ رقم : ٣٦٢٠ قال الترمذي : حديث حسن غريب ، وقد صححه الألباني عدا ما جاء في آخره من ذكر بلال ﷺ ، انظر صحيح سنن الترمذي ١٩١/٣ رقم : ٢٨٦٢ ومشكاة المصابيح - التبريزي ١٦٦٣/٣ رقم : ٥٩١٨ وانظر أيضاً السيرة النبوية - ابن هشام ١٨٠/١ ، ولزيد من التفصيل حول الحادثة انظر الروض للأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام - السهيلي ، تحقيق : عبدالرحمن الركيب ٢٢٠/٢ وما بعدها ، ن ، ط : د .

(٧) أبوسفيان صخر بن حرب الأموي القرشي هو والد معاوية وهو من أشراف قريش في الجاهلية ، كان تاجراً ، أسلم يوم الفتح وشهد مع رسول الله ﷺ حينئذ ( ت نحو : ٣٣ هـ ) انظر الاستيعاب - ابن عبد البر ٢٤٠/٤ رقم : ٣٠٣٥ وأسد الغابة - ابن الأثير ١٤٤/٦ رقم :

. ٥٩٦٨

أبي سفيان في نهاية لقائهم مع هرقل ، وبعد خروجهم أن قال لأصحابه : " لقد أمر امر ابن أبي كبشة ، إنه يخافه ملك بني الأصفر ، فما زلت موقناً أنه سيظهر " (١).

فلما بعث المصطفى - ﷺ - وأعلن دعوته " وما زال يدعو لها ، فيؤوب إليه الواحد بعد الواحد على حكم الاختفاء ؛ خوفاً من عادية الكفار زمان ظهورهم على دعوة الإسلام ، فلما اطلعوا على المخالفة أنفوا وقاموا وقعدوا " (٢).

فكانوا في مقدمة من جاهره بالكيد والإيذاء قومه أهل الشرك والأوثان ، ومن هو على شاكلتهم ، هذا على الرغم من تلك المنزلة التي كان يتمتع بها - ﷺ - بينهم ، فرمواه بعظيم من الزور والهديان الذي يتوافق مع طبيعة القوم وعقلياتهم ، إذ إنهم طائفة أمية جاهلة ليس عندها علم من الكتاب (٣).

ومن ثم كانت مواقفهم إزاء الرسول - ﷺ - وصحبه الكرام - رضي الله عنهم - موافقة لتلك الخلفية التي نشأوا واستمروا عليها ، فيلاحظ عليهم أنهم استخدموا لقهر الناس ، وحملهم على اتباع الهوى - الذي هم لدربه سالكون وله مدعون - ولصدهم عن سبيل الخير والهدى سبلاً شتى : فحيناً تراهم ينشرون كلمات الظلم والكذب والبهتان - والتي تنم عن تناقضهم - وحيناً يعلنون المقاطعة والهجران ، وحيناً يتواصون باللغو عند تلاوة القرآن ، وحيناً بتعذيب الأجساد والأبدان ، وحيناً برعاية الأصنام والأوثان وتارة تجدهم يلجأون إلى أهل الكتاب ليمدوهم بشبه يثرونها ، واستفسارات يطرحونها ، وهم لها جاهلون .

ولم يستقر بهم الشأن إلى هذا المستوى ، بل تعداه إلى نهوضهم بجهود جبارة يهدفون من خلالها الكيد لهذه الدعوة ومضاهاتها ، وبدلوا في سبيل ذلك كافة الوسائل والأساليب حتى بلغ بهم الكيد إلى محاولة استدناء صاحب الدعوة - ﷺ - وصرفه عن دعوته بعروض من المتاع الزائل ، فلما لم يجاريهم رسول الهدى - ﷺ - وفق أهوائهم الفاسدة شنوا عليه وعلى ما جاء به تلك الجهود الآثمة ، بل أخرجوه من بلده ، وحاولوا مراراً وتكراراً قتله - ﷺ - وأعلنوا في الملأ جعلاً وحافزاً كبيراً لمن أحضره حياً أو ميتاً ، كما تعرضوا لكل من آمن به وصدقته .

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ٦/١ رقم : ٦ .

(٢) الاعتصام - الشاطبي ٢١/١ .

(٣) وكل من مخالف الحق عامداً فهو جاهل وإن كان عنده علم من الكتاب ، انظر ص ٦٨ من هذا البحث .



ومما يوضح تلك الجهود ويبينها ما يلي :

قال الله - ﷻ - : ﴿ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ﴾ (١).

قال القرطبي - رحمه الله تعالى - : " قيل إن أهل الكتاب قالوا للمشركين صفة محمد في كتابنا فسلوه ، فلما سألوه فوافق ما قال أهل الكتاب ، قال المشركون : لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي أنزل قبله من التوراة والإنجيل بل نكفر بالجميع ، وكانوا قبل ذلك يراجعون أهل الكتاب ويحتجون بقولهم ، فظهر بهذا تناقضهم وقلة علمهم " (٢).

وقال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " يخبر تعالى عن تمادي الكفار في طغيانهم وعنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن ومما أخبر به من أمر المعاد " (٣).

وكان مما عملوه نشرًا لباطلهم ، ومحادة للحق المنزل من عند الله - ﷻ - ما قاموا به من نشر الشبهات والشبهات ، وما الأسئلة التي وجهها المشركون إلى يهود ليسعفوههم بإجابات يلبلون بها عقيدة المسلمين عنا ببعيد (٤) كما ورد أن اليهود علمتهم أن يقولوا فيما أوحى إلى محمد - ﷺ - لو لا جاءه مثل الذي جاء موسى - ﷺ - قال ابن عطية - رحمه الله تعالى - : " والمقالة التي قالتها قريش لولا أوتى مثل ما أوتى موسى كانت من تعليم اليهود لهم ، قالوا لهم : لم لا يأتي بآية باهرة كالعصا واليد ونتق الجبل وغير ذلك " (٥).

(١) سورة سبأ / جزء من الآية ٣١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٩٣/١٤ وانظر المحرر الوجيز - ابن عطية ١٤٠/١٣ .

(٣) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٥١٧/٣ ، وقد أشار القرآن الكريم في كثير من الآيات البينات إلى سمات المشركين التي بها يتميزون والتي من بينها : المعاندة وعدم الإيمان ، والظلم وعدوانية التصرف والحقد على المؤمنين إلى غير ذلك من الصفات ، ولزيد من الاطلاع انظر القرآن وعلم النفس - د. محمد عثمان نجاتي ٢٢٥ وما بعدها .

(٤) ورد أن القوم بعثوا النصر بن الحارث وابن معيط إلى أحبار يهود ليسألوه باعتبارهم أهل الكتاب الأول ، وأن عندهم من العلم ما ليس عند قريش ، فلقنهم اليهود أن يسألوه عن فتية في الدهر ، وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وعن الروح ، وقد أوحى الله - ﷻ - إلى رسوله - ﷺ - تلك الإجابات التي وردت في سورتي بني إسرائيل والكهف ، انظر السيرة النبوية - ابن هشام ٣٠٠/١ والبداية والنهاية - ابن كثير ٥٠/١ وانظر أيضاً سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب ( ومن سورة بني إسرائيل ) ٢٨٤/٥ رقم :

٣١٤٠ قال عنه أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وقال عنه الألباني صحيح الاسناد ، انظر صحيح سنن الترمذي ٦٩/٣ رقم : ٢٥١٠ ، وانظر مسند الإمام أحمد ٣١٨/١ رقم : ٢٣٠٨ وقال عنه الشيخ أحمد شاكر اسناده صحيح ، انظر المسند - شاكر ٨٥/٤ رقم : ٢٣٠٩ وفيهما السؤال عن الروح .

(٥) المحرر الوجيز - ابن عطية ١٧١/١٢ وانظر تفسير القرآن الحكيم - محمد رشيد رضا ٤٤٠/١ .

كما بنحدهم يستغلون المواقف والأحداث لإثارة الشبه وبث الشك والريب ، وما حادثة الإسراء وإبطاء الوحي في شأن أسئلتهم المملة من يهود ، وبنحوهما موقفهم من سرية عبد الله بن جحش - ﷺ - إلا من هذا القبيل ، حيث جعلوا من تلك الأحداث مجالاً للإرجاف والتشكيك ، فهذا أبو جهل لما علم بالإسراء " لم يرد أن يكذبه - ﷺ - مخافة أن يجحد ما قال إن دعا قومه ، قال - أبو جهل - : إن دعوت قومك لك تحدثهم ؟ قال - ﷺ - : نعم ، قال أبو جهل : يا معشر بني كعب بن لؤي هلم ... - فلما اجتمع الناس - قال : حدث قومك بما حدثني ، فحدثهم ، قال : فمن مصفق ومن واضع يده على رأسه متعجباً " (١) .

وجاء عند ابن هشام - رحمه الله تعالى - أن قريشاً لما سألت النبي - ﷺ - بما لقتها يهود - عن الفتية الذين ذهبوا في الدهر الأول ، وعن الرجل الطواف ، وعن الروح فأبطأ الوحي عن رسول الله ﷺ - فعند ذلك أرحف أهل مكة ، وقالوا وعدنا محمد غداً ، وقد أصبحنا ولا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه " (٢) ، وبنحوهما موقفهم من سرية عبد الله بن جحش (٣) - ﷺ - إلى نخلة ليرصد بها قريشاً ويوافي رسول الله - ﷺ - بأخبارهم ، وكان من ضمن ما حصل فيها أن أجمع عبد الله ومن معه على قتل من يستطيعون ، وكان ذلك في نهاية شهر رجب ، فكان مما قاله المشركون : " إن محمداً يزعم أنه يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام ، وقتل صاحبنا في رجب " (٤) .

وما تبنيتهم للأوثان والأصنام سيراً على ملة الآباء والأجداد ودفاعهم عنها مع قيام الحجّة عليهم بفسادها وبطلانها إلا سند آخر ، إذ أقاموها في شتى الأماكن (٥) .

(١) فتح الباري - ابن حجر ٥٠٠/٨ .

(٢) انظر السيرة النبوية - ابن هشام ٣٠١/١ .

(٣) عبد الله بن جحش بن رثاب الأسدي ﷺ أحد السابقين ومن المهاجرين الأولين ممن هاجر المحرّتين ، يذكر أنه دفن هو وحمة ﷺ يوم

أحد في قبر واحد ( ت : ١١٠ هـ ) الاستيعاب - ابن عبد البر ١٤/٣ رقم : ١٥٠٢ والإصابة - ابن حجر ٤٦/٤ رقم : ٤٥٧٤ .

(٤) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٢٤٠/١ ، وقد أنزل الله تعبيراً لأهل مكة قوله - ﷺ - : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير .. ﴾ سورة البقرة / الآية ٢١٧ ، وانظر أسباب النزول - الواحدي ٥٥ ، وللإطلاع على تفاصيل السرية انظر السيرة النبوية

- ابن هشام ٦٠١/٢ وما بعدها ، وانظر تاريخ الإسلام - المغازي - الذهبي ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمري ٤٨ وما بعدها ، دار

الكتاب العربي - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٧ هـ .

(٥) انظر السيرة النبوية - ابن هشام ٨٣/١ وما بعدها وكتاب الأصنام - ابن السائب الكلبي ، تحقيق : أحمد زكي ١٣ - ٢٨ ، الدار

القومية - القاهرة ، ط . د : ١٣٤٣ هـ ، وسيأتي شيء من الحديث - إن شاء الله تعالى - عن بداية دخول الأصنام إلى العرب أثناء الحديث

عن الخلل في مصدر التلقي انظر ص ١٠٨ من هذا البحث .

ولا شك في أن تبني كبار القوم لها ومحافظتهم على طقوسها دعوة قولية وفعلية إليها ، وفي هذا تضليل وحمل للناس على الباطل .

كما نجدهم يعرضون شهوات المال والجاه والشرف على رسول الله - ﷺ - عساهم أن يفتنوه ويصرفوه عن دعوته - وحاشاه ﷺ فعل ذلك - فقد عرض عليه عتبة بن ربيعة - وكان سيداً في قومه - أموراً حين قال : " فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .. فقال له رسول الله - ﷺ - قل يا أبا الوليد أسمع ، قال : يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا " (١).

وحيث لم تجد وسيلة الإغراء بعرض مختلف الشهوات استأنفوا مزيداً من الجهد ، فعادوا الأذية بالقول والفعل إذ رموه - ﷺ - بالشعر والسحر والجنون والكهانة .

قال ابن اسحاق - رحمه الله تعالى - : " ثم إن قريشاً اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عدواة رسول الله - ﷺ - ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله - ﷺ - سفهاءهم ، فكذبوه وآذوه ، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون " (٢) واتهموه بالإتيان بأساطير الأولين ، وسبوا القرآن ومنزله ومن جاء به (٣).

كما اتفقوا على عمل اللغو عند تلاوة القرآن تشويشاً وإزعاجاً لئلا يسمع فيهم (٤) اقتداء وتأسياً بطريقة الشيطان (٥) وقد ثبت أن أشراف قريش اجتمعوا يوماً في الحجر يتذكرون شأن الرسول - ﷺ - وشدة صبرهم عليه حتى إذا كان في الغد وثبوا عليه - ﷺ - فأذوه (٦).

(١) السيرة النبوية - ابن هشام ٢٩٣/١ وانظر تاريخ الإسلام - السيرة النبوية - الذهبي ١٥٨ ، وقد سارموا المصطفى ﷺ بحضرة عمه ، فعندما طلب منهم كلمة واحدة استعدوا بعشر ظناً منهم أن الكلمة لطلب شهوة ، انظر سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب ( ومن سورة ص ) ٣٤١/٥ رقم : ٣٢٣٢ قال أبو عيسى هذا حديث حسن ، وانظر أيضاً المسند - الإمام أحمد ٢٨٣/١ رقم : ٢٠٠٧ قال عنه أحمد شاكر : اسناده صحيح ، المسند - شاكر ٣١٤/٣ رقم : ٢٠٠٨ ، وانظر أسباب النزول - الواحدي ٣٠٤ .

(٢) السيرة النبوية - ابن هشام ٢٨٩/١ ، ٢٧٠ .

(٣) انظر صحيح البخاري ، كتاب ما جاء في تفسير القرآن ، باب ( ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ) ١٦٢/٦ رقم : ٢٤٣ ، وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب ( التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية .. ) ٣٢٩/١ رقم : ٤٤٦ .

(٤) انظر ص ٦٣ وما بعدها من هذا البحث .

(٥) انظر إغاثة اللهفان - ابن القيم ١٤٩/١ .

(٦) انظر المسند - أحمد ٢٨٧/٢ رقم : ٧٠٣٣ قال عنه أحمد شاكر : اسناده صحيح ، المسند - شاكر ٢٠٣/١١ رقم : ٧٠٣٦ .

كما كانت قريش تسب النبي - ﷺ - في سمرها ليلاً ، قال ابن جزئ الكلي - رحمه الله تعالى - عند قول الله - ﷻ - : ﴿ مستكبرين به سامراً تهجرون ﴾ (١) : " وكانت قريش تجتمع بالليل في المسجد ، فيتحدثون وكان أكثر حديثهم سب النبي - ﷺ - " (٢) .

وقد بلغ بهم الحال حين رأوا الناس يستجيبون لهذه الدعوة المباركة وينقادون لها ، تبصروا أن جهودهم السابق في الصد عن سبيل الحق ومحاربة الدعوة لم يجد شيئاً ، فأعلنوا نوعاً من الأذية الفعلية ، وذلك بمقاطعة بني هاشم وبني المطلب - الذين يؤون الرسول ﷺ ويدفعون عنه - فكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه أن يقاطعوهم مقاطعة تامة حتى يسلموا لهم رسول الله - ﷺ - واستمروا في هذا التضييق الأليم نحو من ثلاث سنوات (٣) وبلغ بهم الكيد أيضاً أن آذوا رسول الله - ﷺ - وأخرجوه طريداً من أحب البقاع إليه ، كما حاولوا قتله مراراً - ولكن الله ﷻ يعصمه من الناس - فهذا أبوجهل - والذي له من كنيته أوفر النصيب - يجتهد في أن يبطأ رقبة رسول - ﷺ - ولكن الله - ﷻ - يحول بينه وبينه ، وقد رأى من الآيات ما على مثلها يؤمن البشر السوي إلا أنه عاد وكان شيئاً لم يكن (٤) وهذا شقي آخر يخنق المصطفى - ﷺ - خنقاً شديداً ، ويحمل سلا الجزور فيضعه على ظهره الشريف وهو يصلي (٥) ولم يكتفوا بسوء صنيعهم هذا بل أخرجوه - ﷺ - من بلده كما قال الله - ﷻ - مبيناً كيد القوم ومكرهم وخبثهم : ﴿ واذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو

(١) سورة المؤمنون / الآية ٦٧ .

(٢) التسهيل - ابن جزئ ٣/١١٥ .

(٣) وللإطلاع على تفاصيل المقاطعة : انظر الطبقات الكبرى - ابن سعد ١/١٦٢ وتاريخ الإسلام - السيرة النبوية - النهي ٢٢١ وزاد المعاد - ابن القيم ٣/٢٩ وانظر أيضاً مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة - محمد حميد الله ٤٤ ، دار النفائس - بيروت ط : السادسة : ١٤٠٧ هـ ، والمسند - الإمام أحمد ١٢/٢٣٠ رقم : ٧٢٣٩ قال عنه الشيخ أحمد شاکر : اسناده صحيح .

(٤) انظر صحيح البخاري ، كتاب ما جاء في تفسير القرآن ، باب ( كلا لئن لم ينته لنسفنا بالناصية ) ٦/٣٠٣ رقم : ٤٥٤ ، وصحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب قوله ( إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ) ٤/٢١٥٤ رقم : ٢٧٩٧ .

(٥) انظر صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب ( قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ) ٥/٧٥ رقم : ١٧٥ ، وصحيح مسلم في كتاب الجهاد والسير باب ( ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ) ٣/١٤١٨ رقم : ١٧٩٤ ، وانظر أيضاً سبل الهدى والرشاد - الشامي ٢/٦٠٥ وما بعدها ..

يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴿ (١) وقال - ﷺ - : ﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك ﴾ (٢).

فقد آذوه - ﷺ - حتى أخرجوه (٣) وكان من شدة الأذى أنه عندما أراد الخروج والهجرة أتى إلى منزل الصديق متقناً لتلا يعرف فيؤذى ، وقد تفتن الصحابة - رضي الله عنهم - لذلك فحرصوا على حراسته - ﷺ - إلى أن طلب منهم الكف عن ذلك (٤).

وقد بلغ الكيد أشده عندما علمت قريش بما دار في العقبة الثانية بين الرسول - ﷺ - ووفد المدينة ، وعندما شاهدت المسلمين يهاجرون إلى طيبة زرافات ووحداناً ، فعند ذلك اجتمع زعماء قريش في دار الندوة للتشاور في كيفية التخلص من رسول الله - ﷺ - وكان من ضمن الحضور إبليس حين جاء في صورة شيخ نجدي ، وخلصوا بعد مناقشات وردود إلى ما طرحه أبو جهل من أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً وسيطاً فيهم ، ثم يعملوا إلى الرسول - ﷺ - فيضربوه ضربة رجل واحد ، فبارك إبليس هذا المقترح ، وأيده الجميع (٥).

ومما ينبغي أن ينبه عليه أن جهود القوم لم تقتصر على رسول الهدى - ﷺ - باعتباره صاحب الدعوة الأول وحامل رايته ، ولا على محيط مكة وما جاورها ، بل إن لهم جهوداً جبارة آتمة في صد الناس عن سبيل

(١) سورة الأنفال / الآية ٣٠ .

(٢) سورة محمد / جزء من الآية ١٣ .

(٣) انظر التسهيل - ابن جزى ٨٥/٤ .

(٤) انظر صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب ( هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ) ١٥٦/٥ رقم : ٣٨٧ .

(٥) وللإطلاع على تفاصيل الحادثة : انظر السيرة النبوية - ابن هشام ٤٨٠/٢ والطبقات الكبرى - ابن سعد ١٧٦/١ وتاريخ الإسلام - السيرة النبوية - الذهبي ٣١٦ وسبل الهدى والرشاد - الشامي ٣٢٤/٣ ، وهناك محاولات أخرى لقتل رسول الله ﷺ كالمؤامرة التي دارت بين عمير بن وهب وصفوان بن أمية حين اتفقا على قتل الرسول ﷺ بعد أن تكفل صفوان بدين عمير وعياله ، وكمحاوله الأعرابي الذي اختزط السيف من على الشجرة وهم بوادي العضاة ، كما نجد محاولة أخرى لكسرى الوثني حيث بعث من يقتل الرسول ﷺ . انظر السيرة النبوية - ابن هشام ٦٦١/٢ ، وانظر أيضاً صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب ( غزوة ذات الرقاع ) ٢٤٧/٥ رقم : ١٦٧ ، وصحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب ( صلاة الخوف ) ٥٧٦/١ رقم : ٨٤٣ ، وانظر أخيراً فتح الباري - ابن حجر ١٦١/٨ ، ٢٠٩/٧ .

الحق داخل فجاج مكة وخارجها ، وما بلال (١) وآل ياسر (٢) وزنيرة (٣) وجارية بني مؤمل والنهدية وبتناها وكل مستضعف تحت " مدرسة الاضطهاد " (٤) في تلك الحقبة إلا دليل على ما ذكر أيضاً ورد أن سعيد بن جبير (٥) - رحمه الله تعالى - سأل ابن عباس - ؓ - قائلاً : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله - ﷺ - من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم والله ، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له أللات والعزى إهلك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، حتى إن الجعل ليمر بهم ، فيقولون له : أهذا إهلك من دون الله ؟ فيقول : نعم ؛ افتداء منهم مما يبلغون من جهده " (٦) .

(١) بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق ؓ اشتراه وأعتقه الله ﷻ ، كان مؤذن رسول الله ﷺ وخازناً ، شهد بدرًا والمشاهد كلها وكان من السابقين إلى الإسلام ومن يعذب في الله فيصير على مر العذاب ( ت : ٢٠ هـ بدمشق ) انظر أسد الغابة - ابن الأثير ٤١٥/١ رقم : ٤٩٣ والاستيعاب - ابن الأثير ٢٥٨/١ رقم : ٢١٤ .

(٢) والهم / ياسر بن عامر العبسي والد عمار بن ياسر ، جاء الإسلام فأسلم ياسر وسمية وعمار ، وكانوا يعذبون في الله ، جاء أن الرسول ﷺ يمر بهم وهم في العذاب فيوصيهم بالصبر ويشهرهم بالجنة ، انظر أسد الغابة - ابن الأثير ٤٣٣/٥ رقم : ٥٥٠٢ .

(٣) زنيرة مولاة أبي بكر الصديق ؓ هي أحد الذين كانوا يعذبون في الله ﷻ ، فاشترها أبو بكر ؓ وأعتقها ، فلما أسلمت عميت ، فقال للمشركون : أعمتها اللات والعزى لكفرها بهما ، فرد الله بصرها ، الاستيعاب - ابن عبد البر ٤٠٦/٤ رقم : ٣٣٨٨ .

(٤) هكذا سماها المستشرق توماس أثناء حديثه عن مصعب ناشر الإسلام في المدينة ، وهذا مما يؤكد عظيم جهود الكفار وشدها حيث أن الأعداء يشهدون بقساوتها وضرواتها ، انظر الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية - توماس و . أنولد ، ترجمة : د. حسن إبراهيم حسن وآخرون ٣٦ ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ، ط : الثالثة : ١٩٧٠ م .

(٥) سعيد بن جبير الأسدي مولاة الكوفي من أكابر أصحاب ابن عباس ، كان من أئمة الإسلام في العلم وكثرة العمل الصالح وقد رأى حلقاً من الصحابة ، كان ابن عباس ؓ إذا حج أهل الكوفة وسأله يقول : أليس فيكم سعيد بن جبير ؟ ( ت : ٩٤ هـ وله ٤٩ سنة وقيل غير ذلك ) انظر البداية والنهاية - ابن كثير ١٠٣/٩ وتذكرة الحفاظ - الذهبي ٧٦/١ رقم : ٧٣ .

(٦) السيرة النبوية - ابن هشام ٣٢٠/١ ، وللإطلاع على ما أجمل ذكره من جهد القوم على المستضعفين وللإستزادة انظر : المرجع السابق ٣١٧/١ وما بعدها ، والبداية والنهاية - ابن كثير ٤٧/٢ ، ٥٧ والكامل في التاريخ - ابن الأثير ٥٨٨/١ وما بعدها وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء - أبو نعيم ١٤٠/١ وما بعدها ، دار أم القرى - القاهرة ، ت . د . ، وصفة الصفوة - ابن الجوزي ، ضبط إبراهيم رمضان وسعيد اللحام ٢٢٦/١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٩ هـ ، والحرب النفسية ضد الإسلام في عهد الرسول في مكة - د .

عبد الوهاب كحيل ٢٣٢ وما بعدها ، عالم الكتب - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٦ هـ ، ولم تقتصر تلك الجهود في الأذى والتعذيب على الموالى والضعفاء ، بل تجاوزتهم إلى أبناء السادة والأشراف كالصديق وذو النورين والزبير وأبي ذر وغيرهم كثير ، وللإطلاع على ما ذكر : انظر صحيح البخاري ، كتاب الحوالات ، باب ( حوار أبي بكر في عهد النبي وعقده ) ١٩٥/٣ رقم : ٦ ، وكتاب المناقب ، باب ( إسلام أبي ذر الغفاري ) ١٣٦/٥ رقم : ٣٤٤ ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب ( من فضائل أبي ذر ) ١٩١٩/٤ رقم : ٢٤٧٣ ، وانظر الطبقات الكبرى - ابن سعد ١٥٩/١ وحلية الأولياء - أبو نعيم ٨٩/١ .

وما مطاردتهم للدعوة وأهلها في ربوع الحبشة ، وفي قلب المدينة إلا سند آخر ، وما بدر واحد ، ونهوضهم مع الأحزاب إلا دليل آخر (١) وما حادثنا الرجيع وبئر معونة ، وقتل الدعاة الهداة إلا من هذا القليل أيضاً وقد ذكر أن خير بئر معونة وخير أصحاب الرجيع - وهي سرية القراء السبعين - وما حصل لهم من التقتيل جاء إلى النبي - ﷺ - في ليلة واحدة ، فدعا - ﷺ - على الذين قتلوا ثلاثين صباحاً (٢) .

وخلاصة القول ومقصوده : إن جهد القوم في الصد عن سبيل الله ومحاربة دينه ونشر ما لديهم من الأهواء قد بلغ مبلغاً كبيراً وشأواً عظيماً ، فحملوا الناس على الباطل ، وصدوهم عن الهدى ، ولهم في سبيل ذلك طرقاً شتى ، وحيلاً شيطانية مختلفة ، فكانوا بذلك دعاة فتنة وضلال ، وقد أبعدوا من أبعدوا عن الطريق وخاصة من لم يكن له ملجأ يركن إليه ، قال الشاطبي - رحمه الله تعالى - : " ومنهم - إشارة إلى من اتبع الرسول - ﷺ - من لم يكن له وزر يحميه ، ولا ملجأ يركن إليه ، فلقى منهم من الشدة والغلظة والعذاب أو القتل ما هو معلوم ، حتى زل منهم من زل ، فرجع أمره بسبب الرجوع إلى الموافقة (٣) وبقي منهم من بقي صابراً محتسباً " (٤) .

(١) وللإطلاع : انظر السيرة النبوية - ابن هشام ٣٣٣/١ وتاريخ الأمم والملوك - الطبري ٥٤٩/١ والكامل في التاريخ - ابن الأثير ٥٩٨/١ وانظر سنن أبي داود ، كتاب الخراج ، باب ( في خير النضير ) ١٥٦/٣ رقم : ٣٠٠٤ وقال عنه الألباني صحيح الاسناد ، انظر صحيح سنن أبي داود ٥٨٢/٢ رقم : ٢٥٩٥ ، وانظر الحرب النفسية ضد الإسلام في عهد الرسول في مكة - د. كحيل ٢٨٠ وما بعدها .

(٢) انظر فتح الباري - ابن حجر ٤٨٣/٧ رقم : ٤٠٨٦ وانظر صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب ( غزوة الرجيع ورغل وذكوان وبئر معونة وحديث عضل والقارة ) ٢٢٩/٥ رقم : ١٢٣ ، وصحيح مسلم ، كتاب المساحد ومواضع الصلاة ، باب ( استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة ) ٤٦٨/١ رقم : ٦٧٧ .

(٣) وسيأتي في الفصل القادم - إن شاء الله تعالى - الحديث عن التقليد والموافقة للقوم ص ١٤٧ .

(٤) الاعتصام - الشاطبي ٢٢/١ .

## المطلب الرابع جهود المنافقين في نشر الأهواء

إن مما سبقت الإشارة إليه أن أهل الكتاب مع علمهم ومعرفتهم المستقرة بصحة رسالة المصطفى - ﷺ - وإقرار المشركين بصدقه وأمانته - ﷺ - وأنهم ما جربوا عليه كذباً لم يتبعوه ، بل عارضوه وناصروه العداً . ويعلم أن هاتين الفئتين تمثلان في جل مراقبها وكيدها العداً السافر للمسلمين . كما لا يخفى أن هناك ثمة فئة ثالثة لا تقل ضرراً - بل تزداد خطراً - عن سابقتها إلا وهي فئة المنافقين تلك الفئة التي يحرق بها المرض ويكتنفها من جميع أخطائها .

إن هذه الطائفة يعظم الحذر منها لما تدعيه من الإسلام والإيمان ، ومن إرادة الإحسان والتوفيق .

فهم قد عرفوا الحق فنافقوه وداهنوه " فأظهروا الخير وأسروا الشر " (١) وسعوا لتأكيد حسن نواياهم وصحة معتقدتهم بأيمان مغلظة ، وشهدوا بصحة الرسالة كذباً ونفاقاً ، بينما هم العدو قاتلهم الله أنى يوفكون .

قال الله - ﷻ - حاكياً حالهم في تأكيد صحة اعتقادهم وسلامة توجههم : ﴿ قالوا نشهد إنك لرسول الله ﴾ (٢) فهم قد " أكدوا شهادتهم ( بيان واللام ) للإشعار بأنها صادرة من صميم قلوبهم مع خلوص اعتقادهم ، والمراد بالمنافقين عبداً لله بن أبي وأصحابه " (٣) .

وتارة تجدهم يحلفون بالله إنهم لمن جملة المسلمين ، والله يعلم إنهم لكاذبون ، قال الله - ﷻ - : ﴿ ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون ﴾ (٥) .

(١) انظر تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٤٥/١ .

(٢) سورة المنافقون / جزء من الآية ١ .

(٣) فتح القدير - الشوكاني ٣٢٢/٥ وانظر الفوز الكبير في أصول التفسير - ولي الله الدهلوي ، تعريب : سليمان الندوي ٥٨ ، دار الصحرة - القاهرة ، ط : الثانية : ١٤٠٧ هـ .

(٤) سورة التوبة / الآية ٥٦ .

(٥) سورة المائدة / الآية ٦١ .



قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " وهذه صفة المنافقين منهم أنهم يصنعون المؤمنين في الظاهر وقلوبهم منطوية على الكفر " (١).

وقد كان للقوم أسوة سيئة بسابقيهم من أهل الكتاب والمشركين حيث فعلوا مثل الذي فعلوا من القيام باستنفاذ أقصى الجهد للكيد للإسلام وأهله ، وكيف لا يكون ذلك ، والقوم تربطهم باليهود أواصر ! ولهم في ذواتهم مطامع ومصالح !

وكان مما فعلوه نشرًا لباطلهم ومحاربة ومحادثة للدعوة بث الشبه والشبهات بطرق مختلفة وسبل شتى . ويوضح هذا الجانب ويبينه ما يلي :

إن حادثة تحويل القبلة - والتي سبق ذكرها بأن اليهود استغلوا لبث شبههم - كانت مجالاً أيضاً ولج من خلاله المنافقون ، فشاركوا بإثارة الشبهات حولها كما شارك فيها اليهود ، حيث قال المنافقون حين نزل الأمر الإلهي بتحويل القبلة : " ما ولاهم عن قبلتهم ، واستهزؤوا بالمسلمين " (٢) كما نجدهم يسعون لزعزعة الثقة بحملة الدين وهداته ، وذلك بنشر ما لا يرضى من القول عنهم ، كالذي وقع منهم حين قالوا في غزوة تبوك : " ما لقرائنا هؤلاء أرغبنا بطوناً ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبتنا عند اللقاء " (٣).

بل إن جهدهم بلغ بهم مبلغاً عظيماً عندما حاربوا الإسلام باسمه وقذفوه بسهمه ، وذلك حينما اتخذوا المسجد ضراراً بغية التفريق بين المؤمنين ، وإرصاداً وانتظاراً لمن وعدهم بمحاربة الله - ﷻ - ورسوله - ﷺ - وذلك أن أبا عامر الفاسق (٤) " كتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم .. وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ، ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك ، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء ، فبنوه وأحكموه وفرغوا منه .. وجاءوا فسألوا رسول الله - ﷺ - أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ؛ ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية " (٥).

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٧١/٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٠٠/٢ وانظر جامع البيان - الطبري ٢/٢ وزاد المسير - ابن الجوزي ١٥٣/١ .

(٣) انظر جامع البيان - الطبري ١٧٢/٦ وتفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣٥١/٢ .

(٤) أبو عامر والد حنظلة غسيل الملاحكة ، فارق المدينة إلى مكة مبعداً لرسول الله ﷺ ، حضر مع المشركين وقعة أحد ، ومات مشركاً أمر رسول الله ﷺ أن يسمى بالفاسق . انظر أسد الغابة - ابن الأثير ١٨٦/٦ رقم : ٦٠٤٨ .

(٥) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣٧١/٢ وانظر جامع البيان - الطبري ٢٣/٧ والجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٦١/٨ .

فاعتذر إليهم الرسول - ﷺ - بأنه على وجه سفر ، ووعدهم بالصلاة فيه عندما يعود .  
فهم قد اتخذوه منبراً لنشر الأهواء ، وزعموا فيه حسن النية وطلب الاهتداء " فظاهره العبادة والتقوى  
وباطنه التفريق بين المؤمنين ، وتعويق العاملين المخلصين " (١) .

ولم يقتصر جهد المنافقين في بث الشبه ونشر فحش من القول على استغلال الأحداث العامة ، والطعن في  
قراء المسلمين ، وإنشاء منابر الفساد ، بل تجاوزه وتعداه إلى المبعوث رحمة للعالمين - ﷺ - نحو ما أشاعوا من  
إثارة الشبه حول زواجه بمطلقة مولاة زيد بن حارثة (٢) - ﷺ - حتى تأثر من تأثر بشبههم من ضعاف  
القلوب ، كما رموه في عرضه بالإفك المبين - عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين أفضل الصلاة وأزكى  
التسليم - بل إنهم حاولوا قتله - ﷺ - رغبة منهم في القضاء على هذه الدعوة المباركة .

قال الله تعالى في شأن مطلقة زيد بن حارثة - ﷺ - : ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه  
أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن  
تخشاه ﴾ (٣) .

قال القرطبي - رحمه الله تعالى - عند قوله - ﷺ - : ﴿ وتخشى الناس ﴾ : " إنما هو إرجاف المنافقين بأنه  
نهى عن تزويج نساء الأبناء ، وتزوج بزوجة ابنه " (٤) .  
والمقصود أن المنافقين " أثاروا وساوس كثيرة ، وقاموا بدعايات كاذبة واسعة حول النكاح ، أثر بعضها في  
ضعفاء المسلمين " (٥) .

(١) أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة - د. يوسف القرضاوي ١٤ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط : الثالثة عشر : ١٤١٢ هـ  
وانظر السيرة النبوية الصحيحة - د. أكرم ضياء العمري ٥٢٧/٢ وفي ظلال القرآن - سيد قطب ١٧١٠/٣ ، دار الشروق - القاهرة ، ط :  
السابعة عشرة : ١٤١٢ هـ .

(٢) زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس والد أسامة ﷺ مولى رسول الله ﷺ شهد بدمراً ، زوجه رسول الله  
ﷺ مولاته أم أيمن فولدت له أسامة ، وكان يقال لزيد حب رسول الله ﷺ ( ت : ٨ هـ ) انظر الاستيعاب - ابن عبد البر ١١٤/٢ رقم :  
٨٤٨ وأسد الغابة - ابن الأثير ٣٥٠/٢ رقم : ١٨٢٩ والفخر المتوالي فيمن انتسب للنبي من الخدم والموالي - السخاوي ٤٢ رقم : ٥٢ .  
(٣) سورة الأحزاب / جزء من الآية ٣٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٢٤/١٤ .

(٥) الرحيق المختوم - صفى الرحمن المباركفوري ٥٦٣ ، دار الريان - القاهرة ، ط : السادسة : ١٤٠٨ هـ .

وأما تعرضهم للمصطفى - ﷺ - في عرضه ، فقد أشاع المنافقون حادثة الإفك ، وآذوه في أهله ، وأغروا عدداً من المسلمين بنشره ، وكان الذي تولى كبره عبداً لله بن أبي ابن سلول ، حتى أن الرسول - ﷺ - من شدة ما أصابه من الكرب طلب من ينصفه من هذا المنافق ، فقال رسول الله - ﷺ - وهو على المنبر :  
 " يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً " (١).

لقد أشاع المنافقون الإفك ، فأرجفوا في البلاد ، وزرعوا الفتنة والشك والريب بين عدد من العباد ، بشوه على حذر وتقية إذ كان الذي تولى كبره - وهو ابن أبي - يستوشي الإفك ، والمعنى أنه : " يستخرجه بالبحث والمسئلة ثم يفشيه ويشيعه ويحركه " (٢) حتى أنه لما نزلت البراءة وكشفت الغمة ، وأمر رسول الله - ﷺ - بإقامة الحد على من صرح بالإفك ، لم يقيم الحد على هذا المنافق ، ومما قيل في سبب ذلك :

أنه " كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه ، ويخرجه في قوالب من لا ينسب إليه " (٣) .  
 ولم يكتف المنافقون بأذيتهم القولية لرسول الله - ﷺ - بل حاولوا قتله ، قال الله - ﷻ - : ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا ﴾ (٤) قيل المراد بهمهم قتل الرسول - ﷺ - يوم العقبة في غزوة تبوك (٥) وذلك أن عدداً من المنافقين المثلثين حاولوا اسقاط الرسول - ﷺ - من راحلته في إحدى الشايا بالطريق في عتمة من الليل ، ففطن لهم - ﷺ - وأمر بإبعادهم (٦) .  
 ويلحق بما ذكر ودون جهد القوم في إثارة النعرات وإحياء الثارات ومباطنة الكفرة والملحدين ، والإكراه على فعل الفحش والبغاء .

(١) أخرجه البخاري في كتاب ما جاء في تفسير القرآن ، باب ( لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً .. ) ١٨٦/٦ رقم : ٢٧١ وأخرجه مسلم في كتاب التوبة ، باب ( في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ) ٢١٢٩/٤ رقم : ٢٧٧٠ وللإطلاع على تفاصيل الحادثة راجع ما أحلتك عليه .

(٢) شرح صحيح مسلم - النووي ١١٨/١٧ .

(٣) زاد المعاد - ابن القيم ٢٦٣/٣ .

(٤) سورة التوبة / جزء من الآية ٧٤ .

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٣٢/٨ وتفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣٥٦/٢ وأنوار التنزيل - البيضاوي ٤١٣/١ .

(٦) انظر المرجع السابق ١٣٢/٨ وأسباب النزول - الواحدي ٢١٣ .

فما موقفهم في المريسيع <sup>(١)</sup> وإثارتهم للنعرات إلا دليل على ما ذكر ، جاء في الحديث أن عبداً لله بن أبي قال : " لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ، ولو رجعنا من عنده ليخرجنا الأعز منها الأذل " <sup>(٢)</sup> وما تحريض ابن أبي لبني النضير - حين أراد الرسول ﷺ إجلاءهم - على المعاندة وعدم الانقياد ومناهم بمظاهرتهم وموازرتهم والذود عنهم إلا دليل آخر <sup>(٣)</sup> وليس بمستغرب بدو هذا الصنيع وأمثاله من رجل عليم النفاق كابن أبي - ومن شاكله - وقد أشرب قلبه معاداة الحق والصد عنه ، وحب الهوى والدعوة إليه ، وخاصة بعد أن تيقن أن الإسلام قد توجه واستقر ، وأنه لا مطمع في إزالته وتنحيته ، فعندئذ أظهر الإسلام وأضرر شن حرب شعواء عليه ، جاء في آخر الحديث عن إسامة بن زيد - ؓ - : " قال ابن أبي سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان - بعد وقعة بدر هذا أمر قد توجه ، فبايعوا الرسول - ﷺ - على الإسلام فأسلموا " <sup>(٤)</sup>.

وما اجتماع المنافقين في بيت سويلم اليهودي يثبطون الناس عن رسول الله - ﷺ - في غزوة تبوك <sup>(٥)</sup> إلا دليل على مبايحتهم لخصوم الدين أيضاً <sup>(٦)</sup>.

وما صنيع زعيمهم عبداً لله بن أبي في حمل إمامته على البغاء بغرض الحصول على شهوات فانية إلا دليل على إسفافهم وحقارة نفوسهم ، قال الله - ﷻ - : ﴿ ولا تكروها فتياكم على البغاء إن أردن تحصناً

(١) المراد غزوة المريسيع وذلك لما بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له حرج إليهم ، فلقبهم على ماء من مياههم يقال له :

المريسيع من ناحية قديد . انظر الطبقات الكبرى - ابن سعد ٤٨/٢ وتاريخ خليفة ابن خياط - ابن خياط ٨٠ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب ما جاء في تفسير القرآن ، باب ( قوله إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد .. ) ٢٦٧/٦ رقم : ٣٩٤ ، وأخرجه

مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ٢١٤٠/٤ رقم : ٢٧٧٢ .

(٣) انظر السيرة النبوية - ابن هشام ١٩١/٣ والطبقات الكبرى - ابن سعد ٤٤/٢

(٤) أخرجه البخاري في كتاب ما جاء في تفسير القرآن ، باب ( ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى

كثير ) ٨٠/٦ رقم : ٨٧

(٥) وسيأتي الحديث عن مظهر التكاسل والتخذيل في الفصل الثاني إن شاء الله ص ١٣٩ .

(٦) انظر السيرة النبوية - ابن هشام ٥١٧/٤ وسيأتي الحديث عنه أيضاً في الفصل الثاني إن شاء الله ص ١٦٤ .

لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ﴿١﴾ جاء عن جابر - ؓ - قال : كان عبد الله بن أبي بن سلول يقول لجارية له : اذهبي فابغينا شيئاً ، فأنزل الله - ﷻ - ولا تکرهوا فتیاتکم .. " (٢) .

وخلصة الحديث ومقصوده : إن للمناققين جهوداً كبيرة في نشر الأهواء وبثها ، ورحم الله ابن القيم حين بين تعنتهم بقوله : " فله كم من معقل للإسلام قد هدموه ؟ وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخرّبوه !؟ وكم من علم له قد طمسوه !؟ وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه ؟ وكم ضربوا بمعاول الشبه في أصول غراسه ليقلعوها !؟ وكم عموا عيون مواردهم بآرائهم ليدفنوها ويقصعوها !؟ فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبليّة ، ولا يزال يطرقه من شبههم سرية بعد سرية ويزعمون أنهم بذلك مصلحون ﴿٣﴾ ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴿٣﴾ (٤) .

وفي ختام عرض تلك الجهود الآثمة لنشر الأهواء وطمس معالم الحق وبراهينه التي يقوم بها خصوم الدعوة والملة - قديماً وحديثاً - معاندة ومحادة ومشاقة لله - ﷻ - ولرسوله - ﷺ - أختتم بما سجله ودونه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - حين قال : " ومن سنة الله - ﷻ - أنه إذا أراد إظهار دينه أقام من يعارضه فيحقق الحق بكلماته ، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق " (٥) .

(١) سورة النور / جزء من الآية ٣٣ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التفسير ، باب ( قوله : ولا تکرهوا فتیاتکم على البغاء ) ٢٣٢٠/٤ رقم : ٣٠٢٩ وانظر جامع البيان - الطبري ١٣٢/١٠ والجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٦٨/١٢ وزاد المسير - ابن الجوزي ٣٨/٦ وأسباب النزول - الواحدي ٢٧٢ .

(٣) سورة البقرة / الآية ١٢ .

(٤) صفات المناققين - ابن القيم ٤ - ٥ ، مطابع الفرزدق التجارية - الرياض ، ط . ٥ : ١٤١٠هـ ، وانظر ظاهرة وخبائث المناققين في

التاريخ - عبدالرحمن حسن حنكة الميداني ١٩/١ ، دار القلم - دمشق ، ط : الأولى : ١٤١٤هـ .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية - جمع ابن قاسم ٥٧/٢٨ .

## المطلب الخامس الخلل في مصدر التلقي

إن تعدد مصادر التلقي وتنوعها في شتى المجالات يعد منقبة ومحمدة لفاعلها إذ إنه - في الغالب - يورث الرسوخ في العلم والسعة في الأفق ، بيد أن تعددها وتنوع مشاربها فيما يتعلق باعتناق الدين الصحيح ، والديانة بالمعتقد السليم يعتبر مفسدة ، ومسلكاً لركوب شتى الأهواء .

وإن الناظر والمتأمل في سير الناس وأحوالهم - فيما يتصل بدياناتهم - في العهد النبوي يلحظ عليهم اختلافاً بيناً في معتقداتهم وتوجهاتهم : فهذا يدعي الإيمان مع سوء معتقده في الله ورسله كحال أهل الكتاب (١) وهذا يجعل من الأصنام والأوثان رباً مطاعاً معبوداً كحال أهل الشرك والطغيان ، وهذا يسلك درب الإيمان وينهل من مناهل العرفان متبعاً لوحي رب العالمين - ﷺ - كحال الصحابة أجمعين - رضي الله تعالى عنهم - وهذا مذبذب بين ذلك لا إلى هولاء ولا إلى هولاء كحال الأوباش المنافقين .

ولا شك في أن هذا التباين ينبى عن اختلاف في مشارب الناس تجاه تلقيهم وأخذهم لما يعتقدونه ويدينون به ومن ثم ضل من ضل ممن تلقى الدين من غير مصدره ، وأصيب بالخلل في مقصده ووجهته ، فتراه تارة متخذاً الأحبار والرهبان آلهة تشريع ، وتراه تارة آخذاً بأقوال جهلة الرجال المخالفة للحق ، وتارة تراه ميمماً وجهه شطر أهل الكتاب للاستمداد منهم والتلقي عنهم ، كما تراه حيناً راضحاً لبيئته وواقعه مسلماً زمام عقله وفكره لما راج وانتشر ، حذراً من المخالفة طالباً البقاء على الموافقة .

ويوضح ما سلف اجماله ما يلي :

إن أهل الكتاب نصبوا من أحبارهم ورهبانهم آلهة تشريع ، ومنابع تلقي وتحصيل ، فاتخذوهم أرباباً من دون الله تعالى ، فأعلنت اليهود معاداة حامل الوحي ومبلغ الرسالة جبريل - عليه السلام - كما امتنعت النصرى من الانقياد لما جاء به واتباعه .

بل إن التلمود يحكي من العجائب والغرائب ما يكشف عن سوء تسلطهم ، حيث جعلوا مخافة أحبارهم مساوية لمخافة الله - ﷻ - بل دونوا وأثبتوا أن تعاليمهم لا يمكن نقضها وإزالتها ولو بأمر من الله تعالى ومن ثم نشط علماءهم ودعاتهم في التحريف والتأليف بغية حمل الخلق على ما يهوونه ويشرعونه لهم ، وأصبح كل جيل منهم يزيد على الذي قبله ، وكيف لا يكون الأمر كذلك وقد اتخذهم الجهال أرباباً مشرعين ومنظرين عارفين .

(١) انظر ص ٨٥ وما بعدها من هذا البحث .

قال الله - ﷻ - : ﴿ اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (١).

قال القاضي ابن عطية الأندلسي - رحمه الله تعالى - : " وسماهم أرباباً وهم لا يعبدونهم لكن من حيث تلقوا الحلال والحرام من جهتهم ، وهو أمر لا يتلقى إلا من جهة الله - ﷻ - " (٢) فهم قد " استنصحو الرجال ، ونبذوا كتاب الله تعالى وراء ظهورهم " (٣) وحين سأل الربيع أبا العالية : كيف كانت تلك الربوية في بني إسرائيل ؟ فقال : إنهم ربما وجدوا في كتاب الله تعالى ما يخالف أقوال الأبحار والرهبان فكانوا يأخذون بأقوالهم ، وما كانوا يقبلون حكم الله تعالى " (٤).

ولهذا لما وفد عدي بن حاتم (٥) - ﷺ - على رسول الله - ﷺ - وسمعه يقرأ تلك الآية المذكورة آنفاً استنكر أن يكونوا قد عبدوهم ، فبين له المصطفى - ﷺ - المراد والمقصود .

جاء في الحديث عن عدي بن حاتم قال : أتيت النبي - ﷺ - وفي عنقي صليب من ذهب ، فقال : يا عدي اطرح عنك هذا الوثن ، وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ قال : أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه " (٦).

ومما يبين شيئاً من تلقيهم عن أشياخهم فيما يخالف أمر الله - ﷻ - ما ذكره الألويسي - رحمه الله تعالى - في تفسيره أثناء حديثه عن تحويل القبلة حين قال متحدثاً عن النصارى : " شرع أشياخ النصارى لهم الاستقبال

(١) سورة التوبة / الآية ٣١ .

(٢) المحرر الوجيز - ابن عطية ١٦٦/٨ .

(٣) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣٣٤/٢ .

(٤) التفسير الكبير - الرازي ٣٠/١٦ .

(٥) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس الطائي يكنى أبوطريف ﷺ ، قدم على النبي ﷺ سنة تسع وقيل عشر فأسلم وكان نصرانياً روى عن النبي ﷺ أحاديث ( ت : ٦٩ هـ بالكوفة وقيل غير ذلك وله ١٢٠ سنة ) انظر الاستيعاب - ابن عبد البر ١٦٨/٣ رقم : ١٨٠٠ وأسد الغابة - ابن الأثير ٧/٤ رقم : ٣٦١٠ .

(٦) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب ( ومن سورة التوبة ) ٢٥٩/٥ رقم : ٣٠٩٥ قال أبو عيسى هذا حديث غريب ، وقد حسنه الألباني ، انظر صحيح سنن الترمذي ٥٦/٣ رقم : ٢٤٧١ وانظر جامع البيان - الطبري ١١٤/٦ .

إلى الشرق ، واعتذروا بأن المسيح - ﷺ - فوض إليهم التحليل والتحرير وشرع الأحكام ، وأن ما حللوه وحرموه ، فقد حلله هو وحرمه في السماء " (١).

واستمر بهم الأمر كذلك في العهد النبوي حيث يقول ابن عاشور - رحمه الله تعالى - أثناء حديثه عن آيات تحويل القبلة أيضاً ما نصه : " فإن ما يفعله أحبارهم يكون قدوة لعامتهم ، فإذا لم يتبع أحبارهم قبلة الإسلام فأجدر بعامتهم أن لا يتبعوها " (٢).

بل إن القوم جعلوا مصدر التلقي عن حاخاماتهم أقوى وأنفذ مما يأتي من عند الله - ﷻ - ففضلوها وقدموها على أقوال الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وفي هذا الصدد أدون بعضاً من عبارات التلمود في تقرير هذا الأمر ومنها : " وقال أحدهم : إعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء " كما قال أحد علمائهم : " إن مخافة الحاخامات هي مخافة الله " وقال ثالث : " إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله " (٣)!!

وهكذا وضع لهم رهبانهم وأحبارهم من الخيل والمخاريق وأنواع الشعبذة ما استمالوا به الجهال وربطوهم به ، وهم يستحيزون ذلك ويستحسنونه (٤) كل هذا على الرغم من أن " أهل الكتاب لا اسناد لهم يأترون به المنقولات ، وهكذا المبتدعون من هذه الأمة أهل الضلالات .. وغيرهم من أهل البدع والكفار إنما عندهم منقولات يأترونها بغير اسناد ، وعليها من دينهم الاعتماد ، وهم لا يعرفون فيها الحق من الباطل ولا الحالي من العاطل " (٥).

ولا يقل أهل الشرك والأوثان حالاً عن سابقهم ، وإنما يزدادون سوءاً وتخبطاً ، فقد نصبوا من جهال الرجال مشرعين ، وكانوا لهم مدعينين ، ولما قالوا وطرحوا منقادين منفذين . فقد كان للعرب قديماً - وإلى عهد المصطفى ﷺ - اتباعاً لعمر بن عامر الخزاعي ، جالب الأصنام ومسيب السوائب ، وناشر البدع المتنوعات .

(١) روح المعاني - الألوسي ١٧/٢ .

(٢) التحرير والتنوير - ابن عاشور ٣٥/٢ .

(٣) إسرائيل والتلمود - إبراهيم خليل ٥٥ .

(٤) انظر إغاثة اللهفان - ابن القيم ٤٠١/٢ وما بعدها .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية - جمع ابن قاسم ٩/١ .



جاء في الحديث : " وقال أبوهريرة - ؓ - قال النبي - ﷺ - : رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجبر قصبه في النار (١) وكان أول من سيب السوائب " (٢).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " وكان أول من غير دين إسماعيل ، فنصب الأوثان ، وسيب السائبة ووصل الوصيلة ، وحمى الحامي " (٣) وقال ابن السائب الكلبي (٤) : " فلما صنع هذا عمرو بن لحي دانت العرب للأصنام ، وعبدوها واتخذوها " (٥).

وقد استمر بهم الحال إلى عهد المصطفى - ﷺ - حين رفضوا التلقي عن وحي رب العالمين - ﷺ - ورضوا بأن يكون لهم من أهوائهم وآرائهم مصدراً يستمدون منه ما يريدون وإن كانوا لا يعلمون .

قال الله - ﷻ - : ﴿ وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ﴾ (٦).

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - أي كذبوا بالحق إذ جاءهم ، واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافة عقولهم " (٧) وقال محمود الألوسي - رحمه الله تعالى - : " فتوجهوا نحو كل ما لاخير فيه فلذلك كان منهم ما كان " (٨) ورحم الله الطاهر ابن عاشور حين قال عند قول الله - ﷻ - : ﴿ وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم ﴾ (٩) : " ومن هؤلاء قادة المشركين في القديم مثل عمرو بن لحي أول

(١) القصب بالضم المعى ، قال الأكثرون : يعنى أمعاء . انظر النهاية في غريب الحديث - ابن الأثير ٦٧/٤ وشرح صحيح مسلم - النووي ١٩٥/١٧ وعمدة القاري - العيني ٩١/١٦ .

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب المناقب ، باب ( قصة خزاعة ) ٢١/٥ رقم : ٣٣ وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب ( النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ) ٢١٩٢/٤ رقم : ٢٨٥٦ .

(٣) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٣٠٣/٢ .

(٤) هشام محمد بن السائب بن بشر النسابة المعروف بابن الكلبي منسوب إلى كلب بن وبرة ، وهي قبيلة كبيرة من قضاة ، له من المصنفات كتاب الأصنام وغيره ( ت : ٢٠٤ هـ ) انظر سير أعلام النبلاء - الذهبي ١٠١/١٠ وميزان الاعتدال - الذهبي ٣٠٤/٤ رقم : ٩٢٣٧ وهدي العارفين - إسماعيل ٧/١ .

(٥) كتاب الأصنام - ابن السائب ١٣ ، وانظر السيرة النبوية - ابن هشام ٧٦/١ وما بعدها ، وتلبس إبليس - ابن الجوزي ٦٩ والاعتصام - الشاطبي ٣٩/٢ وانظر أيضاً العقيدة في الله - د. عمر بن سليمان الأشقر ٢٦٢ ، مكتبة الفلاح - الكويت ، ط : الخامسة : ١٩٨٤ م .

(٦) سورة القمر / الآية ٣ .

(٧) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٢٦٤/٤ .

(٨) روح المعاني - الألوسي ٧٧/١٤ .

(٩) سورة الأنعام / جزء من الآية ١١٩ .

من سن لهم عبادة الأصنام وبحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامي ، ومن بعده مثل الذين قالوا : ما قتل الله أولى بأن نأكله مما قتلنا بأيدينا " (١).

ولم يكتف القوم بجهالهم - من السابقين واللاحقين - بل نجدهم يعموا وجوههم قبل اليهود ليلقنهم ويزودهم من أسئلة البغي والتعنت والعناد بحجة أنهم أهل كتاب (٢).

وكما كان للقوم من آراء الرجال مصدر اعتماد ، ومنبع تلقي واستعلام ، كان للمؤلفاتهم وعاداتهم ضغطاً كبيراً في حمل الناس على الموافقة وتحاشيهم من المخالفة والمغايرة .

قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - : " إن الإنسان مدني بالطبع ، لا بد له أن يعيش مع الناس ، والناس له إرادات وتصورات واعتقادات ، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها ، فإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه ، وإن وافقهم حصل له الأذى والعذاب من وجه آخر " (٣) ولعل مما يستأنس به للاستشهاد في هذا المقام ، ما حدث لزعيم من زعماء قريش ، ممن ناصر الدعوة وآزر ابن أخيه محمد - ﷺ - طوال مدة بقائه وحتى ساعة الاحتضار ، حين قام رسول الله - ﷺ - يدعو إلى الله - ﷻ - ويطلبه بكلمة الإيمان والتوحيد ليحاج له بها يوم الوعيد ، ولكن قدر الله - ﷻ - له في عدم الاهتداء وما سلكه من طريق الأشقياء جعله يثبت على دين الآباء والأجداد خوفاً من السبة والملامة ، جاء في الحديث عن ابن المسيب عن أبيه : أن أباطال (٤) لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي - ﷺ - وعنده أبوجهل ، فقال : أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله ، فقال أبوجهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أباطال ترغب عن ملة عبدالمطلب ، فلم ير الا يكلمانه حتى قال آخر شئ كلمهم به : على ملة عبدالمطلب " (٥).

(١) التحرير والتنوير - ابن عاشور ٣٦/٨ .

(٢) انظر ص ٩٢ - ٩٣ من هذا البحث .

(٣) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٢٧٧/٢ وينعوه ذكر الشاطبي انظر الاعتصام ٢٤/١ وانظر أيضاً مقدمة ابن خلدون ٣٢ .

(٤) أبوطالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف الهاشمي عم رسول الله ﷺ شقيق أبيه ، لما مات عبدالمطلب تكفل برسول الله ﷺ فأحسن رعايته ، ولما بعث قام في نصرته وذبح عنه من عاداه ، انظر الإصابة - ابن حجر ١١٢/٧ رقم : ٦٧٧ ومدخل المؤلفين - فكري ٨٧٤/٢ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب ( قصة أبي طالب ) ١٤٤/٥ رقم : ٣٦٦ وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب ( الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ، ما لم يشرع في التزعم وهو في الفراغ ) . رقم : ٥٤/١ رقم : ٢٤ .

وفي لفظ عند مسلم (١) أن أبا طالب قال : " لولا أن تعيرني قريش ، يقولون حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك " (٢).

ونقل ابن هشام - رحمه الله تعالى - ما ذكره ابن اسحاق من أن أبا طالب قال : يا بن أخي والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بني أبيك من بعدي ، وأن تظن قريش إنني إنما قتلتها جزعاً من الموت لقلتها لا أقولها إلا لأسرك بها " (٣)

وأختم بما ذكره الشاطبي - رحمه الله تعالى - استئناساً بقوله حين قال : " فاتباع نظر من لا نظر له واجتهاد من لا اجتهاد له محض ضلاله ، ورمي في عماية ، وهو مقتضى الحديث الصحيح : " إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا " (٤)(٥).

فكيف يكون الحال عندما يكون مدار الرد والقبول هو المخالفة لأهواء النفوس والموافقة لها ، لا لشيء آخر كحال الكفرة أجمعين الذين نصبوا لأنفسهم ما شأوا من مصادر تلقي الدين ، بجهل وضلال ، وبغي وعناد وأعرضوا عن وحي الله - ﷻ - إلى رسوله - ﷺ - فأصيبوا بالخلل البين الظاهر في دياناتهم ومعتقداتهم فركبوا شتى الأهواء ، وقصدوا كافة الطرق والسبل إلا سبيل الحق والصواب .

فأين هم من قول من قال - والذي يتبين من خلاله سلامة المنهج في دقة التلقي وشدة الثبات عليه - : " كلا والله إن لنا شريعة لو رام أبو بكر الصديق - ﷺ - وحاشاه أن يفعل - أن يخرج عنها برأيه لم يقبل منه " (٦) ولكن من يضل الله فماله من هاد .

(١) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسين أحد الأئمة من حفاظ الحديث ، صاحب الصحيح الذي هو تلو صحيح البخاري عند أكثر العلماء ( ت : ٢٦١ هـ ) انظر تهذيب الأسماء واللغات - النووي ٨٩/٢ رقم ١٣١ والبداية والنهاية - ابن كثير ٣٦/١١ .

(٢) أخرجه مسلم في الكتاب والباب السابق ٥٥/١ رقم ( خاص ) : ٤٢ .

(٣) السيرة النبوية - ابن هشام ٤١٨/٢ وانظر البداية والنهاية - ابن كثير ١٢١/٢ وسبل الهدى والرشاد - الشامي ٥٦٤/٢ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب ( كيف يقبض العلم ) ٦٠/١ رقم : ٤١ وأخرجه مسلم في كتاب العلم ، باب ( رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان ) ٢٠٥٨/٤ رقم : ٢٦٧٣ .

(٥) الاعتصام - الشاطبي ٢٦٦/٢ .

(٦) تليس إبليس - ابن الجوزي ٤٣٠ .

وسيفظهر - إن شاء الله تعالى - في ثنايا هذا البحث ما أفرزته وأبرزته هذه الأسباب من مظاهر مختلفة وصور متنوعة ، وذلك من خلال ما سيعرض في الصفحات التالية .

## الفصل الثاني مظاهر اتباع المدعو للهوى في العهد النبوي

ويشتمل على :

- |               |                                   |
|---------------|-----------------------------------|
| المبحث الأول  | المظاهر الفردية لاتباع الهوى .    |
| المبحث الثاني | المظاهر الاجتماعية لاتباع الهوى . |

## الفصل الثاني مظاهر اتباع المدعو للهوى في العهد النبوي

### تمهيد :

إن ورود الأسباب على الإنسان - متفرقة أو متظافرة <sup>(١)</sup> - تؤدي إلى فشو مظاهر متنوعة متفاوتة .  
سما سيتناوله هذا الفصل - بإذن الله تعالى - هو الحديث عن عدد من أبرز المظاهر التي يمكن أن يستدل بها على اتباع صاحبها للهوى .

وإن من نافلة القول أن يجذر من اتهام النيات ، وتأويل التصرفات من دون وجه حق ، بحجة تشابه الصور والمظاهر وتكررها ، حيث إن المقصود والهدف المنشود إنما هو التبيه على خطرها وعظيم ضررها ؛ ليستدرك المفرط ، ويتيقظ الغافل ، ويحفظ العاقل غرته ، فينزه نفسه عن المطامع المردية ، والمعاش المخزية ، ورضي الله عن الفاروق عمر بن الخطاب حين قال : " إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله - ﷺ - وإن الوحي قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه وليس إلينا من سريرته شيء ، الله يحاسبه في سريرته ، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه ، وإن قال إن سريرته حسنة " <sup>(٢)</sup> .

وقد جعلت هذا الفصل في مبحثين :

#### المبحث الأول : المظاهر الفردية لاتباع الهوى :

- ويشمل :
  - المطلب الأول الانشغال بالأهل والأموال .
  - المطلب الثاني الخصومة والتمادي في الباطل .
  - المطلب الثالث التكاسل والتخذيل .

#### أما المبحث الثاني : المظاهر الاجتماعية لاتباع الهوى :

- ويشمل :
  - المطلب الأول التقليد والمحاكاة .
  - المطلب الثاني التليس والمحادعة .
  - المطلب الثالث موالة الكافرين ومعاداة المؤمنين .

(١) التظافر : التعاون ، يقال : تظافروا على كذا : تعاونوا . انظر المعجم الوسيط - إبراهيم أنيس وآخرون ٥٧٦/٢ مادة ( ظفر ) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات ، باب ( الشهداء العدول .. ) ٣٣٣/٣ رقم : ٦ .

## المبحث الأول المظاهر الفردية لاتباع الهوى المطلب الأول الانشغال بالأهل والأموال

إن الانشغال بالأهل والأموال وما شابهها من متاع الزوال عن دعوة الحق - قبولاً أوتبنياً - مظهر قد فشا وتبدى في عدد من الأفراد الذين آثروا الإخلاق إلى الأرض وزخرفها ، وتابعوا هوى النفس والشيطان . وقد بين الله - ﷻ - في كتابه الكريم أن النفوس تفتن بمثل هذا المتاع ، فتمنع من الطاعة ، وتدنى من المعصية بل وتجرد إلى مخالفة الحق سبيلاً ومسلماً ، يقول الله - ﷻ - : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخسرون ﴾ (١) .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بكثرة ذكره ، وناهياً لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك " (٢) وقال الشوكاني - رحمه الله تعالى - : " لما ذكر - سبحانه - قبائح المنافقين رجع إلى خطاب المؤمنين مرغباً لهم في ذكره .. فحذرهم عن أخلاق المنافقين الذين ألهتهم أموالهم وأموالهم عن ذكر الله ، ومعنى لا تلهكم : لا تشغلكم " (٣) .

ومن المعلوم أن النفوس تفتن بهما قال القاسمي - رحمه الله تعالى - عند تفسيره لقوله - ﷻ - : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ﴾ (٤) : " أي تفتن بهما النفوس ، ويجري عليها من البلاء بهما إذا أوثرا على محبة الحق " (٥) وقد بين المصطفى - ﷺ - أن لكل أمة فتنة ، وأن فتنة هذه الأمة في المال .

(١) سورة المنافقون / الآية ٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣٧٢/٤ .

(٣) فتح القدير - الشوكاني ٣٢٧/٥ .

(٤) سورة التغابن / الآية ١٥ .

(٥) محاسن التأويل - القاسمي ١٨٥/١٦ .

جاء في الحديث عن كعب بن عياض - ؓ - قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : " إن لكل أمة فتنه ، وإن فتنه أمتي المال " (١).

وقد بوب الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - في صحيحه باب ( ما يتقى من فتنه المال وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ ) (٢) قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : " أي تشغل البال عن القيام بالطاعة " (٣) وقال المباركفوري - رحمه الله تعالى - : " أي اللهب به - يشير إلى فتنه المال - لأنه يشغل البال عن القيام بالطاعة ، وينسي الآخرة " (٤).

وأما الفتنة بالولد ، فقد جاء في الحديث أن عبدا لله بن بريدة قال : سمعت أبي بريدة يقول : " كان رسول الله - ﷺ - يخطبنا إذ جاء الحسن (٥) والحسين (٦) - رضي الله عنهما - عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله - ﷺ - من المنبر ، فحملهما ووضعهما بين يديه ، ثم قال : صدق الله :

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢١٨/٤ رقم : ١٧٤٣٨ وأخرجه الترمذي في كتاب الزهد ، باب ( ما جاء أن فتنه هذه الأمة في المال ) ٤٩٢/٤ رقم : ٢٣٣٦ وقال عنه الترمذي هذا حديث صحيح غريب ، وقال الألباني صحيح ، انظر صحيح سنن الترمذي ٢٧٣/٢ رقم : ١٩٠٥ .

(٢) انظر صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ١٦٥/٨ رقم : ٢٣ وما بعده .

(٣) فتح الباري - ابن حجر ٣٠٥/١١ .

(٤) تحفة الأحوذى - المباركفوري ٥١٨/٦ .

(٥) الحسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبو محمد سبط النبي ﷺ وأمه فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - سيدة نساء العالمين ، وهو سيد شباب أهل الجنة وريحانة النبي ﷺ ( ت : ٤٩ هـ وقيل غير ذلك ) انظر أسد الغابة - ابن الأثير ١٣/٢ رقم : ١١٦٥ والاستيعاب - ابن عبد البر ٤٣٦/١ رقم : ٥٧٣ والإشارة إلى وفيات الأعيان - النهي ٢٧ .

(٦) الحسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبو محمد سبط النبي ﷺ وأمه فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - سيدة نساء العالمين ، وهو سيد شباب أهل الجنة وريحانة النبي ﷺ ( ت : ٤٩ هـ وقيل غير ذلك ) انظر أسد الغابة - ابن الأثير ١٣/٢ رقم : ١١٦٥ والاستيعاب - ابن عبد البر ٤٣٦/١ رقم : ٥٧٣ والإشارة إلى وفيات الأعيان - النهي ٢٧ .

(٧) الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبو عبد الله السبط الشهيد بكر بلاء ابن بنت رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - وريحانته في الدنيا ( ت : ٦١ هـ ) انظر البداية والنهاية - ابن كثير ١٥٢/٨ والاستيعاب - ابن عبد البر ٤٤٢/١ رقم : ٥٧٤ والإشارة إلى وفيات الأعيان - النهي ٣٥ .



﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾<sup>(١)</sup> فنظرت إلى هذين الصيين يميشان ويعثران ، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما " (٢).

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - أيضاً : " ففيه تنبيه على أن الفتنة بالولد مراتب ، وأن هذا من أدناها وقد يجر إلى ما فوقه ، فيحذر " (٣) ؛ إذ إن من الخلق من يفضلهما - أي المال والولد - على الحق ، بل ومنهم من يقدمهما ويؤخر الحق تأخير اعتداء واستخفاف ، بل إن من الناس من أكد حصول الأموال والأولاد له في الدار الآخرة ، فقال في معرض التهديد والسخرية كما ذكر ذلك الله في كتابه العزيز حين قال :

﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً ﴾<sup>(٤)</sup> قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : " إن رجالاً من أصحاب رسول الله - ﷺ - كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمي بدين ، فأتوه يتقاضونه ، فقال : أستم تزعمون أن في الجنة ذهباً وفضة وحريراً ومن كل الثمرات ؟! قالوا : بلى ، قال : فإن موعدكم الآخرة ، فوالله لأوتين مالا وولداً ، ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به " (٥).

وجاء في الحديث عن خباب<sup>(٦)</sup> - ﷺ - قال : كنت رجلاً قيناً ، وكان لي على العاص بن وائل حق ، فأتيته أتقاضاه ، فقال : لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ، فقلت : لا والله ، لا أكفر بمحمد - ﷺ - حتى تموت ثم تبعث ، قال : فضحك ثم قال : سيكون لي ثم مال وولد ، فأعطيك حقه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً ﴾<sup>(٧)</sup> .

(١) سورة التغابن / الآية ١٥ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب ( مناقب الحسن والحسين ﷺ ) ٦١٦/٥ رقم : ٣٧٧٤ قال أبو عيسى : هذا حديث حسن

غريب ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب اللباس ، باب ( لبس الأحمر للرجال ) ١١٩٠/٢ رقم : ٣٦٠٠ ، قال الألباني صحيح ، انظر

صحيح سنن الترمذي ٢٢٤/٣ رقم : ٢٩٦٨ .

(٣) فتح الباري - ابن حجر ٣٠٥/١١ .

(٤) سورة مريم / الآية ٧٧ .

(٥) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١٣٢/٣ .

(٦) خباب بن الأرت التميمي وقيل الخزاعي بن جندلة بن سعد أبو عبد الله ﷺ ، وهو عربي لحقه سي في الجاهلية ، فبيع بمكة ، وهو من

السابقين الأولين إلى الإسلام ، ومن عذب في الله ﷻ ( ت : ٣٧ هـ ) انظر أسد الغابة - ابن الأثير ١٤٧/٢ رقم : ١٤٠٧ والإصابة - ابن

حجر ١٠١/٢ رقم : ٢٢٠٦ .

(٧) أخرجه أحمد في المسند ١٥٠/٥ رقم : ٢١٠٦٧ .

فالإنسان ربما يعص الله بولده .

قال الزجاج (١) - رحمه الله تعالى - : " أعلمهم الله - ﷺ - أن الأموال والأولاد مما يفتنون به ، وهذا عام في جميع الأولاد ، فإن الإنسان مفتون بولده ؛ لأنه ربما عصى الله تعالى بسببه ، وتناول الحرام لأجله ، ووقع في العظائم إلا من عصمه الله " (٢)؛ إذ إن " الأزواج والأولاد قد يكونون مشغلة وملهاة عن ذكر الله - ﷺ - كما أنهم قد يكونون دافعاً للتقصير في تبعات الإيمان " (٣).

ويؤكد خطورة الأمر ، أن أهل الفضل والصلاح ليسوا بمعزل من التعرض للفتنة بهما .

وما وقع لعدد من الصحابة - رضي الله عنهم - يوم بدر (٤) حين اختلفوا في الغنائم إلا شاهد على ما ذكر جاء في الحديث عن عبادة بن الصامت (٥) - ﷺ - قال : خرجنا مع النبي - ﷺ - ، فشهدت معه بدرأ فالتقى الناس ، فهزم الله - ﷺ - العدو ، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون ، فأكبت طائفة على العسكر يحوونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله - ﷺ - لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل ، وفاء بعضهم إلى بعض ، قال الذين خرجوا في طلب العدو : لستم بأحق بها منا ، نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله - ﷺ - لستم بأحق بها منا ، نحن أحدقنا برسول الله ، وخفنا أن يصيب العدو منه غرة ، واشتغلنا به ، فنزلت ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السري الزجاج ، سمي بذلك لعمله في خرط الزجاج ، له مصنفات منها : معاني القرآن ( ت : ٣١١ هـ وقيل غير ذلك ) انظر سير أعلام النبلاء - الذهبي ٣٦٠/١٤ رقم : ٢٠٩ ومداحل المؤلفين - فكري ٥٨٥/١ .

(٢) إغاثة اللفهان - ابن القيم ٢٣٢/٢ .

(٣) في ظلال القرآن - سيد قطب ٣٥٨٩/٦ ، دار الشروق - القاهرة ، ط : السابعة عشرة : ١٤١٢ هـ وانظر طريق الدعوة في ظلال

القرآن - جمع أحمد فائز ٢٥٣/١ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط : الثالثة عشرة : ١٤١٢ هـ .

(٤) غزوة بدر وتسمى بدرأ الكبرى والعظمى والثانية وبدر القتال ، وبدر اسم لبير ، خرج رسول الله ﷺ ليتلقى عمراً فيها أبوسفیان

وذلك سنة ١٢ هـ وقيل غير ذلك . انظر الإشارة إلى سيرة المصطفى ﷺ - الحافظ مغلطاي بن قليج ١٩٧ وتاريخ خليفة بن خياط ٥٧ .

(٥) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري يكنى أبو الوليد ﷺ ، شهد بدرأ والمشاهد كلها ، وجهه الفاروق ﷺ إلى الشام قاضياً ومعلماً

فأقام بمحصر ثم انتقل إلى فلسطين ومات بها ( ٣٤ هـ ) انظر أسد الغابة - ابن الأثير ٣٥٥/٢ رقم : ١٣٨٠ والإصابة - ابن حجر ٢٧/٤

رقم : ٤٤٨٨ .

والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ﴿ (١) فقسّمها رسول الله - ﷺ - على فواق (٢) بين المسلمين " (٣).

وما حصل من حاطب بن أبي بلتعة (٤) - ﷺ - عام الفتح إلا شاهد آخر ، وذلك أنه بعث كتاباً مع الظعينة إلى أهل مكة يخبرهم بنية غزو رسول الله - ﷺ - ، وتسأّل المصطفى - ﷺ - عن السبب الذي حمّله على مثل هذا الصنيع ، فقال : " يا حاطب ما هذا ؟ ، قال - أي حاطب - ميناً السبب : " يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرئاً ملصقاً في قريش - يقول كنت حليفاً - ولم أكن من أنفسها ، وكان معك من المهاجرين من هم قرابات يحمون أهلهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي " (٥) وذكر في سبب نزول قول الله - ﷻ - : ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ (٦) ما جاء عن أبي أيوب الأنصاري (٧) - ﷺ - صاحب رسول الله - ﷺ - أنه قال : " أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية على غير التأويل ، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ، إنا - لما

(١) سورة الأنفال / جزء من الآية ١ .

(٢) أي قسمها في قدر فواق ناقة ، وهو ما بين الحلبتين من الراحة ، وتضم فاؤه وتفتح . النهاية في غريب الحديث - ابن الأثير ٤٧٩/٣ (فوق) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤٠٥/٥ رقم : ٢٢٧٥٨ ، وأخرجه أبووداد في كتاب الجهاد ، باب ( في النفل ) ٧٧/٣ رقم : ٢٧٣٧ قال الألباني صحيح ، انظر صحيح سنن أبي داود ٥٢٢/٢ رقم : ٢٣٧٦ ، وأخرجه ابن أبي شيبة في الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار تحقيق : مختار أحمد الندوي ٣٥٦/١٤ رقم : ١٨٥٠٨ ، الدار السلفية - الهند ، ط : الأولى : ١٤٠٣هـ .

(٤) حاطب بن أبي بلتعة اللخمي ﷺ شهد بدرًا والحديبية ، وقد شهد له بالإيمان في قوله ﷺ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾ سورة المتحنة / جزء من الآية ١ وذلك أن حاطباً ﷺ كتب إلى أهل مكة يخبرهم بتوجه رسول الله ﷺ إليهم ( ت : ٣٠ هـ بالمدينة ) انظر الاستيعاب - ابن عبد البر ٣٧٤/١ رقم : ٤٧٢ وأسد الغابة - ابن الأثير ٦٥٩/١ رقم : ١٠١١ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب ( غزوة الفتح وما بعث به حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي ﷺ ) ٢٩٧/٥ رقم : ٢٨٣ ، وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب ( من فضائل أهل بدر وقصة حاطب بن أبي بلتعة ) ١٩٤١/٤ رقم : ٢٤٩٤ وانظر البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف - ابن حمزة الحسيني ١١٥/٣ ، المكتبة العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٢هـ .

(٦) سورة البقرة / جزء من الآية ١٩٥ .

(٧) خالد بن زيد بن النجار الأنصاري ﷺ شهد العقبة وبدرًا وأحدًا وسائر المشاهد ، وهو الذي نزل عليه رسول الله ﷺ لما قدم المدينة مهاجرًا إلى أن بنى مسجده ومسكنه ( ت : ٥٠ وقيل ٥١ هـ بالقسطنطينية ) انظر الاستيعاب - ابن عبد البر ١٦٩/٤ رقم : ٢٨٩٤ وأسد الغابة - ابن الأثير ٢٢/٦ رقم : ٥٧١٤ .

أعز الله تعالى دينه وكثر ناصره - قلنا بعضنا لبعض سراً من رسول الله - ﷺ - : إن أموالنا قد ضاعت ، فلو  
أنا أقمنا فيها ، وأصلحنا ما ضاع منها ، فأنزل الله تعالى في كتابه يرد علينا ما هممنا به ... في الإقامة التي  
أردنا أن نقيم في الأموال فنصلحها ، فأمرنا بالغزو " (١) والحديث يدل على أن المراد بإلقاء الأيدي إلى  
التهلكة هو الإقامة في الأهل والمال ، وترك الجهاد (٢) .

ولعل ذلك تأكيد لخطر الانشغال بالأهل والأموال خلافاً للمشروع ، وتجاوزاً لما هو مطلوب  
ومرغوب (٣) فالقيام فيهما بما شرعه الله - ﷻ - لا يدخل في هذا ، بل هو أمر حث الشرع المطهر على  
ضرورة الاعتناء به ، وإنما المراد بالانشغال ما أشغل عن الحق وصرف عنه .

وبهذا يعلم أن الحرص والمبالغة في الانشغال بالأهل عموماً ، والأموال ومتطلباتها على وجه الخصوص مفسد  
للدين ، ومهلك له : جاء في الحديث عن محمد بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة أن ابن كعب بن

---

(١) أسباب النزول - الواحدي ٤٧ وانظر أيضاً سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب (ومن سورة البقرة) ١٩٦/٥ رقم : ٢٩٧٢  
قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب ، قال الألباني : صحيح ، انظر صحيح سنن الترمذي ٢٥/٣ رقم : ٢٣٧٣ ، وفتح الباري  
- ابن حجر ٢٣٤/٨ رقم : ٤٥١٦ .

(٢) تحفة الأحوذى - المبار كفوري ٢٤٩/٨ رقم : ٣١٥٣ .

(٣) ابنه علي أن ما صدر من الصحابة - رضي الله عنهم - فيما ذكر من المواقف السابقة إنما هو من قبيل الزلة العابرة والخطأ المحتمل ،  
ويدل على ذلك حالهم - رضي الله عنهم - عند صدور الخطأ وبعده ، فهذا عبادة - ﷻ - وهو شاهد عيان في بدر - قال حين سئل عن  
الأنفال : " فينا معشر أصحاب بدر نزلت ، حين اختلفنا في النفل ، وسأت فيه أخلاقنا ، فانتزع الله من أيدينا .. " أخرجه الإمام أحمد  
في المسند ٤٠٣/٥ رقم : ٢٢٧٤٣ ، وفي بيان حاطب وإجابته - ﷻ - للرسول - ﷺ - شاهد على ما أنا بصدده أيضاً فليراجع ، ويذكر " أن  
حاطباً - ﷻ - لما سمع : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ سورة المتحنة / جزء من الآية ١ ، غشي عليه من الفرح بخطاب الإيمان " الجامع لأحكام  
القرآن - القرطبي ٣٥/١٨ ، وفي كلام أبي أيوب - ﷻ - الأخير شاهد أيضاً ، بل وفي فعله - ﷻ - حيث ذكر أنه لم يزل " غازياً في سبيل  
الله حتى قبضه الله - ﷻ - " أسباب النزول - الواحدي ٤٨ .

ففرق بين الخطأ والزلة العابرة ، وبين اتباع الهوى . وللإستزادة راجع البحث الثالث من الفصل التمهيدي ، وهو بعنوان : الفرق بين خطأ  
الاجتهاد واتباع الهوى ٣١ - ٤٥ .

مالك (١) حدثه عن أبيه أن النبي - ﷺ - قال : " ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم أفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه " (٢).

قال ابن رجب الحنبلي (٣) - رحمه الله تعالى - : " فأخبر النبي - ﷺ - أن حرص المرء على المال والشرف إفساد لدينه ، ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم ، بل إما أن يكون مساوياً وإما أكثر ، يشير إلى أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل " (٤).

وقال صاحب تحفة الأحوذى - رحمه الله تعالى - : " أما المال فإفساده أنه نوع من القدرة يحرك داعية الشهوات ، ويجر إلى التمتع في المباحات ، فيصير التمتع مألوفاً ، وربما يشتد أنسه بالمال ، ويعجز عن كسب الحلال فيقتحم في الشبهات ، مع أنها ملهية عن ذكر الله تعالى ، وهذه لا ينفك عنها أحد ، وأما الجاه فكفى به إفساداً أن المال يبذل للجاه ، ولا يبذل للجاه للمال " (٥).

وبالنظر والتأمل في سير الناس وأحوالهم نجد مصداق ما ذكر : إذ ترى صنفاً من الناس يتملص (٦) من خدمة الإسلام تملصاً عنه أن يورايه بالحجاب ، عذره في ذلك الانشغال بالأهل والمال ، وترى صنفاً آخر قد استهوته الدراهم والدنانير حتى كاد أن يكون عبداً لها ، كما تلحظ شكلاً وصنفاً آخر من الناس شغل بتحصيل الشرف والجاه حتى حرم من نعمة قبول الدعوة والعبودية للرب الديان - ﷻ - فتجده يجلب بخيله ورجله بغية إدراك المراد .

(١) كعب بن مالك الخزرجي الأنصاري السلمي شهد العقبة الثانية واختلف في شهوده بديراً وشهد أحداً والمشاهد كلها ، وتختلف عن تيوك فأنزل الله توبته عليه وعلى صاحبيه ، وكان قد عمي وذهب بصره آخر عمره ( ت : ٥٣ هـ ) الاستيعاب - ابن عبد البر ٣٨١/٣ رقم : ٢٢٣١ وأسد الغابة - ابن الأثير ٤٦١/٤ رقم : ٤٤٨٤ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥٩٥/٣ رقم : ١٥٧٦٥ ، وأخرجه الترمذي في كتاب الزهد ، باب ( ٤٣ ) ٥٠٨/٤ رقم : ٢٣٧٦ قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وقال الألباني : صحيح ، انظر صحيح سنن الترمذي ٢٨٠/٢ رقم : ١٩٣٥ .

(٣) عبدالرحمن بن نجم بن عبد الوهاب أبو الفرج ناصح الدين ابن الحنبلي ، وهم يتسبون إلى سعد بن عبادة ؓ ، وكان فاضلاً صالحاً ( ت : ٦٣٤ هـ بدمشق ) انظر البداية والنهاية : ابن كثير ١٥٧/١٣ ومداخل المؤلفين : فكري ٣٩٦/١ والأعلام : الزركلي ٣٤٠/٣ .

(٤) شرح حديث ما ذئبان جائعان : ابن رجب ، تحقيق : بدر البدر ١١ ، دار الفتح - الشارقة ، ط : الأولى ١٤١٤ هـ .

(٥) تحفة الأحوذى - المباركفوي ٣٩/٧ ولعل بذل الجاه لتحصيل المال يقع فيه نفر من الخلق ، كما أن المال الصالح يكون عوناً للعبد الصالح والله أعلم .

(٦) تملص من كذا : اغلص ، يقال : تملص الرشاء من يدي ، وتملصت من فلان : تخلصت . المعجم الوسيط - د . إبراهيم أنيس وآخرون ٨٨٤/٢ مادة ( ملص ) .

ومما يبين ما أجمل من الكلام ويوضحه ما يلي :

● عندما أراد المصطفى - ﷺ - أن يخرج إلى مكة عام الفتح ، استنفر الناس ، فبادر أجلاء الرجال وعظماهم لتلبية أمر رسول الله - ﷺ - ، وتخلف قسم آخر عن الامتثال ، وهم الذين كانوا حول المدينة من الأعراب ، شغلهم معالجة الأهل والأموال عن الخروج ، فأقبلوا بعذرهم يزفون <sup>(١)</sup> طالبين العفو والاستغفار على وجه التقية والمصانعة <sup>(٢)</sup> .

قال الله تعالى ذاكراً حالهم ، وواصفاً سوء صنيعهم : ﴿ سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضرراً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً ﴾ بل طنتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً ﴿ <sup>(٣)</sup> .

قال القرطبي - رحمه الله تعالى - : " .. هم الأعراب الذين كانوا حول المدينة تخلفوا عن رسول الله - ﷺ - حين أراد السفر إلى مكة عام الفتح ، بعد أن استنفرهم ليخرجوا معه حذاراً من قريش .. فتشاقلوا عنه واعتلوا بالشغل " <sup>(٤)</sup> .

وفي شأن تخلفهم وما قدموه من اعتذار يقول ابن عطية الأندلسي - رحمه الله تعالى - : " قالوا شغلنا الأموال والأهلون فاستغفر لنا ، وهذا منهم خبث وإبطال " <sup>(٥)</sup> ومعلوم أن هذا " ليس بعذر ، فللناس دائماً أهل وأموال ، ولو كان مثل هذا يجوز أن يشغلهم عن تكاليف العقيدة ، وعن الوفاء بحقها ، ما نهض أحد قط بها " <sup>(٦)</sup> .

(١) زف القوم في مشيهم : أسرعوا . لسان العرب - ابن منظور ١٣٦/٩ مادة ( زف ) .

(٢) وللإطلاع على تفاصيل أكثر : انظر السيرة النبوية - ابن هشام ٣٨٩/٤ وتاريخ الإسلام - المغازي - النهي ٥٢١ وعيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير - ابن سيد الناس ١٦٧/٢ ، مكتبة المقدسي - القاهرة ، ط . د : ١٣٥٦ هـ ، وما سلف الإحالة إليه .

(٣) سورة الفتح / الآية ١١ - ١٢ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٧٨/١٦ وانظر الدر المنثور في التفسير المأثور - السيوطي ٦٥/٦ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ .

(٥) المحرر الوجيز - ابن عطية ٩٧/١٥ .

(٦) في غلال القرآن - سيد قطب ٣٣٢١/٦ .

● وقد فقه أوائل الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - هذا الأمر ، فعلموا أن شدة التعلق بالأهل والأموال - دون اتزان - عامل خذلان ومظنة حرمان ، فكان منهم - رضي الله تعالى عنهم - في بيعة العقبة الثانية أثناء مبايعة الرسول - ﷺ - أن قام أحدهم فقال : " .. إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه ، فمن الآن ... قالوا فإننا نأخذ على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف " (١).

● هكذا كان موقف أشداء الرجال وعقلائهم - رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم - وبالضد من ذلك موقف الذين استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير ، كحال المنافقين الذين فتنوا بأموالهم وأولادهم فشحوا بالأموال وكرهوا انبعاثها في سبيل الله ، قال الله تعالى : ﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وترهق أنفسهم وهم كافرون ﴾ (٢).

قال الطاهر ابن عاشور - رحمه الله تعالى - : " ومعنى هذه الآية : أن الله كشف سرّاً من أسرار نفوس المنافقين بأنه خلق في نفوسهم شحاً وحرصاً على المال ، وفتنة بتوفيره والإشفاق من ضياعه ، فجعلهم بسبب ذلك في عناء وعذاب من جراء أموالهم ، فهم في كبد من جمعها ، وفي خوف عليها من النقصان وفي ألم من إنفاق ما يلجئهم الحال إلى إنفاقه منها " (٣) وبين ابن جرير - رحمه الله تعالى - أنهم يكرهون البذل بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ميلاً وشحاً بالمال (٤).

● وما يذكر في هذا الصدد أن قول الله - تبارك وتعالى - : ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ﴾ فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ﴿ (٥) نزل في منافق طلب سعة الرزق ، وأعطى الله عهده وميثاقه لئن أغناه ليصدقن من ماله وليكونن من

(١) السيرة النبوية - ابن هشام ٤٤٦/٢ وانظر الكامل في التاريخ - ابن الأثير ٦١٣/١ ومجموعة الوثائق السياسية - محمد حميد الله ٥٠ .

(٢) سورة التوبة / الآية ٥٥ .

(٣) التحرير والتنوير - ابن عاشور ٢٢٨/١٠ .

(٤) انظر جامع البيان - ابن جرير ٢٠١/٦ وسيأتي الحديث - إن شاء الله تعالى - عن مظهر التكاسل والتخذيل قريباً ص ١٣٩ .

(٥) سورة التوبة / الآية ٧٥ - ٧٦ .

الصالحين ، فيعمل بعمل أهل الصلاح في أموالهم ، فلما حصل مراده ، ما وفى بما قال ، ولا صدق فيما ادعى (١).

● وكما أن الانشغال بالأهل والأموال عن دعوة الحق مظهر يدل على اتباع صاحبه لهوى النفس فإن الانشغال بتحصيل الشرف والجاه بمعناهما ؛ إذ إن النتيجة مؤداها واحد ، وهو الانصراف عن الحق إلى الباطل ، وعن الإيمان إلى الكفر ، جاء في الحديث عن أبي هريرة - ؓ - قال : قال رسول الله - ﷺ - :

" تعس عبد الدينار والدرهم والقטיפه والخميصة إن أعطي رضي ، وإن لم يعط لم يرض " (٢).

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : " وسوغ الدعاء عليه : كونه قصر عمله على جمع الدنيا ، واشتغل بها عن الذي أمر به من التشاغل بالواجبات والندوبات " (٣) وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " فسمى هؤلاء الذين إن أعطوا رضوا ، وإن منعوا سخطوا : عبيداً لهذه الأشياء ؛ لانتهاه محبتهم ورضاهم ورجبتهم إليها " (٤).

فكم هم أولئك الذين شغلوا وشغفوا بما لديهم من رياسات ، وما حولهم من أمور مستحسنات ، فعارضوا الدعوة وناصروها العداة ؛ خوفاً من فوات ما أشغلوا أنفسهم بتحصيله ، وأفنوا أعمارهم بثيئته .  
ويبين المقصود ما سأورده من المثال التالي :

□ هرقل يشح بملكه ويؤثره على الإيمان

بعث رسول الله - ﷺ - إلى هرقل عظيم الروم كتاباً يدعو فيه إلى الإسلام ، فلما بلغ هرقل كتاب رسول الله - ﷺ - استدعى أبا سفيان ومن معه - وكانوا في تلك البقاع لغرض التجارة - فحاوره وناقشه في شأن النبي - ﷺ - وكانت الخلاصة التالية : أن قال هرقل : " قد كنت أعلم أنه خارج ، ولكن لم أظن أنه منكم ، وإن يك ما قلت حقاً فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين ، ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت

(١) انظر جامع البيان - ابن جرير ١٨٩/٦ وتفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣٥٧/٢ والتحرير والتنوير - ابن عاشور ٢٧٢/١٠ والدر المنثور - السيوطي ٤٦٧/٣ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب ( ما يتقى من فتنه المال .. ) ١٦٥/٨ رقم : ٢٣ .

(٣) فتح الباري - ابن حجر ٣٠٧/١١ رقم : ٦٤٣٥ .

(٤) إغائة اللهفان - ابن القيم ٢١٣/٢ .



لقيه ، ولو كنت عنده لغسلت قدميه " (١) وفي لفظ : " ولو أني أعلم أني أخلص إليه ، لأحببت لقاءه " (٢).

وقال السهيلي (٣) - رحمه الله تعالى - : " قد روي أن هرقل وضع كتاب رسول الله - ﷺ - الذي كتب إليه في قصبة من ذهب تعظيماً له ، وأنهم لم يزالوا يتوارثونه كابراً عن كابر في أرفع صوان ، وأعز مكان " (٤) ومع ذلك فإنه شح بملكه ، وآثر الفانية على الباقية ، قال النووي - رحمه الله تعالى - : " ولا عذر له في هذا ؛ لأنه قد عرف صدق النبي - ﷺ - وإنما شح في الملك ورغب في الرياسة ، فأثارها على الإسلام ... ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي وما زالت عنه الرياسة " (٥).

وقد بين التنوخي - رسول هرقل إلى رسول الله - ﷺ - عندما سئل عن رسالة المصطفى - ﷺ - إلى هرقل ، فقال : " قدم رسول الله - ﷺ - تبوك فبعث دحية الكلبي (٦) - ﷺ - إلى هرقل ، فلما أن جاءه كتاب رسول الله - ﷺ - دعا قسيسي الروم وبطارقتها ، ثم أغلق عليه وعليهم باباً ، فقال : قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم وقد أرسل إلي يدعوني ... والله لقد عرفتم فيما تقرؤون من الكتب ليأخذن ما تحت قدمي ، فهلتم تتبعه على دينه ، أو نعطيهِ مالنا على أرضنا ، فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم ... فلما ظن أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رفاهم ولم يكذب ، وقال : إنما قلت ذلك لكم لأعلم صلابتكم على أمركم " (٧).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب ( دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً .. ) ١١٩/٤ رقم : ١٥١ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب ( كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ) ١٣٩٤/٣ رقم : ١٧٧٣ .

(٣) السهيلي عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن سعدون ، صاحب التصانيف الموثقة ، صنف كتاب الروض الأنف ، كالشرح للسيرة النبوية ، فأجاد وأفاد ، وذكر أنه استخرجه من ١٢٠ مصنفاً ( ت : ٥٠٨ هـ - بمراكش ) انظر تذكرة الحفاظ - الذهبي ١٣٤٨/٤ رقم : ١٠٩٩ ومداخل المؤلفين - فكري ٧٣٠/٢ .

(٤) الروض الأنف - السهيلي ٣٦٥/٧ .

(٥) شرح صحيح مسلم - النووي ٣٤٩/١٢ .

(٦) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس الكلبي ﷺ صاحب رسول الله ﷺ ، شهد أحداً وما بعدها ، بعثه رسول الله ﷺ إلى قيصر رسولاً . انظر أسد الغابة - ابن الأثير ١٩٧/٢ رقم : ١٥٠٧ ومشاهير علماء الأمصار - ابن حبان ٩٤ رقم : ٣٨٠ .

(٧) أخرجه أحمد في المسند ٥٧٢/٣ رقم : ١٥٦٣٢ وانظر سبل الهدى والرشاد - الشامي ٦٥٨/٥ وفتح الباري - ابن حجر ٥٠/١ .

وذكر السهيلي - رحمه الله تعالى - : أن هرقل أمر منادياً ينادي : ألا إن هرقل قد آمن بمحمد واتبعه فدخلت الأجناد في سلاحها ، وأطافت بقصره تريد قتله ، فأرسل إليهم : إني أردت أن أختبر صلابتكم في دينكم ، فقد رضيت عنكم ، فرضوا عنه " (١).

لقد بدى موقف هرقل بادئ الأمر في مظهر المتدبر المقدر لحقائق الأشياء ؛ وذلك ليطمئن إلى ما يجب عليه فعلة ، حفاظاً على ملكه وسلطانه حيال هذا الأمر (٢).

ويؤكد ابن حجر - رحمه الله تعالى - أن هذا الرجل آثر ملكه على الإيمان ، فيقول : " وما يقوي أن هرقل آثر ملكه على الإيمان واستمر على الضلال ، أنه حارب المسلمين في غزوة موتة " (٣).

وما أثبت ودون عن هرقل ما هو إلا موقف ونموذج من مواقف عديدة ، إذ أن أشباهه ونظراءه في الحرص والانشغال بمثل هذا الأمر كثير ، وإن المطلع على كتب السير يجد مصداق ما ذكر (٤).

وخلاصة القول ومقصوده : إن الانشغال بالأهل والأموال وما شابهها من متاع الزوال - على غير الوجه المشروع - عن دعوة الحق قبولاً أو تبنياً مظهر وصورة تدل على وجود نوع من الهوى في نفس صاحبها فتجعله في هم وغم ، وإن بدى خلاف ذلك (٥).

(١) الروض الأنف - السهيلي ٣٦٣/٧ .

(٢) انظر فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة - د. محمد سعيد البوطي ٣٧٥ ، دار الفكر المعاصر - بيروت ، ط : العاشرة : ١٤١١هـ .

(٣) فتح الباري - ابن حجر ٥١/١ .

(٤) ولزيد من الاطلاع وللتعرف على قوائم عديدة من أسماء ومواقف الذين شغلوا أنفسهم بالمتاع ، فآثروه على حسن الاتباع أذكر منهم : مسلمة الكذاب ، جاء في الحديث " .. قدم مسلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ - فجعل يقول : إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته " أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب ( وقد بني حنيفة .. ) ٣/٦ رقم : ٣٦٩ ، وزعيم المنافقين ابن أبي شريك بالحق لما جاءه ؛ لشعوره بأن الرسول - ﷺ - قد سلبه ملكه ، انظر صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب ( ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم .. ) ٨٠/٦ رقم : ٨٧ ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب ( في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين ) ١٤٢٢/٣ رقم : ١٧٩٨ ، وكرد عامر بن الطفيل حين خير بين ثلاث حصال ، فقال : " يكون لك أهل السهل ، ولي أهل المدر ، أو أكون خليفتك أو أغزوك " انظر صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب ( غزوة الرجيع ورعل وذكوان .. ) ٢٣٢/٥ رقم : ١٢٧ ، وانظر الطبقات الكبرى - ابن سعد ٢٣٥/١ ، ٢٤٠ . وقد اقتصر على ما دونت عشية الإطالة .

(٥) سيأتي الحديث عن هذا - إن شاء الله تعالى - في الفصل الثالث والذي هو بعنوان آثار اتباع الهوى ص ١٧٦ .

وهكذا فإن من أشغل نفسه بدنانيا المطالب ، وجعلها ترعى في مرعى العوائد ، تكالب عليه من الطباع  
سيئها ، وفاته من الفضائل والمعالي محاسنها (١).

---

(١) انظر الآداب الشرعية والمنح المرعية - ابن مفلح ٢٤٤/٢ ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، ط . د .

## المطلب الثاني الخصومة والتمادي في الباطل

إن المجادلة بالتي هي أحسن وأقوم لإظهار الحق مطلب يحتاج إليه ، كما هو مقرر ومعروف ، قال

الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ (١).

والمعنى : " إلا بالجميل من القول ، وهو الدعاء إلى الله بآياته ، والتنبيه على حججه " (٢) يد أن اللجاجة والخصومة المستمرة أمر مذموم غير مرغوب ولا مطلوب ؛ إذ إن عدم الانقياد والتسليم للحق بعد ظهوره والتمادي في الباطل دليل على اتباع الهوى .

وقد تبدى هذا المظهر وفشا في عدد غير قليل من البشر الذين جعلوا الهوى أول مطالبهم فاتبعوه ، وجعلوا من مسلك الحق آخر ما يقصدون ، فخالفوه واجتنبوه ، ومن صور ذلك وعلاماته : أنك ترى صاحب هذا المظهر تارة يخاصم ويجادل بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، وتارة تجده يخاصم فيما ليس له به علم أصلاً ، وتارة يخاصم ويجادل بالباطل ، وتارة يجادل في الحق بعدما تبين وأسفر ، كما تلحظ عليه أيضاً عندما تظهر له حجج الحق وبراهينه ، وتزول خيوط الباطل - والتي هي أوهى من خيوط العنكبوت - تمادياً في غيه وضلاله ، فإن دعي إلى إله الحق مشى بهمهم ، ويوصي بالصبر على آلهة الباطل ، وإن عرض عليهم الإيمان كذبه ، وإن خوفوا بالعذاب استعجلوه ، فهو منهج سلكه أهل الأهواء والباطل وارتضوه ، وصدق الله - ومن أصدق من الله قيلاً - حين قال : ﴿ وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ

الإنسان أكثر شئاً جدلاً ﴾ (٣) والمعنى : " ولقد بينا للناس ووضحنا لهم الأمور وفصلناها ؛ كيلا يضلوا عن الحق ، ومع هذا البيان وهذا الفرقان ، الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق بالباطل ، إلا من هدى الله " (٤) وكل شئ في القرآن من ذكر الخصومة والجدل فهو من هذا القبيل ، نقل السيوطي - رحمه الله تعالى - حيال هذا المعنى ما يلي : " الجدل : الخصومة ، خصومة القوم لأنبيائهم ، وردهم عليهم

(١) سورة العنكبوت / جزء من الآية ٤٦ .

(٢) جامع البيان - ابن جرير ١/١١ وانظر زاد المسير - ابن الجوزي ٢٧٥/٦ .

(٣) سورة الكهف / جزء من الآية ٥٤ .

(٤) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٨٩/٣ مختصراً .

ما جاؤوا به ، وكل شئ في القرآن من ذكر الجدل ، فهو من ذلك الوجه ، فيما يخاصمونهم من دينهم يردون عليهم ما جاؤوا به " (١) وحين قال الله - ﷻ - في شأن قريش وشدة خصومتهم ومجادلتهم (٢) :

﴿ بل هم قوم خصمون ﴾ (٣) .

وقد جاء في الحديث عن عائشة - رضي الله عنها - ترفعه قال : " أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم " (٤) .

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : " أي الشديد اللدد الكثير الخصومة " (٥) وقال بدر الدين العيني - رحمه الله تعالى - : " أي شديد الجدل والخصومة والعدواة .. " (٦) وقال ابن عبد البر - رحمه الله تعالى - فيما يتعلق بالملاحاة واللجاجة والمرء : " والمرء والملاحاة غير جائز شئ منهما ، وهما مذمومان بكل لسان " (٧) وقال ابن الخنيلي - رحمه الله تعالى - : " فأما الجدل فهو مذموم في كل موضع ذكر " (٨) . ولهذا نجد في من هذه صفته أمارات وعلامات ، فمن ذلك : الافتراء والقول على الله وعلى خلقه بغير علم فيسندون إلى الله - ﷻ - الباطل ، ومالا مستند لهم فيه من الكذب والبهتان ، كما يسندون إلى كتبه ورسله ومن اقتضى أثرهم مثل ذلك .

(١) الدر المنثور - السيوطي ٤/٤١٥ .

(٢) انظر بحر العلوم - السمرقندي ٣/٢١١ .

(٣) سورة الزخرف / جزء من الآية ٥٨ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب ( وهو ألد الخصام ) ٦١/٦ رقم : ٤٨ .

(٥) فتح الباري - ابن حجر ٨/٢٣٧ .

(٦) عمدة القاري - العيني ١٨/١١٤ .

(٧) جامع بيان العلم وفضله - ابن عبد البر ، تحقيق : أبي الأشبال الزهيري ٢/٩٢٨ رقم : ١٧٦٨ ، دار ابن الجوزي - الدمام ، ط : الأولى

: ١٤١٤هـ .

ومعلوم أن هناك فرق بين الجدل الذي هو شريعة موضوعة للتعاون على إظهار الحق ، وبين اللجاج والخصام الذي هو للتعاون لإظهار الباطل ؛ إذ إن الأول محمود والآخر مذموم . انظر مدواة النفوس - ابن حزم ٤٩ ومفتاح دار السعادة - ابن القيم ١/١٧٣ ، ٢/٤١٠ .  
وجامع بيان العلم وفضله - ابن عبد البر ٢/٩٥٣ وما بعدها تحت عنوان ( إثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة ) والدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية - عبد الحميد بن باديس ، تعليق : علي بن عبد الحميد ٤٣ - ٤٤ ، دار المنار - الخرج ، ط . د .

(٨) استخراج الجدل من القرآن الكريم - ابن الخنيلي ، تحقيق : محمد صبحي حلاق ٢٥ ، مؤسسة الريان - بيروت ، ط : الأولى :

: ١٤١٣هـ .

ومما يوضح المراد ما يلي :

قال الله تعالى : ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ﴾ <sup>(١)</sup> وقال - ﷺ - :

﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ <sup>(٢)</sup>.

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله تعالى - : " ذكر أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث ، فيزعم أن الله

غير قادر على إحياء من قد بلي وصار تراباً ، بغير علم يعلمه ، بل بجهل منه بما يقول " <sup>(٣)</sup> وما يذكر في

وصف هذا الرجل - وأضراجه ممن هم على شاكلته - أنه كان رجلاً جدلاً كثير الجدل والخصومة <sup>(٤)</sup> وما

كان يفعله هذا الشقي فيما يذكر عنه أنه إذا رأى رسول الله - ﷺ - يذكر بالله ، خلفه في مجلسه إذا قام ثم

يقول : " أنا والله يا معشر قريش ، أحسن حديثاً منه ، فهلم إلي ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم

يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وإسبنديار ، ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثاً مني ؟ " <sup>(٥)</sup>.

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - ذم من هذه حاله من المجادلة في الله - ﷻ - بغير علم

فقال : " فقوله - يشير إلى الآية السابقة - يجادل في الله بلا علم ذم لكل من جادل في الله بغير علم " <sup>(٦)</sup>

ولا يقل عن النضر بن الحارث حالاً نظراً من صناديد قريش الذين ينسبون إفكاً ، وينطقون بهتاً ، ومن

ذلك ما شرعوه من فعل الفواحش ، ثم إنهم لما ذكروا وأنذروا بسوء صنيعهم أخذوا يمارون ويفترون

حتى بلغ بهم الحال أن نسبوا إلى الله تعالى ما لا يعلمون ، وجعلوه الأمر لما يقترفون ، سبحانه وتعالى عما

يصفون .

(١) سورة الحج / الآية ٣ .

(٢) سورة الحج / الآية ٨ ، ولمعرفة الفرق بين الآيتين انظر مجموع الفتاوى - ابن تيمية ٢٦٧/١٥ وبدائع التفسير - جمع يسري السيد

. ٢٠٢/٣

(٣) جامع البيان - الطبري ١١٥/١٠ قال أبو الليث السمرقندي : " وهو النضر بن الحارث وأصحابه " بحر العلوم - السمرقندي ٣٨٥/٢

وانظر الدر المنثور - السيوطي ٦١٩/٤ .

(٤) انظر معالم التنزيل - البغوي ٣٦٥/٥ وإرشاد العقل السليم - أبو السعود ٩٢/٦ .

(٥) السيرة النبوية - ابن هشام ٣٠٠/١ وللإطلاع على تفاصيل من ينقل حديثهم ، انظر الروض الأنف - السهيلي ١٥٧/٣ وما بعدها .

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع ابن قاسم ٢٦٧/١٥ .

فيقول - ﷺ - مبيناً قبيح قولهم : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) وقال - تبارك وتعالى - ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

فما قالوه محض تحكم بلا دليل ولا برهان ، بل إن كلاماً كهذا يصاب عنه آحاد العقلاء فكيف بكلام رب العالمين ، ولكنها اللجاجة والتمادي في الخصومة (٣).

قال ابن القيم - رحمة الله تعالى - معلقاً على الآية السابقة ومبيناً شدة خطورة القول على الله بلا علم :  
" فذكر - سبحانه - المحرمات الأربع مبتدئاً بالأسهل منها ، ثم ما هو أصعب منه ، ثم كذلك حتى ختمها بأعظمها وأشدّها ، وهو القول عليه بلا علم ، فكيف بالكذب عليه " (٤) " ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي أو حلل شيئاً مما حرم الله ، أو حرم شيئاً مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه " (٥).

وينحو هذا الفعل ، ما بدر من أهل الكتاب في شأن بعثة المصطفى - ﷺ - ، ثم ما تبع ذلك من مجادلات ومخاصمات في سائر أمور العقيدة والشريعة ، فهذا عبد الله بن سلام - ﷺ - حين أسلم طلب من الرسول - ﷺ - أن يدعوهم ويسألهم عنه قبل أن يعلمهم نبأ إسلامه وعلل - ﷺ - ذلك بقوله : " فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِي مَا لَيْسَ فِي " (٦) وقد تحقق قوله - ﷺ - فيهم ، فبعد أن أعلنوا سيادته وتحاشوا إسلامه ، لما خرج عليهم كذبه وبهتوه ، وكان من الواجب على القوم وهم أهل كتاب أن يبادروا بالإذعان ، فيحوزوا قصب السبق في الإيمان ، ولكنها اللجاجة والتمادي في العصيان .

(١) سورة الأعراف / الآية ٢٨

(٢) سورة الأعراف / الآية ٣٣

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١٩٩/٢ والجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٢٠/٧. ومفتاح دار السعادة - ابن القيم ٣٦١/٢ وانظر أيضاً شرح صحيح مسلم - النووي ٤٤٧/٨ رقم ١٢١٩.

(٤) الكلام على مسألة السماع - ابن القيم ، تحقيق : د. راشد الحمد ٣٢٥ ، دار العاصمة - الرياض ، ط : الأولى : ١٤٠٩ هـ .

(٥) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٥٧٠/٢ .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، ( باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ) ١٦١ / ٥ رقم ٣٩٢

وينحو صنيع يهود ما حصل من وفد نصارى نجران الذين قال عنهم الشاطبي - رحمه الله - : " والحاصل أنهم إنما أتوا المناظرة رسول الله - ﷺ - ومجادلته لا يقصدون اتباع الحق ، والجidal على هذا الوجه لا ينقطع ولذلك لما بين لهم الحق ، ولم يرجعوا عنه دعوا إلى أمر آخر ، خافوا منه الهلكة ، فكفوا عنه وهو المباهلة " (١).

وعلى كل حال فجدليات أهل الكتاب ومظاهر إصرارهم وعنادهم كثيرة جمّة وكما يقول الدكتور مهدي رزق الله : " ومن الميادين التي نشطوا فيها - اليهود - ولم يولها المؤرخون المحدثون كبير اهتمام نشاطهم في ميدان الجidal العقيم رغبة منهم في الصد عن سبيل الله ، وليس بغرض الدخول في الإسلام " (٢).

ومن المعلوم أن من هذا نعتة إنما يقول ما يقول بالجهل من غير تمسك بمقدمة ولا بحجة (٣) فهو متكبر يجادل في الله بغير علم ، كما قال تعالى : ﴿ إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه ﴾ (٤) فهؤلاء القوم رأوا أنهم إن اتبعوا الرسول - ﷺ - قل ارتفاعهم ، وتغيرت أحوالهم وهم المشركون وقيل اليهود (٥) كما أنه يجادل ويخاصم بغير عقل صحيح ولا نقل صريح ، بل بمجرد الهوى واتباع كل شيطان مرید ، قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - عند قول الله - تبارك وتعالى - : ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ (٦) : " أي بلا عقل صحيح ، ولا نقل صريح ، بل بمجرد الرأي والهوى " (٧).

ويتفرع عما سبق ، المجادلة فيما ليس لهم به علم أصلاً ، كصنيع أهل الكتاب في نسبة نبي الله وخليفه إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - إلى ملتهم ، فأكذبهم الله - ﷻ - وعابهم على مجادلتهم فيما لا يعلمون وخوضهم فيما يجهلون ، وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا في إبراهيم - ﷻ - حين اجتمعوا عند رسول

(١) الاعتصام - الشاطبي ٢/٢٣٧.

(٢) السيرة النبوية - د. مهدي رزق الله ٣١٨ ، وانظر هذا الحبيب محمد رسول الله يا محب - أبوبكر الجزائري ١٩٦ وما بعدها ، مكتبة

لينة - دمنهور ط : الأولى : ٥١٤٠٨ ، وتاريخ الجidal - محمد أبو زهرة ٤٨ وما بعدها ، دار الفكر العربي ، ط : الأولى : ١٩٣٤ .

(٣) انظر جامع البيان - ابن جرير ١٠ / ١٢٠ وإرشاد العقل السليم - أبو السعود ٦ / ٩٦ .

(٤) سورة غافر / جزء من الآية ٥٦ .

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٥ / ٢١٢ والتسهيل - ابن حزم ٤ / ١٣ ومعالم التنزيل - البغوي ٧ / ١٥٣ .

(٦) سورة الحج / الآية ٨ .

(٧) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣ / ٢٠٣ وانظر بدائع التفسير - جمع يسري السيد ٣ / ٢٠٢ .



الله - هـ - ودار بينهم الحوار التالي : " فقالت الأحبار : ما كان إبراهيم إلا يهودياً ، وقالت النصارى من أهل نجران : ما كان إبراهيم إلا نصرانياً ، فأنزل الله - هـ - فيهم : ﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ﴾ هـ أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ (١)(٢) .

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله تعالى - : " فلم تجادلون وتخاصمون فيما ليس لكم به علم " (٣) . وقال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به ، فإن اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم - هـ - بلا علم " (٤) فنزلت الآية رداً عليهم ؛ لأن ملة اليهود والنصارى إنما وقعت بعد موت إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - (٥) .

ومن أمارات وعلامات من هذه صفته أيضاً : المجادلة بالباطل لإدحاض الحق ، قال الله تعالى : ﴿ ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق ﴾ (٦) ومن ذلك ما فعلته قريش حين جادلت المصطفى - هـ - في شأن المسيح عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام - ففضح الله أمرهم ، وبين مقصدهم ومسلكتهم وأنهم لا يهدفون من مخاصمتهم ومجادلتهم طلب الحق ، وإنما تعمد العناد والجدال لا غير ، فقال - هـ - : ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾ (٧) .

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : " ما بقومك يا محمد هؤلاء المشركين في حاجتهم إياك بما يحاجونك به طلب الحق ، بل يلتمسون الخصومة بالباطل " (٨) .

(١) سورة آل عمران / الآية ٦٥ - ٦٦ .

(٢) السيرة النبوية - ابن هشام ٥٥٣/٢ وانظر أسباب النزول - الواحدي ٨٩ .

(٣) جامع البيان - الطبري ٣٠٦/٣ .

(٤) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣٥٢/١ وانظر الدر المنثور - السيوطي ٧٢/٢ .

(٥) التسهيل - ابن جزئ ١٩٥/١ .

(٦) سورة الكهف / جزء من الآية ٥٦ .

(٧) سورة الزحرف / جزء من الآية ٥٨ .

(٨) جامع البيان - ابن جرير ٨٨/١٣ بتصرف يسير .

وقال أبو الليث السمرقندي - رحمه الله تعالى - : " ما عارضوك بهذه المعارضة إلا جدلاً ، - فهم - يجادلونك شديد المجادلة بالباطل " (١) وقد بين القاضي أبو السعود - رحمه الله تعالى - أن القوم مجبولون على الخصومة واللجاج (٢) والنتيجة أنهم : يجادلون بالباطل ، إذ إن مسلكهم مسلك المرء والمخاصمة مماثلة لا مناصحة واسترشاداً (٣).

ومن موافقهم في صدر الدعوة أيضاً ما قاله ابن عباس - رضي الله عنهما - من " أن أبا سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة ، والنضر بن الحارث ، وعتبة وشيبة ابني ربيعة ، وأمية وأبياً ابني خلف ، استمعوا إلى رسول الله - ﷺ - فقالوا للنضر : يا أبا قتيلة ، ما يقول محمد ؟ قال : والذي جعلها بيته ، ما أدري ما يقول إلا أنني أرى يحرك شفثيه يتكلم بشئ ، وما يقول إلا أساطير الأولين ، مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية ، وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأول .. فأنزل الله تعالى : ﴿ .. حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ (٤).

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " أي يحاجونك ويناظرونك في الحق بالباطل " (٥) إذ لا برهان عندهم بما فيه يجادلون ، إلا ركوباً منهم لأهوائهم ، واتباعاً منهم للدواعي نفوسهم الأمارة بالسوء ، وطاعة للشيطان وحزبه (٦).

ومن أمارات وعلامات من هذه صفته أيضاً : المجادلة في الحق بعدما تبين ، كما قال تعالى في من هذا شأنه : ﴿ ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغرك تقلبهم في البلاد ﴾ (٧) والمعنى : " ما يدفع الحق

(١) بحر العلوم - السمرقندي ٢١١/٣ بتصرف يسير .

(٢) انظر إرشاد العقل السليم - أبو السعود ٥١/٨ .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٧٠/١٦ وأخلاق العلماء - الآجري ٦٠ .

(٤) سورة الأنعام / جزء من الآية ٢٥ .

(٥) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١٢١/٢ .

(٦) انظر جامع البيان - الطبري ١٣/٥ .

(٧) سورة غافر / الآية ٤ .

ويجادل فيه بعد البيان ، وظهور البرهان ﴿ إلا الذين كفروا ﴾ أي الجاحدون لآيات الله وحججه وبراهينه " (١) .

ومن تصرفاتهم وسلوكياتهم أيضاً أنهم يحتاجون المؤمنين ويجادلونهم في الحق بعدما استجابوا له ، قال الله تعالى : ﴿ والذين يحتاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم ﴾ (٢) .

قال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - : " هم أهل الكتاب ، كانوا يجادلون المسلمين ، ويصلونهم عن الهدى من بعد ما استجابوا لله " (٣) .

والحاصل أن مقصود القوم اتباع الهوى ، لا اتباع ما أنزل على محمد - ﷺ - وإنما حالهم كما قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " والقوم جمعوا بين الجدال والدفع والإنكار ، فكان جدالهم جدال جحود ودفع ، لا جدال استرشاد وتبين للحق " (٤) .

ويزيد الأمر وضوحاً تَمَادِي القوم في غيهم وباطلهم ، ومن هؤلاء كفار مكة الذين بذل معهم رسول الله - ﷺ - من الجهد غاية ، ومن القول أخلصه وأصوبه ، فما كان جوابهم إلا تَمَادِي وإصراراً على الباطل - على الرغم من أنهم يعلمون صدقه - (٥) فقد دعاهم - ﷺ - إلى العبودية لله رب العالمين ، واطراح ما سوى ذلك من آلهة الباطل ، فما كان منهم إلا ما حكاه القرآن الكريم : ﴿ وانطلق الملائمة منهم أن امشوا واصبروا على آهتكم إن هذا لشيء يراد ﴾ (٦) .

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : " وانطلق الأشراف من هؤلاء الكافرين من قريش القائلين ﴿ أجعل الآلهة لها واحداً ﴾ (٧) بأن امضوا ، فاصبروا على دينكم وعبادة آهتكم " (٨) .

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٧٢/٤ .

(٢) سورة الشورى / جزء من الآية ١٦ .

(٣) الدر المنثور - السيوطي ٦٩٦/٥ وانظر تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١٦٢/٤ والتسهيل - ابن حزم ٣٣/٤ .

(٤) التبيان في أقسام القرآن - ابن القيم ، تعليق : فواز أحمد زمرلي ٢٢٤ ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٥هـ .

(٥) انظر المطالب العالمة - ابن حجر ، باب ( اعتراف القدماء بأعلام النبوة ) ١٩٨/٤ رقم : ٤٢٨٤ وما بعده .

(٦) سورة ص / الآية ٦ .

(٧) سورة ص / جزء من الآية ٥ .

(٨) جامع البيان - ابن جرير ١٢٦/١٢ وانظر زاد المسير - ابن الجوزي ١٠٢/٧ .

وقال - ﷺ - في موضع آخر : ﴿ إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها ﴾ (١) .  
قال الألوسي - رحمه الله تعالى - : " وهذا اعتراف منهم بأنه - ﷺ - قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة إلى التوحيد ، وإظهار المعجزات ، وإقامة الحجج والبيّنات ، ما شارفوا به أن يتركوا دينهم ، لولا فرط لجاجتهم وغاية عنادهم " (٢) .

وإن دعاهم إلى الإيمان بكتابه وآياته كذبوا بها ، وجحدوا ، وتولوا وهم معرضون ، قال الله - تبارك وتعالى - : ﴿ بل الذين كفروا في تكذيب ﴾ (٣) .

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - مشيراً إلى عناد القوم وجحودهم : " ولا يصدقون بالحق جحوداً وعناداً " (٤) .

ومن هؤلاء العدو المبين ، والخصم العنيد للدعوة الإسلامية منذ نشأتها : أبو جهل ، ومما يستأنس به ما روي عن علي - ﷺ - من " أن أبا جهل قال للنبي - ﷺ - : إنا لا نكذبك ، ولكن نكذب بما جئت به ، فأنزل

الله : ﴿ فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ (٥) (٦) والمعنى : " أي لا نكذبك

لأنك صادق ، ولكن نحسدك ، فبسببه نجحد بآيات الله " (٧) فالقوم ما خالفوا إلا عناداً منهم ، وميلاً إلى

المكابرة بعد اعترافهم بصحة حججه - ﷺ - وأنها لا تدفع ولا تقاوم (٨) إذ إن التكذيب والعناد ، والتعادي في الباطل عادة متأصلة قديمة فيهم ، قال القاضي البيضاوي - رحمه الله تعالى - عند قوله - ﷺ - :

(١) سورة الفرقان / جزء من الآية ٤٢ .

(٢) روح المعاني - الألوسي ٣٣/١١ .

(٣) سورة البروج / الآية ١٩ .

(٤) التبيان في أقسام القرآن - ابن القيم ١٢١ .

(٥) سورة الأنعام / جزء من الآية ٣٣ .

(٦) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ، باب (ومن سورة الأنعام) ٢٤٣/٥ رقم : ٣٠٦٤

(٧) تحفة الأحوذى - البار كפורي ٣٤٧/٨ .

(٨) انظر مفتاح دار السعادة - ابن القيم ٤١٠/٢ .

﴿ وكذبوا واتبعوا أهواءهم ﴾<sup>(١)</sup>: " وذكرهما بلفظ الماضي للإشعار بأنهما من عاداتهم القديمة " (٢)

فمكذب الآيات الينات متبع الهوى لا غير (٣).

والمنافقون كسابقيهم في التمادي ، والانصراف عن آي الذكر الحكيم ، قال الله تعالى : ﴿ وإذا ما أنزلت

سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا ﴾<sup>(٤)</sup>.

فهذا من المولى - ﷺ - : " إخبار عن المنافقين أنهم إذا أنزلت سورة على رسول الله - ﷺ - .. تولوا عن الحق

وانصرفوا عنه ، وهذا حالهم في الدنيا لا يثبتون عند الحق ولا يقبلونه ولا يفهمونه " (٥).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " فأخبر - جل شأنه - عن فعلهم وهو الانصراف ، وعن فعله فيهم ،

وهو صرف قلوبهم عن القرآن وتدبره ؛ لأنهم ليسوا أهلاً له " (٦).

والشأن نفسه عند أهل الكتاب ، قال ابن عاشور - رحمه الله تعالى - مبيناً مكابرة القوم وعنادهم ، أثناء

تفسيره لآيات تحويل القبلة : " والمعنى أن إنكارهم أحقية الكعبة بالاستقبال ليس عن شبهة حتى تزيله

الحجة ، ولكنه مكابرة وعناد ، فلا جدوى في إطناب الاحتجاج عليهم " (٧)، ويؤكد إصرار القوم

وتناديهم في غيهم وباطلهم ما حصل من يهود بني النضير حينما كتب عليهم الجلاء ، فمما يذكر من

أخبارهم ما قاله ابن إسحاق - رحمه الله تعالى - : " أنهم - أي يهود بني النضير - استقلوا بالنساء والأبناء

والأموال ، معهم الدفوف والمزامير ، والقيان يعزفون خلفهم ... بزهاء وفخر ما رثي مثله من حي من

الناس في زمانهم " (٨).

(١) سورة القمر / جزء من الآية ٣ .

(٢) أنوار التنزيل - البيضاوي ٤٤٥/٢ .

(٣) انظر روح المعاني - الألوسي ٧٨/٥ وأنوار التنزيل - البيضاوي ٣٢٦/١ .

(٤) سورة التوبة / جزء من الآية ١٢٧ .

(٥) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣٨٥/٢ وانظر إغاثة اللهفان - ابن القيم ٢٤٨/٢ .

(٦) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - ابن القيم ، اعتناء : خالد عبداللطيف العلمي ١٩٢ ، دار الكتاب العربي -

بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٥هـ .

(٧) التحرير والتنوير - ابن عاشور ٣٦/٢ .

(٨) السيرة النبوية - ابن هشام ١٩٢/٣ .

ولم يقتصر التمادي على الباطل في لحظات الحياة ، بل تجاوزه إلى قبيل وقوف جريان الأنفاس وزهوق الأرواح ، وقد سطر اليهود نموذجاً يحكي شدة العناد ، فهذا حيي بن أخطب حينما أتى به ، وعليه حلة تضرب إلى الحمرة - قد شقها من كل ناحية لثلا يسلبها - مجموعة يدها إلى عنقه بجبل ، فلما نظر إلى رسول الهدى - ﷺ - قال : " أما والله ما لمت نفسي في عدواتك ، ولكنه من يخذل الله يخذل .. ثم جلس فضربت عنقه " وبنحو فعله ، فعل الزبير بن باطا القرظي ، وذلك أن ثابت بن قيس - ﷺ - كان مديناً بفضل للزبير في الجاهلية ، فأحب أن يجزيه بها في مثل هذا الموقف (١) فطلب من الرسول - ﷺ - أن يهب له دمه وأهله وماله ، ففعل - ﷺ - ثم إن الزبير بن باطا أخذ يسأل عن صنديد يهود وعتاتهم ، فلما علم بهلاكهم ، ما كان منه إلا أن قال : " فإني أسألك ياثابت بيدي عندك إلا ألحقتني بالقوم ، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير .. فقدمه ثابت ، فضرب عنقه " (٢) ولا غرابة فالقوم قوم بهت ، كما أخطر عنهم عبد الله بن سلام - ﷺ - وهو الخبير بهم .

ويؤكد هذا الأمر أن كثيراً من اليهود كفروا بدعوة الإسلام ، وقلة منهم من آمن برسول الله - ﷺ - (٣) وبنحو هذا التمادي في مثل هذه المواطن ، ما يذكر عن أبي جهل من أنه قال لابن مسعود - ﷺ - وهو مفارق للعالم حين ارتقاه : " لقد ارتقيت مرتقى صعباً يارويعي الغنم " (٤) .

ومما يبين أيضاً تمادي القوم في غيهم وضلالهم ، وشدة شكيمتهم في الخصام واللجاج ، والثبات على الباطل : أنهم إذا خوفوا بالعذاب استعجلوه ، بل واستفتحوا على أنفسهم فطالبوه ، يقول الله - ﷻ - : ﴿ وَإِذَا قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٥) .

(١) وذلك حين حكم فيهم سعد بن معاذ - ﷺ - بأن يقتل الرجال ، وتسبى الذرية ، وتقسم الأموال ، فحفر لهم الخنادق ، وضربت

الأعناق ، وكان مادون بأعلاه من مراقبهم ههنا ، انظر صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب ( مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه

إلى بني قريظة ) ٢٤٢/٥ رقم : ١٥٧ ، وانظر فتح الباري - ابن حجر ٥٢٣/٧ وما بعدها وسبيل الهدى والرشاد - الشامي ٢٠/٦ .

(٢) السيرة النبوية - ابن هشام ٢٤١/٣ - ٢٤٣ وانظر زاد المعاد - ابن القيم ١٣٥/٣ والبداية والنهاية - ابن كثير ١٢٧/٢ .

(٣) انظر الشريعة - الآجري ٤٤٩ .

(٤) السيرة النبوية - ابن هشام ٦٣٦/٢ وانظر تاريخ الأمم والملوك - الطبري ٣٧/٢ .

(٥) سورة الأنفال / الآية ٣٢ .

وقال الله - ﷻ - : ﴿ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ﴾ (١).

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " هذا من كثرة جهلهم ، وشدة تكذيبهم وعنادهم وعتوهم ، وهذا مما عيىوا به ، وكان الأولى لهم أن يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا ، ووفقنا لاتباعه ولكن استفتحوا على أنفسهم واستعجلوا العذاب وتقديم العقوبة " (٢).

وخلاصة القول ومقصوده : إن من الناس صنف قد استمرى الخصومة واللجاج ، وجاز له طريق الاعوجاج فاتخذ طريقاً ومسلكاً ، حتى صار على مر العصور منهجاً لأهل الباطل ، يقول الله تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ (٣). والمعنى أي : وكذلك ابتلينا من قبلك من الأنبياء والرسل ، بأن جعلنا لهم أعداء من قومهم يؤذونهم بالجدال والخصومات (٤) فهذا الذي امتحن به رسول الله - ﷺ - من الأعداء قد امتحن به غيره من أنبياء الله ورسله - عليهم الصلاة والسلام (٥).

وقد بين ورقة بن نوفل (٦) للرسول - ﷺ - في بداية أمر الوحي أن القوم سيعادونه ، وذلك حين قال : " لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي " (٧) " فصارت مخاصمة الأنبياء ورد الحق الذي جاءوا به من عند الله منهجاً لأهل الأهواء ، كما فعل قوم نوح وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، وهود ، وصالح ، وكما فعل المشركون مع نبينا محمد - ﷺ - وكما فعل أهل الكتاب والمنافقون " (٨).

(١) سورة الإسراء / جزء من الآية ٩٢ .

(٢) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٢/٢٩١ وانظر معالم التنزيل - البغوي ٥/١٣٠ .

(٣) سورة الأنعام / جزء من الآية ١١٢ .

(٤) جامع البيان - الطبري ٥/٣ .

(٥) انظر المحرر الوجيز - ابن عطية ٦/١٣٢ وتفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٢/١٥٨ .

(٦) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي ، وهو ابن عم خديجة - رضي الله عنها - وهو الذي أخبرها أن رسول الله ﷺ

نبي هذه الأمة لما أخبرته بما رأى ، انظر أسد الغابة - ابن الأثير ٥/٤١٦ رقم : ٥٤٦٥ .

(٧) أخرجه البخاري في أول الصحيح ( كيف كان بدء الوحي ) ١/٣ رقم : ٣ .

(٨) رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع وموقف السلف منها - النشأة والأسباب - د. ناصر العقل ١٣ ، دار الوطن - الرياض

ط : الأولى : ١٤١٥ هـ .

## المطلب الثالث التكاسل والتخذيل

إن من نافلة القول أن يقال بادئ ذي بدي : إن هناك فرق بين الحكمة المنضبطة بضوابط الشرع التي مقصودها جلب المصالح ودرء المفسد ، وبين الكسل والتخذيل الذي هو علامة لاتباع الهوى والجريان مع رغائب النفس الأمارة ونوازعها .

فالتكاسل وإيثار الخمول على الاستجابة والمبادرة لقبول الدعوة ، والصدق في حملها ، ومن ثم التخذيل والسعي لحمل الناس على ذلك مظهر قد برز في جمع من الأشخاص ، حيث إن مخالفة الهوى للحق قد تكون لمشقة في تحصيله ، أو لما يترتب من الأمور على قبوله ، فإنه يحتاج إلى البحث والنظر حيناً ، كما يحتاج إلى التجرد وهجر مطامع الذات حيناً آخر ، وفي ذلك عناء على عدد من الناس (١) .

ومما يلحظ على من هذا نعتة أمور منها : أنك تجده غالباً ما يأتي العبادة على كسل ، فإذا قام إلى الصلاة قام بكسل ورياء ، لا يرجو ثواباً ، ولا يخشى على تركها عقاباً ، وإن دعي إلى البذل والعطاء تشاقل وتقاوس ، وتارة تشاهده يتهرب من العمل مستذناً أو متسللاً حذر المشاركة ، وحيناً تجده متخلفاً عن مواطن الجهد والنزال ، زاهداً في الجهاد ، وراغباً في الخلود مع الصيبة والنساء وذوي الأعذار ، وتارة تجده لا يكتفي بخمول نفسه وكسل ذاته ، بل تراه مخذلاً كبيراً وداعياً نحريراً لما أشربت نفسه من الهوى البطال فيكسل ويخذل غيره من العشائر والأصحاب .

ومما يوضح المقصود ويبين ما أجمل ذلكم البيان الشافي في القرآن الكريم عن أحوال أمثال هؤلاء :

قال الله - ﷻ - في بيان صفة صلاة المنافقين : ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى

الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً ﴾ (٢) فهم يقومون إليها متشاقلين متبرمين لا يؤدونها إلا بكسل ورياء ، وفي هذا المعنى يقول أبو عبد الله القرطبي - رحمه الله تعالى - : " يصلون

مراعاة وهم متكاسلون متشاقلون ، لا يرجون ثواباً ولا يعتقدون على تركها عقاباً " (٣) فصلاتهم مصانعة ورياء لا قربة وامثالاً ، قال الرازي - رحمه الله تعالى : " وإذا قاموا إلى الصلاة مع المسلمين قاموا كسالى أي

(١) انظر القائد إلى تصحيح العقائد - العلمي ١٨١/٢ .

(٢) سورة النساء / الآية ١٤٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٢٧١/٥ .



متشاقلين متباطئين " (١) وقد أشار النسفي (٢) - رحمه الله تعالى - إلى كراهية القوم للضلاة ، وفرق بين فعلهم ، وما قد يعترى المؤمن من الغفلة والشرة ، فقال : " متشاقلين كراهة ، أما الغفلة فقد يتلى بها المؤمن " (٣) ولا شك في أن هذا العمل منهم ، دليل على فراغ قلوبهم من الرغبة إلى ما عند الله - ﷻ - وقد جاء في الحديث ما يبين ثقل الصلوات على المنافقين وتكاسلهم في أدائها - وخاصة صلاتي الفجر والعشاء - فعن أبي هريرة - ؓ - قال : قال النبي - ﷺ - : " ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء " (٤).

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - عند قوله - ﷻ - : " ليس صلاة أثقل " : ودل هذا على أن الصلاة كلها ثقيلة على المنافقين " (٥).

وجاء في الحديث الآخر أيضاً ما يؤكد هذا الأمر ، فعن أبي الأحوص قال : قال عبد الله : " لقد رأيتنا ، وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد علم نفاقه ، أو مريض " (٦) وقد بين النووي - رحمه الله تعالى - أن هؤلاء المتخلفين كانوا منافقين (٧) فهذا ديدنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً ، ولو كان هذا القليل لله - ﷻ - لكان كثيراً كما قاله الحسن - رحمه الله تعالى - ، ولكنهم جعلوه للرياء والسمعة ، فلا يقومون إلى الصلاة إلا وهم كسالى كارهون (٨).

(١) التفسير الكبير - الرازي ٦٦/١١ ، ٧٣/١٦ .

(٢) عبد الله بن أحمد النسفي الحنفي فقيه أصولي مفسر ، من تصانيفه : مدارك التنزيل وحقائق التأويل في التفسير ومنار الأنوار في أصول الفقه وغيرها ( ت : ٧١٠ هـ ) انظر معجم المؤلفين - كحاله ٣٢/٦ ومداخل المؤلفين - فكري ١٧٥٠/٤ .

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل - عبد الله النسفي ٢٥٨/١ ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط . د : ١٤٠٨ هـ .

(٤) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الأذان ، باب ( فضل صلاة العشاء في الجماعة ) ٢٦٥/١ رقم : ٤٩ ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب ( فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها ) ٢٥٢/١ رقم : ٦٥١ .

(٥) فتح الباري - ابن حجر ١٨٠/٢ رقم : ٦٥٧ .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ، باب ( صلاة الجماعة من سنن الهدى ) ٤٥٣/١ رقم : ٦٥٤ .

(٧) انظر شرح صحيح مسلم - النووي ١٥٩/٥ رقم : ٦٥١ .

(٨) انظر إغاثة اللهفان - ابن القيم ٣٧٦/١ ومدارك التنزيل وحقائق التأويل - النسفي ٢٥٨/١ ونزهة المتقين شرح رياض الصالحين : د . مصطفى سعيد الخمر وآخرون ٧٨٨/٢ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط : الأولى : ١٣٧٩ هـ .

وكذلك هو حالهم في يوم الجمعة ، وحضور الخطبة ، فقد كان يوماً ثقيلاً على نفوسهم ، حتى أنهم لفرط كسلهم ، ودنائة نفوسهم يروى أنهم كانوا يتسللون ويتلاذون ببعضهم عن صلاة الجمعة ؛ لتلا يصرفهم الرسول - ﷺ - ، قال الله تعالى : ﴿ قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو إذا ﴾ (١) نقل القرطبي - رحمه الله تعالى - قائلاً : " فكان المنافقون يتسللون عن صلاة الجمعة ، متلاذين ، أي يلوذ بعضهم ببعض ينضم إليه استتاراً من رسول الله - ﷺ - ؛ لأنه لم يكن على المنافقين أنقل من يوم الجمعة ، وحضور الخطبة " (٢) . قال السدي - رحمه الله تعالى - : " كانوا (٣) إذا كانوا معه في جماعة لاذ بعضهم ببعض حتى يتغيروا عنه - ﷺ - فلا يراهم " (٤) .

والحاصل أن المنافقين بفعلهم هذا يسعون للتشبه بالمؤمنين في الدخول في أحوال التكليف على كسل وتقية وفي هذا الصدد يقول الشاطبي - رحمه الله تعالى - : " وذكر الله تعالى المنافقين ، وأنهم يخادعون الله والذين آمنوا ، وذلك لكونهم يدخلون معهم في أحوال التكليف على كسل وتقية ؛ أن ذلك يخلصهم ، أو أنه يغني عنهم شيئاً ، وهم في الحقيقة إنما يخادعون أنفسهم ، وهذا هو الضلال بعينه " (٥) .

وقد عد البربهاري - رحمه الله تعالى - المتهاون في الفرائض من أصحاب الهوى ، فكيف بالمضيع لها ، والمصانع في القيام بها . (٦)

ومن سمات وعلامات التكاسل أيضاً ، الاستئذان والتهرب من المشاركة في مواطن الجد والنزال ، وفيما لا تهواه نفسه من الأعمال .

ومن هذا القبيل ما كان يفعله المنافقون أثناء حفر الخندق ، وذلك أن المصطفى - ﷺ - لما سمع بخبر الأحزاب وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على ناحية من المدينة ، فعمل رسول الله - ﷺ - لذلك والصحابة - رضي الله عنهم - بجد وحماس منقطع النظير ، أما المنافقون فبالإضافة إلى تأخرهم وتباطئهم عن المبادرة فقد كانوا يظهرون القليل من العمل ؛ لتلا يفتضحون .

(١) سورة النور - جزء من الآية ٦٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٢١٢/١٢ وانظر فتح القدير - الشوكاني ٨٤/٤ وقيل في الآية غير ذلك .

(٣) أي المنافقين .

(٤) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٢٩٦/٣ وانظر جامع العلوم والحكم - ابن رجب ٧٩/١ .

(٥) الاعتصام - الشاطبي ١٣٨/١ .

(٦) انظر شرح السنة - البربهاري ١١٨ .

قال ابن إسحاق - رحمه الله تعالى - : " وأبطأ عن رسول الله - ﷺ - وعن المسلمين في عملهم ذلك ، رجال من المنافقين ، وجعلوا يورون - أي يستترون - بالضعيف من العمل ، ويتسللون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله - ﷺ - ولا إذن " (١) وما صنيع ابن أبي يوم أحد ، وامتناع الجند بن قيس (٢) من المشاركة في تبوك إلا من هذا القبيل أيضاً .

فابن أبي زعيم المنافقين ينسل من صفوف المؤمنين الصادقين يوم أحد منسحباً - بمن معه من الكسالى - بحجج هزيلة واهية لا تقف على قدم وساق ، قال ابن إسحاق - رحمه الله تعالى - : " حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد ، انخذه عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ماندرى علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس ! فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب " (٣) .

وقد بين الله - ﷻ - انخذه القوم وتفاعسهم ، فقال - تبارك وتعالى - : ﴿ وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم ﴾ (٤) .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " يعني بذلك أصحاب عبد الله بن أبي بن سلول الذين رجعوا معه في أثناء الطريق ، فاتبعهم رجال من المؤمنين يحرصونهم على الإتيان والقتال والمساعدة " (٥) .

وبنحو هذا التناقل والتكاسل قول الجند بن قيس حين دعاه المصطفى - ﷺ - إلى جلاذ بني الأصفر ، ومما ذكر " يا جند ، هل لك العام في جلاذ بني الأصفر - يريد الروم - ؟ فقال : يا رسول الله ، أو تأذن لي ولا تفتني ؟ فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشد عجباً بالنساء مني .. ففي الجند بن قيس نزلت هذه الآية :

(١) السيرة النبوية - ابن هشام ٢١٦/٣ وانظر البداية والنهاية - ابن كثير ٩٦/٢ ولباب النقول في أسباب النزول - السيوطي ، راجعه :

حسن تميم ١٦٢ ، دار إحياء العلوم - بيروت ، ط : السابعة : ١٤١٠ هـ .

(٢) الجند بن قيس بن صخر الأنصاري السلمي يكنى أبو عبد الله ، وكان يظن فيه النفاق ، قيل إنه تاب وحسنت توبته ، وتوفي في خلافة عثمان - ﷻ . انظر أسد الغابة - ابن الأثير ٥٢١/١ رقم : ٧٠٩ والإصابة - ابن حجر ٢٣٨/١ رقم : ١١٠٦ .

(٣) السيرة النبوية - ابن هشام ٦٤/٣ وانظر الطبقات الكبرى - ابن سعد ٣٠/٢ وتاريخ الأمم والملوك - ابن جرير ٦٠/٢ وفتح الباري - ابن حجر ٤٥٢/٧ رقم : ٤٠٥٠ .

(٤) سورة آل عمران / جزء من الآية ١٦٧ .

(٥) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٤٠٢/١ وانظر جامع النقول في أسباب النزول - ابن خليفة عليوي ٤١٤/١ ، مطابع الإشعاع -

الرياض ، ط : الأولى : ١٤٠٤ هـ .

﴿ ومنهم من يقول انذني لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا ﴾ (١) (٢) ولم يكن هذا الصنيع من الجدد بن قيس فحسب ، بل لغيره أسوة به ، ففي غزوة تبوك (٣) - على سبيل المثال - تخلف جمع من الأعراب والمنافقين ، وعدد قليل من أهل الأعدار سوى الثلاثة الذين خلفوا ، فلم يكن لهم عذر ، ولكنهم صدقوا الله فصدقهم ، وأنزل براءتهم (٤) أما أهل النفاق - أصحاب الكسل والاختلال - فكان تخلفهم سمة بارزة في هذه الغزوة ، قال ابن سعد - رحمه الله تعالى - : " وجاء ناس من المنافقين يستأذنون رسول الله - ﷺ - في التخلف من غير علة ، فأذن لهم ، وهم بضعة وثمانون رجلاً " (٥) إذ إنهم يفرحون بالعود ، بل ويعدونهم نعمة وفلاحاً ، قال الله - ﷻ - : ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر ﴾ (٦) فهم قد فرحوا بعودهم بعد خروج رسول الله - ﷺ - (٧) .

(١) سورة التوبة / جزء من الآية ٤٩ .

(٢) السيرة النبوية - ابن هشام ٥١٦/٤ وانظر أيضاً جامع البيان - الطبري ١٤٨/٦ ولباب النقول - السيوطي ١١٨ .

(٣) كانت في السنة التاسعة وتعرف بغزوة العسرة وبالفاضحة ، لم يور عنها رسول الله - ﷺ - كعاداته في سائر غزواته ، وفيها وقعت قصة الثلاثة الذين خلفوا . انظر الإشارة إلى سيرة المصطفى ﷺ - مغلطاي ٣٣٤ وتاريخ خليفة بن خياط ٩٢ .

(٤) ولزيد من الاطلاع في شأن الثلاثة الذين خلفوا - رضي الله عنهم - وخبرهم ، انظر صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب

( حديث كعب بن مالك ﷺ وقول الله ﷻ : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ سورة التوبة / ١١٨ ) ١٩/٦ رقم : ٤١٠ ، وصحيح

مسلم ، كتاب التوبة ، باب ( حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ) ٢١٢٠/٤ رقم : ٢٧٦٩ ، والصحيح المسند من أسباب النزول :

مقبل بن هادي الوادعي ١١٢ ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، ط . ٥ : ١٤١٠ هـ ، وفي هذا أيضاً إيضاح للفرق بين الخطأ العابر واتباع

المعوى ، وللوقوف على ما ذكر راجع الاحالات المثبتة وغيرها ، وقارنها بمواقف المنافقين ، وانظر ص ٣١ - ٤٥ من هذا البحث .

(٥) الطبقات الكبرى - ابن سعد ١٢٥/٢ .

(٦) سورة التوبة / جزء من الآية ٨١ .

(٧) انظر تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣٦٠/٢ ، ولعل مما يزيد الصورة وضوحاً أن يطلع القارئ الكريم على شيء من توضيحات

الصحابة ، ورفضهم للعود ، بل ومبادرتهم وحزبهم على الفوات ، فهذا علي بن أبي طالب - ﷺ - حين استخلفه الرسول - ﷺ - في تبوك

قال : " أتخلفني في الصبيان والنساء ؟ " ولكنه حين أمر امتل - ﷺ - انظر صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب ( غزوة تبوك ) ١٨/٦

رقم : ٤٠٨ ، وكحال البكائين ، ومنهم عليه بن زيد القاتل : " اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ورجبت فيه ، ولم تجعل عندي ما أتقوى به

مع رسولك ، وإنني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في جسد أو عرض " الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر ٢٦١/٤

وغيرهم كثير رضي الله عنهم أجمعين .

ويؤكد هذا الأمر - أعني كثرة تخلفهم - ما قاله كعب بن مالك - ؓ - وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا ، ومما جاء فيه : " فكننت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله - ﷺ - فطفت فيهم أحزني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه - أي مطعوناً في دينه - النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء " (١) .

وترى هذه الشذمة التي أشار إليها كعب بن مالك - ؓ - في حديثه السابق حين قفل رسول الله - ﷺ - من تبوك ، كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ، متسارعين إليه ، معتذرين بشتى الأعذار ، ولكن الله - ﷻ - كشف خبايا نفوسهم - فضحتهم الفاضحة - قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : " لم تنزل تنزل ومنهم .. حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم إلا ذكرته " (٢) .

ولم يكتف القوم بقبح فعلهم وسوء صنيعهم ، بل ألحقوا بقبح تخلفهم وتخاذلهم قبحاً ، وبسوء صنيعهم سوءاً إذ حملوا معهم معاول الشيطان ، ورفعوا ييارق الخمول والتكسيل ؛ ليتسنى لهم تغطية مرض الكسل والتقصير بدءاً التخذيل (٣) فأخذوا يشيعون ما من شأنه تعويق المسيرة وخلخلة الصف ، ولكن الله غالب على أمره فها هو عروة بن مسعود يوم الحديبية يقول مخاطباً رسول الله - ﷺ - في شأن أتباعه : " فياني والله لا أرى وجوهاً ، وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك " فرد عليه الصديق - ؓ - وكان مما قال بعد أن وبخه : " أنحن نفر عنه وندعه " (٤) وها هو ذا حادث الرجيع الذي أحزن رسول الله - ﷺ - وصحبه المؤمنين - رضي الله تعالى عنهم - أما المنافقون فيروى من أخبارهم أنهم قالوا : " يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا ، لا هم أقاموا في أهلهم ، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم " (٥) وبنحوه صنيعهم يوم الخندق وتبوك ، فمما نقل أنهم قالوه أثناء حضر الخندق حينما سمعوا المصطفى - ﷺ - ييشر أصحابه بفتح

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب ( في حديث كعب بن مالك ) ٢٠/٦ رقم : ٤١٠ وانظر إحالات الصفحة السابقة .

(٢) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار - ابن الديبع الشيباني ، حققه : عبد الله إبراهيم الأنصاري ٧٦٢/٢ ، مطبعة محمد

هاشم الكتيبي - دمشق ، ط . د . د ، وانظر أيضاً النفاق والمنافقون في عهد رسول الله - إبراهيم علي سالم ١٢٩ ، مطبعة حسني ، ط . د . د :

١٣٧٦هـ .

(٣) انظر الردود - بكر بن عبد الله أبو زيد ، المبحث الرابع ظاهرة التخذيل ٧٢ ، دار العاصمة - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١٤هـ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الشروط ، باب ( الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ) ٣٦/٤ رقم : ١٨ .

(٥) البداية والنهاية - ابن كثير ٦٩/٢ وجامع النقول - ابن خليفة عليوي ٢٥٠/١ .

عدد من البلدان قولهم : " يخيركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى ، وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا " (١).

وبنحوه أيضاً ما حصل يوم تبوك ، إذ نجدهم يعلنون ما يضمرون ، وذلك حين أمر الرسول - ﷺ - بالتهيؤ لغزو الروم - في زمن عسرة من الناس وشدة من الحر ، وجذب البلاد وحين طابت الثمار - كان من مواقفهم المخذلة أن " قال قائل من المنافقين لبعض : لا تنفروا في الحر ، زهادة في الجهاد ، وشكاً في الحق وإرجافاً بالرسول - ﷺ - " (٢).

بل روي ما هو أكثر كيداً وتحذيراً من ذلك ، فيذكر : " أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي ، وكان بيته عند جاسوم - اسم موضع - يثبطون الناس عن رسول الله - ﷺ - في غزوة تبوك " (٣).

وخلاصة القول ومقصوده : إن التكاسل والتحذيل مظهر مرضي خطير من المظاهر الفردية لاتباع الهوى ، ينم عن ضعف وخور ، وهوى متبع في نفس صاحبه ، وإذا كان ابن حزم - رحمه الله تعالى - قد عجب من كثرة المشاركين بأرواحهم على المشاركين بأموالهم حتى أنه قال بعد طول الاختبار والتجربة : " فأعيتني معرفة العلة في ذلك حتى قدرت أنها طبيعة في البشر " (٤) فكيف بحال المخذلين المصابين بمرض الكسل (٥) بل بداء الكسل العضال ، ولكن ما مثلهم إلا كما قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " ولا ريب أن في النفوس البشرية من هو بهذه المثابة - أي من يختار الدنو على العلو كاستبداله البعر الخسيس بالجواهر النفيس ، ويبيع الذهب بأعقاب الجزر ، ويبيع المسك بالرجيع - إنما يصبو إلى ما يناسبه ، ويميل إلى ما يشاكله ، ينفر من المطالب العالية ، واللذات الكاملة ، كما ينفر الجعل من رائحة الورد " (٦).

(١) المرجع السابق ١٠١/٢ ولباب النقول - السيوطي ١٧٢ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك - الطبري ١٨٢/٢ وانظر تاريخ الإسلام - المغازي - الذهبي ٦٢٨ .

(٣) السيرة النبوية - ابن هشام ٥١٧/٤ وانظر سبل الهدى والرشاد - الصالحى ٦٣٢/٥ .

(٤) مداواة النفوس - ابن حزم ٢٣ .

(٥) انظر المواعظ والمجالس - ابن الجوزي ، حققه : محمد إبراهيم سنبل ٢١١ ، دار الصحابة للتراث - طنطا ، ط : الأولى : ١٤١١هـ .

(٦) إغاثة اللفهان - ابن القيم ٢٨٦/٢ .

وصدق الإمام الأوزاعي - عليه رحمة الله تعالى - حين قال في وصف حال المنافقين : " إن المؤمن يقول قليلاً  
ويعمل كثيراً ، وإن المنافق يقول كثيراً ويعمل قليلاً " (١)

---

(١) موعظة الإمام الأوزاعي : يوسف محمد صديق ٥٥ - ٦٣ ، دار المجتمع - جدة ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ .

## المبحث الثاني المظاهر الاجتماعية لاتباع الهوى المطلب الأول التقليد والمحاكاة

إن الإنسان في هذه الحياة يعيش مع غيره ، فيختلط به ويشاركه في كل ما من شأنه تحقيق المصالح بينهم ، فالإنسان يحيا في جماعات تستشرف للتقدم والمنافسة ، وتتبعها حشود من الأهل والولد والأتباع <sup>(١)</sup> فهو مدني واجتماعي بالطبع ؛ أي أنه لا يعيش بمفرده منعزلاً عن مجتمعه منطوياً على سريرته بل تجده غالباً ما يكون مائلاً إلى بني قومه مناضلاً عنهم متعصباً لهم ، حيث إنهم نشأوا ونشؤوا على أمر قد كبر عليه الصغير ، وهرم عليه الكبير حتى ظنوه ديناً لا يرومون غيره ، ولا يهونون سواه ، و" لا ريب أن الإنسان ينشأ على دين واعتقاد ومذهب وآراء يتلقاها من مربيه ومعلمه ، ويتبع فيها أسلافه وأشياخه الذين تمتلئ مسامعه بإطرائهم ، وتأکید أن الحق ما هم عليه ، وبذم مخالفهم وتلبهم ، وتأکید أنهم على ضلالة فيمتلي قلبه بتعظيم أسلافه وبغض مخالفهم ، فيكون رأيه وهواه متعاضدين على اتباع أسلافه ، ومخالفة مخالفهم " <sup>(٢)</sup> حيث إن " نزعة التقليد متغلغلة في نفوس الناس توجههم وهم لا يشعرون ، وأن سلطان الأفكار التي اكتسبت قداسة بمرور الأجيال تسيطر على القلوب " <sup>(٣)</sup>.

ومن ههنا كثيراً ما عانى دعاة الإسلام وهداته من معالجة من هذه صفتة ؛ إذ إن التقليد والمحاكاة داء عريق ومظهر قديم في بني البشر <sup>(٤)</sup>.

ولعله من الملائم قبل الولوج في جزئيات هذا الجانب وتفاصيله ، أن أعرض لنقطة أحسب أنها من الأهمية بمكان ، ألا وهي الإشارة إلى الفرق بين التقليد والتعصب للباطل ، وبين الاتباع والثبات على الحق - وذلك لدفع ما قد يحصل من توهم التداخل والالتباس بينهما - : فالتقليد معناه الرجوع إلى قول أو فعل لا حجة لقائله وفاعله عليه ، ويقصد به هنا التقليد المذموم الذي ذمه الله - ﷻ - في غير ما موضع من كتابه العزيز

(١) انظر مع الله دراسات في الدعوة والدعاة - محمد الغزالي ١٩٩ ، دار القلم - دمشق ، ط : الأولى : ١٤٠٩ هـ .

(٢) القائد إلى تصحيح العقائد - المعلمي ١٨٨/٢ وانظر تيسير الكريم الرحمن - السعدي ١٤٩/٥ .

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية - محمد أبو زهرة ٩ ، دار الفكر العربي - القاهرة ، ط . د .

وانظر تاريخ الجدل - محمد أبو زهرة ١٠ .

(٤) انظر مقدمة ابن خلدون ٤ ، ٣٢ ومدارك التنزيل - النسفي ١١٦/٤ وإرشاد العقل السليم - أبو السعود ٤٤/٨ .



ويكون بالإعراض عما أنزل الله تعالى على رسوله - ﷺ - وعدم الالتفات إليه اكتفاء بتقليد الآباء والأسياد كما يكون بالاستمرار والمضي في التقليد بعد قيام البرهان على بطلانه وفساده ، وسيأتي قريباً - إن شاء الله تعالى - ما يبين هذا الجانب ، أما الاتباع فهو ما ثبت عليه حجة ، فالعمل بالوحي والثبات على ما جاء فيه هو الاتباع ، وهو محمود مطلوب (١) .

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " وكل من يخالف الرسل - عليهم الصلاة والسلام - هو مقلد متبع لمن لا يجوز له اتباعه " (٢) .

إذاً فالمقلد هو المحقّب (٣) دينه الرجال من غير دليل ، المتعصب على باطله دون نظر ولا تحليل - ومن هذا نعتة فقد اتبع الهوى - (٤) بينما صاحب الاتباع من له بوحى رب العالمين الاستنان ، وله في قبول الحق البين أعلى امتثال ، فهو ثابت عليه متشبث به .

وبعد أن تقرر ما ذكر يظهر أن المقصود بهذه النقطة إنما هو التقليد المذموم ، والمحاكاة الناجمة عن الهوى لا عن البرهان ، وفيما يلي عرض لشيء من مظاهر التقليد والمحاكاة التي وقع فيها فنام كثيرة من بني البشر . لقد بين الشاطبي - رحمه الله تعالى - حال أقوام أعرضوا عن الدليل ، وجعلوا على التقليد التعويل ، فزلوا وضلوا عن سواء الصراط ، فكانوا بذلك متبعين للهوى ، فيقول : " ولقد زل بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين - رضي الله تعالى عنهم - واتبعوا أهواءهم بغير علم ، فضلوا عن سواء السبيل " (٥) .

وبالنظر في سير طوائف من المدعويين في العهد النبوي يتضح هذا الأمر جلياً ، فقد ظهر تقليد الآباء والأجداد ، والجريان مع العوائد والمألوفات دون نظر ولا برهان ، كما برز التعصب لموروثات الأسلاف ورد الحجج البينات مع ظهورها وجلالها ، فدفع الحق البين ممن لا يهوى ، ونصبت في وجه الدعوة رايات

(١) انظر جامع بيان العلم وفضله - ابن عبدالر ٩٧٥/٢ وأعلام الموقعين - ابن القيم ١٢٩/٢ والدين الخالص - محمد صديق ١٧٢/٤ وأضواء البيان - محمد الأمين ٥٤٧/٧ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع ابن قاسم ٢٠٠/٤ .

(٣) معناه المردف . انظر معجم مقاييس اللغة - ابن فارس ٨٩/٢ ولسان العرب - ابن منظور ٣٢٥/١ مادة ( حقب ) .

(٤) انظر تفسير القرآن الحكيم - محمد رشيد رضا ٤٤٦/١ وشرح أصول اعتقاد أهل السنة - اللالكائي ٦٥/١ رقم : ٥٣ ومناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع وأصولهم وسماتهم - د. ناصر العقل ٦٨ ، دار الوطن - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١٥ هـ .

(٥) الاعتصام - الشاطبي ٣٤٧/٢ .

الاحتجاج بأقوال الرجال وأفعالها ، بل وظهر من البعض الإقرار بالصواب ، فمنعه غل التقليد والمحاكاة من الامتثال ، فرضي بسبيل الأشقياء ، ودرك الأذنياء .  
 ومما يوضح هذا المعنى قول الله - ﷻ - ناعثاً حال اليهود ، ومبيناً أنهم لا ينقادون إلا للأهواء والآراء الباطلة : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا ﴾ (١) والإخبار عن بحضرة رسول الله - ﷻ - من اليهود (٢) .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " .. فلستم تتبعون إلا مجرد الأهواء والآراء والتشهي " (٣) .  
 وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - مبيناً فساد مثل هذا المسلك : " ولا يجوز أن تكون الشرائع تابعة للشهوات ، إذ لو كان الشرع تابعاً للهوى والشهوة لكان في الطباع ما يغني عنه ، وكانت شهوة كل أحد وهواه شرعاً له " (٤) إذا فليس للقوم ضابطاً سوى الهوى ، فهم يقبلون ويرفضون من الأشياء ما لائمهم ومن ذلك الاكتفاء بما جاء عن طائفتهم ورد ما سواه ، وفي هذا الصدد قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " فوصف اليهود : أنهم كانوا يعرفون الحق قبل ظهور الناطق به ، والداعي إليه ، فلما جاءهم الناطق به من غير طائفة يهودونها لم ينقادوا له ، وأنهم لا يقبلون الحق إلا من الطائفة التي هم منتسبون إليها " (٥) كما استنكر ابن القيم - رحمه الله تعالى - من هذا نعتة ، وذلك أثناء حديثه عن الأمر بالقسط والنهي عن خلافه فبعد أن ذكر أن القيام بالأقوال والآراء والمذاهب بالقسط وظيفة خلفاء الرسول - ﷻ - وأمنائه بين أتباعه أشار إلى أن القيام فيها بالهوى مضاد لأمر الله ، مناف لما بعث به رسوله - ﷻ - وكان مما قال : " لا من يجعل أصحابه ونخلته ومذهبه معياراً على الحق ، وميزاناً له ، يعادي من خالفه ، ويسوالي من وافقه ، بمجرد

(١) سورة البقرة / جزء من الآية ٩١ .

(٢) البحر المحيط - أبوحيان الأندلسي ، تحقيق : عادل الموجود وآخرون ٤٧٤/١ ، دار الكعب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٣ هـ

وانظر المحرر الوجيز - ابن عطية ٢٩٢/١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١٢٠/١ وانظر محاسن التأويل - القاسمي ١٩١/٢ .

(٤) بدائع الفوائد - ابن القيم ١٢٢/٤ .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم - ابن تيمية ٧٣/١ .

موافقته ومخالفته " (١) وقال أيضاً - رحمه الله تعالى - عن حال اليهود : " فصار أحدهم ، ينظر إلى من ليس على مذهبه وملته ، كما ينظر إلى الحيوان البهيم " (٢).

وقال الله - ﷻ - مبيناً اغترار أهل الكتاب بما هم عليه من الأمانى الكاذبة : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانىهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ (٣).

قال أبو حيان الأندلسي (٤) - رحمه الله تعالى - : " وتدل الآية على بطلان التقليد ، وهو قبول الشيء بغير دليل " (٥) وقال ابن كثير - رحمه الله تعالى - عند تفسيره لهذه الآية الكريمة : " يبين تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه ، حيث ادعت كل طائفة من اليهود والنصارى ، أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتها " (٦).

ويؤكد تعصب أهل الكتاب لموروثاتهم ما حدث بين اليهود والنصارى في زمن المصطفى - ﷺ - قال ابن إسحاق - رحمه الله تعالى - : " ولما قدم أهل نجران من النصارى عند رسول الله - ﷺ - أتتهم أحوار يهود فتنازعوا عند رسول الله - ﷺ - ، فقال رافع بن حرملة : ما أنتم على شيء ، وكفر بعبسى وبالإنجيل ، فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أنتم على شيء ، وجحد بنسوة موسى ، وكفر بالتوراة " (٧) فأنزل الله في ذلك قوله - ﷻ - : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت

النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب ﴾ (٨) (٩).

(١) بدائع التفسير - جمع يسري السيد ٨١/٢ .

(٢) إغائة اللهفان - ابن القيم ٤٥٣/٢ .

(٣) سورة البقرة / الآية ١١١ .

(٤) محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي الأندلسي من تصانيفه البحر المحيط في تفسير القرآن ( ت : ٧٤٥ هـ ) انظر معجم المؤلفين - كحاله ١٣٠/١٢ .

(٥) البحر المحيط - أبو حيان ٥٢١/١ .

(٦) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١٤٧/١ .

(٧) السيرة النبوية - ابن هشام ٥٤٩/٢ .

(٨) سورة البقرة / جزء من الآية ١١٣ .

(٩) انظر لباب النقول - السيوطي ٢٥ وأسباب النزول - الواحدي ٣١ .

بل إنهم حرصوا على دعوة المصطفى - ﷺ - إلى مللهم الفاسدة ، وزعموا أن فيها الاهتداء ، وذلك أن عبداً لله بن سوريا - من اليهود - قال لرسول الله - ﷺ - : " ما الهدى إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تهتد وقالت النصارى مثل ذلك " (١) .

ومما يبين رسوخهم في تقاليدهم أيضاً ما ذكره ابن عباس - رضي الله عنهما - من أن الرسول - ﷺ - دعا اليهود إلى الإسلام ، فكان ردهم أن قالوا : " بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلم وخيراً منا " (٢) وينحوه فعل اليهودي ابن سوريا حين دعاه المصطفى - ﷺ - إلى الإسلام ، فأقر بصحة الرسالة وبين أن الذي يمنعه كراهة أن يخالف قومه ، وإن أسلموا فهو لهم تبع (٣) .

وهكذا صنع أهل الكتاب من تقليدهم لموروثاتهم وطوائفهم ، فحججوا اللجنة إلا عن أهل ملتهم ، دون دليل ولا برهان ، بل بمجرد الأمانى الكاذبة ، ومحض التقليد والمحاكاة لا غير ، كما نجد أن كل طائفة منهم قد تعصبت لما عندها ، وردت ما عند الأخرى ، كما تبين حرصهم على دعوة الغير إلى تلك التقاليد الباطلة بل وظهر منهم من رد دعوة الحق مع إقراره بصدقها تقليداً لبني قومه ، ومجاراتهم ، ولا غرابة وقد قيل إن : " أصل هذا الداء العضال ، وأس هذا المرض ، مرض تقليد الرجال ، جاء من اليهود المغضوب عليهم " (٤) .

ومما يذكر في هذا الصدد ، مما يبين فتك التقليد بعقول أهل الكتاب ما يذكر من قول القبطي - الذي يشار إليه بالعلم - حين سئل عن دليله على صحة النصرانية ، فكان منه أن أجاب بما يلي :

" دليلي على صحتها ، وجودي إياها متناقضة متنافية ، تدفعها العقول ، وتنفر منها النفوس ؛ لتباينها وتضادها ، لا نظر يقويها ، ولا جدل يصححها ، ولا برهان يعضدها من العقل والحس عند التأمل لها ، والفحص عنها ، ورأيت مع ذلك أمماً كثيرة ، وملوكاً عظيمة ذوي معرفة ، وحسن رأي ، قد انقادوا

(١) السيرة النبوية - ابن هشام ٥٤٩/٢ وانظر الدر المنثور - السيوطي ٢٥٧/١ وتفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١٧٧/١ .

(٢) المرجع السابق ٥٥٢/٢ وجامع النقول - ابن خليفة ١٩٠/١ وانظر لباب التأويل في معاني التنزيل - الخازن ١٣٨/١ ، مكتبة مصطفى الباني الحلبي وأولاده - مصر ، ط : الثانية : ١٣٧٥ هـ .

(٣) انظر تلبس إبليس - ابن الجوزي ٩٠ ، وقصص من حياة الرسول وأصحابه - محمد علي دولة ١٢٦ ، دار القلم - دمشق ، ط : السابعة : ١٤١٥ هـ .

(٤) الدين الخالص - محمد صديق ٢٩٩/٣ .

إليها ، وتدينوا بها ، فعلمت أنهم لم يقبلوها ، ولم يتدينوا بها - مع ما ذكرت من تناقضها في العقل - إلا لدلائل شاهدها ، وآيات علموها ، ومعجزات عرفوها ، أوجبت انقيادهم إليها والتدين بها " (١) .  
قال الشاطبي - رحمه الله تعالى - معلقاً على هذه الحادثة بعد أن أوردها : " والشاهد من الحكاية الاعتماد على الشيوخ والآباء من غير برهان ولا دليل " (٢) .

وبهذا يتبين شدة التقليد عند أهل الكتاب ، وإفساد الأهواء لقلوبهم (٣) .  
ولذا نجد أن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - حين خاطب ملك قبرص ، بين له أن الدين لا يكون بالهوى ، ولا بعادات الآباء ومألوفاتهم ، وذلك حين قال : " وأنتم تعلمون أن دين الله لا يكون بهوى النفس ، ولا بعادات الآباء وأهل المدينة ، وإنما ينظر العاقل فيما جاءت به الرسل .. " (٤) وقال أيضاً :  
" فإذا تبين أن المقلد مذموم - وهو من اتبع هوى من لا يجوز اتباعه - كالذي يتزك طاعات رسل الله - عليهم الصلاة والسلام - ويتبع ساداته وكبرائه .. تبين أن اليهود والنصارى كلهم مقلدون تقليداً مذموماً وكذلك المنافقون من هذه الأمة " (٥) .

ومن المعلوم أن المصطفى - ﷺ - أخبر أنه سيكون في أمته مضاهاة لأهل الكتاب ، وأنها ستتبع الأهواء كما وقع للأمم قبلها ، فقد جاء عن أبي سعيد الخدري (٦) - ﷺ - عن النبي - ﷺ - قال : " لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم ، قلنا يارسول : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ " (٧) .

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر - المسعودي ، تحقيق : قاسم الشماخي الرفاعي ٣٣٤/١ ، دار القلم - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ .

(٢) الاعتصام - الشاطبي ١٦٠/١ .

(٣) انظر تفسير القرآن الحكيم - محمد رشيد رضا ٤٤٤/١ ، ١٩/٢ .

(٤) الرسالة القرصية - ابن تيمية ٢٧ .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع ابن قاسم ٢٠٠/٤ .

(٦) أبوسعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخدري ، وخدره بطن من الأنصار ، كان من الحفاظ لحديث رسول الله ﷺ المكثرين

ومن العلماء الفضلاء العقلاء ، يروى أنه كان من أهل الصفة ( ت : ٧٤ هـ ) انظر أسد الغابة - ابن الأثير ١٣٨/٦ رقم : ٥٩٦١ وتذكرة

الحفاظ - النهي ٤٤/١ رقم : ٢٢ .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام ، باب ( قول النبي ﷺ لتبعن سنن من كان قبلكم ) ١٨٤/٩ رقم : ٩٠ .

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : " ودخول الجحر تمثيل للاقتداء بهم في كل شئ مما نهى الشرع عنه وذمه " (١).

وقال مرعي الحنبلي (٢) - رحمه الله تعالى - : " فأخير - ﷺ - أنه سيكون في أمته مضاهاة لفارس والروم وهم الأعاجم " ، وقال في موضع آخر : " وبالجملة فقد دخل في هذه الأمة من الآثار الرومية والفارسية قولاً وعملاً وتشبهاً مما لا خفاء به على مؤمن عليم بدين الإسلام " (٣).

ولهذا يجب على أتباع محمد - ﷺ - في كل مكان وزمان : أن يحذروا كل الخذر من من الاتصاف بهذا المظهر ؛ إذ أن التقليد والمحاكاة يدعوان إلى المشاكلة ، وما لا تحمد عقباه (٤).

وبنحو صنيع أهل الكتاب ، ما حصل من مشركي مكة - ومن انتهج نهجهم - حيث إن هذا الفعل هو حال من بعث فيهم الرسول - ﷺ - " وذلك أن رسول الله - ﷺ - بعثه الله - ﷻ - على حين فتره من الرسل ، وفي جاهلية جهلاء ، لا تعرف من الحق رسماً ، ولا تقيم به في مقاطع الحقوق حكماً ، بل كانت تنتحل ما وجدت عليه آباءها ، وما استحسنته أسلافها من الآراء المنحرفة ، والنحل المخترعة ، والمذاهب المبتدعة " (٥) فقد غطى الهوى على عقولهم دون أن يبصروا أو يستبصروا ، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " وأكثر ديانات الخلق إنما هي عادات أخذوها عن آباؤهم وأسلافهم ، وقلدوهم فيها " (٦).

(١) فتح الباري - ابن حجر ٣٧٢/١٣ رقم : ٧٣٢٠ .

(٢) مرعي بن يوسف بن أبي بكر الحنبلي الكرمي من كبار الفقهاء ، له نحو سبعين كتاباً منها : مسبوك الذهب في فضل العرب ودليل الطالبين لكلام النحويين وغيرها ( ت : ١٠٣٣ هـ ) انظر الأعلام - الزركلي ٣٠٢/٧ .

(٣) مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب - مرعي بن يوسف الحنبلي ، تحقيق : د. نجم عبدالرحمن خلف ٦٨ - ٧١ ، مكتبة الرشد - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ ، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم - ابن تيمية ٦٩/١ ، والسنة - المروزي ، تعليق : أبو محمد سالم بن أحمد ٢٥ ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ .

(٤) انظر مجموع الفتاوى - ابن تيمية ١٥٤/٢٢ .

(٥) الاعتصام - الشاطبي ١٩/١ وانظر ١٦٠/١ .

(٦) إغائة اللهفان - ابن القيم ٢٦١/٢ ، ٤٧٧ .

فهذه قريش - وكل من له أسوة بها - تجدهم يهرعون إلى موروثاتهم ، كما قال الله - ﷻ - مبنياً حالهم في سرعة امتثالهم ، وشدة ثباتهم على ما ألفوا عليه آباءهم : ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفُوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴾ فهم على آثارهم يهرعون ﴿ (١) والمعنى : أنهم يتبعون آثارهم اتباعاً في سرعة (٢) .

قال القاسمي - رحمه الله تعالى - : " وفيه إشعار بأنهم بادروا إلى ذلك من غير نظر وبحث ، بل بمجرد تقليد وترك اتباع دليل " (٣) وينحوه قال ابن عاشور - رحمه الله تعالى - وهذا نصه : " فإن جرمهم كان تلقياً لما وجدوا عليه آباءهم من الشرك ، وشعبه بدون نظر ولا اختيار لما يختاره العاقل " (٤) .

ولم يكتفوا بالإهراع على آثار أسيادهم ، بل دفعوا الحجة بالتقليد والمحاكاة دون تأمل ولا استبصار ، حيث أكدوا التزامهم ، وتمسكهم بدين الآباء والأجداد ، وأعلنوا كفرهم بما جاء به الرسول - ﷺ - فاتضح من فعلهم أنهم أصحاب هوى ، لا أصحاب هدى واتباع .

يقول الله - ﷻ - : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿ قال أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿ (٥) .

قال قتادة - رحمه الله تعالى - : " قال ذلك مشركو قريش : إنا وجدنا آباءنا على دين ، وإنا متبعوهم على ذلك " (٦) فهم " لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية ، بل اعترفوا بأن لا سند لهم سوى تقليد آباءهم الجهلة مثلهم " (٧) .

(١) سورة الصافات / الآية ٦٩ - ٧٠ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه - الزجاج ، تحقيق : د. عبدالجليل شلبي ٣٠٧/٤ ، عالم الكتب - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ ، وانظر معاني القرآن الكريم - النحاس ، تحقيق : محمد علي الصابوني ٣٦/٦ ، جامعة أم القرى - مكة ، ط : الأولى : ١٤١٠ هـ ، ومعاني القرآن - الفراء ، تحقيق : محمد علي النجار ٣٨٧/٢ ، دار السرور - بيروت ، ط . د .

(٣) محاسن التأويل - القاسمي ١١١/١٤ .

(٤) التحرير والتنوير - ابن عاشور ١٢٦/٢٣ .

(٥) سورة الزخرف / الآية ٢٢ - ٢٤ .

(٦) الدر المنثور - السيوطي ٧١٩/٥ ، وانظر النكت والعيون - الماوردي ، تعليق : السيد بن عبدالمقصود ٢٢١/٥ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط . د . ، وجامع البيان - الطبري ٦٠/١٣ .

(٧) إرشاد العقل السليم - أبو السعود ٤٣/٨ وانظر تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٢٥٦/٤ .

قال القرطبي - رحمه الله تعالى - : " وفي هذا دليل على إبطال التقليد ، لدمه إياهم على تقليد آبائهم وتركهم النظر فيما دعاهم إليه الرسول - ﷺ - " (١) وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله تعالى - : " ومثل هذا في القرآن كثير من ذم الآباء والرؤساء " (٢).

ومن ثم تبين أن صنيعهم إنما هو " مجرد المحاكاة ومحض التقليد ، بلا تدبر ولا تفكر ولا حجة ولا دليل وهي صورة مزرية تشبه صورة القطيع يمضي حيث هو منساق ، ولا يسأل إلى أين يمضي؟! ولا يعرف معالم الطريق " (٣).

بل إنهم أعلنوا كفرهم وجحودهم حين بان لهم الصواب ، فقالوا : إنا كافرون ، وإنما " قالوه لإفراط جهلهم ، وانهماكهم في التقليد " (٤) وكان من حقهم أن يقولوا : إنا مذعنون مقرون ، ولكنه اتباع الهوى والميل مع رغائب النفس ، فحرموا الاهتداء ، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " فمنعهم الاقتداء بأبائهم من قبول الاهتداء " (٥).

وقد صارت هذه المقالة منهجاً لكل من سار على درب القوم ، واتبع منوالهم ، قال الشوكاني - رحمه الله تعالى - : " وقد صارت هذه المقالة التي قائلها الجاهلية ، نصب أعين المقلدة ، وعصاهم التي يتوكأون عليها إن دعاهم داعي الحق ، وصرخ له صارخ الكتاب والسنة " (٦).

ومما يؤكد شدة تعصب القوم على تقاليدهم ، ما حصل من أبي طالب - وهو على فراش الموت - حين دعاه المصطفى - ﷺ - إلى الإيمان ، فما كان منه إلا أن قال : " هو على ملة عبدالمطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله " (٧).

وجاء في لفظ ما يبين خوفه من مخالفة القوم ، والخروج عن تقاليدهم ، وذلك حين قال :

(١) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٥٠/١٦ .

(٢) القول السديد في كشف حقيقة التقليد - محمد الأمين ١١ ، دار الصحوة ، ط : الأولى : ١٤٠٥ هـ .

(٣) في ظلال القرآن - سيد قطب ٣١٨٢/٥ وانظر تلبيس إبليس - ابن الجوزي ٨٠ .

(٤) محاسن التأويل - القاسمي ٤٠٥/٦ .

(٥) أعلام الموقعين - ابن القيم ١٣٢/٢ .

(٦) فتح القدير - الشوكاني ١٢٠/٢ .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب ( إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله ) ١٩٩/٢ رقم : ١١٥ .



" لولا أن تعيرني قريش ، يقولون : إنما حملة على ذلك الجزع ، لأقررت بها عينك " (١) .  
 وخلاصة القول ومقصوده : إن من مواطن الهوى تقليد الأسلاف ، ومحاماتهم دون تبصر ، كما قال الشيخ  
 صالح المقبل (٢) - رحمه الله تعالى - : " ومن معارك الهوى ، ومواطنه تقليد الآباء والأسلاف " (٣) " فمن  
 أخذ بقول القائلين ، واتبع ما وجد عليه السابقين ، بدون بينة يعرف بها وجه الحق من ذلك ، وكتاب الله  
 بين يديه ، لا ينظر فيه ، ولا يرجع إليه ، فقد اتبع الهوى " (٤) واتباع هوى من لا يجوز اتباعه أمر مذموم ،  
 قد وقع فيه طوائف كثيرة من الناس ، وأن من كان هذا صنيعه فإنما هو إمعة فيما يأتي ويذر ، كما قال  
 سفيان - رحمه الله تعالى - : " الإمعة في الجاهلية الذي يدعى إلى الطعام ، فيذهب معه بغيره ، وهو فيكم  
 اليوم : المحقّب دينه الرجال " (٥) وكان لسان حاله - بل ومقاله - يقول : أين يذهب الناس فلي بهم أسوة  
 وهذه حال أكثر الخلق ، وهي التي أهلكتهم ، فلا يهولن المؤمن عظم سوادهم ، ووفور دهمائهم ، وليعلم  
 أنهم وإن كثروا تلك الكثرة ، فقدوتهم فيما هم فيه الهوى واتباعه ، لا البرهان وتدبره ، وفي هذا حث  
 عظيم على العمل بالدليل ، وزجر بليغ عن التقليد وإنذار بأن الهلاك والردى مع التقليد وأهله (٦) .

(١) سبق تخريجه ١٠٩ - ١١٠ في هذا البحث .

(٢) صالح بن المهدي بن علي المقبل اليمني ، كان قد ألزم نفسه السلوك مسلك الصحابة وعدم التعويل على تقليد أهل العلم في جميع  
 الفنون كما ذكر ذلك الشوكاني عنه ، من مؤلفاته : العلم الشامخ في إظهار الحق على الآباء والمشايخ وحاشية على كتاب البحر الزخار  
 سماها : المنار في المختار من جواهر البحر الزخار ( ت : ١١٠٨ هـ بمكة ) انظر البدر الطالع - الشوكاني ٢٨٨/١ رقم : ٢٠٤ والأعلام -  
 الزركلي ١٩٧/٣ .

(٣) كتاب الأرواح النوافح وهو ملحق بكتاب العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ - صالح بن المهدي المقبل ١٩٦ ، مكتبة  
 دار البيان - دمشق ، ط . د .

(٤) تفسير القرآن الحكيم - محمد رشيد رضا ٤٤٦/١ .

(٥) الاعتصام - الشاطبي ٣٥٨/٢ .

(٦) انظر شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز ، تحقيق : بشير محمد عيون ٢٨٣ ، مكتبة دار البيان - دمشق ، ط : الأولى : ١٤٠٥ هـ  
 والكشاف - الزمخشري ٥٧/٣ .

## المطلب الثاني التلبيس والمخادعة

إن التلبيس على الخلق ، ومخادعتهم بإظهار الحق في صورة الباطل ، وإبراز المنهي في صورة المشروع - عن علم وقصد - أمر قد فشا وانتشر بين طوائف غير قليلة من بني البشر ، وبالنظر إلى أحوال كثير من الناس وسيرهم ، يلحظ عليهم الحرص على تشويش الحقائق ، وتضليل الأحاسيس ، وكنم الحق ، فرمما سماوا الأشياء بغير مسمياتها ، ورمحا حاولوا طمس الحقائق الدالة على الحق ، وإخفائها إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً قال الرازي - رحمه الله تعالى - في بيان سبل إضلال الغير ، وإغوائهم : " واعلم أن إضلال الغير لا يحصل إلا بطريقتين ، وذلك لأن ذلك الغير إن كان قد سمع دلائل الحق ، فإضلاله لا يمكن إلا بتشويش تلك الدلائل عليه ، وإن كان ما سمعها ، فإضلاله إنما يمكن بإخفاء تلك الدلائل عنه ، ومنعه من الوصول إليها " (١).

فهم يكتمون الحقائق ، والأحكام اتباعاً للهوى ، ولأجله يلبسون (٢) وذلك أن أرباب هذه الصنعة يجرون من المآرب والأغراض ما يهون ويؤمنون ف " الابتداع به - أي بمتابعة الهوى - يكثر عند أرباب المطامع في خدمة الملوك ، والحصول على عرض الدنيا وحطامها ، ولعل أكثر الحيل التي نراها منسوبة إلى الدين - والدين منها برئ - يرجع إلى هذا " (٣).

ومن كان هذا نعته ، فإن له أسوة بعدو الله إبليس الذي سن مثل هذا الصنيع استجابة لدواعي الهوى ونوازه ، حيث سمى الأمر بغير مسماه ، ترويحاً ومخادعة .

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " وغرهما وخدعهما - يشير إلى آدم وزوجه عليهما السلام - بأن سمى تلك الشجرة شجرة الخلد ، فهذا أول المكر والكيد ، ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها " (٤) وكذلك هو الحال فيمن استجاب لذلك التلبيس ، وتلك المراوغة ، فتزك ما معه من الدر النفيس ، واستبدله بالمعدن الخسيس ؛ إذ أن البعض يدخل في الشيء لعتقاده أن له فيه منفعة ومصالحة ، لا لعتقاده أنه حق في ذاته ينبغي اتباعه ، فإذا بدا له خلاف ما رجا وأمل ، تركه وترحل (٥).

(١) التفسير الكبير - الرازي ٤٠/٣ .

(٢) انظر تفسير القرآن الحكيم - محمد رشيد رضا ٣٣٢/٣ والشريعة - الآجري ٢٨٨ .

(٣) البدعة أسبابها ومضارها - محمود شلتوت ، تعليق : علي حسن عبد الحميد ٢٥ ، دار ابن الجوزي - الدمام ، ط : الثانية : ١٤١٣ هـ .

(٤) إغاثة اللهفان - ابن القيم ١٨٠/١ .

(٥) انظر تفسير القرآن الحكيم - محمد رشيد رضا ٣٣٤/٣ .

ولعل مما يبين ما ذكر ويوضحه ضرب عدد من النماذج والأمثلة التي برز فيها مثل هذا المظهر وبان :  
فمن ذلك ما يقوم به علماء أهل الكتاب من لبس الحق بالباطل ، مع علمهم بما في ذلك من الضرر العظيم  
على توجه الناس ، إذ إنه طريق للضلال ، وداع للمضي في الباطل ، وركوب شتى الأهواء ، بل إن كثيراً  
من أنواع الضلال إنما هي من هذا القبيل (١).

قال الله - ﷻ - : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ (٢).  
وقال - ﷻ - في موضع آخر : ﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم  
تعلمون ﴾ (٣).

والمراد : " أي لم تغطون الحق بباطلكم ، وأنتم تعلمون أنه الحق ؟ " (٤) واللبس خلط الأمور (٥) والمعنى  
: " لا تخلطوا الحق الذي أنزلت عليكم بالباطل الذي تفترونه " (٦) والتلبس يلزم منه كتم الحق ، قال ابن  
تيمية - رحمه الله تعالى - : " فإنه من لبس الحق بالباطل ، فغطاه به ، فغلط به ، لزم أن يكتم الحق الذي  
تبين أنه باطل ؛ إذ لو بينه زال الباطل الذي لبس به الحق " (٧).

فقد كان من حرف علماء أهل الكتاب " أنهم كانوا يجتهدون في إلقاء الشبهات ، وفي إخفاء الدلائل  
والبيّنات ، والله تعالى نهاهم عن هذه الحرفة " (٨) حيث إن أحبارهم وروساءهم كانوا يلبسون على العامة  
الحق بالباطل ، ويكتمونهم ما يعرفون (٩) ومن ثم يظهر اتباع الهوى ها هنا من عدة نواح منها :  
الأولى - ارتكابهم لهذا الفعل مع علمهم بالصواب ، وأن الحق على خلافه .  
الثانية - سعيهم للتلبس ، وكتم الحق عن الغير ؛ لما في ذلك من المنفعة لهم ، واستمرار مصالحهم .

(١) انظر التحرير والتنوير - ابن عاشور ٤٧١/١ والتفسير الكبير - الرازي ٤١/٣ .

(٢) سورة البقرة / الآية ٤٢ .

(٣) سورة آل عمران / الآية ٧١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه - الزجاج ٤٢٨/١ وانظر معاني القرآن الكريم - النحاس ٤٢٠/١ والمفردات في غريب القرآن - الراغب ٤٤٧ .

(٥) النكت والعيون - الماوردي ١١٢/١ .

(٦) تفسير الجلالين - السيوطي والحلي ، راجعه : مروان سوار ١٠ ، دار المعرفة - بيروت ، ط . د .

(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع ابن قاسم ١٩٤/١٩ .

(٨) التفسير الكبير - الرازي ٨٢/٨ .

(٩) انظر تفسير القرآن الحكيم - محمد رشيد رضا ٢٩٢/١ والجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٧٢/٤ .

فمعرفة الحق من الباطل لا تخفى على أمثالهم ، إذ إن الحق هو : الأمر الثابت ، وهو ما تعترف به سائر النفوس بقطع النظر عن شهواتها ، والمراد بالباطل هنا ما تتبرأ منه النفوس ، وتزيله ما دامت خلية عن غرض أو هوى (١) وهؤلاء لم تخل نفوسهم عن غرض وهوى كما هو شاهر في سيرهم وأحوالهم ، ولهذا نهى الله - ﷻ - أهل الكتاب عن مثل هذا الصنيع الآثم ، وذمهم عليه ، قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : " ولا تخلطوا على الناس أيها الأخبار من أهل الكتاب في أمر محمد - ﷺ - وما جاء به من عند ربه " (٢) .

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " فنهى عن لبس الحق بالباطل وكتمانه " (٣) وقال القاضي البيضاوي - رحمه الله تعالى - : " ونهوا عن الإضلال بالتلبيس على من سمع الحق ، والإخفاء على من لم يسمعه " (٤) والمقصود أنهم جمعوا بين أمرين كل منهما مستقل بالقبح (٥) .

وبعد أن تقرر هذا الفعل من أهل الكتاب ، لعله من الملائم أن أذكر نوعاً من تلبساتهم ومخادعاتهم ، وهي كثيرة جملة (٦) : لقد اجتمع عدد من يهود ، فقال بعضهم لبعض : " تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ، ونكفر به عشية ؛ حتى نلبس عليهم دينهم ، لعلهم يصنعون كما نصنع ، ويرجعون عن دينه " (٧) قال السيوطي - رحمه الله تعالى - : " فأنزل الله - ﷻ - فيهم : ﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل .. - إلى قوله - : واسع عليهم ﴾ (٨) .

(١) التحرير والتنوير - ابن عاشور ٤٧٠/١ .

(٢) جامع البيان - ابن جرير ٢٥٦/١ .

(٣) بدائع التفسير - جمع يسري السيد ٣١٣/١ .

(٤) أنوار التنزيل - البيضاوي ٥٨/١ .

(٥) انظر روح المعاني - الألوسي ٣٩١/١ .

(٦) وفيما تقدم من أمثلة أثناء الحديث عن جهود أهل الكتاب في نشر الأهواء ما يؤكد هذا الجانب أيضاً ، فليراجع ، انظر ٧٨ وما بعدها

(٧) السيرة النبوية - ابن هشام ٥٥٣/٢ وانظر ٨٢ من هذا البحث .

(٨) لباب التأويل - السيوطي ٥٣ .

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله تعالى - : " يعني بذلك - جل ثناؤه - يا أهل التوراة والإنجيل لم .. تخلطون الحق بالباطل " (١) وقال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم " (٢).

قال الرازي - رحمه الله تعالى - : " اعلم أنه تعالى لما حكى عنهم أنهم يلبسون الحق بالباطل ، أردف ذلك بأن حكى عنهم نوعاً واحداً من أنواع تليساتهم " (٣).

ولا يقل المشركون والمنافقون حالاً عن سابقهم ، حيث إنهم سعوا لإضفاء الصبغة الشرعية على ما يقترفون ترويحاً للهوى الذي يحملون .

فقد أخرج المشركون شركهم في هيئة هي ادعى للقبول مما لو أخرجه على هيئته وحقيقته ، يقول الله - ﷻ

- حاكياً مقولتهم : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ (٤).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " أخرج المشركون شركهم في قالب التعظيم لله تعالى ، وأنه أجل من أن يتقرب إليه بغير وسائط وشفعاء ، وآلهة تقربهم إليه " (٥).

وكذا صنيعهم فيما يتدعون ، ولقد كان مما ابتدئته قريش الطواف بالبيت عراة ، وعدم مجاوزة مزدلفة إلى عرفات كسائر الناس ، فقد " كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الحمس - والحمس قريش وما

ولدت - (٦) وكانت الحمس يحتسبون على الناس ، يعطي الرجل الرجل الثياب يطوف فيها ، وتعطي المرأة المرأة الثياب تطوف فيها فمن لم يعطه الحمس طاف بالبيت عرياناً ، وكان يفيض جماعة الناس من عرفات

ويفيض الحمس من جمع " (٧) فكانت لا تجاوز الحرم ، ويقولون نحن أهل الله لا نخرج من الحرم ، وكان

(١) جامع البيان - ابن جرير ٣/٣١٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١/٣٥٢ .

(٣) التفسير الكبير - الرازي ٨/٨٣ .

(٤) سورة الزمر / جزء من الآية ٣ .

(٥) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٢/١١٠ .

(٦) سموا حمساً : لأنهم تحمسوا في دينهم ؛ أي تشددوا ، وقيل غير ذلك ، انظر النهاية في غريب الحديث - ابن الأثير ١/٤٤٠ وفتح

الباري - ابن حجر ٣/٦٥٨ رقم : ١٦٦٥ .

(٧) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الحج ، باب ( الوقوف بعرفة ) ٢/٣١٥ رقم : ٢٤٩ ومسلم في كتاب الحج ، باب ( في

الوقوف وقوله تعالى : ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ) ٢/٨٩٣ رقم : ١٢١٩ .

سائر الناس يقف بعرفة (١) وهذا من استهواء الشيطان لهم ، وأما الطواف بالبيت عراة ، فيقول النووي - رحمه الله تعالى - : " هذا من الفواحش التي كانوا عليها في الجاهلية .. ولهذا أمر النبي - ﷺ - في الحجّة التي حجّها أبو بكر - ﷺ - سنة تسع ، أن ينادي مناديه : أن لا يطوف بالبيت عريان " (٢) وقد بوب الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - في صحيحه باب ( لا يطوف بالبيت عريان ولا يحجّ مشرك ) (٣) .

وكان مما ابتدع أيضاً وألبس ثوب المشروعية ، ما فعلوه من تصوير إبراهيم وإسماعيل - عليهما الصلاة والسلام - وجعل الأزام في أيديهما مع أنهما ما استقسما بها قط - وحاشهما فعل ذلك - .

جاء في الحديث عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، فأمر بها ، فأخرجت ، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزام ، فقال النبي - ﷺ - : " قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط " (٤) .

وقد علق الشاطبي - رحمه الله تعالى - على مثل هذه المحاولات ، والتي يقصد بها أصحابها إضفاء شئ من الصبغة الشرعية على ما يتدعون ، ليصروه بذلك كالمشروع ، فقال - رحمه الله تعالى - : " فأنت ترى العرب الجاهلية في تغيير ملة إبراهيم - ﷺ - كيف تأولوا فيما أحدثوه احتجاجاً منهم ، كقولهم في أصل الإشرak : ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ (٥) وكترك الحمس الوقوف بعرفة ، لقولهم : لا نخرج من الحرم اعتداداً بجرمته ، وطواف من طاف منهم بالبيت عرياناً ، قائلين : لا نظوف بشياب عصينا الله فيها ، وما أشبه ذلك مما وجهوه ليصيروه بالترجيح كالمشروع " (٦) .

وبنحوه فعلهم حين أمروا بالإتفاق ، قال الله - ﷻ - : ﴿ وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين ﴾ (٧) .

(١) فتح الباري - ابن حجر ٦٥٨/٣ .

(٢) شرح مسلم - النووي ٤٤٧/٨ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب ( لا يطوف .. ) ٢٩٩/٢ رقم : ٢١١ .

(٤) أحرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب ( أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ) ٣٠٢/٥ رقم : ٢٩٥ .

(٥) سورة الزمر / جزء من الآية ٣ .

(٦) الاعتصام - الشاطبي ٤٠/١ .

(٧) سورة يس / الآية ٤٧ .

قال الشاطبي - رحمه الله تعالى - : " فإن الكفار لما أمروا بالإنفاق شحوا على أموالهم ، وأرادوا أن يجعلوا لذلك الشح مخرجاً ، فقالوا : أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ؟ ومعلوم أن الله - ﷻ - لو شاء لم يحوج أحداً إلى أحد ، لكنه - ﷻ - ابتلى عباده لينظر كيف يعملون ، فقص هراهم على هذا الأصل العظيم " (١) .  
وكذا هو الحال فيما يتعلق بالمنافقين ، حيث أبرزوا ما يفعلون في قوالب هينة مستحسنة ، فقد أخرجوا " النفاق في قالب الإحسان ، والتوفيق ، والعقل المعيشي " (٢) .

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " أخير - ﷻ - أنه ليس وراء ما أنزله إلا اتباع الهوى .. وكل هذه الآراء والمعقولات المخالفة لما جاء به الرسول - ﷺ - هي من قضايا الهوى ، وأحكام الجاهلية ، وإن سماها أربابها بالقواطع العقلية ، والبراهين اليقينية ، كتسمية المشركين أوثنانهم وأصنامهم آلهة ، وتسمية المنافقين السعي في الأرض بالفساد ، وصد القلوب عن الإيمان إصلاحاً وإحساناً وتوفيقاً " (٣) .

وهو المنطق نفسه الذي استخدمه فرعون مع رعيته ، ومما يعرف من سيرته : أنه كان جباراً عالياً من المفسدين ، فقد قتل وذبح واستحيا ، ومع ذلك حين جاء نبي الله موسى - ﷺ - بالحق المؤيد بالحجج البيّنات رده وناصره العداء ، وتظاهر لقومه بالخوف من انتشار الفساد ، وتبديل الدين من قبل موسى ، فانقلب بين عشية وضحاها ، واعظاً رقيقاً ، ومذكراً بليغاً ، بعد أن كان عاتياً متكبراً عنيداً ، قال الله - ﷻ - :  
﴿ وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ﴾ (٤) .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " يخشى فرعون أن يضل موسى الناس ، ويغير رسومهم ، وعاداتهم وهذا كما يقال في المثل : صار فرعون مذكراً ، يعني واعظاً يشفق على الناس من موسى - ﷻ - " (٥) .

(١) الاعتصام - الشاطبي / ١ / ١٣٦ .

(٢) إغاثة اللهفان - ابن القيم / ٢ / ١٠٩ .

(٣) بدائع التفسير - جمع يسري السيد / ٢ / ١١٣ .

(٤) سورة غافر / الآية ٢٦ ، وانظر المواعظ والمجالس - ابن الجوزي / ١٤٦ .

(٥) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير / ٤ / ٧٨ .

وخلصة القول ومقصوده : إن مثل هذه التصرفات ، كثيرة جداً ، حيث يجعل من الحق باطلاً ، ويعبر بألفاظ الحق والشرع عن معان مخالفة لها ، يجعلها أصحابها حجة لهم ، وعمدة لهم (١) فيحددون ما يشتهون ، ومن ثم يلبسونه لباس المشروعية ؛ ليقر لهم ما يهرون ، فلا يفتضحون ؛ وليظهر بذلك أنهم متابعون للحق متحرون له ، فتجدهم يسعون " على تسمية الشيء بغير اسمه ، وعلى تغيير صورته مع بقاء حقيقته " (٢).

فيخرجون الباطل في القوالب الشرعية ، ويأتون بصور الأشياء دون حقائقها ومقاصدها (٣) فيدعي كل منهم أنه على صواب ، وأن خصمه في تباب ؛ إذ أن من مهام البعض تضليل أحاسيس الناس ؛ لتلا يشعروا بما هم فيه من باطل ، ومن الحيوي لهم أن يستمروا على ما هم عليه (٤).

والمطلوب : أن لا يلبس الحق بالباطل ، وأن لا يعمل ببعض الكتاب ، ويترك بعضه " بل يؤمن بالكتاب كله وأن يصاب عن أن يدخل فيه ما ليس منه ، من رواية أو رأي ، أو يتبع ما ليس من عند الله اعتقاداً أو عملاً كما قال - ﷺ - : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ (٥) (٦).

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع ابن قاسم ٣٥٢/١٧ .

(٢) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٥١٧/١ .

(٣) انظر المرجع السابق ١١٠/٢ .

(٤) انظر فصول في التفكير الموضوعي - د. عبدالكريم بكار ٢٨ ، دار القلم - دمشق ، ط : الأولى : ١٤١٣ هـ .

(٥) سورة البقرة / الآية ٤٢ .

(٦) شرح الطحاوية - ابن أبي العز ١٦/١ .



## المطلب الثالث موالة الكافرين ومعاداة المؤمنين

إن مما جبل عليه الإنسان وفطر اتصافه بصفتي : الحب والبغض ، فتراه تارة يميل بطبعه إلى هذا وتارة ينفر من ذلك .

ولا يتصور أن يسير الإنسان خلياً منهما ، بل تجده ربما تابع غيره في حبه وبغضه ، وولائه وعدائه ، فيحب ما يحب محبوبه ، ويبغض ما يبغض محبوبه ، ويوالي من يواليه ، ويعادي من يعاديه ، ويأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه (١).

وينشأ عن هذين الأمرين من الأعمال ما يدخل في حقيقة الموالة والمعاداة .

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن (٢) - رحمه الله تعالى - : " وأصل الموالة الحب ، وأصل المعاداة البغض ، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالة والمعاداة ، كالنصر ، والإنس والمعونة ، وكالجهاد ، والهجرة ، ونحو ذلك من الأعمال " (٣).

و " العبد لا يتصور أن يتحرك قط إلا عن حب وبغض وإرادة " (٤).

ولذا كان هذا الأصل العظيم من الأمور التي قررها الشرع الحنيف وأكدها ، جاء في الحديث : " أوثق عرى الإيمان الحب في الله ، والبغض في الله " (٥).

(١) انظر التحفة العراقية - ابن تيمية ٦٦ .

(٢) عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد آل الشيخ ولد في الدرعية سنة ١٢٢٥ هـ وله مؤلفات وفتاوى ورسائل ضم معظمها إلى مجموعة الرسائل النجدية ( ت : ١٢٩٣ وصلى عليه في جامع الرياض ) انظر روضة الناظر عن مآثر علماء نجد - محمد القاضي ٣٣٨/١ رقم : ١٤٢ .

(٣) الرسائل المفيدة - عبداللطيف بن عبدالرحمن ، تقديم : عبدالرحمن الرويشد ٢٩٦ ، دار العلوم - القاهرة ، ط . د ، وانظر مجموعة

الرسائل والمسائل النجدية ، أشرف عليه - عبدالسلام بن برجس ٢٩٠/٣ ، دار العاصمة - الرياض ، ط : الثانية : ١٤٠٩ هـ .

(٤) انظر التحفة العراقية - ابن تيمية ٧٢ .

(٥) الإيمان - ابن أبي شيبة ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ٤٥ رقم : ١٣٤ و ١١١ ، دار الأرقم - الكويت ، ط : الثانية : ١٤١٥ هـ

وانظر المسند - الإمام أحمد ٣٨٧/٤ رقم : ١٨٤٨٠ وصحيح الجامع الصغير وزيادته - الألباني ٤٩٧/١ رقم : ٢٥٣٩ ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : الثالثة : ١٤٠٨ هـ .

بل إن الإيمان لا يستكمل إلا بهما ، فعن سهل بن معاذ عن أبيه - هـ - عن رسول الله - هـ - أنه قال : " من أعطى الله تعالى ، ومنع الله تعالى ، وأحب الله تعالى ، وأبغض الله تعالى ، وأنكح الله تعالى (١) فقد استكمل إيمانه " (٢) .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - لمجاهد : " يا مجاهد أحب في الله تعالى ، ووال في الله ، وعاد في الله فإنما تنال ما عند الله بذلك ، ولن يجد عبد حلاوة الإيمان ، وإن كثرت صلواته وصيامه ، حتى يكون كذلك وقد صارت مواخاة الناس اليوم ، أو عامتهم في الدنيا ، وذلك لا يجزى عن أهله شيئاً " (٣) .

قال حمد بن عتيق (٤) - رحمه الله تعالى - : " فأما معاداة الكفار والمشركين ، فاعلم أن الله - هـ - أوجب ذلك ، وأكد إيجابه ، وحرم موالاتهم وشدد فيها ، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ، ولا أبين من هذا الحكم ، بعد وجوب التوحيد ، وتحريم ضده " (٥) .

كما بين ابن تيمية - رحمه الله تعالى - أن الإخلال بهذا الجانب دليل على ضعف الإيمان ونقصانه ، وذلك حين قال : " فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه ، كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب " (٦) .

كما أنه أيضاً دليل على اتباع الهوى ، ومسايرة النفس الأمارة ، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " واتباع الهوى يكون في الحب والبغض " (٧) إذ إن من الناس - كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - : " من

(١) المعنى : لا لغرض سواه ، وكذلك سائر الأعمال ، فتكلم الله وسكت الله ، وأكل الله وشرب الله ، كقوله تعالى : ﴿ قل إن

صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ سورة الأنعام / الآية ١٦٢ . تحفة الأحوذى - المباركفوري ١٨٩/٧ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥٦٧/٣ رقم : ١٥٥٩٥ ، والترمذي في كتاب صفة القيامة ، باب ( ٦٠ ) ٥٧٨/٤ رقم : ٢٥٢١ ، قال

أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وحسنه الألباني ، انظر صحيح سنن الترمذي ٣٠٩/٢ رقم : ٢٠٤٦ .

(٣) تعظيم قدر الصلاة - محمد بن نصر المروزي ، تحقيق : د. عبدالرحمن الفيرواني ٤٠٦/١ رقم : ٣٩٦ ، مكتبة الدار - المدينة المنورة ،

ط : الأولى : ١٤٠٦ هـ ، وانظر جامع العلوم والحكم - ابن رجب ١٢٥/١ وحلية الأولياء - أبو نعيم ٣١٢/١ .

(٤) حمد بن علي بن محمد بن عتيق ولد في الزلفي سنة ١٢٢٧ هـ في بيت دين ، وله رسائل وفتاوى كثيرة منها : إبطال التنديد ورسالة

النجاة والفكاك وغيرها ( ت : ١٣٠١ هـ بالأفلاج ) انظر روضة الناظر عن مآثر علماء نجد - محمد القاضي ٩٤/١ رقم : ٤٢ .

(٥) سبيل النجاة والفكاك - حمد بن عتيق ، تحقيق : الوليد الفيضان ٣١ ، دار طيبة - الرياض ، ط . د . ١٤٠٩ هـ .

(٦) الإيمان - ابن تيمية ، تعليق : د. محمد خليل هراس ١٧ ، دار الفكر ، ط . د .

(٧) إغاثة اللهفان - ابن القيم ١٩٣/٢ .

يكون حبه ، وبغضه ، وإرادته ، وكراهته ، بحسب محبة نفسه وبغضها ، لا بحسب محبة الله - ﷻ - ورسوله - ﷺ - وبغض الله - ﷻ - ورسوله - ﷺ - وهذا من نوع الهوى ، فإن اتبعه الإنسان ، فقد اتبع هواه " (١) .  
وشاهد القول أن " المحبة في الله ، والبغض في الله ، باب عظيم ، وأصل من أصول الإيمان " (٢) يجب على العبد مراعاته (٣) .

وبعد تدوين ما ذكر ، لعله من المناسب قبل الدخول إلى تفاصيل هذا المطلب أن أشير إلى أمر أظن أنه من الأهمية بمكان ، ألا وهو الفرق بين حسن التعامل والمدارة ، وبين المداينة والموالة غير المشروعة ، وذلك لدفع ما قد يتوهم من الخلط بينهما :

إن الإحسان إلى الناس عامة ، بما هو من مكارم الأخلاق وفضائلها ، أمر مطلوب ، ومرغب فيه ، ولا سيما إن كان لغير المسلمين ؛ لقصد دعوتهم إلى الإسلام ، وبيان محاسنه ، ولا تعارض بينه ، وبين ما أمر به المسلم ، من البراءة منهم - كما سيتضح قريباً إن شاء الله تعالى - : فالبر ، وبذل المعروف ، ولين الجانب وحسن المعاملة ، لا تعني موالاتهم ، ولا يلزم منه مودتهم ومحبتهم (٤) .

قال الله - ﷻ - : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ (٥) .

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله تعالى - : " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عني بذلك : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان ، أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم " (٦) .

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - ابن تيمية ، تعليق : أبو عبد الله محمد بن رسلان ٥٠ ، دار العلوم الإسلامية - القاهرة ، ط . د .

١٤٠٩ هـ ، وانظر شذرات البلايين من طيبات كلمات سلفنا الصالحين ٣٩٩ ، دار القلم - بيروت ، ط . د .

(٢) الكشف - الزمخشري ٣٥١/١ .

(٣) انظر أوتو عري الإيمان - سليمان بن عبد الله ، تحقيق : الوليد بن عبد الرحمن الفريان ٢٧ ، دار طيبة - الرياض ، ط : الأولى :

١٤٠٩ هـ .

(٤) انظر الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي - د . عبد الله الطريقي ٦٤ ، مؤسسة الرسالة ، ط : الثانية : ١٤١٤ هـ .

(٥) سورة الممتحنة / الآية ٨ .

(٦) جامع البيان - الطبري ٦٦/١٤ .

ثم استشهد - رحمه الله تعالى - على صحة قوله ، بخبر أسماء بنت أبي بكر (١) - رضي الله عنهما - وذلك أن أم أسماء قدمت طالبة في بر ابنتها لها ، فاستفتت أسماء الرسول - ﷺ - في ذلك ، فأمرها - ﷺ - أن تصل أمها .

جاء في الحديث عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت : قدمت علي أمي ، وهي مشركة في عهد رسول الله - ﷺ - فاستفتيت رسول الله - ﷺ - قلت : وهي راغبة ، أفأصل أمي ؟ ، قال : نعم صلي أمك " (٢) .

قال النووي - رحمه الله تعالى - : " وفيه جواز صلة القريب المشرك " (٣) وقال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : " .. البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه .. " (٤) .

وقد ذكر القرافي (٥) - رحمه الله تعالى - الفرق بين الأمرين ، فقال : " الإحسان لأهل الذمة مطلوب ، وأن التودد ، والموااة منهي عنهما ، والبابان ملبسان ، فيحتاجان إلى الفرق " ثم ذكر أمثلة من مكارم الأخلاق في التعامل معهم ، كقوله : " وأما ما أمر به من برهم من غير مودة باطنية : فالرفق بضعيفهم ، وسد خلة فقيرهم ، وإطعام جائعهم ، وإكساء عاريهم ، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم ، والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة .. والدعاء لهم بالهداية ، وأن يجعلوا من أهل السعادة .. فإن ذلك من مكارم الأخلاق " ثم أشار - رحمه الله تعالى - إلى أنه ينبغي مع ذلك الاستحضار القلبي على أنهم جبلوا على بغضنا وتكذيب نينا - ﷺ - وأنهم لو قدروا علينا لاستأصلوا شأفتنا ، واستولوا على دماننا وأموالنا ، ثم قال - رحمه الله تعالى

(١) أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ كانت تحت الزبير بن العوام ﷺ ، وكان إسلامها قديماً بمكة ، وهاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله

فوضعت بقاء ( ت : ٧٣ هـ بمكة ) انظر الاستيعاب - ابن عبد البر ٣٤٤/٤ رقم : ٣٢٥٩ وأسد الغابة - ابن الأثير ٧/٧ رقم : ٦٧٠٥ .

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الهبة وفضلها ، باب ( الهدية للمشركين وقول الله تعالى : لا ينهاكم الله عن الذين لم

يقاتلوكم في الدين .. ) ٣/٣٢٥ رقم : ٥٢ ، وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة ، باب ( فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج

والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين ) ٢/٦٩٦ رقم : ١٠٠٣ .

(٣) شرح صحيح مسلم - النووي ٧/٩٣ .

(٤) فتح الباري - ابن حجر ٥/٢٩١ .

(٥) أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المشهور بالقرافي أبو العباس ، فقيه أصولي مفسر ومشارك في علوم أخرى ، ولد بمصر ، من تصانيفه :

الذخيرة في الفقه وشرح التهذيب والتنقيح في أصول الفقه والفروق ( ت : ٦٨٤ هـ ) انظر معجم المؤلفين - كحاله ١/١٥٨ ومداخل

المؤلفين - فكري ٣/١٢٥٠ .

- في نهاية كلامه : " وبالجملة فيهم ، والإحسان إليهم مأمور به ، وودهم ، وتوليهم منهى عنه ، فهما قاعدتان إحداهما محرمة ، والأخرى مأمور بها " (١).

وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس ليناً ، ووجهه منبسطاً ، طلقاً مع البر والفاجر ، والسني والمبتدع ، من غير مداهنة ، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه " (٢) .  
ومما يعلم أن هناك فرق بين المداراة والمداهنة ، إذ الأول من أخلاق المؤمنين ، والآخر على خلافه ، وفي هذا الصدد قال ابن بطلال - رحمه الله تعالى - : " المداراة من أخلاق المؤمنين ، وهي خفض الجناح للناس ، ولين الكلمة ، وترك الإغلاظ لهم في القول ، وذلك من أقوى أسباب الألفة ، وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة ، فغلط ؛ لأن المداراة مندوب إليها ، والمداهنة محرمة .. وفسرها العلماء : بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه " (٣) وقال البدر العيني - رحمه الله تعالى - : " والفرق بينهما أن المداهنة هي أن يلقي الفاسق المعلن بفسقه ، فيؤالفه ، ولا ينكر عليه ، ولو بقلبه " (٤) " والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله .. والإنكار عليه بلطف القول والفعل ، ولا سيما إذا احتجج إلى تألفه ، ونحو ذلك " (٥) وقد بوب الإمام أبو عبد الله البخاري - رحمه الله تعالى - في صحيحه باب ( المداراة مع الناس ) (٦) .

وعلى الرغم من أهمية هذا الجانب - الحب والبغض في الله - الذي هو أصل عظيم من أصول الدين ، تجد أناساً يتخذون لأنفسهم روابط اجتماعية مختلفة ، ويكيفون معاملاتهم ، وعلاقاتهم على ضوء تلك الروابط والأواصر (٧) فهم يسيرون على غير المنهاج : يتجاوزوه بعدما علموه ، فجعلوا من الحب والصفاء والولاء لغير المؤمنين أخلصه وأعطره ، ونصبوا رايات البغض والعداء لعباد الله الصالحين .

(١) الفروق - القرافي ١٤/٣ - ١٦ ، عالم الكتب - بيروت ، ط . د .

(٢) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٣/٢ .

(٣) فتح الباري - ابن حجر ٦٤٧/١٠ .

(٤) عمدة القاري - العيني ١٧١/٢٢ .

(٥) فتح الباري - ابن حجر ٦٤٧/١٠ وانظر عمدة القاري - العيني ١٧١/٢٢ .

(٦) صحيح البخاري في كتاب الأدب ، باب ( المداراة مع الناس ) ٥٧/٨ رقم : ١٥٥ .

(٧) انظر المنافقون في القرآن الكريم - د. عبدالعزيز الحميدي ٩٢ ، دار المجتمع - جدة ، ط : الأولى : ١٤٠٩ هـ .

ومما يبين المقصود ويوضحه ما يلي :

لقد كان المنافقون - مع علمهم بصحة الرسالة ، وصدق النبوة - يوالون الكفار ويمالونهم ، ويطرحون المؤمنين وينذونهم وراءهم ظهرياً .

قال الله - ﷻ - : ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً ﴾ الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتفون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً ﴿ (١) .

قال أبو حيان الأندلسي - رحمه الله تعالى - : " أي اليهود والنصارى ومشركي العرب أنصاراً ومعينين يوالونهم على الرسول - ﷺ - والمؤمنين ، ونص من صفات المنافقين على أشدها ضرراً على المؤمنين ، وهي موالاتهم الكفار ، واطراحهم المؤمنين ، ونبه على فساد ذلك ليدعه من عسى أن يقع في نوع منه من المؤمنين غفلة أو جهالة أو مسامحة " (٢) وقال الزمخشري - رحمه الله تعالى - : " وكانوا يمالون الكفرة ويوالونهم ، ويقول بعضهم لبعض ، لا يتم أمر محمد ، فتولوا اليهود " (٣) .

فهم يتخذون أهل الكفر أولياء وأنصاراً من دون المؤمنين (٤) ويتربصون بأهل القرآن ، ويرصدون زوال ملتهم واستتصال شأفتهم (٥) وفي هذا تحقيق لموالاته المنافقين للكافرين ، ومعاداتهم للمؤمنين (٦) ويؤكد هذه الصورة ، ويعززها ما حصل من ابن أبي حين توجه إليه المصطفى - ﷺ - : جاء في الحديث : " أن أنساً - ﷺ - قال : قيل للنبي - ﷺ - : لو أتيت عبداً لله بن أبي ، فانطلق إليه النبي - ﷺ - ، وركب حماراً ، فانطلق المسلمون يمشون معه ، وهي أرض سبخة ، فلما أتاه النبي - ﷺ - فقال : إليك عني ، والله لقد آذاني نتن حمارك ، فقال رجل من الأنصار منهم : والله لحمار رسول الله - ﷺ - أطيب ريحاً منك " (٧) .

(١) سورة النساء / الآية ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) البحر المحيط - أبو حيان ٣/٣٩٨ وانظر المحرر الوجيز - ابن عطية ٤/٢٨٥ .

(٣) الكشاف - الزمخشري ١/٥٧٧ .

(٤) انظر جامع البيان - الطبري ٤/٣٢٩ .

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١/٥٣٧ .

(٦) انظر تيسير الكريم الرحمن - السعدي ٢/١٩٩ .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الصلح ، باب ( ما جاء في الإصلاح بين الناس ) ٤/١٩ رقم : ٢ .

وجاء أن النبي - ﷺ - أراد أن يعود سعد بن عبادة - ﷺ - فأردف وراءه أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - حتى مر بمجلس فيه أخلاط من الناس ، فيهم عبد الله بن أبي " فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ، ثم قال : لا تغبروا علينا ، فسلم عليهم النبي - ﷺ - ثم وقف ، فنزل فدعاهم إلى الله ، وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبد الله بن أبي : أيها المرء ، لا أحسن من هذا ، وإن كان ما تقول حقاً ، فلا تؤذنا في مجالسنا ، وارجع إلى رحلك ، فمن جاءك منا ، فاقصص عليه " (١) .

وكما يعلن ابن أبي - ومن شايعه - بغضه للرسول - ﷺ - ولما جاء به ، تجده في الجانب المقابل - مع يهود - يظهر لهم الورد والوثام ، وينشر لهم طيب الكلام ، بل وينافح عنهم نفاح الأم عن وليدها ، ومما يذكر في هذا الصدد ، موقفه من إجلاء يهود بني قينقاع ، وذلك أنهم نبذوا العهد ، فحاصروهم - ﷺ - أشد الحصار حتى قذف الله - ﷻ - في قلوبهم الرعب ، فنزلوا على حكم رسول الله - ﷺ - فقام إليه عبد الله بن أبي حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد أحسن في موالي ، والرسول - ﷺ - يعرض ، وهو يكرر ما يريد - حتى أنه أدخل يده في جيب النبي ﷺ وأبى إرسالها حتى يحسن في مواليه - ، وكان مما قال : " أربعمئة حاسر وثلاثمئة دارع ، قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدهم في غداة واحدة ، إني والله امرؤ أخشى الدوائر قال : فقال له رسول الله - ﷺ - هم لك " (٢) .

ولقد كان المنافقون يحملون أخبار المسلمين إلى اليهود ، بل إنهم بعثوا إلى يهود بني النضير وغيرهم يوصونهم بالثبات في وجه المصطفى - ﷺ - ومن معه ، ويعدونهم بالنصر والمعية ، قال الله - ﷻ - : ﴿ ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ﴾ (٣) ، وقال - ﷻ - : ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾ (٤) .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب ( في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين ) ١٤٢٢/٣ رقم : ١٧٩٨ .  
(٢) البداية النهاية - ابن كثير ٥/٢ وانظر الطبقات الكبرى - ابن سعد ٢٢/٢ والإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء - الحافظ مغلطي بن قليب ، تحقيق : محمد نظام الدين الفتيح ٢٢٠ ، دار القلم - دمشق ، ط : الأولى : ١٤١٦ هـ .  
(٣) سورة المجادلة / الآية ١٤ .  
(٤) سورة الحشر / الآية ١١ .

قال قتادة - رحمه الله تعالى - : " هم المنافقون تولوا اليهود .. وكانوا يحملون أخبار المسلمين إليهم " (١)  
فقد كانوا يجالسون المصطفى - ﷺ - ثم يرفعون حديثه وأسرار المؤمنين إليهم (٢) فهم لليهود موالون  
ناصحون ، وللمسلمين معادون غاشون (٣).

وقد حول المنافقون ما استقر في قلوبهم - من الحب والبغض - إلى عمل أعلنوا تنفيذه ، وذلك كبعثهم إلى  
يهود بني النضير يعدونهم بالذود عنهم والمدافعة ، قال ابن جزئ الكلبي - رحمه الله تعالى - : " نزلت - يشير  
إلى آية الحشر السابقة - في عبد الله بن أبي بن سلول ، وقوم من المنافقين ، بعثوا إلى بني النضير ، وقالوا لهم  
اثبتوا في حصونكم ، فإننا معكم كيف ما تقلبت حالكم ... ولا نطيع من يأمرنا بخذلانكم " (٤).

وبنحو هذا الصنيع ما يذكر من أنهم أرسلوا إلى يهود خيبر يحذرونهم المصطفى - ﷺ - ويقللون من شأنه  
ويرفعون قدر اليهود وهمهم ، ويعلون من شأنهم (٥) فالمنافقون يعز عليهم أن يتضاءل أعداء المسلمين  
يوماً بعد يوم (٦).

وهكذا كان حالهم : يوالون اليهود سراً ، وقد يصرحون بمآلاتهم لهم جهراً ، كما فعل ابن سلول إبان  
إجلاء يهود بني قينقاع ، ثم إبان إجلاء يهود النضير (٧) بل إنهم كانوا يسارعون في موادة أهل الكتاب  
وكانوا يعتذرون إلى المؤمنين بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم صروف الزمان ودوائره (٨) فعقد الأخوة بين  
المنافقين والكفار قائم (٩) ؛ إذ أن اتخاذ الكافرين أولياء من أخص خصائص النفاق وأهله ، ويمثله بغض

(١) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٧/١٩٧ .

(٢) انظر المرجع السابق ١٧/١٩٧ والكشاف - الزمخشري ٤/٤٩٥ ومدارك التنزيل - النسفي ٤/٢٣٦ .

(٣) انظر إعلام الزمرة بأحكام الهجرة - حماد الأنصاري ٤٨ ، مكتبة الدار - المدينة المنورة ، ط . د ، وانظر جامع البيان - الطبري ١٤/٢٢  
وإرشاد العقل السليم - أبو السعود ٨/٢٢١ .

(٤) التسهيل - ابن جزئ ٤/٢٠٢ وانظر جامع البيان - الطبري ١٤/٤٥ ولباب النقول - السيوطي ٢١٠ .

(٥) انظر الرحيق المختوم - المباركفوري ٤٣٢ .

(٦) النفاق والمنافقون في عهد رسول الله - إبراهيم علي ٨٢ .

(٧) ظاهرة النفاق - الميداني ٢/١٠٩ .

(٨) انظر إرشاد العقل السليم - أبو السعود ٣/٤٩ .

(٩) انظر الدلائل في حكم موالات أهل الإشراف - سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، تقديم : الوليد القرين ٥٢ ، مكتبة دار

الهداية الرياض ، ط . د .



الحق ، ومعاداة أهله (١) ومن صور موالاتهم أيضاً ، وبغضهم للدين وصحبه : أنهم يأبون التحاكم إلى شرع الله ، بل ويصدون عنه صدوداً .

قال الله - ﷻ - : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُونَ عَنْكَ صُدُوداً ﴾ (٢) .

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - يعني بذلك : يمتنعون من المصير إليك لتحكم بينهم ، ويمنعون من المصير إليك كذلك غيرهم صدوداً " (٣) وقال أبو حيان الأندلسي - رحمه الله تعالى - في بيان سبب نزول الآية : " ذكر في سبب نزولها قصص طويل ، ملخصه - وذكر منها - أن منافقاً يهودياً اختصما ، فاختر اليهودي الرسول - ﷻ - واختار المنافق كعب بن الأشرف " (٤) .

والحاصل أن للمنافقين فيما يفعلون مصالحاً وأغراضاً يريدون تحقيقها ، وآخر يقدمونها اعتذاراً ، وتأويلاً فاسداً بين يدي سوء صنيعهم ، بأنهم قوم يخشون الدوائر ، ومما يروى في هذا الصدد : أن عبادة بن الصامت - ﷺ - جاء فقال : " يارسول الله ، إن لي موالى من اليهود كثير عددهم ، حاضر نصرهم ، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية اليهود ، وآوي إلى الله ورسوله ، فقال عبد الله بن أبي : إني رجل أخاف الدوائر ، ولا أبرأ من ولاية اليهود " (٥) .

وهكذا يبني المنافقون علاقاتهم وآواصرهم على قواعد شاذة ما أنزل الله بها من سلطان ، ولأسباب ساقطة ينجل من ذكرها وإيرادها سفهاء الأحلام ؛ إذ كان القوم يأخذون من اليهود ما يروي مطامعهم ، ويشفي

(١) انظر الإيمان - د. محمد نعيم ياسين ٢٥٣ .

(٢) سورة النساء / الآية ٦١ .

(٣) جامع البيان - الطبري ١٥٥/٤ .

(٤) البحر المحيط - أبو حيان ٢٩١/٣ وانظر تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٤٩٢/١ وأسباب النزول - الواحدي ١٣٧ وانظر أيضاً الحكم والتحاكم في خطاب الوحي - عبدالعزيز مصطفى كامل ١٧٣/١ ، دار طيبة - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١٥ هـ .

(٥) أسباب النزول - الواحدي ١٦٧ وانظر لباب النقول - السيوطي ٩٢ وجامع النقول - ابن خليفة عليوي ٥٧٧/١ وتفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٦٥/٢ .

جروح بواطنهم ، " لأنهم - أي اليهود - أهل ثروة ، وكانوا يعينونهم على مهماتهم ، ويقرضونهم " (١)  
فهم يخافون على مراكزهم ، وأموالهم ، وديارهم ، ومن ثم قدموه عذراً لما يقتضون (٢) .

وكما أن هذه حال المنافقين المذبذبين بين بني البشر (٣) فإن حال أهل الكتاب لا يقل عن سابقهم - على الرغم من أنهم أهل كتاب يعلمون الخطأ من الصواب علم تيقن واستشهاد أو هكذا ينبغي أن حالهم - إذ كان من الأولى والأحرى بأمثالهم أن يبادروا بالإذعان ، فيوالوا أهل القرآن لا أهل الشيطان ، وعبدة الأوثان ، ولكنهم خالفوا ما يجب عليهم ؛ جرياً وراء أهوائهم ، واستجابة لشهواتهم .

قال الله - ﷻ - مبيناً حالهم في موالاتهم للمشركين ، وبغضهم لرسول الله - ﷺ - والمؤمنين : ﴿ ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا ﴾ (٤) .

والمعنى : " ترى يا محمد كثيراً من بني إسرائيل .. يتولون المشركين من عبدة الأوثان ، يعادون أولياء الله ورسوله " (٥) فهم يتولون المشركين ، وعباد الأوثان ، ويصافونهم ، ويعادون المؤمنين بغضاً لرسول الله - ﷺ - والمؤمنين (٦) .

قال الرازي - رحمه الله تعالى - مشيراً إلى مراد القوم : " فلما فعلوا ذلك ، ظهر أنه ليس مرادهم تقرير دين موسى - ﷺ - بل مرادهم الرياسة والجاه ، فيسعون في تحصيله بأي طريق قدروا عليه " (٧) .  
وبهذا يظهر أنهم ما فعلوا ما يجب عليهم ، قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه " (٨) .

(١) التفسير الكبير - الرازي ١٥/١٢ وانظر إرشاد العقل السليم - أبو السعود ٤٩/٣ .

(٢) انظر الإيمان - د. محمد نعيم ياسين ٢٥١ وأضواء البيان - الشنقيطي ١١١/٢ .

(٣) سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى الحديث عن هذا الأمر في الفصل الثالث .

(٤) سورة المائدة / جزء من الآية ٨٠ .

(٥) جامع البيان - الطبري ٣٢٠/٤ .

(٦) انظر محاسن التأويل - القاسمي ٣٣١/٦ والبحر المحيط - أبوحيان ٥٤٩/٣ والكشاف - الزمخشري ٦٦٧/١ .

(٧) التفسير الكبير - الرازي ٥٥/١٢ .

(٨) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع ابن قاسم ١٧/٧ ، ٣٦١/٨ .

بل إنهم حالفوا قريشاً على حرب الرسول - ﷺ - وادعوا بأن أهل الأوثان أهدى من أهل القرآن طريقاً ومنهجاً (١) بل إنهم ﴿ قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر ﴾ (٢) .  
قال ابن جزئ - رحمه الله تعالى - : " قال ذلك اليهود للمنافقين ، وبعض الأمر يعنون به مخالفة رسول الله - ﷺ - ومحاربه " (٣) وهو ما يوافق أهواءهم (٤) .  
وبهذا يتضح أن الظالمين بعضهم أولياء بعض ، كما قال الله - ﷻ - : ﴿ وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ (٥) والمعنى : " أي أصدقاء وأنصار وأحباب " (٦) فلا " يواليهم ، ولا يتبع أهواءهم إلا من كان ظالماً مثلهم " (٧) .

وخلاصة القول ومقصوده : إن من أعظم الأمور خطراً على المدعو أن يحب لهواه ، ويقرب لديناه ، ويبغض لهواه لا لطاعة ربه ومولاه (٨) فهو متعبد لغير الله - ﷻ - حباً ، وخوفاً ، ورضاً ، وسخطاً ، وتعظيماً ، وذلك : إن أحب أحب لهواه ، وإن أبغض أبغض لهواه ، فالهوى إمامه ، والشهوة قائده ، والجهل سايسه ، فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية معمود ، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مغمور ، ومن هذا نعتة ، فقلبه من أشر القلوب وأخبثها ؛ إذ أنه يعتقد الباطل حقاً ، فيوالي أصحابه ، والحق باطلاً ويعادي أهله وأحبابه (٩) .

(١) انظر الدر المنثور - السيوطي ٣٠٧/٢ ولباب النقول - السيوطي ٧٠ وأسباب النزول - الواحدي ١٣٢ .

(٢) سورة محمد / جزء من الآية ٢٦ .

(٣) التسهيل - ابن جزئ ٨٨/٤ وانظر البحر المحيط - أبوحيان ٨٣/٨ .

(٤) انظر تيسير الكريم الرحمن - السعدي ٨١/٧ ، ولزيد من الاطلاع على صور الموالاة ومظاهرها ، انظر الولاء والبراء في الإسلام -

محمد القحطاني ٢٣٠ ، دار طيبة - الرياض ، ط : الثالثة : ١٤٠٩هـ ، والاستعانة بغير المسلمين - د. الطريقي ٦٧ وما بعدها .

(٥) سورة الجاثية / جزء من الآية ١٩ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٠٩/١٦ .

(٧) روح المعاني - الألوسي ٢٢٨/١٤ وانظر أنوار التنزيل - البيضاوي ٣٨٨/٢ .

(٨) انظر مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٣٨٣/١ .

(٩) انظر إغاثة اللهفان - ابن القيم ١٣/١ - ١٨ .

ومن ثم فإنه " ليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلى طريقته ، ويوالي ويعادي عليها ، غير النبي - ﷺ - ولا ينصب لهم كلاماً يوالي عليه ، ويعادي ، غير كلام الله - ﷻ - ورسوله - ﷺ - وما اجتمعت عليه الأمة " (١) .

" وكذلك التفريق بين الأمة ، وامتحانها بما لم يأمر الله به ولا رسوله ، مثل أن يقال : أنت شكيلي ، أو قرفندي ، فإن هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان " (٢) ؛ إذ إن كثيراً من الناس " يخبر عن هذه الفرق بحكم الظن والهوى ، فيجعل طائفته والمنتسبة إلى متبوعه الموالية له هم أهل السنة والجماعة ، ويجعل من خالفها أهل البدع ، وهذا ضلال مبين " (٣) .

والمطلوب من باغي الحق ومتحريه " أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان ، ومن عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم ، ولا يخص أحداً بمزيد موالاة إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه ، فيقدم من قدم الله تعالى ورسوله - ﷺ - عليه ، ويفضل من فضله الله - ﷻ - ورسوله - ﷺ - " (٤) وإذ ما سئل عن ذلك الحب والبغض المبني على الهوى عليه " أن يقول لا أنا شكيلي ، ولا قرفندي ، بل أنا مسلم متبع لكتاب الله - ﷻ - وسنة رسوله - ﷺ - " (٥) .

وفي ختام الحديث عن الأسباب ، وما نتج عنها من مظاهر ، أود أن أشير إلى أن ما ذكر ودون ، لا يراد به الحصر ، وإنما قصد الإشارة والبيان - بحسب ما أدى إليه جهد الباحث وفهمه - ؛ إذ " الناس فيما يعانون ، كالماشى في الفلاة ، كلما قطع أرضاً بدت له أرضون ، وكلما قصد المرء سبباً حدثت له أسباب " (٦) فحصر الطرق والصور مما يطول سرده وإيراده ، وهذه جملة من أفعال من دون لهم ، يدل مذكورها - في الغالب - على مغفلها ، وقليلها على كثيرها ، وفرداها على جنسيتها (٧) .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع ابن قاسم ١٦٤/٢٠ .

(٢) المرجع السابق ٤١٥/٣ .

(٣) المرجع السابق ٣٤٦/٣ وانظر ١٤٩ من هذا البحث .

(٤) المرجع السابق ٥١٢/١١ .

(٥) المرجع السابق ٤١٥/٣ .

(٦) مداوة النفوس - ابن حزم ٥٤ .

(٧) انظر فصول في التفكير الموضوعي - د. عبدالكريم بكار ٢٠٤ .

## الفصل الثالث آثار اتباع المدعو للهوى في العهد النبوي

ويشتمل على :

- |               |                                |
|---------------|--------------------------------|
| المبحث الأول  | آثار اتباع الهوى على الفرد .   |
| المبحث الثاني | آثار اتباع الهوى على المجتمع . |

## الفصل الثالث آثار اتباع المدعو للهوى في العهد النبوي

### تمهيد :

إن لاتباع المدعو للهوى آثار سيئة ، تصيب معالم الخير بدخنها ، ومحاسن الحياة بشرورها فيقطف ثمارها المرة ، ويجني شوكتها من أرخى لنفسه الزمام في متابعة الهوى البطلال ، ثم من أعانته وتابعه عليه من أفراد ومجتمعات ، وما سيتناوله هذا الفصل - بمشيئة الله - ﷺ - هو الحديث عن جملة من الآثار على الفرد وعلى المجتمع ، تم انتقاؤها بعد شئ من الاستقراء أدى إليها جهد الباحث - على الرغم من بضاعته المزجاة - وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين :

#### المبحث الأول : آثار اتباع الهوى على الفرد :

- ويشمل :
  - المطلب الأول الضلال عن الحق والهدى .
  - المطلب الثاني الوقوع في التذبذب والتناقض .
  - المطلب الثالث الوقوع في الهموم والأحزان .
  - المطلب الرابع حصول الإثم والذم والهوان .

#### أما المبحث الثاني : آثار اتباع الهوى على المجتمع :

- ويشمل :
  - المطلب الأول تفشي المخالفات والمعاصي .
  - المطلب الثاني انتشار العداوة والبغضاء .
  - المطلب الثالث استحقات العقوبة ووقوعها .

وإن مما يشار إليه أن بعض هذه الآثار والنتائج ربما تداخلت وتشابكت فيما بينها من ناحية ، ومع مظاهر اتباع الهوى وصوره من ناحية أخرى ، فقد يرى البعض أن الشئ يبدو مظهراً وأثراً في آن واحد ، ومع ذلك فالعمل على ما جرى من تقسيم ، وسيركز على تلك الآثار كل على حده .

## المبحث الأول آثار اتباع الهوى على الفرد المطلب الأول الضلال عن الحق والهدى

إن البشر حين يتعدون عن دين الله - ﷻ - وشرعه ، ويتبعون أهواء النفوس وشهواتها ، فإنهم يوقعون أنفسهم في مهالك ، ويوردونها شر الموارد ، ولا أضر على العبد في دار دنياه وأخراه من الضلال عن الحق والهدى ؛ إذ إن من نتائج وآثار اتباع الهوى : الضلال عن سبيل الله تعالى ، والزيغ عن الحق البين المبين ، قال الله - ﷻ - : ﴿ قل إنني نهيته أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين ﴾ (١).

فإن مسلك قدوة الدعوة نبينا محمد - ﷺ - مفارقة سلوك أهل الأهواء والضلال (٢) فمن استحوذت عليه الشبهات والشهوات كان ذلك مؤدياً به إلى انقطاع موارد التوفيق عنه .

وقد بين الله - ﷻ - أن المصيرين على الباطل يصرفون عن قبول الهدى ، فلا يوفقون له ، قال الله - ﷻ - :

﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ (٣).

والمعنى : " أي فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به ، أزاغ الله قلوبهم عن الهدى ، وأسكنها الشك

والخيرة والخذلان " (٤) فهؤلاء وأمثالهم " حسبوا أن لا يترتب لهم شر على ما صنعوا ، فترتب ، وهو أنهم

عموا عن الحق ، وصموا ، فلا يسمعون حقاً ، ولا يهتدون إليه " (٥).

فهم " لما أصروا على الزيغ ، واستمروا عليه أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وصرفها عن قبول الحق " (٦).

(١) سورة الأنعام / الآية ٥٦ .

(٢) انظر فتح القدير - الشوكاني ١٧٦/٢ والجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٢٨٢/٤ .

(٣) سورة الصف / جزء من الآية ٥ .

(٤) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣٥٩/٤ .

(٥) المرجع السابق ٧٦/٢ .

(٦) فتح القدير - الشوكاني ٣٠٩/٥ وانظر فتح البيان في مقاصد القرآن - صديق بن حسن خان ، راجعه : عبدالله الأنصاري ١٠٠/١٤

المكتبة العصرية - بيروت ، ط . د . ١٤١٢هـ .

وقد بين ابن جرير - رحمه الله تعالى - أثناء تفسيره لهذه الآية الكريمة أن الله - ﷻ - لا يوفق من هذا شأنه لإصابة الحق ، وذلك حين قال : " والله لا يوفق لإصابة الحق القوم الذين اختاروا الكفر على الإيمان " (١) .

وقال الله - ﷻ - : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ (٢) .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : " لما جحد المشركون ما أنزل الله ، لم تثبت قلوبهم على شيء ، وردت عن كل أمر " (٣) فعاقبهم الله - ﷻ - " على رد الحق أول مرة ، بأن قلب أفئدتهم وأبصارهم بعد ذلك " (٤) .

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " حذار حذار من أمرين لهما عواقب سوء ، أحدهما - وهو الشاهد هنا - رد الحق لمخالفته هواك ، فإنك تعاقب بتقليب القلب ، ورد ما يرد عليك من الحق رأساً ، ولا تقبله إلا إذا برز في قالب هواك " (٥) .

وجاء في الحديث عن أبي أمامة - ﷺ - قال : قال رسول الله - ﷺ - : " ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ، ثم تلا رسول الله - ﷺ - هذه الآية : ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾ (٦) (٧) والمعنى ما كان ضلالتهم ووقوعهم في الكفر إلا بسبب الجدل ، وهو الخصومة بالباطل مع نبيهم وطلب المعجزة منه عناداً أو جحوداً " (٨) .

(١) جامع البيان - الطبري ٨٧/١٤ .

(٢) سورة الأنعام / الآية ١١٠ .

(٣) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١٥٧/٢ .

(٤) بدائع الفوائد - ابن القيم ١٥٣/٣ .

(٥) المرجع السابق ١٥٣/٣ .

(٦) سورة الزخرف / جزء من الآية ٥٨ .

(٧) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب ( ومن سورة الزخرف ) ٣٥٣/٥ رقم : ٣٢٥٣ قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وقال الألباني : حسن . انظر صحيح سنن الترمذي ١٠٣/٣ رقم : ٢٥٩٣ وأخرجه ابن ماجه في المقدمة ، باب ( احتساب البدع والجدل ) ١٩/١ رقم : ٤٨ .

(٨) تحفة الأحوذى - المباركفوري ٩٣/٩ .



وبالنظر إلى أحوال المدعويين - الذين سبق الحديث عنهم - يظهر هذا الأمر فيهم بجلاء : فما هو ذا هرقل عظيم الروم (١) الذي أعلن عن علمه بخروج نبي ، بل إنه تحدث بما هو أعظم من ذلك ، حين بين شدة شغفه وولوعه ببقياه - ❁ - وأنه لو قدر له فرآه لغسل قدميه ، كما ذكر عنه أنه لما وصله كتاب النبي - ❁ - أعلى من شأنه ، فوضعه في مكان جليل تعظيماً له وتكريماً .

وهؤلاء هم أهل الكتاب الذين يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم ، فقد كانوا على علم يقيني بقرب خروج نبي ، فلما رأوه عرفوه فأنكروه ، بل وصوبوا سهام المشاققة والمعاندة له - ❁ - ولما جاء به .

يذكر ابن اسحاق - رحمه الله تعالى - أن صفية بنت حيي بن أخطب - رضي الله عنها - قالت : " كنت أحب ولد أبي إليه ، وإلى عمي أبي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه ، قالت : فلما قدم رسول الله - ❁ - المدينة ، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف ، غدا عليه أبي حيي بن أخطب ، وعمي

أبوياسر بن أخطب مغلسين (٢) قالت ، فلما يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس ، قالت : فأتيا كالين

كسلانين ساقطين يمشيان الهويني (٣) قالت : فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من الغم ، قالت : وسمعت عمي أبوياسر ، وهو يقول لأبي حيي بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله ، قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم ، قال فما في نفسك منه ؟ قال : عدواته والله ما بقيت " (٤) .

وهذا أمية بن أبي الصلت الثقفي ، الذي كان ينقب عن الحق تنقيباً ، فاطلع على كتب أهل الكتاب ، فلم يرق له ما فيها ، فحلف مللهم وراءه ظهرياً ، وأعلن عن قرب خروج نبي مرتقب من العرب ، ولبس ثياب الزهد ، وتوخى الحنيفية بعد أن حرم الخمر ، وأبى أن يعبد الأصنام .

فهذه أمثلة ونماذج تبين أحوال هؤلاء المدعويين وعلمهم بالحق ، وتحريمهم له ، بيد أن القصد لم يكن خالصاً والنية لم تكن متجردة ، بل شابها ما شابها من اتباع الأهواء المردية ، ولذلك كانت النتيجة الضلال عن الحق والهدى .

(١) انظر ١٢٣ من هذا البحث .

(٢) الفليس ظلمة آخر الليل . القاموس المحيط - الفيروز آبادي ٧٢٣ مادة ( غلس ) .

(٣) الهويني الاتاد في المشي . المعجم الوسيط - د. إبراهيم أنيس وآخرون ١٠٠١/٢ مادة ( هان ) .

(٤) السيرة النبوية - ابن هشام ٥١٨/٢ .

قال النووي - رحمه الله تعالى - في شأن هرقل : " ولا عذر له في هذا - إشارة إلى تخوفه من إتيان الرسول ﷺ وعدم اتباعه - ؛ لأنه قد عرف صدق النبي - ﷺ - ، وإنما شح في الملك ، ورغب في الرياسة ، فأثرها على الإسلام .. ولو أراد الله هدايته لوقفه كما وفق النجاشي - رحمه الله تعالى - ، وما زالت عنه الرياسة " (١) .

وقال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : " ومما يقوي أن هرقل آثر ملكه على الإيمان ، واستمر على الضلال أنه حارب المسلمين في غزوة موتة سنة ثمان بعد هذه القصة بدون الستين " (٢) .

وأما حيي بن أخطب اليهودي ، فقد تقول في لحظات موته بكلمات تنم عن شدة ضلاله ، وبعده عن الهدى ، وذلك حين قال وهو ينظر إلى المصطفى - ﷺ - : " أما والله ما لمت نفسي في عدواتك ، ولكنه من يخذل الله يخذل ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر ، وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل ، ثم جلس ، فضربت عنقه " (٣) .

وجاء عند البيهقي (٤) : أنه قال حين سأله الرسول - ﷺ - هل أخزأك الله ؟ قال : " لقد ظهرت علي ، وما ألوم إلا نفسي في جهادك ، والشدة عليك " (٥) وكان الأجدر والأولى به أن يعلن إسلامه ، ولكن من يضل الله فماله من هاد ، وكما يقال : إن دسائس السوء الخفية توجب سوء الخاتمة (٦) فكيف يكون الحال ، والمرء محقق بالسوء محاط به ؟! والعياذ بالله .

(١) شرح صحيح مسلم - النووي ٣٤٩/١٢ .

(٢) فتح الباري - ابن حجر ٥١/١ .

(٣) السيرة النبوية - ابن هشام ٢٤١/٣ .

(٤) أحمد بن الحسين بن علي البيهقي له التصانيف التي سارت بها الركبان إلى سائر الأمصار ، كان فقيهاً محدثاً أصولياً ، قيل : تبلغ تصانيفه ألف جزء منها : السنن الكبير والصغير وشعب الإيمان ودلائل النبوة ، كان زاهداً متقللاً من الدنيا كثير العبادة والورع ( ت : ٤٥٨ هـ ) انظر البداية والنهاية - ابن كثير ١٠٠/١٢ وهدية العارفين - إسماعيل باشا ٧٨/٥ ومعجم المؤلفين - عمر كحاله ٢٠٦/١ ومداخل المؤلفين - فكري الجزار ٢٢١/١ .

(٥) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة - البيهقي ، تحقيق : د. عبدالمعطي قلعجي ٢٠/٤ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٥ هـ .

(٦) انظر جامع العلوم والحكم - ابن رجب ١٧٢/١ - ١٧٤ .

ومن المدعويين الذين أغرقوا في اتباع الأهواء والعماية عن الحق أمية بن أبي الصلت الذي كان يطمع في أن يكون هو صاحب الرسالة المرتقب ، فلما بعث المصطفى - ﷺ - ضل ، فلم يهتد سبيلاً .  
وينحوهم أيضاً حال المنافقين الذي صرفهم الله عن هدايته ، كما قال - ﷺ - : ﴿ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ (١) " فأخبر - ﷺ - عن فعلهم ، وهو الانصراف ، وعن فعله فيهم ، وهو صرف قلوبهم عن القرآن وتدبيره ؛ لأنهم ليسوا أهلاً له ، فالخلل غير صالح ولا قابل " (٢) .  
وهكذا فإن من أعرض عن الحق الذي يعلمه اتباعاً للهوى ، ورث الضلال والعمى عن الحق .  
قال الصحابي علي بن أبي طالب - ﷺ - الهوى يصد عن الحق " (٣) وجاء عنه - ﷺ - أنه تخوف على الأمة من اثنتين ، وذكر منهما : اتباع الهوى ، وعلل ذلك بقوله : " فإن اتباع الهوى يصد عن الحق " (٤) .  
قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " وكذلك من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعاً للهوى ، فإن ذلك يورثه الجهل ، والضلال ، حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح " (٥) .  
وهكذا فإن من استسلم للهوى ، وانقاد له ، فإنه يضل ، ويزداد ضلالاً - بحسب نوعية اتباعه للهوى - والعياذ بالله ، قال الله - ﷻ - : ﴿ يا دواد إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ (٦) قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - أيضاً : " فأخبر أن من اتبع هواه أضله ذلك عن سبيل الله ، وهو هداه الذي بعث به رسوله ، وهو السبيل إليه " (٧) وقال الرازي - رحمه الله تعالى - : " فثبت أن متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله " (٨) .

(١) سورة التوبة / جزء من الآية ١٢٧ .

(٢) شفاء العليل - ابن القيم ١٩٢ .

(٣) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الأهواء المارقين - ابن بطة العكبري ، تحقيق : رضا بن نعيان

معطي ١٢٢ رقم : ٥٤ ، مكتبة الفيصلية - مكة ، ط . د . : ١٤٠٤ هـ .

(٤) أدب الدنيا والدين - الماوردي ٥٢ .

(٥) التحفة العراقية - ابن تيمية ١٩ .

(٦) سورة ص / جزء من الآية ٢٦ .

(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع ابن قاسم ١٣٤/٢٨ .

(٨) التفسير الكبير - الرازي ١٧٥/٢٦ وانظر عحاسن التأويل - القاسمي ١١٢/١٣ ، ١٦٤/١٤ .

وكما أن اتباع الهوى يؤدي إلى الضلال عن الهدى ، فهو موصل أيضاً إلى الانسلاخ عن آيات الله تعالى ، يقول الله - ﷻ - : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ﴾

ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ﴿ (١) .

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " ولم يقل فسلخناه منها ؛ لأنه هو الذي تسبب إلى انسلاخه منها باتباع هواه " (٢) .

وقال المعلمي - رحمه الله تعالى - : " فأما من كره الحق ، واستسلم للهوى ، فإنما يستحق أن يزيده الله تعالى ضلالاً " (٣) .

وخلاصة القول : فإن اتباع الهوى يؤدي إلى الضلال عن سبيل الله - ﷻ - " وإنما ينتفي الضلال والشقاء عن اتباع هدى الله الذي أرسل به رسله ، وأنزل به كتبه " (٤) فحري بالعاقل أن يئذل ما في وسعه لتجنب سلوك ذلك الطريق ، ودوام سؤال الله - ﷻ - الثبات على الحق ، والبعد عن الضلال ، وهكذا كان شأن الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - فقد سأل أنس - ؓ - رسول الله - ﷺ - عن مدى خوفه عليهم من تقلب القلوب وانتقالها من الكمال إلى النقصان (٥) وذلك حين رأى رسول الله - ﷺ - يكثر من الدعاء بطلب الثبات على الحق والدين .

جاء في الحديث عن أنس - ؓ - قال : كان رسول الله - ﷺ - يكثر أن يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، فقلت : يا رسول الله ، آمنا بك ، وما جئت به ، فهل تخاف علينا ؟ قال : نعم ، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء " (٦) وجاء في الحديث الآخر " إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن ، كقلب واحد ، يصرفه حيث يشاء ، ثم قال رسول الله - ﷺ - :

(١) سورة الأعراف / الآية ١٧٥ - ١٧٦ .

(٢) أعلام الموقعين - ابن القيم ١/١٢٩ .

(٣) القائد إلى تصحيح العقائد - المعلمي ٢/١٨٦ وانظر روضة المحيين - ابن القيم ٤٠٤ .

(٤) إغاثة اللفهان - ابن القيم ٢/١٩٣ .

(٥) انظر تحفة الأحوذى - المباركفوري ٦/٢٩١ .

(٦) أعرجه الترمذي في كتاب القدر ، باب ( ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن ) ٤/٣٩٠ رقم : ٢١٤٠ قال أبو عيسى : هذا حديث

حسن ، قال الألباني : صحيح ، انظر صحيح سنن الترمذي ٢/٢٢٥ رقم : ١٧٣٩ .

" اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك " (١) فقد كان - ﷺ - يكثر من هذا الدعاء ، كما  
قالت أم المؤمنين عائشة - ﷺ - : دعوات كان رسول الله - ﷺ - يكثر يدعو بها : " يا مقلب القلوب ثبت  
قلبي على دينك " قالت يارسول الله : إنك تكثر تدعو بهذا الدعاء ، فقال - ﷺ - : " إن قلوب الآدمي  
بين أصبعين من أصابع الله - ﷻ - فإذا شاء أزاغه ، وإذا شاء أقامه " (٢) .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر ، باب ( تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء ) ٢٠٤٥/٤ رقم : ٢٦٥٤ .  
(٢) أخرجه أحمد في المسند ١٠٦/٦ رقم : ٢٤٥٩٥ .

## المطلب الثاني الوقوع في التذبذب والتناقض

إن من الآثار المترتبة على اتباع الهوى ، أن صاحبه يقع في التذبذب والتناقض ، الذي يجعله في حيرة من أمره ، وبعد عن هدفه ومقصده ، فيكون كالعائرة المترددة من الغنم ، تعير إلى هذه مرة ، وإلى تلك مرة كما تجده يقع في مواقف متباينة متقابلة ، فما قاله وفعله بالأمس نقضه اليوم دون مسوغ صحيح سليم . كما تراه مقوضاً لأصول ثابتة صحيحة ، راداً لها ولما حوته من الحق البين المنير ، مشدداً ومتحمساً في فروع مهتزة هزيلة لا تثبت على حال .

ولقد أبان القرآن حال المدعويين من المنافقين الذين لم يقبلوا دعوة الإسلام ، فقال الله - ﷻ - ناعثاً حال

المنافقين : ﴿ مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سيلاً ﴾ (١).

فالمرء المذبذب هو " المتردد بين أمرين ، والمذبذبة الاضطراب " (٢) قال ابن النحاس (٣) - رحمه الله تعالى - : " فالمعنى : إن المنافقين متحيرون في دينهم ، لا يرجعون إلى اعتقاد شئ على صحة ، ليسوا مع المؤمنين على بصيرة ، ولا مع المشركين على جهالة ، فهم حيارى بين ذلك " (٤).

وقال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : " وهذه صفة المنافقين ؛ لأنه محير في دينه لا يرجع إلى اعتقاد صحيح " (٥) فهم ليسوا " منسويين إلى المؤمنين ، ولا إلى الكافرين " (٦).

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " فلا هم مع المؤمنين ظاهراً وباطناً ، ولا مع الكافرين ظاهراً وباطناً ، بل ظواهرهم مع المؤمنين ، وبواطنهم مع الكافرين ، ومنهم من يعتريه الشك ، فتارة يميل إلى هؤلاء ، وتارة

(١) سورة النساء / الآية ١٤٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٢٧٢/٥ .

(٣) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري النحوي ، له مصنفات كثيرة مفيدة منها : تفسير القرآن وإعراب القرآن والناسخ والمنسوخ وكان من أذكى العالم ( ت : ٣٣٨ هـ ) انظر سير أعلام النبلاء - النهي ٤٠١/١٥ رقم : ٢٢٢ والبداية والنهاية - ابن كثير ٢٣٦/١١ ومفتاح دار السعادة - زادة ٧٣/٢ والإشارة إلى وفيات الأعيان - النهي ١٦٦ .

(٤) معاني القرآن الكريم - ابن النحاس ٢٢٣/٢ وانظر جامع البيان - الطبري ٣٣٥/٤ .

(٥) زاد المسير - ابن الجوزي ٢٣٢/٢ .

(٦) فتح البيان - صديق بن حسن ٢٧٦/٣ .

يميل إلى أولئك " (١) فإنما مثله ، كما جاء في الحديث عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - ﷺ -

قال : " مثل المنافق ، كمثل الشاة العائرة بين الغنم ، تعير إلى هذه مرة ، وإلى هذه مرة " (٢).

قال النووي - رحمه الله تعالى - : " العائرة المترددة الحائرة ، لا تدري لأيهما تتبع " (٣).

وقد شبه ابن مسعود - ﷺ - المنافق بذلك الرجل الذي نزل وادياً ، فأغرقه السيل ، وهو لا يزال في حيرة من أمره واضطراب ، وذلك حين قال : " مثل المؤمن والمنافق والكافر ، مثل ثلاثة نفر انتهوا إلى واد ، فوقع أحدهم فغير ، ثم وقع الآخر حتى إذا أتى على نصف الوادي ، ناداه الذي على سفير الوادي : ويلك أين تذهب إلى الهلكة ارجع عودك على بدئك ، وناداه الذي عبر : هلم إلى النجاة ، فجعل ينظر إلى هذا مرة وإلى هذا مرة ، قال : فجاءه السيل ، فأغرقه ، فالذي عبر هو المؤمن ، والذي غرق المنافق .. والذي مكث الكافر " (٤).

وما يبين اضطراب المنافقين وتذبذبهم أيضاً : عبادتهم لله - ﷻ - على حرف ، كما قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾ (٥).

والمعنى " قيل هو المنافق إن صلحت له دنياه أقام على العبادة ، وإن فسدت عليه دنياه ، وتغيرت ، انقلب " (٦) وقد جاء ما يؤكد هذا المعنى ، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : ومن الناس من يعبد الله على حرف ، قال : كان الرجل يقدم المدينة ، فإن ولدت امرأته غلاماً ، ونتجت خيله ، قال : هذا دين صالح وإن لم تلد امرأته ، ولم تنتج خيله ، قال : هذا دين سوء " (٧).

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٥٣٨/١ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ٢١٤٦/٤ رقم : ٢٧٨٤ .

(٣) شرح صحيح مسلم - النووي ١٣٣/١٧ .

(٤) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٥٣٩/١ وانظر الدر المنثور - السيوطي ٤١٧/٢ .

(٥) سورة الحج / الآية ١١ .

(٦) المرجع السابق ٢٠٤/٣ وانظر جامع البيان - الطبري ١٢٢/١٠ والجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٣/١٢ .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب ( ومن الناس من يعبد الله على حرف .. ) ١٨١/٦ رقم : ٢٦٢٣ .

قال مالك بن دينار - رحمه الله تعالى - في بيان حال المتذبذب : " إن من الناس ناساً ، إذا لقوا القراء ضربوا معهم بسهم ، وإذا لقوا الجبابرة وأبناء الدنيا أخذوا معهم بسهم " (١).

ولعل هذه محصلة متوقعة لما ارتضوه من طريق ، ولما سلكوه من سبيل .

وكما أن التذبذب أثر من آثار اتباع المرء للهوى ، فكذلك الوقوع في التناقض ، فعندما تلقي نظرة تأمل على أحوال المدعويين - الذين سبق الحديث عنهم - فإنك تجدهم في أمر مريج مختلط ، فلا يثبتون على شئ ولا يستقرون على قرار ، فما قالوه بالأمس نقضوه اليوم ، والأمثلة على تناقض واضطراب المدعويين المنحرفين كثيرة أذكر منها :

أولاً - تناقض أهل الكتاب : ويظهر هذا التناقض في الصراع بين ما علموه وما يفعلوه ، فإن مما تقدم بيانه : أنهم كانوا على علم بظهور نبي ، ولمزيد من التأكيد على هذا الجانب أسوق بعضاً من الأمور التالية :

لقد كان نعت رسول الله - ﷺ - وخبره من الأمور المقررة عند أهل الكتاب ، جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن هذه الآية التي في القرآن : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾ (٢) قال : في التوراة يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأمين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، فيفتح بها أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً " (٣).

قال ابن سلام - ﷺ - : " إنا لنجد صفة رسول الله - ﷺ - : إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً .. " وبمثلته ذكر عن كعب الأحبار (٤) ويؤكد هذا المعنى ما جاء في قصة بحيرى الراهب ، وما دار بين هرقل وأبوسفيان ، وذلك حين أقر الأول بعلمه عن قرب خروج نبي مرسل ، وكذا ما جاء في حادثة خروج ورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو بن نفيل إلى الشام ، وفي استفتاح يهود على الأوس والخزرج .

(١) تليس إبليس - ابن الجوزي ٢٣٢ .

(٢) سورة الفتح / الآية ٨ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب ( إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ) ٢٤١/٦ رقم : ٣٣٣ .

(٤) دلائل النبوة - البيهقي ٣٧٦/١ .



قال الله - ﷻ - : ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على

الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ (١).

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في سبب نزول الآية : " إن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله - ﷺ - قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال

لهم معاذ بن جبل - ﷺ - وبشر بن البراء بن معرور (٢) - ﷺ - أخو بني سلمة ، يا معشر يهود : اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ، ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته ، فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير : ما جاء بشئ نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكره لكم " (٣).

بل إن صنيعهم هذا ، أدى إلى إسلام عدد من الناس - الذين اتبعوا الحق ، وتجردوا من الهوى - وما حادثة سلمان الفارسي - ﷺ - الذي تتبع خبر النبي - ﷺ - ووصفه من علماء أهل الكتاب حتى قاده ذلك إلى الإسلام إلا دليل على ما ذكر (٤).

وبعد : أليس من التناقض أن يعلم الإنسان الحق بأدلته ، ثم يخالفه بعمله وطريقته؟! ، وليس هذا فحسب بل إن مما يحكي تناقضهم أيضاً موقفهم من عبد الله بن سلام - ﷺ - حيث مدحوه لما سئلوا عنه ، وما هي إلا لحظات حتى انقلب مادحه ذاماً ، جاء في الحديث أن الرسول - ﷺ - قال لليهود : " فأبي رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا ، وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال : أفرايتم إن أسلم ؟ قالوا : حاشى الله ما كان ليسلم ، قال : أفرايتم إن أسلم ؟ قالوا : حاشى الله ما كان ليسلم ، قال : أفرايتم إن أسلم ؟ قالوا : حاشى الله ما كان ليسلم ، فخرج ، فقال : يا معشر اليهود اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، وأنه جاء بحق

(١) سورة البقرة / الآية ٨٩ .

(٢) بشر بن البراء بن معرور الأنصاري الخزرجي من بني سلمة ، شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق ، مات بخير في حين افتتاحها سنة سبع من الهجرة ، من أكلة أكلها مع رسول الله ﷺ من الشاة التي سم فيها . انظر الاستيعاب - ابن عبد البر ٢٤٧/١ رقم : ١٧٩ وأسد الغابة - ابن الأثير ٣٨٠/١ رقم : ٤١٧ والإصابة - ابن حجر ١٥٥/١ رقم : ٦٥١ .

(٣) السيرة النبوية - ابن هشام ٥٤٧/٢ وانظر جامع البيان - الطبري ٤١٠/١ .

(٤) المرجع السابق ٢١٤/٢ وللإستزادة من أخبار الذين أسلموا ، انظر الطبقات الكبرى - ابن سعد ٢٧٠/١ ودلائل النبوة - البيهقي

٧٨/٢ وما بعدها ، وصحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب (إحلاء اليهود من الحجاز ) ١٢٨٧/٣ رقم : ١٧٦٦ .

فقالوا له : كذبت ، فأخرجهم رسول الله - ﷺ - " (١) ، وجاء أنهم قالوا : " شرنا وابن شرنا ، وانتقصوه " (٢) .

ثانياً - ما يتعلق بكفار مكة ، فإن مما يبين تناقضهم أنهم كانوا يلقبون رسول الله - ﷺ - بالأمين وبينوا أنهم ما جربوا عليه كذباً ، فهو عندهم - ﷺ - من الصادقين ، وسرعان ما ناقضوا قولهم حين دعاهم إلى التوحيد والإيمان ، فاتهموه بشتى التهم الباطلة ، والتي تنبئ عن تناقضهم .

قال الله - ﷻ - : ﴿ بل كذبوا بالحق لما جاءتهم فهم في أمر مريب ﴾ (٣) والمعنى : أنهم في أمر " مختلط مرة ساحر ، ومرة شاعر ، ومرة كاهن " (٤) .

قال السعدي - رحمه الله تعالى - : " أي مختلط مشتبه ، لا يثبتون على شيء ، ولا يستقر لهم قرار ، فتارة يقولون عنك : إنك ساحر ، وتارة مجنون ، وتارة شاعر ، وكذلك جعلوا القرآن عظيم ، كل قال فيه ما اقتضاه رأيه الفاسد (٥) وهكذا كل من كذب بالحق ، فإنه في أمر مختلط ، لا يدري له وجه ولا قرار ، فترى أموره متناقضة مؤتفكة " (٦) بل إنهم هم أنفسهم خافوا من الوقوع في التناقض ، فوقعوا فيما حذروا منه ، وذلك حين اجتمع نفر من قريش بالوليد بن المغيرة ، وكان ذا سن فيهم ، فقال لهم : " يا معشر

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب ( هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ) ١٦٣/٥ جزء من الحديث رقم : ٣٩٢ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب ( قوله : من كان عدواً لجبريل .. ) ٤٥/٦ جزء من حديث رقم : ٧ ، وانظر دلائل النبوة - البيهقي ٥٢٧/٢ وما بعدها .

(٣) سورة ق / الآية ٥ .

(٤) البحر المحيط - أبو حيان ١٢١/٨ وانظر الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٥/١٧ وفتح البيان - صديق بن حسن ١٦٢/١٣ .

(٥) يقول ابن القيم في نونيته :

جعلوا القرآن عظيم إذ عضه أن - سواها معدة من نقصان .

انظر من القصيدة النونية - ابن القيم ١٥٨ ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، ط : الأولى : ١٤١٥هـ ، ومما قيل في المعنى أنهم " جعلوه أجزاء متفرقة ، بعضه شعر ، وبعضه سحر ، وبعضه كهانة ، ونحو ذلك " توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم -

أحمد بن عيسى ١٠١/٢ ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : الثالثة : ١٤٠٦هـ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٣٩/١٠ ، وجاء

عن ابن عباس ﷺ : الذين جعلوا القرآن عظيم هم أهل الكتاب ، جزؤهم أجزاء ، فأمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه " أخرجه البخاري في

كتاب التفسير ، باب ( الذين جعلوا القرآن عظيم .. ) ١٥٣/٦ رقم : ٢٢٦ ، هذا على الرغم من أن جميعه من عند الله ﷻ !؟ .

(٦) تيسير الكريم الرحمن - السعدي ١٤٦/٧ .

قريش إنه قد حضر الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا ، فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً .." (١) .  
وقد وقع ما قال وحذر منه .

ومن التناقض أيضاً ما كانت تعرف به قريش من التشدد في الدين حتى عرفت " بالحمس " أي المتحمسين المتشددين لدينهم ، ومع هذا فهم يشركون بالله تعالى ، ومن ذلك ادعاؤهم أنهم عمار البيت ووقوفهم بمزدلفة بحجة أنهم أهل الحرم ، وجعل عدد من الناس يطوفون بالبيت عراة ؛ لئلا يطاف بثياب عصى الله فيها (٢) .

قال أبو حيان الأندلسي - رحمه الله تعالى - : " ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين : عمارة متعبدة لله تعالى ، مع الكفر به وعبادته " (٣) وقد أشار ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - إلى أن قريشاً جحدوا الأصل ، وشددوا في الفرع (٤) وتبين له بعد البحث أن من أسباب الحرص على حفظ الفروع وتضييع الأصول غلبة الهوى ، وكان مما قال : " وقد علمنا أن خلقاً من علماء اليهود كانوا يحملون ثقل التعبد في دينهم ، فلما جاء الإسلام ، وعرفوا صحته لم يطبقوا مقاومة أهوائهم في محور رياستهم ، وكذلك قيصر فإنه عرف رسول الله - ﷺ - بالدليل ، ثم لم يقدر على مقاومة هواه ، وترك ملكه ، فالله الله في تضييع الأصول ! ومن إهمال سرح الهوى " (٥) .

ثالثاً - والمنافقون كسابقيهم ، ومن ذلك ادعاؤهم إرادة الإحسان والتوفيق ، ومع ذلك تجدهم إذا دعوا إلى الله ورسوله صدوا صدوداً (٦) .

وكموقف الأعراب الذين شغلتهم أمواهم وأولادهم عن الاستجابة لأمر رسول الله - ﷺ - بالخروج معه فاعتذروا عن ذلك بثتى الأعذار ، قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " يسألون أن يخرجوا معهم إلى المغنم

(١) السيرة النبوية - ابن هشام ٢٧٠/١ .

(٢) انظر ١٦٠ وما بعدها من هذا البحث .

(٣) البحر المحيط - أبو حيان ٢١/٥ وانظر فتح البيان - صديق بن حسن ٢٥٣/٥ .

(٤) انظر تلبس إبليس - ابن الجوزي ٢٦١ .

(٥) صيد الخاطر - ابن الجوزي ١٥٥ .

(٦) انظر شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز ١٥/١ .

وقد تخلفوا عن وقت محاربة الأعداء ، ومجالدتهم ومصابرتهم " (١) وهكذا تتغير مواقفهم بين عشية وضحاها دون مسوغ سليم ، بل إنهم عدوا عدم السماح لهم بالخروج إنما هو من قبيل حسد المؤمنين لهم ، فعجيب هذا التناقض ، ولكن كما يقال : إن " عين الهوى عوراء " (٢) وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه ، فلا يستحضر ما لله تعالى ورسوله - ﷺ - في ذلك ولا يطلبه ، ولا يرض لرضا الله ورسوله ، ولا يغضب لغضب الله ورسوله بل يرض إذا حصل ما يرضاه بهواه ، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه " (٣) وما دام أن الحال هذه ، فمن الطبيعي أن يقع من هذا نعتة في التذبذب والتناقض .

ولعل هذا التناقض والانقلاب في الموازين يذكرنا بموقف من امتدح قاتل علي - ﷺ - والذي اعتبر صنيعه قربة لله - ﷻ - قال الشاطبي - رحمه الله تعالى - : " فإنهم - أي الخوارج - ذموا من مدحه الله ورسوله ، واتفق السلف الصالح على مدحهم والثناء عليهم ، ومدحوا من اتفق السلف الصالح على ذمه ، كعبدالرحمن بن ملجم (٤) قاتل علي - ﷺ - وصوبوا قتله إياه .. قال عمران بن حطان (٥) في مدحه لابن ملجم :

ياضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزاناً (٦).

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١٩٢/٤ .

(٢) ذم الهوى - ابن الجوزي ٣٠ .

(٣) مناج السنة - ابن تيمية ٢٥٦/٥ .

(٤) عبدالرحمن بن ملجم المرادي الحميري : فاتك نائر ، كان من شيعة علي ﷺ ، ثم خرج عليه ، وتعهد بقتله ، فضربه ، فأصاب مقدم رأسه ، وتوفي علي ﷺ من أثر الجرح . انظر الأعلام - الزركلي ٣٣٩/٣ .

(٥) عمران بن حطان السدوسي البصري الخارجي ، أبو سماك ، أدرك جماعة من الصحابة ، فروى عنهم ، ثم لحق بالشرأة ، قيل : كان من أهل السنة ، فقدم غلام من أهل عمان ، فقلبه في مقعد ، وقيل غير ذلك ( ت : ٨٤ هـ ) وقيل : إنه ما مات حتى رجع عن رأي الخوارج انظر ميزان الاعتدال - الذهبي ٢٣٥/٣ رقم : ٦٢٧٧ والإصابة - ابن حجر ١٨١/٥ رقم : ٦٨٦٩ والإبانة - ابن بطة ٤٧٠/٢ رقم :

٤٧٧ والأعلام - الزركلي ٧٠/٥ ولمعرفة المراد بلفظ " الشرأة " الوارد في ترجمة ابن حطان انظر غريب الحديث - ابن قتيبة ، فهرسة : نعيم زرزور ٦٠/١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ .

(٦) الاعتصام - الشاطبي ٢٣٨/٢ .

وخلصة القول : فإن اتباع المرء للهوى يؤدي به إلى التذبذب والتناقض ، إذ إن الأهواء المردية توزع أفكاره وتتجارى به يمنة ويسرة (١) فلا يثبت على حال ، ولا يستقر على قرار ، قال علي بن أبي طالب - : " ما كان رجل على رأي من البدعة ، فتركه إلا إلى ما هو شر منه " وقيل : " ما كان عبد على هوى فتركه إلا إلى ما هو شر منه " (٢) وقال عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - : " من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل " (٣).

وقال الشاطبي - رحمه الله تعالى - : ف " ليس كل ما يقضي به العقل يكون حقاً ولذلك تراهم يرتضون اليوم مذهباً ، ويرجعون عنه غداً ، ثم يصيرون بعد غد إلى رأي ثالث " (٤).

وهذا حال أغلب من خرج عن الحق مهما قال بعد ذلك ، فهو باطل مضطرب مختلف (٥) .  
ولهذا ولغيره نهى الله - ﷻ - عن طاعة متبع الهوى ، فقال - ﷻ - : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴾ (٦).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " والمقصود أن الله - ﷻ - نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات ، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدرته ومتبوعه ، فإن وجدته كذلك ، فليبعد عنه ، وإن وجدته ممن غلب عليه ذكر الله تعالى ، واتباع السنة ، وأمره غير مفروط عليه ، بل هو حازم في أمره ، فليستمسك بفرزه " (٧).

(١) انظر أنوار التنزيل - البيضاوي ٨٨/٢ .

(٢) البدع والنهي عنها - ابن وضاح ٦١ .

(٣) الشرح والإبانة - ابن بطة ١٤٣ رقم : ١٢٧ وانظر الشريعة - الآجري ٥٦ .

(٤) الاعتصام - الشاطبي ١٤٤/١ ، وقد بين - رحمه الله تعالى - أثناء حديثه عن بعض الأمور المحدثنة ودفاع أهلها عنها أن منشأ ذلك من تقديم الرجال على الشرع ، فقال : " وهذا الاضطراب كله منشؤه تحسين الظن بأعمال المتأخرين - وإن جاءت الشريعة بخلافه - والوقوف مع الرجال دون التحري للحق " المرجع السابق ٣٥٣/٢ وهذا حاصل عند من سبق الحديث عنهم في هذا البحث .

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٢٢٣/٤ .

(٦) سورة الكهف / جزء من الآية ٢٨ .

(٧) الوابل الصيب من الكلم الطيب - ابن القيم ، تحقيق : محمد عبدالرحمن عوض ٦١ ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الرابعة :

## المطلب الثالث الوقوع في المغموم والأحزان

إن الإنسان إذا استجاب لله تعالى ، ولسوله - ﷻ - ، فإن الله - ﷻ - يسر له من الأمن الاهتداء والسعادة ما يجعله مطمئن القلب ، ثابت الجنان .

قال الله - ﷻ - في شأن أصحاب الحديدية : ﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (١) فالسكينة الطمأنينة (٢) .

وقال - ﷻ - : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٣) .

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : " من لم يشرك بالله شيئاً ، فله الأمن ، وهو مهتد " (٤) وقد بين الله - ﷻ - في غير ما موضع من كتابه العزيز أن من اتبع هداه فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون ، فقال الله - ﷻ -

- : ﴿ فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٥) .

قال القرطبي - رحمه الله تعالى - : " والمعنى في الآية : فلا خوف عليهم فيما بين أيديهم من الآخرة ، ولا هم

يحزنون على ما فاتهم من الدنيا " (٦) بيد أن متبع الهوى يقع في خلاف ذلك ، وكما قيل :

الضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتبين الأشياء

فاتباع الهوى في الغالب يورث الهم والضيق والحزن ، قال الله - ﷻ - : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِن لَّهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ (٧) .

و" الضنك أصله في اللغة الضيق والشدة " (٨) " ومعنى الآية أن الله - ﷻ - جعل لمن اتبع هداه ، وتمسك بدينه أن يعيش في الدنيا عيشاً هنيئاً غير مهموم ولا مغموم ، ولا متعب نفسه .. وجعل لمن لم يتبع هداه

(١) سورة الفتح / جزء من الآية ١٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١٩٣/٤ .

(٣) سورة الأنعام / الآية ٨٢ .

(٤) فتح الباري - ابن حجر ١٢٠/١ .

(٥) سورة البقرة / جزء من الآية ٣٨ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٢٢٥/١ وانظر جامع البيان - الطبري ٢٤٨/١ .

(٧) سورة طه / جزء من الآية ١٢٤ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه - الزجاج ٣٧٨/٣ وانظر معاني القرآن - الفراء ١٩٤/٢ .

وأعرض عن دينه أن يعيش عيشاً ضيقاً ، وفي تعب ونصب ، ومع ما يصيبه في هذه الدنيا من المتاعب ، فهو في الآخرة أشدّ تعباً ، وأعظم ضيقاً ، وأكثر نصباً " (١) فلاطمأنينة له ، ولا انشراح لصدره ، وإن تنعم ظاهره وتلذذ بما شاء (٢) .

وقد جاء في الحديث ما يبين تعب وعناء من كانت الدنيا همه ، فعن أنس بن مالك - ؓ - قال : قال رسول الله - ﷺ - : " من كانت الآخرة همه ، جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له " (٣) .

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " فإنه - ؓ - رتب المعيشة الضنك على الإعراض عن ذكره ، فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب إعراضه ، وإن تنعم في الدنيا بأصناف النعم ، ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب ، والأمانى الباطلة ، والعذاب الحاضر ما فيه ، وإنما تتوارى عند سكرات الشهوات والعشق وحب الدنيا والرياسة " (٤) وقال أيضاً : " فلا تجد أتعب ممن الدنيا أكبر همه ، وهو حريص بمجده على تحصيلها " (٥) فكل من لم يؤمن بالحق ويتبعه ، فهو في ضيق صدر ، وهموم ومحابس لا يجد منها مخرج إلا به (٦) .

وهذا ما حصل لعدو الله إبليس حين خالف الأمر واتبع الهوى ، جاء في الحديث عن أبي هريرة - ؓ - قال : قال رسول الله - ﷺ - : " إذا قرأ ابن آدم السجدة ، فسجد اعتزل الشيطان يبكي : يقول : يا ويله

(١) فتح البيان - صديق بن حسن ٢٩٠/٨ واختلف في موضع المعيشة الضنك ، مما قيل : إنها في جهنم ، وقال آخرون في البرزخ ، وقيل في الدنيا . انظر جامع البيان - الطبري ٢٢٦/٩ وما بعدها والجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٧١/١١ قال ابن القيم : " والصحيح أنها في الدنيا وفي البرزخ .. " مدارج السالكين - ابن القيم ٤٥٥/١ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١٦٤/٣ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة ، باب ( ٣٠ ) ٥٥٤/٤ رقم : ٢٤٦٥ وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب ( المهم بالدنيا ) ١٣٧٥/٢ رقم : ٤١٠٥ ، قال الألباني : صحيح ، انظر صحيح سنن الترمذي ٣٠٠/٢ رقم : ٢٠٠٥ .

(٤) الجواب الكافي - ابن القيم ١٨٠ وانظر مدارج السالكين - ابن القيم ٤٥٥/١ .

(٥) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٥٧/١ .

(٦) انظر محاسن التأويل - القاسمي ٢٠٣/١١ .

( وفي رواية أبي كريب ياويلي ) أمر ابن آدم بالسجود ، فسجد ، فله الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار " (١).

والحال نفسه من التحسر والندامة عند ابن آدم الذي قتل أخاه ، فأسخط مولاه ، وعق أباه بصنيعه الآثم فكان كما أخبر عنه المولى - ﷺ - : ﴿ فاصبح من النادمين ﴾ (٢) والندم غم يصيب الإنسان ، إذ يندم صاحبه لما يعثر عليه من سوء آثاره (٣).

قال الحسن البصري - رحمه الله تعالى - : " علاه الله بندامة بعد خسران " (٤) وهكذا تكون عاقبة المعاصي الندامة والخسارة (٥).

وبالنظر إلى أحوال بعض المدعويين الذين أعرضوا عن الحق ، وتابعوا أهواء النفوس وشهواتها ، فقد ظهر فيهم هذا الأمر بجلاء ، فعلى سبيل المثال : ما حدث لأبي ياسر بن أخطب وحيي بن أخطب لما علما بمقدم رسول الله - ﷺ - المدينة من الهم والضيق الذي تبدى حتى في مشيتهما ، تقول أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب - رضي الله عنها - حاكية ما حصل لأبيها وعمها بعد أن عادا من عند رسول الله - ﷺ - : " فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى ، قالت : فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما التفت إلي واحد منهما ، مع ما بهما من الغم " (٦).

وفي الجانب المقابل عندما ينظر إلى حال من تجرد للحق ، وجانب الهوى ، فإننا نجد ذلك يقوده إلى السعادة في الدارين ، فهذا هو ابن سلام - ﷺ - وهو من قوم حيي - حينما علم بمقدم رسول الله - ﷺ - وكان على رأس نخلة يخرف منها ، كبر تكبيرة فرح وسرور ، حتى قالت له عمته : " لو كنت سمعت بموسى - ﷺ - ما

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب ( بيان اطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ) ٨٧/١ رقم : ٨١ .

(٢) سورة المائدة / جزء من الآية ٣١ .

(٣) انظر النهاية في غريب الحديث - ابن الأثير ٣٦/٥ والتعريفات - الجرجاني ، حققه : إبراهيم الأبياري ٣٠٨ ، رقم : ١٥٤٢ ، دار

الكتاب العربي - بيروت ، ط : الثانية : ١٤١٣هـ - ومعجم مقاييس اللغة - ابن فارس ٤١١/٥ ( ندم ) .

(٤) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٤٤/٢ .

(٥) انظر تيسير الكريم الرحمن - السعدي ٢٨٠/٢ .

(٦) السيرة النبوية - ابن هشام ٥١٩/٢ .



زدت ، فقلت - أي ابن سلام ﷺ - : والله هو أخو موسى ، بعث بما بعث به " (١) وجاء أنه بادر - ﷺ -

إلى ملاقة المصطفى - ﷺ - فقال : " أشهد أنك رسول الله ، وأنت جئت بحق " (٢) .

وبهذين المثالين يتضح الأثر المترتب على فعل كل منهما ، إذ الأول قاده الهوى إلى الهم والغم وإلى مالا تحمد عقباه ، والآخر قاده تجرده للحق إلى السعادة في الدنيا والآخرة .

ومما يبين وقوع متبع الهوى في الكآبة والأحزان أيضاً ، ما حدث لقريش لما بلغها نبأ انتصار المسلمين على

يهود خيبر ، وذلك أن الحجاج بن علاط (٣) - ﷺ - لما أسلم استأذن رسول الله - ﷺ - في الذهاب إلى مكة

؛ لأخذ أمواله ، وطلب منه الحل فيما يقوله عنه - ﷺ - فأذن له ، وعندما وصل مكة - والقوم لم يعلموا

بإسلامه - أخبرهم بخلاف الواقع ، فأوهمهم بهزيمة رسول الله - ﷺ - وصحبه الكرام ، ففرحوا بذلك وسروا

سروراً عظيماً ، وخيم الحزن على المسلمين ، ثم ما هي إلا أيام ، وبان الصواب .

ورد أن أبا الفضل العباس بن عبدالمطلب (٤) - ﷺ - بعد ثلاث من رحيل الحجاج " ذهب حتى أتى مجالس

قريش ، وهم يقولون إذا مر بهم : لا يصيبك إلا خير يا أباالفضل ، قال لهم : لم يصبني إلا خير بحمد الله

قد أخبرني الحجاج بن علاط : أن خير قد فتحها الله على رسوله ، وجرت فيها سهام الله ، واصطفى

صفية لنفسه ، وقد سألتني أن أخفي عليه ثلاثاً ، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شئ ها هنا ثم يذهب

قال : فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون ومن كان دخل بيته مكتئباً

(١) فتح الباري - ابن حجر ٣٢١/٧ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب ( هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ) ١٦٢/٥ جزء من حديث رقم : ٣٩٢ .

(٣) الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي ، أسلم فحسن إسلامه ، ورخص له الرسول ﷺ أن يقول فيه بما شاء عند أهل مكة عام خيبر من

أجل ماله وولده بها ، وكان مكثراً من المال ، وابنه نصر بن الحجاج الذي نفاه الفاروق ﷺ من المدينة لتشيب المرأة فيه . انظر الاستيعاب

- ابن عبدالبر ٣٨٥/١ رقم : ٥٠٠ وأسد الغابة - ابن الأثير ٦٩٠/١ رقم : ١٠٨٣ - والإصابة - ابن حجر ٣٢٧/١ رقم : ١٦١٧ .

(٤) هو عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف القرشي ، أبوالفضل المكي ، عم رسول الله ﷺ كان أسن من رسول الله ﷺ بثلاث

سنين ، أسلم بمكة قبل بدر ، وقيل غير ذلك ، وكان مقامه بمكة ولا يكون فيها من خير إلا كتب به إلى رسول الله ﷺ ، وكان من هناك

من المؤمنين يتقون به ، كما في هذه الحادثة ( ت ٣٢ هـ ) انظر تهذيب التهذيب - ابن حجر ٨٣/٣ رقم : ٣٥٨٨ والاستيعاب - ابن

عبدالبر ٣٥٨/٢ رقم : ١٣٨٦ وأسد الغابة - ابن الأثير ١٦٣/٣ رقم : ٢٧٩٩ .

حتى أتوا العباس ، فأخبرهم الخبر ، فسر المسلمون ، ورد الله يعني ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين " (١) .

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال : " .. من اتبع هواه في مثل طلب الرياسة والعلو ، وتعلقه بالصور الجميلة ، أو جمعه للمال يجد في أثناء ذلك من الهموم والغموم والأحزان ، والآلام ، وضيق الصدر ما لا يعبر عنه ، وربما لا يطارعه قلبه على ترك الهوى ، ولا يحصل له ما يسره ، بل هو في خوف وحزن دائماً : إن كان طالباً لما يهواه ، فهو قبل إدراكه حزين متألم حيث لم يحصل ، فإذا أدركه كان خائفاً من زواله وفراقه " (٢) .

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " ومحب الدنيا لا ينفك من ثلاث : هم لازم ، وتعب دائم ، وحسرة لا تنقضي " (٣) .

وكتب الفاروق عمر بن الخطاب - ؓ - إلى بعض عماله ، فقال : " حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة ، فإن من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة ، عاد أمره إلى الرضى والغبطة ، ومن أهنته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والخسارة " (٤) .

---

(١) المسند - أحمد ١٧٤/٣ رقم : جزء من حديث رقم : ١٢٣٩٤ وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه في كتاب المغازي ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ٤٦٦/٥ رقم : ٩٧٧١ ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : الثانية : ١٤٠٣ هـ وانظر دلائل النبوة - البيهقي ٢٦٥/٤ والبداية والنهاية - ابن كثير ٢١٥/٢ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع ابن قاسم ٦٥١/١٠ .

(٣) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٦٠/١ .

(٤) المرجع السابق ١٣١/١ .

## المطلب الرابع الوقوع في الإثم والذم والهوان

إن من الآثار السيئة التي تحصل لمتبع الهوى وقوعه في الإثم والذم والخذلان ، وما حصل لعدو الله إبليس ، ولابن آدم الذي قتل أخاه ، ولعمرو بن لحي الخزاعي ، ولكل من سار على منوالهم خير شاهد على هذا .

فقد ترتب على ما عملوه أن خلد ذكرهم في سجل الخزايا الآثمين ، واستحقوا بمتابعة الهوى الذم والخذلان المبين .

جاء في الحديث عن عبد الله (١) - ؑ - قال : قال رسول الله - ﷺ - : " لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على

ابن آدم الأول كفل من دمها ؛ لأنه أول من سن القتل " (٢) .

قال النووي - رحمه الله تعالى - : " إن كل من ابتدع شيئاً من الشر كان عليه مثل وزر كل من اقتدى به في ذلك العمل ، مثل عمله إلى يوم القيامة " (٣) .

وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - : " وبهذا الاعتبار يكون على إبليس كفل من معصية كل من عصى بالسجود ؛ لأنه أول من عصى به ، وكذلك كل من أحدث في دين الله ما لا يجوز من البدع والأهواء " (٤) .

ومصدق ذلك قول رسول الله - ﷺ - : " من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ، ووزر من

عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء " (٥) .

ففيه التحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات ، وقد حصلت منهم (٦) .

(١) المراد عبد الله بن مسعود ؓ انظر فتح الباري - بن حجر ٤٥٥/٦ .

(٢) سبق تخريجه ١٤ من هذا البحث .

(٣) شرح صحيح مسلم - النووي ١٧٨/١١ وانظر فتح الباري - ابن حجر ٢٣٨/١١ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٩٢/٦ وانظر جامع البيان - الطبري ١٩٤/٤ .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ، باب ( الحث على الصدقة ولو بشق تمرة .. ) ٧٠٥/٢ جزء من رقم : ١٠١٧ .

(٦) انظر شرح صحيح مسلم - النووي ١٠٩/٧ .

وأما ما يتعلق بجالب الأصنام ، ومغير دين إبراهيم - ﷺ - وناسر البدع المتنوعات ، فقد قال أبوهريرة - \* - قال النبي - ﷺ - : " رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار ، وكان أول من سيب السوائب " (١) فقد كان من الذين يضلون بأهوائهم بغير علم ، ولا هدى ولا كتاب منير .

قال ابن عاشور - رحمه الله تعالى - : " ومن هؤلاء - أي الذين يضلون بأهوائهم بغير علم - قادة المشركين في القديم مثل عمرو بن لحي ، أول من سن لهم عبادة الأصنام ، وبحر البحيرة ، وسيب السائبة ، وحسى الحامي (٢) (٣) .

فهؤلاء جميعاً - كما هو ملاحظ مما مضى ذكره - أن الإثم والذل والهوان قد حصل لهم بسبب ما اقترفوه وفي حال إبليس عبرة وأي عبرة ! " فإنه امتنع من السجود لآدم - ﷺ - فراراً أن يخضع له ويذل ، وطلب اعزاز نفسه ، فصيره الله - ﷻ - أذل الأذلين ، وجعله خادماً لأهل الفسوق والفجور من ذريته ، فلم يرض بالسجود له ، ورضي أن يخدم هو وبنوه فساق ذريته ، وكذلك عباد الأصنام ، أنفوا أن يتبعوا رسولاً من البشر - ﷺ - وأن يعبدوا إلهاً واحداً - ﷻ - ورضوا أن يعبدوا آلهة من الأحجار ، وكذلك كل من امتنع أن يذل لله .. لا بد أن يذل لمن لا يسوى .. عقوبة له " (٤)

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : " واعلم أن المغلوب بموافقة الهوى والنفس مقهور ، ولذلك تجدد في نفسه ذلاً لمكان القهر " (٥) .

(١) تقدم تفريجه ١٠٨ من هذا البحث .

(٢) مما قيل في تعريف ما ذكر : أن البحيرة : ناقة كانت إذا نحت لحمية أبطن ، وكان آخرها ذكراً نحروا أذنهما - أي شقوها - وامتنعوا من ركوبها وذبحها ، والسائبة : المسبية المخلاة ، فينذر أحدهم : إن حصل كذا فناقتي هذه سائبة ، والوصيلة : الأنثى من نعمهم إذا أتامت بطناً بذكر وأنثى قالوا : وصلت الأنثى أحاها ، والحامي : الفحل من النعم يحمي ظهره من الركوب والانتفاع بسبب تتابع أولاد تحدث من فحلته ، وقيل غير ذلك . انظر معاني القرآن - الزجاج ٢/٢١٣ ومعاني القرآن - الفراء ١/٣٢٢ وجامع البيان - الطبري ٥/٨٧ والنهية في غريب الحديث - ابن الأثير ١/١٠٠ ، ٢/٤٣١ وفتح الباري - ابن حجر ٨/٣٦١ .

(٣) التحرير والتنوير - ابن عاشور ٨/٣٦ .

(٤) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٢/٢٨٠ .

(٥) ذم الهوى - ابن الجوزي ٤٨ وانظر ٢٠ .

ومما يؤكد وقوع الإثم والذم والخذلان على متبع الهوى : أن شبه صاحبه بأخس الحيوانات ، حيث قال الله - ﷻ - في شأن من انسلخ عن آياته واتبع هواه : ﴿ فمثلته كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه

يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ (١)

قال القاسمي - رحمه الله تعالى - : " فمن خرج عن حيز الهدى والعلم ، وأقبل على هواه ، صار شبيهاً بالكلب ، وبئس المثل مثله " (٢) .

ولهذا جاء في الحديث عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال النبي - ﷺ - : " ليس لنا مثل السوء الذي يعود في هبته ، كالكلب يرجع في قيئه " (٣) .

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : " أي لا ينبغي لنا معشر المؤمنين أن نتصف بصفة ذميمة يشابهنا فيها أخس الحيوانات في أخس أحوالها " (٤)

وقال السعدي - رحمه الله تعالى - : " وفيه أن اتباع الهوى ، وإخلاق العبد إلى الشهوات ، يكون سبباً للخذلان " (٥) .

وهذا المثل المضروب في الآية الكريمة هو مثل على كل من آتاه الله آياته فانسلخ منها ، واتبع هواه (٦) . قال الشوكاني - رحمه الله تعالى - : " أي ذلك المثل الخسيس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعد

أن علموا بها ، وعرفوها ، فحرفوا وبدلوا ، وكتموا صفة رسول الله - ﷺ - وكذبوا بها " (٧) .  
وبإلقاء نظرة عابرة على من كذب برسول الله - ﷺ - واتبع هواه ، نجد أنهم قد وقعوا في مثل هذا ، فتحملوا من الأوزار ما يستحقون ، ووقعوا في الذم فهم لا يحمدون ، ومن هؤلاء - كما أشار الشوكاني - اليهود الذين كفروا بالمصطفى - ﷺ - وكذبوه .

(١) سورة الأعراف / جزء من الآية ١٧٦ .

(٢) محاسن التأويل - القاسمي ٣٠١/٧ وانظر الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٢٠٥/٧ .

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الهبة ، باب ( لا يجز لأحد أن يرجع في هبته وصدقته ) ٣/٣٢٥ رقم : ٥٤ وأخرجه مسلم في كتاب الهبات ، باب ( تحريم الرجوع في الصدقة والهبة .. ) ٣/١٢٤٠ رقم : ١٦٢٢ .

(٤) فتح الباري - ابن حجر ٢٩٤/٥ وانظر عمدة القاري - العيني ١٧٥/١٣ .

(٥) تيسير الكريم الرحمن - السعدي ١١٨/٣ .

(٦) انظر جامع البيان - الطبري ١٣٠/٦ والتفسير الكبير - الرازي ٤٧/١٥ .

(٧) فتح القدير - الشوكاني ٣٨٧/٢ .

قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - : " ولم يزل أمر اليهود بعد تكذيبهم بالمسيح - عليه السلام - وكفرهم به في سفال ونقص .. فلما بعث الله تعالى محمداً - ﷺ - كفروا به وكذبوه ، فأتم عليهم غضبه ودمرهم غاية التدمير ، وألزمهم ذلاً وصغاراً لا يرفع عنهم " (١) .

وقال الشاطبي - رحمه الله تعالى - : " وصدق ذلك الواقع - إشارة إلى الذلة والمسكنة - باليهود حيثما حلوا في أي مكان وزمان كانوا ، لا يزالون أذلاء مقهورين " (٢) .

قال الرازي - رحمه الله تعالى - عند قول الله - ﷻ - : ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ﴾ (٣) : " فهو نهاية الذم لهم ؛ لأن اليهود من بني إسرائيل كانوا إذا اتاهم الرسول بخلاف ما يهون كذبوه ، وإن تهياً لهم قتله قتلوه " (٤) .

وما حصل لحبي بن أخطب والزبير بن باطا وغيرهما (٥) من أذلم الله - ﷻ - دليل على مثل هذا المآل المخزي ، فهم أبداً أذلاء وإن أظهروا خلافه ، وآثمين بفعلهم وإن ادعوا صوابه ، قال ابن خلدون - رحمه الله تعالى - : " كان لهم بيت من أعظم بيوت العالم .. ثم انسلخوا من ذلك أجمع ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وكتب عليهم الجلاء في الأرض " (٦) .

وهذا ما حدث لبعض قبائل اليهود في زمن المصطفى - ﷺ - وستأتي قريباً - إن شاء الله - الإشارة إلى ذلك .  
ورحم الله الحسن البصري حين قال : " أما والله لئن تددقت بهم الهماليج (٧) ووطئت الرجال أعقابهم إن ذل المعاصي لفي قلوبهم ، ولقد أبى الله أن يعصيه عبد إلا أذله " (٨) .

(١) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٤٤٠/٢ .

(٢) الاعتصام - الشاطبي ١٢٦/١ .

(٣) سورة البقرة / جزء من الآية ٨٧ .

(٤) التفسير الكبير - الرازي ١٦٢/٣ .

(٥) انظر ١٣٧ من هذا البحث .

(٦) مقدمة ابن خلدون ١٤٨ .

(٧) هملج : الهملج من البراذين واحد الهماليج ، ومشبهها المملجة ، فارسي معرب ، والمملجة والهملج : حسن سير الدابة في سرعة .

لسان العرب - ابن منظور ٣٩٣/٢ مادة (هملج) وانظر القاموس المحيط - الفيروزآبادي ٢٦٩ .

(٨) حلية الأولياء - أبونعيم ١٤٩/٢ .

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " إن ما يصيب الكافر والفاجر والمنافق من العز والنصر والجاه دون ما يحصل للمؤمنين بكثير ، بل باطن ذلك ذل وكسر وهوان ، وإن كان في الظاهر بخلافه " (١).

كتبت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - إلى معاوية (٢) - كتاباً تبين فيه وقوع الذل على من عصى الله - ﷻ - جاء فيه : " أما بعد ، فإن العبد إذا عمل بمعصية الله ، عاد حامده من الناس ذاماً " وقال الحسن - رحمه الله تعالى - : " ما عصى الله عبد إلا أذله الله - ﷻ - " (٣).

ولا شك أن من تقدم ذكرهم قد جاهروا الله ، وبارزوه بأقبح المعاصي والسيئات ، فحصل لهم ما حصل . وعلى كل فمن أطلق لنفسه العنان لمتابعة صنوف الأهواء وأنواعها ، فإنه يعرض نفسه للإثم والذم (٤) والهوان بحسب اتباعه للهوى .

قال الله - ﷻ - : ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ﴾ (٥).

والمعنى : " أي يصير عليهم خطيئة ضلالهم في أنفسهم ، وخطيئة إغوائهم لغيرهم ، واقتداء أولئك بهم " (٦).

وقال - ﷻ - : ﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ إن الذين يجادون الله ورسوله أولئك في الأذلين ﴿ (٧) فهم " الكاملون في الخسران ، حتى كأن خسران غيرهم بالنسبة إلى خسرانهم ليس بخسران " (٨).

(١) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٢/٢٧١ .

(٢) معاوية بن صخر بن أبي سفيان القرشي الأموي ﷺ أمه هند بنت عتبة يكنى أبو عبد الرحمن ، أسلم هو أبوه وأخوه يزيد وأمه هند في الفتح ، وشهد مع رسول الله ﷺ حيناً ، وكان أحد الذين كتبوا لرسول الله ﷺ ، ولاه عمر ﷺ على الشام ( ت : ٦٠ هـ ) انظر أسد الغابة - ابن الأثير ٥/٢٠١ رقم : ٤٩٨٤ والاستيعاب - ابن عبد البر ٣/٤٧٠ رقم : ٢٤٦٤ .

(٣) ذم الهوى - ابن الجوزي ١٤٩ .

(٤) انظر الاعتصام - الشاطبي ١/١٤٤ .

(٥) سورة النحل / الآية ٢٥ .

(٦) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٢/٥٤٧ .

(٧) سورة المجادلة / الآية ١٩ - ٢٠ .

(٨) فتح البيان - صديق بن حسن ١٤/٣٢ .

والمخادون لله تعالى ورسوله - ﷺ - في الأذنين ، فهم من جملة من أدلة الله من الأمم السابقة واللاحقة ؛ لأنهم لما فعلوا هذا الصنيع صاروا من الذل بهذا المكان ، فصفتهم مغبونة ، وهم هالكون آثمون (١) .  
قال السعدي - رحمه الله تعالى - : هذا " وعيد لمن حاد الله ورسوله بالكفر والمعاصي ، أنه مخذول مذلول لا عاقبة له حميدة ولا راية له منصوره " (٢) .

وهكذا فإن من ارتكب الشبهات والشهوات ، فقد عرض نفسه للإثم والذم والهوان .  
قال ابن رجب - رحمه الله تعالى - : " وفي هذا - إشارة لما جاء في الحديث " فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه " (٣) - دليل على أن من ارتكب الشبهات ، فقد عرض نفسه للقدح فيه والظعن كما قال بعض السلف : من عرض نفسه للثم ، فلا يلومن من أساء به الظن " (٤) .  
وقال المارودي - رحمه الله تعالى - : " واعلم أنه بحسب ما ينتشر من فضائل العاقل ، كذلك يظهر من رذائل الجاهل ، حتى يصير مثلاً في الغابرين ، وحديثاً في الآخرين ، مع هتكه في عصره ، وقبح ذكره في دهره " (٥) .

وقد كان كل هذا لهم ، ولا غرابة وقد قيل : " من غلب هواه عقله ، وجزعه صبره افتضح " (٦) " ولهذا يوجد في المتبع هواه من ذل النفس وضعفها ومهانتها ما جعله الله لمن عصاه " (٧) .

(١) انظر المرجع السابق ٣٣/١٤ وجامع البيان : الطبري ٢٥/١٤ وتفسير القرآن العظيم : ابن كثير ٣٢٩/٤ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن : السعدي ٣٢١/٧ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة ، باب ( أخذ الحلال وترك الحرام ) ١٢١٩/٣ جزء من رقم : ١٥٩٩ .

(٤) جامع العلوم والحكم : ابن رجب ٢٠٤/١ .

(٥) أدب الدنيا والدين : المارودي ٥٠ .

(٦) ذم الهوى : ابن الجوزي ٢٩ .

(٧) إيغاة اللهفان : ابن القيم ٧٩/١ .



## المبحث الثاني آثار اتباع الهوى على المجتمع المطلب الأول تفشي المخالفات والمعاصي

إن الإنسان إذا انحرف عن جادة الصواب ، فإنه لا يكتفي بميلان نفسه وانحراف ذاته غالباً ، بل تجده يسعى لحمل غيره على ما يريد من الشهوات والشبهات ، ومن أسباب ذلك كما قال القرطبي - رحمه الله تعالى - : " فمن كان عليها أحب أن يكون أمثاله عليها حتى لا تلحقه معرة " (١) .  
فاتباع الهوى يريدون من الخلق أن يميلوا معهم ميلاً عظيماً ، قال الله - ﷻ - : ﴿ ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ﴾ (٢) .  
قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : " يريد الذين يطلبون لذات الدنيا وشهوات أنفسهم فيها ، أن تميلوا عن أمر الله فتجوروا عنه بإتيانكم ما حرم عليكم " (٣) وقال ابن عاشور - رحمه الله تعالى - : " وأما الذين يتبعون الشهوات ، فيريدون انصرافكم عن الحق ، وميلكم عنه إلى المعاصي " (٤) وكذا يريد الذين يتبعون الشبهات ، فيرادتهم فاسدة ذميمة (٥) .

وقال الله - ﷻ - : ﴿ أم هم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ (٦) والمعنى : " أي هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم ، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تحريم ما حرموا عليهم ، وتحليل ما أحلوا ، إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في

(١) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٩٨/٥ .

(٢) سورة النساء / جزء من الآية ٢٧ .

(٣) جامع البيان - الطبري ٢٨/٤ .

(٤) التحرير والتنوير - ابن عاشور ٢١/٥ .

(٥) انظر التسهيل - ابن جزئ ٢٤٨/١ والبحر المحيط - أبو حيان ٢٣٦/٣ .

(٦) سورة الشورى / جزء من الآية ٢١ .

جاهليتهم" (١) وذلك أن أرباب الشبهات والشهوات قد اتخذوا آهوتهم أهواءهم ، فكلما استحسنوا شيئاً

كان دينهم ومذهبهم ، قال الله - ﷻ - : ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفانت تكون عليه وكيلاً ﴾ (٢).

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : " كلما هوى شيئاً ركبته ، وكلما اشتهى شيئاً أتاه " (٣).

ونتيجة لطاعة أمثال هؤلاء ، ولوجود الأرضية الخصبية عند الأتباع في تقبل كل ما يطرح ويقال - ولغير ذلك - فشت وانتشرت الكثير من المخالفات والمعاصي ، والتي أصبحت لها وقع في النفوس ، بل تأصلت جذورها في المجتمع ، وصار المعروف منكراً والمنكر معروفاً إلا فيما ندر ، فانتشرت المخالفات الشركية بشكل مريب مهيب ، كما تفشت البدع ، ونفق سوقها ، هذا بالإضافة إلى أمور أخرى - لا تقل ضرراً - كالزنا والبغا ، والربا وشرب الخمر ، وواد البنات ونحو ذلك .

ولعل مما يؤكد ما ذكر - على وجه الاجمال - أن الرسول - ﷺ - لما بعثه ربه - ﷻ - فصعد بكلمة الحق والدين ، وسعى لإبطال آلهة الإفك المبين ، ثارت عليه جموع الباطل ومجتمعاته .  
ومما يوضح المراد ويبينه ما يلي :

إن من تلك المخالفات العظيمة والمعاصي الشاهرة الميينة : عبادة الأصنام والأوثان ، وكالاستعاذة بالجن والشفاعة الشركية ، والحب مع الله - ﷻ - ، وإعطاء الرجال منزلة الإله في التشريع ومطلق الطاعة ، وكسوء المعتقد في وصف الله - ﷻ - ورسله - عليهم الصلاة والسلام - .

قال ابن إسحاق - رحمه الله تعالى - مبيناً مدى انتشار عبادة الأصنام عند العرب ، وكيف أنهم - لتغلغلها في نفوسهم - تعجبوا من الدعوة إلى إله واحد - ﷻ - : " واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه ، فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسح به حين يركب ، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسح به ، فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله ، فلما بعث الله رسوله محمداً - ﷺ -

بالتوحيد ، قالت قريش : ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾ (٤) (٥).

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١١٣/٤ بتصرف يسير .

(٢) سورة الفرقان / الآية ٤٣ .

(٣) روح المعاني - الألوسي ٣٦/١١ وانظر معالم التنزيل - البغوي ٢٤٥/٧ وتفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١٥٣/٤ .

(٤) سورة ص / الآية ٥ .

(٥) السيرة النبوية - ابن هشام ٨٣/١ .

وقال ابن السائب الكلبي : " فلما صنع هذا - جلب الأصنام ونصبها - عمرو بن لحي دانت العرب للأصنام وعبدوها واتخذوها " (١) فهم قد اتخذوها باتباع أهوائهم في عبادتها ، وتقليد أسلافهم (٢) .

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : " ولم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله محمداً - ﷺ - فأمر بهدمها " (٣) وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " وبالجملة ، فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان ، ولم يتخلص منها إلا الخنفاء ، أتباع ملة إبراهيم - ﷺ - " (٤) .

ومن المخالفات أيضاً : استعاذتهم بالجن ، كما قال الله - ﷻ - : ﴿ وَأَنه كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (٥) .

فقد " كان القوم إذا نزلوا وادياً قالوا : نعوذ بسيد هذا الوادي " (٦) .

ومما يبين تفشي مثل هذا الأمر فيهم قول مقاتل : " كان أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن ، ثم من بني حنيفة ، ثم فشا ذلك في العرب " (٧) وقول ابن جرير : " وكان ذلك من فعلهم فيما ذكر لنا " (٨) .

ومن المخالفات أيضاً ما كانوا يرددونه من طلب الشفاعة الشركية ، قال الله - ﷻ - : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (٩) .

والمعنى : " أي ليشفعوا لنا ، ويقربونا عنده منزلة ، ولهذا كانوا يقولون في تلييتهم إذا حجوا في جاهليتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك " (١٠) .

(١) كتاب الأصنام - الكلبي ١٣ .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٧/١٤ .

(٣) تلبس إبليس - ابن الجوزي ٧١ وسيأتي الحديث عن هدمها في الفصل الرابع إن شاء الله تعالى ٢٥٥ وما بعدها .

(٤) إغاثة اللفهان - ابن القيم ٣١٩/٢ .

(٥) سورة الجن - الآية ٦ .

(٦) الدر المنثور - السيوطي ٤٣٣/٦ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٨/١٩ .

(٨) جامع البيان - الطبري ١٠٨/١٤ .

(٩) سورة الزمر / جزء من الآية ٣ .

(١٠) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٤٦/٤ .

ومن المخالفات أيضاً حب الأنداد والأمثال كحبة الله تعالى ، قال - ع - : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ﴾ (١) والمعنى أنهم : " جعلوا له أنداداً أي أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه ، ويحبونهم كحبة ، وهو الله لا إله إلا هو ولا ضد له ، ولا ند ولا شريك معه " (٢) فهم يحبونهم كما يحبون الله - ع - . (٣)

ومن المخالفات والمعاصي التي تفشت أيضاً : أن كثيراً من المجتمعات أعطت الرجال حق التشريع والطاعة المطلقة ، كأهل الكتاب مع أحبارهم ورهبانهم إذ إنهم استنصحو الرجال ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - أثناء حديثه عن يهود : " ومن العجب أن هذه الأمة الغضبية تحجر على الله - ع - . أن ينسخ ما يشاء من شرائعه ، وقد تركوا شريعة موسى في أكثر ما هم عليه ، وتمسكوا بما شرعه لهم أحبارهم وعلمائهم " (٤)

ومنها أيضاً انتشار العقائد الضالة في الله ورسله ، وما سطر ودون في كتب أهل الكتاب - مثلاً - يكشف هذا الجانب بجلاء ، إذ إنهم نعتوا الله ورسله بأقبح النعوت والأوصاف ، والتي لا تليق بأقل الخلق مكانة ومنزلة ، وقد سبق الحديث عن شيء من هذا مع الاستشهاد بما في كتبهم أنفسهم ، فليُنظر هناك (٥) . ومن ذلك أيضاً تفشي البدع ورواجها ، قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : " وما زالت الجاهلية تبتدع البدع الكثيرة : فمنها النسئ ، وهو تحريم الشهر الحرام وتحليله عند الحاجة ، ومنها البحيرة والسائبة والوصيلة والحام " (٦) وقد قيل : " : إذا سرك أن تعلم جهل العرب ، فاقرأ ما بعد المائة من سورة الأنعام " (٧) ففيها خلاصة عبادة العرب ، وما نتج عن ذلك من ممارسات اجتماعية ضارة (٨) .

(١) سورة البقرة / جزء من الآية ١٦٥ .

(٢) المرجع السابق ١٩٢/١ .

(٣) انظر بدائع التفسير - جمع يسري السيد ٣٧٢/١ ومجموع الفتاوى - ابن تيمية ١٨٨/٧ والتحفة العراقية - ابن تيمية ٦٤ .

(٤) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٤٤٧/٢ .

(٥) انظر ٨٦ وما بعدها من هذا البحث .

(٦) تلبس إبليس - ابن الجوزي ٨١ بتصرف .

(٧) جامع البيان - الطبري ٥١/٥ .

(٨) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية - د. مهدي رزق الله ٦٨ .

وهذا كله لاتباع أهوائهم في التشريع بغير هدى من الله (١) قال الله - ﷻ - : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾ (٢) فهم بمقتضى شهواتهم يغيرون وضع عباداتهم وطقوسهم (٣) ومن المخالفات والمعاصي أيضاً تفشي البغاء ، ومما يشير إلى هذا ، ما جاء عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : " إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء - وذكرت منها - ونكاح الرابع : يجتمع الناس الكثير ، فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا ، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً ، فمن أرادهن دخل عليهن " (٤) .

قال مجاهد - رحمه الله تعالى - : " هن بغايا ، كن في الجاهلية معلومات لهن رايات يعرفن بها " (٥) . وقد كان زعيم المنافقين يدفع إماءه إلى البغاء ، فعن جابر - ﷻ - قال : كان عبد الله بن أبي بن سلول يقول لجارية له : اذهبي فابغينا شيئاً ، فأنزل الله - ﷻ - : ﴿ وَلَا تَكْرَهُوا فِتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً

لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم ﴾ (٦) (٧) . قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة فيما ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف في شأن عبد الله بن أبي بن سلول ، فإنه كان له إماء ، فكان يكرههن على البغاء ؛ طلباً للخراجهن ، ورغبة في أولادهن ، ورياسة منها فيما يزعم " (٨) .

والخلاصة : فإن من آثار اتباع الهوى على المجتمع أن تنتشر فيه المخالفات والمعاصي على اختلاف أنواعها وأصنافها ؛ إذ إن كثيراً يضلون بأهوائهم من غير علم ، فيحرمون ويحللون ويحدثون بأهوائهم وشهواتهم من

(١) الاعتصام - الشاطبي ٥٢/١ .

(٢) سورة النجم / جزء من الآية ٢٣ .

(٣) انظر التفسير الكبير - الرازي ٢٦٠/٢٨ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب النكاح ، باب ( من قال : لا نكاح إلا بولي .. ) ٢٦/٧ جزء من حديث رقم : ٦٠ .

(٥) فتح الباري - ابن حجر ٢٣٢/٩ .

(٦) سورة النور / جزء من الآية ٣٣ .

(٧) أخرجه مسلم في كتاب التفسير ، باب ( قوله : ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ) ٢٣٢٠/٤ رقم : ٣٠٢٩ .

(٨) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٢٧٨/٣ .

غير تعلق بشريعة (١) فيروج ويتشتر من الأشياء ما لا يحمد المجتمع عقباها ، ومن ثم يفسد الناس والمجتمع بل إن الكون كله يكون عرضة للفساد إن سارت الأمور فيه على وفق الهوى ، قال الله - ﷻ - : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ﴾ (٢) .

والمراد " لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى وشرع الأمور على وفق ذلك ، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ؛ أي لفساد أهوائهم واختلافها " (٣) .

قال القرطبي - رحمه الله تعالى - : " وفساد الإنس يكون على وجهين أحدهما - وهو الشاهد - : باتباع الهوى ، وذلك مهلك " (٤) وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " وكل من له مسكة عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي ، والهوى على العقل ، وما استحکم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحکم هلاكه ، وفي أمة إلا فسد أمرها أتم فساد " (٥) .

- 
- (١) انظر محاسن التأويل - القاسمي ٦/٦٩٦ .  
(٢) سورة المؤمنون / جزء من الآية ٧١ .  
(٣) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣/٢٤٣ .  
(٤) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٢/٩٤ .  
(٥) أعلام الموقعين - ابن القيم ١/٥٤ .

## المطلب الثاني انتشار العدواة والبغضاء

إن المجتمع الذي يتمسك بشرع الله تعالى وهدية يجيا حياة طيبة ، يسودها التآلف والتآخي ، قال الله - ﷻ - : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾ (١).

وفي هذا تذكير : " بالنعمة الدنيوية والأخروية ، أما الدنيوية - وهي الشاهد - فتألف قلوبهم ، وصيرورتهم إخوة في الله متراحمين " (٢).

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - عند قوله : ﴿ ولا تفرقوا ﴾ : " أمرهم بالجماعة ، ونهاهم عن الفرقة " (٣) وقد جاء في الحديث النهي عن الفرقة ، فعن أبي هريرة - ﷺ - قال : قال رسول الله - ﷺ - : " إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويكره لكم ثلاثاً ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا " (٤) قال النووي - رحمه الله تعالى - : " وأما قوله - ﷻ - " ولا تفرقوا " فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين ، وتألف بعضهم ببعض ، وهذه إحدى قواعد الإسلام " (٥) بيد أن النفوس عندما تعرض عن شرع الله - ﷻ - وتقبل على الهوى ، فإن عاقبتها تكون وخيمة ، إذ تنتشر بينهم العدواة والبغضاء أبداً .

قال الله - ﷻ - : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ﴾ (٦) وقال - ﷻ - :

﴿ وألقينا بينهم العدواة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ (٧) وقال - ﷻ - : ﴿ فأغرينا بينهم العدواة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ (٨).

(١) سورة آل عمران / جزء من الآية ١٠٣ .

(٢) البحر المحيط - أبو حيان ٢١/٣ وانظر فتح البيان - صديق بن حسن ٣٠٣/٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣٦٧/١ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الأفضية ، باب ( النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة ) ١٣٤٠/٣ جزء من حديث رقم : ١٧١٥ .

(٥) شرح صحيح مسلم - النووي ٢٥٢/١١ .

(٦) سورة الأنعام / جزء من الآية ١٥٩ .

(٧) سورة المائدة / جزء من الآية ٦٤ .

(٨) سورة المائدة / جزء من الآية ١٤ .

قال القاسمي - رحمه الله تعالى - : " أي يتعادون ويتباغضون إلى قيام الساعة حسبما تقتضيه أهواؤهم المختلفة ، وآراؤهم الزائفة المؤدية إلى التفرق فرقاً متباينة ، يلعن بعضها بعضاً ، ويكفر بعضها بعضاً " (١) .  
قال بعض العلماء - رحمهم الله تعالى - : " صاروا فرقاً لاتباع أهوائهم ، وبمفارقة الدين تشتت أهواؤهم فافترقوا " (٢) .

وباللقاء نظرة إلى حال أهل الكتاب عبر تاريخهم المديد - على سبيل المثال - نجد أن هذا يظهر فيهم بجلاء ، إذ من المعلوم أنهم أعرضوا عن شرع الله - ﷻ - وتابعوا شتى الأهواء ، ومن ثم كان مآلهم إلى العداوة والبغضاء والفرقة والشحناء .

قال الله - ﷻ - : ﴿ بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ﴾ (٣) والمعنى : " أي عدواتهم فيما بينهم شديدة .. تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين ، وهم مختلفون غاية الاختلاف ، قال إبراهيم النخعي - رحمه الله تعالى - : " يعني أهل الكتاب والمنافقين " (٤) .

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - مشيراً إلى تفرق كلمتهم ، واختلاف قلوبهم : " تظنهم مؤتلفين مجتمعين كلمتهم ، وقلوبهم مختلفة لمعاداة بعضهم بعضاً " (٥) .

وقد أشار علي بن أبي طالب - ﷺ - إلى هذا المعنى ، حيث قال : " المؤمنون بعضهم لبعض نصحاء وادون ، وإن افرقت منازلهم ، والفجرة بعضهم لبعض غششة خونة ، وإن اجتمعت أبدانهم " (٦) .

ولعل مما يشير إلى هذا - على سبيل المثال - ما وقع في غزوة خيبر ، وأمام حصن من حصونها ، وبعد أن فرض رسول الله - ﷺ - الحصار " جاء رجل من اليهود ، وقال : يا أبا القاسم إنك لو أقيمت شهراً ما بالوا إن لهم شراباً وعيوناً تحت الأرض ، يخرجون بالليل ويشربون منها ، ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون منك

(١) محاسن التأويل - القاسمي ١٣٥/٦ .

(٢) الاعتصام - الشاطبي ٢٣١/٢ وفي نفس الموضع ذكر الشاطبي أن أصحاب رسول الله - ﷺ - قد اختلفوا من بعده ، ولم يفرقوا ، ولا صاروا شيعاً ؛ لأنهم لم يفارقوا الدين ، وإنما اختلفوا فيما أذن لهم .. وكانوا مع هذا أهل مودة وتناصح ، وأخوة الإسلام فيما بينهم قائمة . المرجع السابق ٢٣١/٢ .

(٣) سورة الحشر / جزء من الآية ١٤ .

(٤) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣٤٠/٤ وانظر الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٢٤/١٨ .

(٥) جامع البيان - الطبري ٤٧/١٤ .

(٦) الدر المنثور - السيوطي ٢٩٥/٦ .



فإن قطعت مشربهم عليهم أضحروا لك ، فقطع ماءهم عليهم ، فخرجوا ، فقاتلوا أشد القتال ، قتل نفر من المسلمين ، وأصيب نحو العشرة من اليهود ، وافتتحه رسول الله - ﷺ - " (١) .

والنصارى عندما فعلوا فعل اليهود ألقيت بينهم العداوة والبغضاء كما قال الله - ﷻ - : ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ (٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " فأخبر أن نسيانهم حظاً مما ذكروا به - وهو ترك العمل ببعض ما أمروا به - كان سبباً لإغراء العداوة والبغضاء بينهم " (٣) وقال أيضاً : " فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به ، وقعت بينهم العداوة والبغضاء ، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا ، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا ، فإن الجماعة رحمة ، والفرقة عذاب " (٤) .

وقد قال بعض العقلاء في النصارى : " لو اجتمع عشرة من النصارى يتكلمون في حقيقة ما هم عليه لتفرقوا عن أحد عشر مذهباً " (٥) وعندما كان الأوس والخزرج على غير منهاج سليم ، كانت العداوة والبغضاء فيما بينهم على أشدها (٦) .

والخلاصة فإن : " أهل المعاصي والفسوق - ﴿ تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ﴾ (٧) - وإن كان بينهم نوع مودة وتحاب ، فإنها تنقلب عداوة وبغضاً ، وفي الغالب يتعجل لهم ذلك في الدنيا قبل الآخرة " (٨) ؛ إذ إن الهوى إذا دخل أدى إلى الفرقة والتقاطع والعداوة والبغضاء ؛ لاختلاف الأهواء وعدم اتفاقها (٩) .

(١) الرحيق المختوم - المباركفوري ٤٣٩ .

(٢) سورة المائدة / جزء من الآية ١٤ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع ابن قاسم ١٤/١ .

(٤) الوصية الكبرى - ابن تيمية ، تحقيق : حماد سلامة ٨٦ ، مكتبة المنار - الأردن ، ط : الأولى : ١٤٠٩ هـ .

(٥) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٣٨٥/٢ .

(٦) انظر تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣٦٨/١ .

(٧) سورة الحشر / جزء من الآية ١٤ .

(٨) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٢٢٤/٢ .

(٩) انظر الموافقات - الشاطبي ١٦١/٤ .

فكل " أحد يركب هواه ، وإن كان فيه ما فيه ويطرح هوى غيره ، فلا يلتفت إليه ، فلا يزال الاختلاف بينهم والفساد فيهم " (١).

وهكذا فإن متبع الهوى يخرج من الاجتماع إلى الشتات ، ومن المحبة إلى البغضة والعداوة .  
فأهل الأهواء المتبعة والمذاهب المتدعة خرجوا عن اجتماع إلى شتات ، وعن نظام إلى تفرق ، وعن أنس إلى وحشة وعن اتلاف إلى اختلاف ، وعن محبة إلى بغضة ، وعن نصيحة وموالاتة إلى غش ومعاداة ، وعصمنا وإياكم من الانتماء إلى كل اسم خالف الإسلام والسنة " (٢).

---

(١) الاعتصام - الشاطبي ١/١١٢ .

(٢) انظر الإبانة - ابن بطة ١/٣٨٨ رقم : ٢٨٠ .

## المطلب الثالث استحقاق العقوبة ووقوعها

إن المتأمل في أحوال المدعويين المنحرفين ومجتمعاتهم الذين تقدم الحديث عن شئ من سيرهم ، يلحظ عليهم شدة المخالفة والمباينة لما جاء عن الله تعالى وعن رسوله - ﷺ - ومن ثم كانوا عرضة لاستحقاق العقوبة ، بل ووقوعها بهم ؛ لأنهم لم يغيروا ما بأنفسهم من المعصية إلى الطاعة ، ومن المعاندة والمشاقة إلى الانقياد والاستجابة .

ولقد حذر المولى - ﷺ - هؤلاء وأمثالهم من مغبة ما يصنعون ، فقال - ﷺ - : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو عذاب أليم ﴾ (١) والمعنى : " أي فليحذر وليخشى من خالف شريعة الرسول - ﷺ - باطناً وظاهراً ﴿ أن تصيبهم فتنة ﴾ أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿ أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك " (٢) .

وقال - ﷺ - : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ﴾ (٣) .

فهذا : " تعليل ، أي هذا العقاب ؛ لأنهم غيروا وبدلوا " (٤) فبسبب معاصيهم وتغييرهم ما بأنفسهم استحقوا ما استحقوا ، ووقع بهم ما وقع (٥) فقد ملأوا قلوبهم بالشبهات والشهوات ، وحجزوها عن قبول الرحمات ، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - أثناء ذكره لحديث : " لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة " (٦) : فإذا منع الكلب والصورة دخول الملك إلى البيت ، فكيف تدخل معرفة الرب ومحبته في قلب ممتلئ بكلاب الشهوات وصورها " (٧) .

(١) سورة النور / جزء من الآية ٦٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٢٩٧/٣ .

(٣) سورة الأنفال / الآية ٥٣ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٢٠/٨ .

(٥) انظر تيسير الكريم الرحمن - السعدي ١٧٩/٣ .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة ، باب ( تحريم تصوير صورة الحيوان .. ) ١٦٦٥/٣ رقم : ٢١٠٦ وأخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب ( إذا قال أحدكم آمين .. ) ٢٣٥/٤ رقم : ٣٥ .

(٧) الكلام في مسألة السماع - ابن القيم ٣٩٨ .

والعقوبات التي تنزل على المجتمع وأفراده تارة يظهر أثرها على العيان ، وتارة لا يظهر ، قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : " اعلم أن العقوبات تختلف ، فتارة تتعجل ، وتارة تتأخر ، وتارة يظهر أثرها ، وتارة يخفى " (١) .

وإن التأمل في نصوص الوحي يرى أن القرآن الكريم والسنة النبوية قد عظما وشددا ورهبا في عقاب المجتمعات المنحرفة التي آثرت اتباع الهوى على الهدى ، وليس العقاب محصوراً على الدنيا بل يطرد ذلك ويستمر حتى في الآخرة .

وعلى سبيل المثال ما حصل لأهل الكتاب من اللعن والطرود والغضب وقساوة القلب ، بل ومن خراب البيوت والديار بأيدي أنفسهم وأيادي المؤمنين .

قال الله - ﷻ - : ﴿ فَبِمَا نَقْضُهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ (٢) والمعنى : " أي فبسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم لعناهم ، أي أبعدهناهم عن الحق ، وطردهناهم عن الهدى " (٣) فهو إخبار من الله - ﷻ - عما حل بهم من العقوبة .

وجاء في الحديث أن الرسول - ﷺ - لعن أهل الكتاب ، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله - ﷺ - في مرضه الذي لم يقم منه : " لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " (٤) وفي رواية عن أبي هريرة - ﷺ - قال : قال رسول الله - ﷺ - : " قاتل الله اليهود ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " (٥) قال النووي - رحمه الله تعالى - : " ومعناه لعنهم كما في الرواية الأخرى ، وقيل : معناه قتلهم وأهلكهم " (٦) .

(١) ذم الهوى - ابن الجوزي ١٦٩ .

(٢) سورة المائدة / جزء من الآية ١٣ .

(٣) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣٢/٢ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ، باب ( النهي عن بناء المساجد على القبور .. ) ٣٧٦/١ رقم : ٥٢٩ .

(٥) المرجع السابق رقم : ٥٣٠ .

(٦) شرح صحيح مسلم - النووي ١٥/٥ .

وكما أنهم استحقوا اللعن ، فقد بأوا بغضب على غضب ، كما قال الله - ﷻ - : ﴿ بثسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فبأءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين ﴾ (١).

ومعنى "بأءوا" : " استوجبوا واستحقوا واستقروا بغضب على غضب " (٢).  
قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : " فالغضب على الغضب ، غضبه عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة ومن معهم ، وغضب بكفرهم بهذا النبي - ﷺ - الذي أحدث الله إليهم " (٣) والكفار " لما كان كفرهم سببه البغي والحسد ، ومنشأ ذلك التكبر ، قوبلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة " (٤) فأصبح اليهود مغضوباً عليهم ، والنصارى ضالين ، كما قال - ﷻ - : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ (٥).  
وقد جاء في الحديث ما يؤكد هذا المعنى ، فعن عدي بن حاتم - ﷺ - عن النبي - ﷺ - قال : " اليهود مغضوب عليهم ، والنصارى ضلال " (٦).

هذا بالإضافة إلى ما نزل بهم من سوء العقوبة في الدنيا بأيدي المؤمنين وأيديهم ، فقد ثبت أن الرسول - ﷺ - أجلي طوائف من اليهود ، وحرقت نخل بني النضير ، وقتل طائفة منهم .  
فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : حاربت النضير وقريظة ، فأجلي بني النضير ، وأقر قريظة ومن عليهم ، حتى حاربت قريظة ، فقتل رجالهم ، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبي - ﷺ - فآمنهم وأسلموا ، وأجلي يهود المدينة كلهم ، بني قينقاع ، وهم رهط عبد الله بن سلام - ﷻ - ، ويهود بني حارثة ، وكل يهود المدينة " (٧).

(١) سورة البقرة / الآية ٩٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١١٩/١ .

(٣) جامع البيان - الطبري ٤١٧/١ وانظر الدر المنثور - السيوطي ١٧١/١ .

(٤) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١٢٠/١ .

(٥) سورة الفاتحة - جزء من الآية ٧ .

(٦) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب ( ومن سورة الفاتحة ) ١٨٧/٥ رقم : ٢٩٥٤ ، قال الألباني : صحيح . انظر صحيح سنن الترمذي ٢٠/٣ رقم : ٢٣٥٤ .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب ( حديث بني النضير وخرج رسول الله إليهم ) ٢٠٥/٥ رقم : ٧٣ .

بل إن مما أصابهم من العقوبة أن يخربوا بيوتهم بأيديهم ، كما قال المولى - ﷺ - : ﴿ يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ (١).

قال قتادة - رحمه الله تعالى - : " جعلوا يخربونها من أحوافها ، وجعل المؤمنون يخربون من ظاهرها " (٢). وجاء أنهم حين نزلوا على الجلاء احتملوا ما أقلت إبل من أمتعتهم ، وأبواب بيوتهم ، وخشبها ، فكانوا يخربون بيوتهم ، فيهدمونها ، فيحملون ما وافقهم من خشبها " (٣).

وعلى هذا فالعقوبة بالرصد لمن بدل دين الله قولاً وعملاً وتابع هواه (٤).

وقد حصل للمشركين بنحو ما حصل لأهل الكتاب من القتل واشتداد الغضب ، فأصابهم الله - ﷻ - بالسنين ، وبسرايا رسول الله - ﷺ - وغزواته ، فقد كانوا آمنين مطمئنين ، قال قتادة - رحمه الله تعالى - ناعتاً حالهم ، ومبيناً أمنهم ، وخوف غيرهم : " كان أهل الحرم آمنين ، يذهبون حيث شاءوا ، فإذا خرج أحدهم قال : أنا من أهل الحرم ، لم يعرض له أحد ، وكان غيرهم من الناس إذا خرج أحدهم قتل وسلب " (٥) ولكنهم قابلوا الإنعام بالجحود والكفران ، وقد توقع صديق الأمة - ﷺ - هلاك القوم حينما أخرجوا نبي الله - ﷺ - من بلده ومنزله ، وذلك حين قال : " أخرجوا نبيهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن " (٦).

فهم لما كفروا بأنعم الله - ﷻ - وشاقوا دينه ونبيه - ﷺ - واتبعوا أهواءهم ، أنزل الله - ﷻ - عليهم عقابه . قال سبحانه وتعالى : ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ (٧).

(١) سورة الحشر / جزء من الآية ٢ .

(٢) جامع البيان - الطبري ٢٩/١٤ .

(٣) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه في كتاب المغازي ( وقعة بني النضير ) ٣٦٠/٥ جزء من رقم : ٩٧٣٣ .

(٤) انظر إغاثة اللهفان - ابن القيم ٤٢٨/٢ .

(٥) الدر المنثور - السيوطي ٢٥٥/٥ .

(٦) أخرجه النسائي في كتاب الجهاد ، باب ( وجوب الجهاد ) ٣٠٩/٦ جزء من رقم : ٣٠٨٥ ، قال الألباني : صحيح الاسناد ، انظر صحيح سنن النسائي ٦٤٦/٢ رقم : ٢٨٩٠ .

(٧) سورة النحل / الآية ١١٢ .

قال القاضي ابن عطية الأندلسي - رحمه الله تعالى - : " فأصابتهم السنون والخوف ، وسرايا رسول الله - ﷺ - وغزواته ، هذا إن كانت الآية مدنية ، وإن كانت مكية ، فجوع السنين ، وخوف العذاب من الله بحسب التكذيب " (١) وقال النسفي - رحمه الله تعالى - : " جعل القرية التي هذه حالها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم ، فأبطرتهم النعمة ، فكفروا وتولوا ، فأنزل الله بهم نعمته " (٢) .

وقد قرر ابن خلدون - رحمه الله تعالى - نحو هذا الأمر حين قال : " إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل ، وسلوك طرقها ، فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ولا تزال في انتقاص إلى أن يخرج الملك من أيديهم ، ويتبدل به سواهم ؛ ليكون نعيماً عليهم في سلب ما كان الله قد آتاهم من الملك ، وجعل في أيديهم من الخير " (٣) وهذا ما حدث لكفار مكة وأتباعهم .

ولقد دعا رسول الله - ﷺ - عليهم بالأخذ الويل وشدة العقوبة ، جاء في الحديث : " اللهم اشد وطأتك على مضر ، اللهم سنين كسني يوسف " (٤) .

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : " فإن المراد اشد عليهم البأس والعقوبة ، والأخذ الشديد " (٥) .

وقال النووي - رحمه الله تعالى - : " أي اجعلها سنين شداداً ذوات قحط وغلاء " (٦) .

وجاء عن أبي هريرة - ؓ - قال : قال رسول الله - ﷺ - : " اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنيه ، يشير إلى ربايعته " (٧) ومما حصل لهم من العقوبة ما أصابهم يوم بدر - على سبيل المثال - من القتل والأسر ،

(١) المحرر الوجيز - ابن عطية ٢٤١/١٠ .

(٢) مدارك التنزيل - النسفي ٣٠٢/٢ وانظر الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٢٠/٨ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ١٥٨ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب ( الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ) ١١٦/٤ جزء من رقم : ١٤٣ وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ، باب ( استحباب القنوت في جميع الصلاة ) ٤٦٦/١ رقم : ٦٧٥ .

(٥) فتح الباري - ابن حجر ١٣٢/٦ .

(٦) شرح صحيح مسلم - النووي ١٨٦/٥ .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب ( ما أصاب النبي من الجراح يوم أحد ) ٢٢٦/٥ جزء من رقم : ١١١ ، وانظر طرح الشرب في شرح التقریب : العراقي ٢١١/٧ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط . د . ١٤١٣ هـ .

وما نزل بجمع من زعماتهم الذين لقوا مضارعهم ، فقد جاء أن المسلمين قتلوا يومئذ سبعين ، وأسروا سبعين (١).

وجاء أن النبي - ﷺ - حدد مصارع أقوام فما تجاوزوها ، وذلك حين قال : " هذا مصرع فلان " قال : ويضع يده على الأرض ، ها هنا وها هنا ، قال : فما ماط - أي تباعد - أحدهم عن موضع يد رسول الله - ﷺ - " (٢).

وقد ثبت : " أن نبي الله - ﷺ - أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش ، فقذفوا في طوى (٣) من أطواء بدر خبيث مخبث " (٤).

وهكذا فإن من أصر على الإعراض ، ولم يتعرض لأسباب الرحمة ، فقد استحق الهلاك والبوار ، جزاء وفقاً (٥) روى أن أبا الدرداء (٦) - ﷺ - لما فتح المسلمون قرص بكى ، فسئل عن ذلك ، فأجاب بقوله : " ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره ! بينا أمة قاهرة قادرة ، إذ تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى !! " (٧)

وقد قال أبو سفيان - ﷺ - يوم فتح مكة : " يا رسول الله أيحيت خضراء قريش - أي استتمصلت قريش بالقتل وأفنيت - لا قريش بعد اليوم " (٨).

(١) انظر صحيح مسلم ، كتاب الجهاد ، باب ( الإمداد بالملاحكة في غزوة بدر ) ١٣٨٣/٣ رقم : ١٧٦٣ .

(٢) المرجع السابق ، باب ( غزوة بدر ) ١٤٠٣/٣ جزء من رقم : ١٧٧٩ .

(٣) قال ابن الأثير : أي بئر مطوية من آبارها . النهاية في غريب الحديث - ابن الأثير ١٤٦/٣ وقال النووي : وهي البئر المطوية بالحجارة شرح صحيح مسلم - النووي ٢١٢/١٧ .

(٤) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب المغازي ، باب ( قتل أبي جهل ) ١٨٥/٥ جزء من رقم : ٢٧ وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب ( عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ) ٢٢٠٤/٤ رقم : ٢٨٧٥ وانظر ما قبله .

(٥) انظر إغاثة اللهفان - ابن القيم ٤/١ .

(٦) أبو الدرداء عويمر بن عبد الله الأنصاري الخزرجي ﷺ الإمام الرباني ، كان يقال : هو حكيم هذه الأمة ، حفظ القرآن عن رسول الله ﷺ وكان عالم أهل الشام أخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي ﷺ ( ت : ٣١ هـ بالشام وقيل غير ذلك ) انظر الاستيعاب - ابن عبد البر ٢١١/٤ رقم : ٢٩٧٠ وتذكرة الحفاظ - الذهبي ٢٤/١ رقم : ١١ .

(٧) ذم الهوى - ابن الجوزي ١٧٠ .

(٨) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد ، باب ( فتح مكة ) ١٤٠٥/٣ جزء من رقم : ١٧٨٠ .



وأما عن حال متبعي الهوى في الدار الآخرة ، فإنهم في حالة إشفاق مما كسبوا ، قال الله - ﷻ - : ﴿ ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم ﴾ (١) والمعنى : " أي الذي يخافون منه واقع بهم لا محالة هذا حالهم يوم معادهم ، وهم في هذا الخوف والوجل " (٢) فهذا " وصف لحالم في الآخرة عند معاينة العذاب أو عند الموت ، فهذا الإشفاق مقرون بالاستيحاش ؛ لأنه قد علم أنه صائر إليه ، كمن قدم إلى العقوبة ورأى أسبابها ، فهو مشفق منها إذا رآها لعلمه بأنه صائر إليها " (٣) .

وقال - ﷻ - : ﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترُونَ به ثمنًا قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيهم وهم عذاب أليم ﴾ (٤) .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " يعني اليهود الذين كتموا صفة محمد - ﷻ - في كتبهم التي بأيديهم مما تشهد له بالرسالة والنبوة ، فكتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف .. فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة " (٥) قال الماوردي - رحمه الله تعالى - معلقاً على ما يأخذونه من الثمن القليل : " سماه قليلاً لانقطاع مدته ، وسوء عاقبته " (٦) .

ومنها أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، كما قال تعالى : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ ثم إنهم لصالوا الجحيم ﴿ (٧) .

قال ابن رجب - رحمه الله تعالى - : " وجعل ذلك جزاء لحالم في الدنيا ، وهو تراكم الران على قلوبهم حتى حجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا ، فكان جزاؤهم على ذلك أن حجبوا عن رؤيته في

(١) سورة الشورى / جزء من الآية ٢٢ .

(٢) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١١٣/٤ .

(٣) طريق المحرتين - ابن القيم ٤٦٩ .

(٤) سورة البقرة / الآية ١٧٤ .

(٥) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١٩٦/١ .

(٦) النكت والعيون - الماوردي ٢٢٣/١ وقيل غير ذلك .

(٧) سورة المطففين / الآية ١٥ - ١٦ .

الآخرة " (١) وقال ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - : " فجمع عليهم نوعي العذاب : عذاب النار ، وعذاب الحجاب عنه سبحانه " (٢) .

وأهل النفاق مألهم إلى الدرك الأسفل من النار ، كما قال الله - ﷻ - : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ﴾ (٣) والمعنى : " أي يوم القيامة جزاء على كفرهم الغليظ " (٤) .

جاء في الحديث عن المصطفى - ﷺ - أنه قال : " ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر " (٥) قال الراغب - رحمه الله تعالى - : " وأعظم التكبر التكبر على الله - ﷻ - بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة " (٦) .

وبالنظر إلى أحوال المدعويين وسيرهم - الذين سبق الحديث عنهم - يلحظ تحقق هذا الأمر فيهم ، وانطباقه عليهم ، فاستحقوا ما استحقوا ؟!

ويظهر تأسفهم وتحسرهم حين لات ساعة مندم ، كما قال - ﷻ - : ﴿ يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾ وقالوا ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ﴾ (٧) .

قال الآجري - رحمه الله تعالى - : " ثم إن الله - جل ذكره - أخبرنا عن أهل النار - إذا دخلوها - كيف يتأسفون ويتحسرون على ترك طاعتهم لله - ﷻ - ولرسوله - ﷺ - إذ لم يطيعوا الله ورسوله يوم كانوا في الحياة الدنيا ميسراً لهم طاعة الله ورسوله ، فندموا حيث لم ينفعهم الندم ، وأسفوا حيث لم ينفعهم الأسف " (٨) .

(١) جامع العلوم والحكم - ابن رجب ١/١٢٦ .

(٢) إغاثة اللهفان - ابن القيم ١/٥٢ .

(٣) سورة النساء / الآية ١٤٥ .

(٤) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١/٥٤٠ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب ( الكبر ) ٣٧/٨ جزء من رقم : ٩٩ .

(٦) المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني ٤٢١ ( كبر ) .

(٧) سورة الأحزاب / الآية ٦٦ - ٦٧ .

(٨) الشريعة - الآجري ٤١١ .

فهذه حال عباد الشيطان والهوى يوم لقاء الرحمن ، فواسوء حالهم حين امتيازهم عن المؤمنين (١).

وخلاصة القول : إن اتباع الهوى ورد الحق موجب للعقوبة من الله - ﷻ - في الدنيا والآخرة ؛ إذ إن الهوى يهوي بصاحبه إلى أدل مكان وأسفل صوان " وشبه تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين من حيث التضييق الشديد والآلام المتراكمة ، والطير الذي تخطف أعضائه وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها الله عليه ، وتوزره أزا وتزعجه وتقلقله إلى مظان هلاكه ، فكل شيطان له مزعة من دينه وقلبه ، كما أن لكل طير مزعة من لحمه وأعضائه ، والريح التي تهوي به في مكان سحيق ، هو هواء الذي حملة على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء " (٢).

قال الشعبي (٣) - رحمه الله تعالى - : " إنما سمي الهوى ؛ لأنه يهوي بصاحبه " (٤).  
وهكذا فإن كل من امتنع من الخضوع لله - ﷻ - واتباع هداه ، مسايرة لأهواء النفوس وشهواتها ، فإنه عرضة لأنواع البليات ، والخطوب الملهمات .

(١) انظر إغاثة اللهفان - ابن القيم ٣٥٣/٢ .

(٢) أعلام الموقعين - ابن القيم ١٣٨/١ .

(٣) عامر بن شراحيل الهمداني الكوفي أبو عمر ، كان إماماً حافظاً فقيهاً ، علامة التابعين ( ت : ١٠٣ هـ ) انظر تذكرة الحفاظ - الذهبي ٧٩/١ رقم : ٧٦ ومداحل المؤلفين - فكري ٧٨٦/٢ .

(٤) أسرحه الدارمي في سنته ، باب ( اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة ) ١٢٠/١ رقم : ٣٩٥ .

## الفصل الرابع الهدي النبوي في التعامل مع اتباع المدعو للهوى

ويشتمل على :

- المبحث الأول الهدي النبوي في الوقاية من اتباع المدعو للهوى .
- المبحث الثاني الهدي النبوي في علاج المدعو من اتباع الهوى .

## الفصل الرابع الهدي النبوي في التعامل مع اتباع المدعو للهوى

### تمهيد :

تبين مما سبق ذكره وإيراده في الفصول الماضية مدى الخطورة التي تكتنف متبع الهوى ، ومن ثم كان لزاماً على من نصح نفسه وأراد نجاتها أن يبحث عن الهدي القويم في صيانتها وحمايتها من الوقوع في مثل هذه الأهواء أولاً ، وعلاجها مما قد وقعت فيه ثانياً .

وإن من نافلة القول أن يقال قبل الشروع في تقسيمات هذا الفصل ونقاطه :

• إن لكل طبع ما يلائمه في دائرة الطيب المباح .

• إن وجود الهوى في النفس البشرية لا يلام عليه ، وإنما يقع اللوم على اتباعه ومسأيرته .

• إن معالجة الإنسان مما يقع فيه من السوء والفساد أمر ممكن متيسر نسبياً ، وإنما يقع التفاوت بين

الناس في مدى قبولهم للعلاج سرعة وتأخراً قبولاً وإباء .

وما سيتناوله هذا الفصل - بحسب مشيئة الله تعالى - هو الحديث عن جملة من النقاط فيما يتعلق بالوقاية (١) والعلاج تم انتقاؤها بحسب ما أدى إليه جهد الباحث - على ضعفه وقلة بضاعته - وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين

### المبحث الأول : الهدي النبوي في الوقاية من اتباع المدعو للهوى :

ويشمل : المطلب الأول ترسيخ مبدأ الانقياد والاستجابة لله ورسوله .

المطلب الثاني التحذير من اتباع مختلف الأهواء .

المطلب الثالث سد الذرائع المفضية إلى اتباع الهوى .

### أما المبحث الثاني : الهدي النبوي في علاج المدعو من اتباع الهوى :

ويشمل : المطلب الأول مناصحة أهل الأهواء وبيان الحق لهم .

المطلب الثاني الاحتساب على متبع الهوى .

المطلب الثالث الجهاد في سبيل الله ضد أهل الأهواء .

(١) والحديث عن سبل الوقاية لتكون - بحسب مشيئة الله تعالى - سياحاً لمن لم يقع في متابعة الهوى ، وكذا لمن تاب وارتفع عنه فيما بعد .

## المبحث الأول الهدي النبوي في الوقاية من اتباع المدعو للهوى المطلب الأول ترسيخ مبدأ الانقياد والاستجابة لله ورسوله

إن مما تقدم بيانه أن الإنسان خلق على الفطرة المستقيمة ، وأن القلوب مفطورة على حب إلهها وفاضرها وتآليهه ، وأن ما يعرض على النفس البشرية من عوراض السوء ومفاتيح الشر - والتي من أخطرها آفة اتباع الهوى - يكون طريقاً لتغيير الفطر وإفسادها .

جاء في الحديث : " وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن

دينهم " (١) أي أنهم أزالوهم عما كانوا عليه وجالوا معهم في الباطل " (٢) .

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " فلو خلوا ودواعي فطرهم لما رغبوا عن ذلك ، ولا اختاروا سواه ،

ولكن غيرت الفطر وأفسدت " (٣) .

وقال ابن خلدون - رحمه الله تعالى - : " إن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت مهية لقبول ما يرد

عليها ، وينطبع فيها من خير أو شر ، ويقدر ما سبق إليها أحد الخلقين تبعد عن الآخر " (٤) .

ومن خلال ما تقدم عرضه وطرحه من سير المدعويين يتضح هذا الأمر ، فقد اتبع كثير من الخلق أهواءهم

فاستجابوا لها مذعنين ، وانقادوا لها مختارين ، قدموها على الاستجابة والانقياد لربهم وخالقهم سبحانه .

وبالنظر إلى كتاب الله - ﷻ - وسنة رسوله - ﷺ - وأقوال السلف الصالح ، يلحظ الاعتناء بتقرير أمر بالغ

الأهمية ، ألا وهو بيان أن حق الاختيار لله رب العالمين ، وبمعنى آخر أن الأمر محصور بين اتباع الوحي

واتباع الهوى .

ومن ههنا كان ترسيخ مبدأ الانقياد والاستجابة لأوامر الله ورسوله لدى المدعو من الأهمية بأعلى مكان ؛

إذ به يضبط المدعو نفسه من الانفلات وراء الأهواء ، فيكون ذلك بمثابة السياج المنيع الذي يقيه من

منزقات الهوى ، والسير في مختلف دروبه ، كما أنه مسلك لتحقيق السعادة في الدارين .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب ( الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ) ٢١٩٧/٤ جزء من رقم : ٢٨٦٥ .

(٢) انظر شرح صحيح مسلم - النووي ٢٠٣/١٧ .

(٣) مفتاح دار السعادة - ابن القيم ٤٣٩/٢ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ١٣٥ .

ومما يوضح هذا الجانب ويبيئه ما يلي :

إن من نافلة القول أن يقال : إن الخالق والآمر والمالك والمدبر هو الله رب العالمين ، وأن الله - ﷻ -

إنما خلق الخلق ليعبده ، كما قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (١) وأنه - ﷻ - لا يأمر عباده إلا بما هو خير لهم ، ولا ينهاهم إلا عما هو شر لهم (٢) فهو سبحانه أعلم بمصلحة العبد من نفسه (٣) وأن للعقول حد تنتهي إليه لا تتعداه .

ومن المعلوم أيضاً أن الإنسان مدني بالطبع ، فلا بد أن يعيش مع الناس ، والناس لهم إرادات وتصورات واعتقادات ، فعند اجتماعهم في الموضوع الواحد يحصل بينهم منازعات ومخاصمات (٤) فيدعي كل منهم الحق لنفسه ، ومعلوم أن للباطل حماة ودعاة ، فاقترضت حكمة الله تعالى أن يرسل رسله ، وينزل كتبه دعوة لهذه النفس البشرية لتقبل على شرع ربها وتعرض عما سواه (٥) فكان الأمر بتوحيد مصدر التلقي وأنه شرع رب العالمين ، وأن ليس هناك ثم معين ثالث ، فإما الشرع ، وإما الأهواء المختلفة .

قال الشاطبي - رحمه الله تعالى - : وقال تعالى : ﴿ ولا تطع من أغلفنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ﴾ (٦) فجعل الأمر محصوراً بين أمرين ، اتباع الذكر ، واتباع الهوى " (٧) .

وقال الله - ﷻ - : ﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ﴾ (٨) .  
" فقسم الأمر إلى أمرين لا ثالث لهما ، إما الاستجابة لله - ﷻ - والرسول - ﷺ - وما جاء به ، وإما اتباع الهوى ، فكل ما لم يأت به الرسول - ﷺ - فهو من الهوى " (٩) .

(١) سورة الذاريات / الآية ٥٦ .

(٢) انظر قواعد الأحكام في مصالح الأنام - العزيز عبدالسلام ، تحقيق : عبدالغني الدقر ٢١ ، دار الطباع - دمشق ، ط : الأولى : ١٤١٣ هـ .

(٣) انظر إغاثة اللهفان - ابن القيم ٢/٢٥١ والاعتصام - الشاطبي ١/٤٦ .

(٤) انظر المرجع السابق ٢/٢٧٧ والتفسير الكبير - الرازي ٢٦/١٧٤ .

(٥) انظر الاعتصام - الشاطبي ١/١١٢ .

(٦) سورة الكهف / جزء من الآية ٢٨ .

(٧) الاعتصام - الشاطبي ١/٥١ .

(٨) سورة القصص / جزء من الآية ٥٠ .

(٩) أعلام الموقعين - ابن القيم ١/٣٧ وانظر بدائع التفسير - جمع يسري السيد ٢/١١٣ .

وقد بين الله - ﷻ - في غير ما موضع من كتابه العزيز أن الخيرة له سبحانه ، وحث عباده على التحاكم إلى شرعه ورسوله - ﷻ - وأن لا يجلدوا في أنفسهم ريباً ولا حرجاً مما يقضي به عليهم .

فقال تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون ﴾ (٢) .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " فهذه الآية عامة في جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشئ ، فليس لأحد مخالفته ، ولا اختيار لأحد ههنا ، ولا رأي ولا قول " (٣) .

وقال الله - ﷻ - : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ (٤) فقد " أقسم سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن العباد حتى يحكموا رسوله - ﷻ - في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل ، ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجرد حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه ، ولم يكتف منهم أيضاً بذلك حتى يسلموا تسليماً وينقادوا انقياداً " (٥) .

جاء في الحديث : " وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به ، كتاب الله " (٦) .  
كما جاء الحث على الجد في لزوم السنة والتمسك بها ، قال - ﷻ - : " فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ " (٧) .

وقد فقه الصحابة - رضي الله عنهم - هذا الأمر ، فكان منهم التسليم التام وصدق الاستجابة ، وظهر ذلك حتى فيما يقدمونه من آراء واقتراحات ، وأضرب مثلاً يبين المراد :

(١) سورة الأحزاب / جزء من الآية ٣٦ .

(٢) سورة القصص / الآية ٦٨ .

(٣) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٤٧١/٣ .

(٤) سورة النساء / الآية ٦٥ .

(٥) أعلام الموقعين - ابن القيم ٤٠/١ وانظر تيسير الكريم الرحمن - السعدي ٩٣/٢ ففيه كلام نافع .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الحج ، باب ( حجة النبي ) ٨٩٠/٢ رقم : ١٢١٨ .

(٧) أخرجه الترمذي في كتاب العلم ، باب ( ما جاء في الأخذ بالسنة واحتساب البدعة ) ٤٣/٥ جزء من رقم : ٢٦٧٦ وصححه الألباني

انظر صحيح سنن الترمذي ٣٤١/٢ رقم : ٢١٥٧ .



ففي غزوة الخندق عندما حوَّص المسلمون ، وادلهم عليهم الخطب ، كان من فعل رسول الله - ﷺ - عندما جاءه الحارث الغطفاني يريد أن يشاطره تمر المدينة إزاء كف شره ، أن بعث - ﷺ - إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد وغيرهما من أعيان المدينة يستشيرهم بخبر هذا الوافد ، فيماذا اجابوا - رضي الله عنهم - ؟ قالوا : " يارسول الله أوحى من السماء ، فالتسليم لأمر الله ، أو رأيك وهواك ؟ فرأينا تبع هواك ورأيك " (١) ففقهوا - رضي الله عنهم - أن الأمر لله ولرسوله ابتداء وانتهاء .

إذاً فمما ينبغي أن تتشربه النفوس أن الشريعة هي الحاكمة لا آراء الرجال وأهواؤهم . قال الربھاري - رحمه الله تعالى - : " واعلم رحمك الله أن الدين إنما جاء من قبل الله ، لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم ، وعلمه عند الله ، وعند رسوله ، فلا تتبع شيئاً بهواك " (٢) . وقال الآجري - رحمه الله تعالى - : " ثم أعلمنا مولانا الكريم أن النبي - ﷺ - أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأنه إذا أمر فيهم بأمر فعليهم قبول ما أمر به ، ولا اختيار لهم إلا ما اختار رسولهم لهم " (٣) . وهكذا فإنه لا ينبغي من فتنه الشبهات إلا بتجريد اتباع الرسول - ﷺ - وتحكيمه في كل الأمور ، فيتلقى عنه الدين ، ولا يجعل رسولاً في شيء دون شيء من أمور الدين ، بل رسول في كل شيء ، فلا يتلقى إلا عنه ولا يؤخذ إلا منه (٤) .

بل إن مقصود الشريعة إخراج المكلف من هواه ليكون عبداً لله تعالى . قال الشاطبي - رحمه الله تعالى - : " المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً ، كما هو عبد لله اضطراراً " (٥) وقال ابن عاشور - رحمه الله تعالى - : " إن بعثة الرسل القصد منها كبح الأنفس عن كثير من هواها الموقع لها في الفساد عاجلاً ، والخسران آجلاً ، ولولا ذلك لترك الناس وما يهون ، فالشرائع مشتملة لا محالة على كثير من منع النفوس من هواها " (٦) .

(١) مجمع الزوائد - الهيتمي ، كتاب المغازي والسير ، باب ( غزوة الخندق وقرينة ) ١٩١/٦ رقم : ١٠١٤١ .

(٢) شرح السنة - الربھاري ٦٨ .

(٣) الشريعة - الآجري ٤١٤ .

(٤) انظر إغائة اللھفان - ابن القيم ٢٣٩/٢ .

(٥) الموافقات - الشاطبي ١٢٨/٢ و ١٦١/٤ .

(٦) التحرير والتنوير - ابن عاشور ٢٧٤/٦ .

وخلاصة القول : إن الاستسلام والانقياد لشرع الله ظاهراً وباطناً والإيمان الجازم بأن الأمر كله لله - ﷻ - مطلب ينبغي أن يوطن العاقل نفسه عليه ، وعلى مخالفة ما يضاده من الأهواء المختلفة .  
ولا شك في أن حمل النفس على التسليم والانقياد ، ومخالفة الهوى أمر يحتاج إلى صبر ومجاهدة ، وقد جاء في الحديث : " المجاهد من جاهد نفسه في سبيل الله - ﷻ - " (١) وجاء أن أباذر - ﷻ - قال : سألت رسول الله - ﷻ - أي الجهاد أفضل ؟ قال : " أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله - ﷻ - " (٢) .  
ولهذا لما سئل يحيى بن معاذ من أصح الناس عزمًا ؟ قال : الغالب لهواه " (٣) لما فيه من المشقة والعناء ، قال أبو العتاهية (٤) موصياً بمخالفة الهوى :

خالف هواك إذا دعاك لريبة      فلب خير في مخالفة الهوى  
علم المحجة بين لمريده      ورأي القلوب عن المحجة في عمى  
ولقد عجبت لهالك ونجاته      موجودة ولقد عجبت لمن نجى (٥) .

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : " وقد كان أهل الحزم يعودون أنفسهم مخالفة هواها ، وإن كان مباحاً ليقع التمرين للنفس على ترك الهوى مطلقاً " (٦) .

وأحسب أن النفس إذا ترسخت فيها مثل هذه المعاني الجليلة ، فإن ذلك سيكون - بإذن الله تعالى - حائلاً منيعاً لها من اتباع الهوى من ناحية ، ومن ناحية أخرى سيكون دافعاً قوياً لحسن الاتباع ، وهذا ما وقع للصحابة - رضي الله عنهم - ولمن خالفهم ، فأصحاب رسول الله - ﷻ - نموذج من المدعويين المستجيبين - انقادوا فانتفعوا ، وأتباع الباطل - نموذج للمدعويين غير المستجيبين - انقادوا واستجابوا لأهوائهم ، ولم ينتفعوا بمثل هذا البيان ، فتجارت بهم الأهواء ، وقذفتهم إلى حيث ألفت رحلها أم قشعم ، والإنسان على نفسه بصيرة .

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢٨/٦ رقم : ٢٣٩٥٨ .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢٤٩/٢ وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة - الألباني ٤٨٣/٣ رقم : ١٤٩٦ .

(٣) ذم الهوى - ابن الجوزي ٢٨ .

(٤) إسماعيل بن قاسم بن سويد العنزي مولاهم ، لقب بأبي العتاهية لاضطراب فيه ( ت : ٢١١ وقيل ٢١٣ هـ ) انظر سير أعلام النبلاء - الذهبي ١٩٥/١٠ رقم : ٤٣ والبداية والنهاية - ابن كثير ٢٧٧/١٠ ومداخل المؤلفين - فكري ٩٧٣/٢ .

(٥) ديوان أبي العتاهية ١٠ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط . د .

(٦) ذم الهوى - ابن الجوزي ٤٩ .

قال الفاروق - ؓ - : " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، وتزينوا للعرض الأكبر يوم تعرضون لا يخفى منكم خافية " (١) وبه ينبغي على المدعو أن يعلم أن كل نفس من أنفاس العمر كثر من الكنوز فإضاعته أو اشتراء صاحبها بها ما يجلب هلاكه خسران عظيم ، وسيظهر له حقيقة هذا الخسران - إن لم يغير ما بنفسه - يوم التغابن : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ﴾ (٢) .  
فمن تغافل عن حفظ نفسه وإصلاحها بحملها على الحق ومجانبتها للهوى ، فلا يلومن إلا نفسه ، وما ربك بظلام للعبيد .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/١١٥ رقم : ٣٤٤٤٨ .

(٢) سورة آل عمران / الآية ٣٠ وانظر إغاثة اللهفان - ابن القيم ١/١٣٣ .

## المطلب الثاني التحذير من اتباع مختلف الأهواء

إن المتأمل في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - ﷺ - يلحظ شدة الاعتناء بالتحذير من اتباع الهوى سواء أكان هوى النفس أم هوى الغير ، وكذا في كلام السلف الصالح - رضي الله عنهم - بل كثر التحذير منه لقدوة الخلق وإمامهم - ﷺ - مما يبين خطورة هذا الأمر ، وضرورة التنبه له وعدم الغفلة عنه ، وهذا مما يكون لدى العاقل حاجزاً منيعاً يمنع من الدنو والاقتراب من حمأة الهوى ورذيلته .

وكما أن الله تعالى حث على كل ما من شأنه أن يلزم العبد درب الاستقامة والثبات على الحق من الأمر باتباع كتابه العزيز ، والأخذ عن رسوله الكريم - ﷺ - وطاعته ومتابعته ، فكذلك حذر من كل ما من شأنه أن يصرف عن الحق .

قال الله - ﷻ - : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١) فالسبيل القصد : هو طريق الحق ، وما سواه جائر عن الحق أي عادل عنه ، وكفى بالجائر أن يحذر منه ، فالمساق يدل على التحذير والنهي (٢) كما حذر تعالى من العدول عن سبيل المؤمنين الذي هو امتداد لمسلك الرسول - ﷺ - وبين أن الفتنة كل الفتنة في مخالفته - ﷺ - ، فقال - ﷺ - : ﴿ وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ (٤).

وفي تقرير هذا الأمر قال الآجري - رحمه الله تعالى - : " هذا في القرآن كثير في نيف وثلاثين موضعاً أوجب طاعة رسوله - ﷺ - وقرنها مع طاعته - ﷺ - ثم حذر خلقه مخالفة رسوله - ﷺ - وأن يجعلوا أمر نبيه - إذا أمرهم بشئ أو نهاهم عن شئ - كسائر الخلق ، وأعلمهم عظيم ما يلحق من خالفه من الفتنة التي تلحقه " (٥).

(١) سورة النحل / الآية ٩ .

(٢) انظر الاعتصام - الشاطبي ٥٩/١ .

(٣) سورة النساء / الآية ١١٥ .

(٤) سورة النور / جزء من الآية ٦٣ .

(٥) الشريعة - الآجري ٤٠٩ .

ونجد أن المصطفى - ﷺ - بين لأصحابه ولأمته من بعده طريق القصد ، وحذرهم الجائر من الطرق ، فعن عبد الله بن مسعود - ﷺ - قال : خط لنا رسول الله خطأ ، ثم قال : " هذه سبل على كل سبل منها شيطان يدعو إليها ، ثم تلا : ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (١)(٢)

قال أبو العالية - رحمه الله تعالى - : " تعلموا الإسلام ، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه ، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام ، ولا تحرفوا عن الصراط يمينا ولا شمالاً ، وعليكم بسنة نبيكم - ﷺ - والذي عليه أصحابه - رضي الله عنهم - .. وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء " (٣) .  
ومن جهة أخرى يلحظ التحذير والنهي عن صورا فالحق وأسبابها - والتي من أخطرها اتباع الهوى - وبنيات الطريق ، وقد أخبر - ﷺ - بوقوع الأهواء وتجاريها بالأمة حين قال : " وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه " (٤) وقال - ﷺ - " فيمن أبى القسمة : " إن من ضئضى هذا قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية " (٥) .

فحذر في غير ما موضع من الإخلاد إلى الأرض وزخرفها والاعتزاز بزهرتها ، ومن اتباع خطوات الشيطان ووسوسته ، كما حذر من سئى الصفات والأعمال التي ربما يتخلق بها العبد كالكبر والحسد ونحوهما .

(١) سورة الأنعام / جزء من الآية ١٥٣ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤٨٢/١ رقم : ٣٦٥١ قال أحمد شاكر : استاده صحيح ، انظر المسند - شاكر ٢٣٧/٥ رقم : ٣٦٥٢ . وأخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة ، باب ( ٢٢ ) ٥٤٨/٤ رقم : ٢٤٥٤ قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح وأخرجه الدارمي في سننه واللفظ له ، باب ( كراهية أخذ الرأي ) ٧٨/١ رقم : ٢٠٢ وقال عنه الألباني صحيح ، انظر صحيح سنن الترمذي ٢٩٨/٢ رقم : ١٩٩٦ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - اللالكائي ١٥٤/١ رقم : ٣١٥ .

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب ( شرح السنة ) ١٩٨/٤ رقم : ٤٥٩٧ قال الألباني : حسن ، انظر صحيح سنن أبي داود ٨٦٩/٣ رقم : ٣٨٤٣ وورد في كتاب الحج في بيان الحج - الأصبهاني ٢٩٥/١ رقم : ١٥٨ ، والكلب داء يعرض للإنسان من عضة الكلب ، وهو داء عظيم إذا تجارى بالإنسان نمادى وهلك . انظر معالم السنن - الخطابي ٢٧٣/٤ .

(٥) أخرجه مسلم واللفظ له في كتاب الزكاة ، باب ( ذكر الخواارج وصفاتهم ) ٧٤١/٢ جزء من رقم : ١٠٦٤ وأخرجه البخاري في كتاب ما جاء في تفسير القرآن ، باب ( قوله : والمولفة قلوبهم .. ) ١٢٨/٦ رقم : ١٨٧ .

قال الله تعالى : ﴿ فلا تغفرونكم الحياة الدنيا ﴾ (١) والمعنى : " لا يغفركم ما في الدنيا من زينتها وزهوتها فتركوا إليها وتطمئنوا بها ، وتركوا الآخرة والعمل لها " (٢).

قال ابن بطال - رحمه الله تعالى - : " فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فنتتها ، فلا يطمئن إلى زخرفها ولا ينافس غيره فيها " (٣) قال مالك بن دينار - رحمه الله تعالى - : " اتقوا السحارة ، فإنها تسحر قلوب العلماء ، يعني الدنيا " (٤) فكيف بغيرهم !؟ .

وقال تعالى في شأن التحذير من الشيطان : ﴿ يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان ﴾ (٥) وقد بين المصطفى - ﷺ - أن الشيطان قعد لابن آدم بأطرق الخير ، فكلما سلك سبيلاً منها سعى لصرفه عنه (٦).

كما حذر منه ببيان أعماله وسبله التي يسلكها لإغواء البشر ومنها على وجه الإجمال : الوسوسة والتزيين والاستزلال والاستحواذ والاستحراء والنزغ والاجلاب والتبذير والصد عن الخير والنسيان لذكر الله والإغواء والتحريش والأز والأمر بالفحشاء والمنكر وإيقاع العداوة .. .

كل ذلك وغيره كثير ليحذر العبد من كل ما يوصله إلى اتباع الهوى .

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى : " فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان

عداوته من زمن آدم - عليه السلام - وقد بذل عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم " (٧).

وقد كان رسول الله - ﷺ - يدعو ربه أن يعيده من هذه الأهواء ، وأن يجنبه إياها ، فكان يقول : " اللهم

إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء " (٨) وأوصى - ﷺ - الصديق بأن يستعيذ بالله

(١) سورة لقمان / جزء من الآية ٣٣ .

(٢) بحر العلوم - السمرقندي ٢٦/٣ .

(٣) فتح الباري - ابن حجر ٢٩٥/١١ ، ولهذا نجد أن الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - بوب باباً بعنوان " باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها " صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ١٦١/٨ .

(٤) إحياء علوم الدين - الغزالي ١٨١/٣ .

(٥) سورة الأعراف / جزء من الآية ٢٧ .

(٦) انظر المسند - أحمد ٦٣٤/٣ رقم : ١٥٩٣٨ .

(٧) تلييس إبليس - ابن الجوزي ٣٣ .

(٨) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب ( دعاء أم سلمة ) ٥٣٦/٥ رقم : ٣٥٩١ قال الألباني : صحيح ، انظر صحيح سنن

الترمذي ١٨٤/٣ رقم : ٢٨٤٠ .

من شر النفس والشيطان ، فأمره أن يقول " .. أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه " (١) .  
قال علي - ؓ - محذراً من تحكيم الشهوات ، ومبيناً سوء عاقبتها : " إياكم وتحكيم الشهوات ، فإن عاجلها  
ذميم ، وآجلها وخيم " (٢) وقال ميمون بن مهران (٣) - رحمه الله تعالى - : " إياكم وكل هوى يسمى  
بغير الإسلام " (٤) .

ومعلوم أن الهوى المنهي عن اتباعه كما هو هوى النفس ، فكذلك هوى الغير ، قال ابن القيم - رحمه الله  
تعالى - : " والهوى المنهي عن اتباعه كما يكون هو هوى الشخص في نفسه ، فقد يكون أيضاً هوى غيره  
فهو منهي عن اتباع هذا وهذا ؛ لمضادة كل منهما لهدى الله الذي أرسل به رسله ، وأنزل به كتبه " (٥) .  
ولذا نجد أن نصوصاً كثيرة في كتاب الله - ﷻ - قد تواردت وتضافرت للتحذير من اتباع أهواء الآخرين  
وأهواء الذين لا يعلمون من أهل الكتاب وغيرهم ، وسواء أكان ذلك النهي مختص ببعض الأمور كالحكم  
ونحوه أم على وجه العموم .

قال الله - ﷻ - : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى  
ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير ﴾ (٦) .  
ففي هذا " تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعدما علموا من القرآن والسنة  
عباداً بالله من ذلك ، فإن الخطاب مع الرسول - ﷺ - والأمر لأمرته " (٧) فقد حذر تعالى نبيه عن اتباع

(١) أخرجه أحمد في المسند - شاكر ١٧٥/١ رقم : ٥١ قال أحمد شاكر : اسناده صحيح ، انظر المرجع السابق .

(٢) أدب الدنيا والدين - الماوردي ٥٥ .

(٣) ميمون بن مهران الرقي أبوأيوب عالم أهل الجزيرة (ت : ١١٧ هـ) انظر تذكرة الحفاظ - الذهبي ٩٨/١ رقم : ٩١ .

(٤) الإبانة - ابن بطة ٣٥٤/١ رقم : ٢٣٥ .

(٥) إغاثة اللهفان - ابن القيم ١٩٤/٢ .

(٦) سورة البقرة / الآية ١٢٠ .

(٧) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ١٥٥/١ .

أهوائهم ، ونبه أن اتباع الهوى بعد التحقق بالعلم يدخل متحريه في جملة الظلمة ، وقد أكثر الله تحذيره من الجنوح إلى الهوى حتى كرر ذلك في عدة مواضع " (١) .

قال ابن عاشور - رحمه الله تعالى - في الآية : " تحذير لكل من تلقى الإسلام أن لا يتبع بعد الإسلام أهواء الأمم الأخرى " (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (٣) .

قال السعدي - رحمه الله تعالى - : " كرر النهي عن اتباع أهوائهم لشدة التحذير منها " (٤) ففي ما ذكر تأكيد الترغيب في الإذعان للحق ، وتشديد التحذير عن الزيف ما لا يخفى (٥) .

وقد ورد تحذير أهل الكتاب أنفسهم بأن لا يتبعوا أهواء أسلافهم ، فقال - ﷺ - : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (٦) .

قال محمد جمال الدين القاسمي - رحمه الله تعالى - : " والخطاب لليهود والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله - ﷺ - نهوا عن اتباع أسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة بأهوائهم " (٧) .

كما جاء شدة التحذير من المنافقين ، وأنهم هم العدو ، كما قال تعالى : ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٨) قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " ومثل هذا اللفظ يقتضي الحصر ، أي لا عدو

(١) محاسن التأويل - القاسمي ٣٠٤/٢ . وأشار الراغب بقوله : " وقول من قال : الخطاب للنبي ﷺ والمعني به الأمة فلا معنى لتخصصه فإن الله يحذر نبيه من اتباع الهوى أكثر مما يحذر غيره ، فذو المنزلة الرفيعة إلى تحذير الإنذار عليه أحوج حفظاً لمنزلته وصيانة لمكاته " قال القاسمي : وهو كلام نفيس جداً . المرجع السابق .

(٢) التحرير والتنوير - ابن عاشور ٦٩٥/١ .

(٣) سورة المائدة / جزء من الآية ٤٩ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن - السعدي ٣٠٢/٢ .

(٥) انظر محاسن التأويل - القاسمي ٢٣٤/٦ .

(٦) سورة المائدة / الآية ٧٧ .

(٧) المرجع السابق ٣٢٦/٦ .

(٨) سورة المنافقون / جزء من الآية ٤ .



إلا هم ، ولكن لم يرد هنا حصر العداوة فيهم ، وأنهم لاعدو للمسلمين سواهم ، بل هذا من إثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف ، وأنه لا يتوهم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهراً وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم ، بل هم أحق بالعداوة ممن يابنهم في الدار ، ونصب لهم العداوة وجاهرهم بها " (١) فهم الكاملون في العداوة (٢) وفي هذا ما فيه من التحذير منهم .

وخلاصة القول : إن التحذير من اتباع شتى الأهواء ومن اتباع أصحابها الذين هم لها ناشرون ومن اتباع كل سبب يوصل إليها أمر من شأنه أن يصون العبد ويقيه من الوقوع في حماة الأهواء والتعرض لآثارها المختلفة .

ولعل مما يعين المدعو في هذا الجانب أيضاً أن يتذكر المدعو عواقب اتباع الهوى وآثاره السيئة ، وذلك بالنظر إلى ما أصاب متبعي الهوى وحل بهم ، عسى ذلك أن يزيد من الحذر ، فتحصل السلامة - بإذن الله تعالى - ابتداء فكم قد أفات اتباع الهوى من فضيلة ، وكم قد أوقع في رذيلة ، وكم أكلة منعت أكالات ، ولذة فوتت لذات ، وكم من زلة أوجبت انكسار جاه وقبح ذكر مع إثم ، غير أن عين صاحب الهوى عمياء (٣) .

(١) طريق المحرتين - ابن القيم ٦٦٢ .

(٢) انظر فتح القدير - الشوكاني ٣٢٤/٥ .

(٣) انظر ذم الهوى - ابن الجوزي ٢٠ وروضة المحبين - ابن القيم ٤٧٢ .

## المطلب الثالث سد الذرائع المفضية إلى اتباع الهوى

إن العاقل كلما ابتعد عن الفتنة وأسبابها كلما كان في مأمن من الوقوع فيها ، ولا يتأتى هذا لمن يرتع حول حمى لا يحل له ولوجه والإقامة فيه ، بل فاعل هذا الصنيع يوشك أن يرتع ويقع فيه .  
ومن تأمل الشريعة المطهرة وجدها قد أتت بسد الذرائع المفضية إلى مالا تحمد عقباه .

جاء في الحديث : " فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه " (١) ففي هذا " إشارة إلى أنه ينبغي التبعاد عن المحرمات ، وأن يجعل الإنسان بينه وبينها حاجزاً " (٢) .

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : " اعلم أن القلب في أصل الوضع سليم من كل آفة ، والحواس الخمس توصل إليه الأخبار ، فترقم في صفحته ، فينبغي أن يستوتق من سد الطرق التي يخشى عليه منها الفتن " (٣) .

ومما يوضح هذا الجانب ويبينه ما يلي :

لقد رسم الإسلام فهماً فريداً للدعاة وللمدعوين فيما يعينهم على حفظ دينهم ، ومن ذلك الحث على صحبة الصالحين الأخيار ومجالستهم ، قال تعالى : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ﴾ (٤) والمعنى : " أي اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشياً من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء ، أو أقرباء أو ضعفاء " (٥) .

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة ، باب ( أخذ الحلال وترك الشبهات ) ١٢١٩/٣ جزء من رقم : ١٥٩٩ وأخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب ( فضل من استبرأ لدينه ) ٣٥/١ رقم : ٥١ .

(٢) جامع العلوم والحكم - ابن رجب ٢٠٨/١ .

(٣) ذم الهوى - ابن الجوزي ٥٦ .

(٤) سورة الكهف / جزء من الآية ٢٨ .

(٥) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٧٩/٣ .

كما حذر - ﷺ - في مقابل ذلك من صحبة الأشرار والقعود معهم ، فقال - ﷺ - : ﴿ فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ (١) وذلك لسابق علم الله - ﷻ - بما فطرت عليه النفس البشرية من سرعة التأثر سلباً أو إيجاباً بالمجتمع الذي تعيش فيه (٢).

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : " وينبغي أن يعلم أن الطبع لص فإذا ترك مع أهل هذا الزمان سرق من طبائعهم ، فصار مثلهم ، فإذا نظر في سير القدماء زاحمهم وتأدب بأخلاقهم " (٣) وكذا أهل الخير والعلم والصلاح ممن في عصره .

وقد حذر المصطفى - ﷺ - من الذين يتبعون المتشابه بغية التلبيس والإضلال ، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : تلا رسول الله - ﷺ - هذه الآية : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ... - إلى قوله : أولوا الألباب ﴾ (٤) قالت : قال رسول الله - ﷺ - : " فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم " (٥).

قال النووي - رحمه الله تعالى - : " وفي الحديث التحذير من مخالطة أهل الزيغ وأهل البدع ، ومن يتبع المشكلات للفتنة " (٦).

ولا شك في أن مخالطة أهل الأهواء ومجالستهم ذريعة موصلة إلى اتباع الأهواء ، ولهذا ولغيره حذر السلف من ذلك :

(١) سورة الأنعام / جزء من الآية ٦٨ .

(٢) انظر موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع - د. إبراهيم بن عامر الرحيلي ٥٢٩/٢ ، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة ، ط : الأولى : ١٣١٥ هـ .

(٣) ذم الهوى - ابن الجوزي ٥٦ .

(٤) سورة آل عمران / جزء من الآية ٧ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب ( منه آيات محكمات ) ٧١/٦ رقم : ٦٩ وأخرجه مسلم في كتاب العلم ، باب ( النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه .. ) ٢٠٥٣/٤ رقم : ٢٦٦٥ .

(٦) شرح صحيح مسلم - النووي ٤٥٩/١٦ وانظر فتح الباري - ابن حجر ٢٦٧/٨ .

فقد جاء عن ابن عباس - ؓ - : " لا تجالس أهل الأهواء ، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب " (١) وكان يقال : " لا تجالس صاحب زيغ ، فيزيغ قلبك " (٢) .

ويزيد الأمر تأكيداً ما جاء في حديث عمران بن حصين - ؓ - قال : قال رسول الله - ﷺ - : " من سمع بالدجال فليأمنه ، فوالله إن الرجل ليأتميه ، وهو يحسب أنه مؤمن ، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث به من الشبهات " (٣) .

ولأبي عبد الله بن بطة العكبري على هذا الحديث تعليق حسن حيث قال - رحمه الله تعالى - : " هذا قول الرسول - ﷺ - وهو الصادق المصدوق ، فالله الله معشر المسلمين لا يحملن أحداً منكم حسن ظنه بنفسه وما عهده من معرفته بصحة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء " (٤) .

والمقصود بهذا أن " يهجر قرناء السوء الذين تضر صحبتهم إلا الحاجة أو مصلحة راجحة " (٥) .

ومن ذلك أيضاً نهي - ﷺ - عن الذرائع التي توجب الاختلاف والتفرق والعداوة والبغضاء (٦) نحو قوله - ﷺ - : " دعوني ما تركتكم إنما هلك من كان قبلكم بسؤاهاهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم " (٧) " فأمرهم - ﷺ - بالإمساك عما لم يؤمروا به معللاً : بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال ، ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية " (٨) ؛ إذ إن

(١) الشريعة - الآجري ٦١ وانظر الإبانة - ابن بطة ٤٣٨/٢ رقم : ٣٧١ وما بعده .

(٢) الإبانة - ابن بطة ٤٣٦/٢ رقم : ٣٦٦ .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم ، باب ( خروج الدجال ) ١١٦/٤ رقم : ٤٣١٩ قال الألباني : صحيح . انظر صحيح سنن أبي

داود ٨١٤/٣ رقم : ٣٦٢٩ ومشكاة المصابيح ١٥١٥/٣ رقم : ٥٤٨٨ .

(٤) الإبانة - ابن بطة ٤٧٠/٢ رقم : ٤٧٥ .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع ابن قاسم ٢١٦/٢٨ .

(٦) انظر إغاثة اللهفان - ابن القيم ٥٤٧/١ .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ( الاقتداء بسنن الرسول ﷺ ) ١٧٠/٩ رقم : ٥٩ وأخرجه مسلم في

كتاب الحج ، باب ( فرض الحج مرة في العمر ) ٩٧٥/٢ رقم : ١٣٣٧ .

(٨) اقتضاء الصراط المستقيم - ابن تيمية ١٣٦/١ .

من أعظم أسباب الافتراق كثرة السؤال والاختلاف على الرسل - عليهم الصلاة والسلام - بمخالفتهم بترك ما جاءوا به أو مخالفته " (١) .

والاختلاف يجر إلى عدم الانقياد (٢) .

ومن ذلك أنه - ﷺ - : " نهى عن قتال الأمراء والخروج على الأئمة ، وإن ظلموا وجاروا ما أقاموا الصلاة سداً لذريعة الفساد العظيم والشر الكبير بقتالهم " (٣) .

قال الطحاوي (٤) - رحمه الله تعالى - : " ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا ، وإن جاروا ، ولا ندعو عليهم ، ولا ننزع يداً من طاعتهم ، ونرى طاعتهم من طاعة الله - ﷻ - فريضة ، ما لم يأمروا بمعصية ، وندعو لهم بالصلاح والمعافة " (٥) .

قال ابن عباس - ﷺ - : " أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قلبهم بالمرء والخصومات في دين الله " (٦) .

وقد أشار إلى هذين الأمرين - مجالسة أهل الأهواء وكثرة السؤال - ابن بطة - رحمه الله تعالى - حين قال : " اعلّموا إخواني أنني فكرت في السبب الذي أخرج أقواماً من السنة والجماعة ، واضطّروهم إلى البدعة والشناعة ، وفتح باب البلية على أفئدتهم ، وحجب نور الحق عن بصيرتهم ، فوجدت ذلك من وجهين :

أحدهما - البحث والتنقيح وكثرة السؤال عما لا يعني ولا يضر العاقل جهله ، ولا ينفع المؤمن فهمه

(١) انظر الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام - النشأة والأسباب - د. ناصر العقل ١١٧ .

(٢) انظر فتح الباري - ابن حجر ٣٣٢/١٣ .

(٣) إغانة اللهفان - ابن القيم ٥٤٨/١ .

(٤) أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الطحاوي ، نسبة إلى قرية بصعيد مصر ، الفقيه الحنفي أحد الثقات الأثبات والحفاظ الجهابذة ، صاحب التصانيف المفيدة ومنها : معاني الآثار وأحكام القرآن وغيرها ( ت : ٣٢١ هـ ) انظر البداية والنهاية - ابن كثير ١٨٦/١١ والإشارة إلى وفيات الأعيان - النهي ١٥٨ .

(٥) من العقيدة الطحاوية - الطحاوي ١٧ رقم : ٧٢ ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض ، ط ١٤٠٤ هـ .

(٦) جامع البيان - ابن جرير ٢٢٩/٥ .

والآخر - مجالسة من لا تؤمن فتنته ، وتفسد القلوب صحبته " (١).

قال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - : " أصول السنة عندنا : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله - ﷺ - والافتداء بهم ، وترك البدع ، وكل بدعة فهي ضلالة ، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء وترك المرء والجدال والخصومات في الدين " (٢).

وقال الربهاري - رحمه الله تعالى - : " واعلم رحمك الله لو أن الناس وقفوا عند محدثات الأمور ، ولم يتجاوزها بشئ ، ولم يولدوا كلاماً مما لم يجئ فيه أثر عن رسول الله - ﷺ - ولا عن أصحابه لم تكن بدعة " (٣).

ومن ذلك أيضاً ما جاء من النهي عن التشبه بأهل الكتاب وغيرهم من الكفار في غير ما موضع ، وأضرب مثلاً بيبين المراد :

لما نزلت على رسول الله - ﷺ - : ﴿لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ (٤) اشتد ذلك على الصحابة - رضي الله عنهم - فأتوا رسول الله - ﷺ - وشكوا إليه إلى ما يجدون ، وأنهم لا يطيقون تحمل هذه الآية ، فقال لهم رسول الله - ﷺ - : " أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا ، بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير " (٥) فاستجابوا سامعين طائعين رضي الله عنهم أجمعين .

" فحذرهم النبي - ﷺ - أن يتلقوا أمر الله بما تلقاه أهل الكتابين " (٦).

(١) الإبانة - ابن بطة ٣٩٠/١ . وما يستأنس به في هذا الصدد ما روي في ترجمة عمران بن حطان مادم ابن ملجم قاتل علي عليه السلام : من أنه كان على السنة ، فجالس غلاماً من أهل عمان فقلبه في مجلس ، وقيل زوجته كانت على رأي الخوارج ، فتزوجها لقلبها فقلبه وصرفته إلى منهيها . انظر ميزان الاعتدال - النهي ٢٣٥/٣ رقم : ٦٢٧٧ والإصابة - ابن حجر ١٨١/٥ رقم : ٦٨٦٩ والإبانة - ابن بطة ٤٧٠/٢ رقم : ٤٧٧ وينحوه ما يروي عن حمدان بن قمرط المنسوب إليه القرامطة من أنه كان رجلاً مائلاً إلى الزهد ، فصادفه أحد دعاة الباطنية ، فجالسه ولازمه حتى علمه فنون جهله ، ثم انتدب بعد ذلك للدعوة ، وصار أصلاً من أصول هذه البدعة ، فسمي أتباعه القرامطة . انظر الاعتصام - الشاطبي ١٥٧/١ وتبليس إبليس - ابن الجوزي ١٢٧ .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - اللالكائي ١٥٦/١ رقم : ٣١٧ .

(٣) شرح السنة - الربهاري ١٠٨ رقم : ١١٠ .

(٤) سورة البقرة / جزء من الآية ٢٨٤ .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب ( بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق ) ١١٥/١ جزء من رقم : ١٢٥ .

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم - ابن تيمية ١٥٤/١ .

بل لقد غضب - ﷺ - على الفاروق - ﷺ - حين رأى في يده نسخة من التوراة ، فعن جابر - ﷺ - أن عمر بن الخطاب - ﷺ - أتى رسول الله - ﷺ - بنسخة من التوراة ، فقال : يا رسول الله هذه نسخة من التوراة فسكت ، فجعل يقرأ ، ووجه رسول الله - ﷺ - يتغير ، فقال أبو بكر - ﷺ - : ثكلتك الثواكل ، ما ترى بوجه رسول الله - ﷺ - فنظر عمر - ﷺ - إلى وجه رسول الله - ﷺ - فقال : أعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسوله ، رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمد نبياً ، فقال رسول الله - ﷺ - : " والذي نفس محمد بيده ، لو بدا لكم موسى ، فاتبعتموه وتركتموني لضللتكم عن سواء السبيل ، ولو كان حياً وأدرك نبوتي لاتبعني " (١) .

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " ونهى عن التشبه بأهل الكتاب وغيرهم من الكفار في مواضع كثيرة ؛ لأن المشابهة الظاهرة ذريعة إلى الموافقة الباطنة " (٢) .

وقال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " وقد بسطنا هذه القاعدة في اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الحجيم ، وبيننا أن المشابهة في الأمور الظاهرة تورث تناسباً وتشابهاً في الأخلاق والأعمال ، ولهذا نهينا عن مشابهة الكفار " (٣) .

وقال مرعي الحنبلي - رحمه الله تعالى - : " وإنما نهت الشريعة عن التشبه بمن ارتكب خلاف الشرع ؛ لأنه كلما كانت المشابهة أكثر كانت التفاعل في الصفات والأخلاق أتم وأكمل ، حتى يؤول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط ، وهذا أمر محسوس في بني آدم ، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة والمشاكله " (٤) .

ومن ذلك أيضاً النهي عن قربان الفواحش ومخالطة أسبابها ودواعيها ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٥) .

(١) أخرجه الدارمي في باب ما يتقى من تفسير حديث النبي ﷺ وقول غيره عند قوله ١٢٦/١ رقم : ٤٣٥ قال الألباني : والحديث حسن عندي لأن له طرقاً كثيرة . انظر مشكاة المصابيح ٦٣/١ رقم : ١٧٧ ، ١٩٤ .  
(٢) إغاثة اللهنان - ابن القيم ٥٣٨/١ وانظر اقتضاء الصراط المستقيم - ابن تيمية ١٥٩/١ .  
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع ابن قاسم ١٥٤/٢٢ .  
(٤) مسبوك الذهب - مرعي الحنبلي ٦٨ .  
(٥) سورة الإسراء / الآية ٣٢ .

والنهي ههنا " عن قربانه بمباشرة مقدماته نهى عنه بالأولى ، فإن الوسيلة إلى الشيء إذا كان حراماً كان المتوسل إليه حراماً " (١) ففيه " مبالغة في النهي عن نفسه ؛ ولأن قربانه داع إلى مباشرته " (٢) .

قال ابن عاشور - رحمه الله تعالى - : " فكان جديراً بتغليظ التحريم قصداً وتوسلاً " (٣) .

كما نهى سبحانه وتعالى النساء أن ﴿ يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ (٤) " فلما كان الضرب بالرجل ذريعة إلى ظهور صوت الخلل الذي هو ذريعة إلى ميل الرجال إليهنّ نهين عنه " (٥) .

" ولما كان إطلاق البصر سبباً لوقوع الهوى في القلب ، أمرك الشرع بغض البصر عما يخاف عواقبه " (٦) .

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : " فاحذر رحمك الله من أن تتعرض بسبب البلاء ، فبعيد أن يسلم مقارب الفتنة منها ، وكما أن الحذر مقرون بالنجاة ، فالتعرض بالفتنة مقرون بالعطب " (٧) .

وختاماً أحسب أن الأخذ بهذا الأمر من شأنه أن يصون العبد وبقية من الوقوع في اتباع الهوى ، وبالجملة فالمحرمات قسمان مفسد وذرائع موصلة إليها مطلوبة الإعدام ، كما أن المفسدات مطلوبة الإعدام ، ومن تأمل الشريعة رآها قد أبطلت على أصحاب الحيل مقاصدهم وقابلتهم بنقيضها ، وسدت عليهم الطرق التي فتحوها للتحيل الباطل ، والشارع - عز وجل - حرم الذرائع وإن لم يقصد بها المحرم لإفضائها إليه (٨) .

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن - صديق بن حسن خان ٣٨٥/٧ .

(٢) إرشاد العقل السليم - أبو السعود ١٦٩/٥ .

(٣) التحرير والتنوير - ابن عاشور ٩١/١٥ . وهذا الأمر كما أنه في الإسلام فهو أيضاً عند أهل الكتاب مقرر في كتبهم ، ففي الديانة اليهودية والنصرانية بالإضافة إلى تحريم الزنا جاء تحريم الاقتراب من السبل المؤدية إليه كالنظر ونحوه . انظر التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي - د. فضل الهي ٢٧ ، ٣٣ . الكتب الإسلامي - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٣ هـ .

(٤) سورة النور ، جزء من الآية : ٣١ .

(٥) إغائة اللهفان - ابن القيم ٥٣٧/١ .

(٦) ذم الهوى - ابن الجوزي ٧٣ .

(٧) المراجع السابق ١٢٦ .

(٨) انظر إغائة اللهفان - ابن القيم ١/٥٢٦ - ٥٤٩ .



## المبحث الثاني الهدي النبوي في علاج المدعو من اتباع الهوى المطلب الأول مناصحة أهل الأهواء وبيان الحق لهم

إن بذل الجهد في مناصحة أهل الأهواء وبيان الحق لهم أمر مطلوب ، بل لقد أمر الله - ﷻ - المؤمنين أن يقولوا الحق ويبينوه للناس ؛ ليرضوا به الله - ﷻ - ، ولتقوم به الحججة على المخالفين ، وتحصل الهداية والرجعة لمن وفقه الله لذلك ، بل أمر الله نبيه - ﷺ - بذلك حين قال : ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ﴾ (١) " فأمره سبحانه أن يدعو إلى دينه وكتابه ، وأن يستقيم في نفسه كما أمره " (٢) . وهذا " من أعظم نعم الله على عباده وأشرف منته عليهم ، أن أرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه وبين لهم الصراط المستقيم ، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام وأشر حالاً منها " (٣) . وقد بلغ رسولنا - ﷺ - البلاغ المبين وأتار الطريق للسالكين ، ولم يدخر وسعاً في مناصحة ودعوة الناس أجمعين .

وإذا " كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي - ﷺ - فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به ، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه ، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم " (٤) بل ومنهم من يظن أن الطباع ثابتة مستقرة لا يمكن تغييرها بحال ، فيسوغ لنفسه ولغيره دوام الحال ، ولا شك في أن هذا زعم باطل يردده الشرع والعقل والحس ، فقد بين الله - ﷻ - حال أقوام كانوا من الكفرة المعاندين ، والبغاة المارقين ، وإذا بهم بين عشية وضحاها ينقلبون هداة مهديين كسحرة فرعون ، وكعدد من الصحابة الذين كانوا خصوماً ألداء مثل الفاروق - ﷺ - وإذا به من أعظم حماة الدين ودعاته ، وكذا غيره من الخلق ، بل أمة العرب تحولت من وأد

(١) سورة الشورى / جزء من الآية ١٥ .

(٢) شفاء العليل - ابن القيم ١١٧ .

(٣) لواعج الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدررة المضية في عقيدة الفرقة المرضية - السفاريني ٢٦١/٢ ، المكب الإسلامي -

بيروت ، ط : الثالثة : ١٤١١ هـ .

(٤) زاد المعاد - ابن القيم ٦٩/١ .

البنات وعبادة الأصنام وتقطيع الأرحام وحروب لايسر الأسباب ، إلى أمة عابدة رحيمة واصلة لا تقاقل إلا في سبيل الله (١) وإلى وقتنا الحالي ، فكم يسمع المرء بهداية أقوام وضلال آخرين ؟ .

قال أبو حامد الغزالي - رحمه الله تعالى - : " لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير ، لبطلت الوصايا والمواظب والتأديبات .. وكيف ينكر هذا في حق الآدمي ، وتغيير خلق البهيمة ممكن " (٢) وبهذا يتبين أنه بالإمكان معالجة الإنسان مما يقع فيه من اتباع مختلف الأهواء .

والناس في قبول العلاج متفاوتون ، إذ منهم من يأخذ بأسباب الوقاية ابتداءً ، ومنهم من يقع في الداء ابتداءً معرضاً عن كل واق ، وهنا أيضاً يتفاوت الخلق ، فمنهم من ينتفع بما يقدم إليه من دعوة ونصيحة تحمل في طياتها تبياناً للحق وإحماداً للباطل ، ومنهم من لا ينتفع إلا بالاحتساب وشدة الإنكار عليه ، ومنهم من لا يرتدع إلا بإقامة علم الجهاد ، وقمع راية الزيغ والكفر والعناد .  
ومما يوضح المقصود ما يلي :

لقد كان رسول الله - ﷺ - حريصاً كل الحرص على هداية الخلق ، ونقلهم من دركات الغواية إلى درجات الهداية ، بل لقد كان يتحسر على من لم يجب دعوته ونصيحته ، قال تعالى : ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ﴾ (٣) .

والمعنى : " أي لا تأسف عليهم ، بل أبلغهم رسالة الله ، فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تذهب نفسك عليهم حسرات " (٤) .

قال ابن عباس - ﷺ - في بيان سبب نزول الآية : " اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبوجهل بن هشام والنضر بن الحارث وأمية بن خلف والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأبوالبخري في نفر من قريش

(١) انظر دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي وسبل علاجها - عبدالرحمن الملاحي ٢٨٦ ، دار عالم الكتب - الرياض ، ط : الأولى :

١٤١٤ هـ .

(٢) إحياء علوم الدين - الغزالي ٤٨/٣ .

(٣) سورة الكهف / الآية ٦ .

(٤) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٧١/٣ .

وكان رسول الله - ﷺ - قد كبر عليه ما يرى من خلاف قومه إياه ، وإنكارهم ما جاء به من النصيحة فأحزنه حزناً شديداً ، فأنزل الله ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم ﴾ " (١) .

وقد بين المصطفى - ﷺ - شدة حرصه على إبعاد أمته مما يضرها بأروع مثال ، وذلك حين قال : " مثلي ومثلكم ، كمثل رجل أوقد ناراً ، فجعل الجنادب (٢) والفراش يقعن فيها ، وهو يذبهن عنها ، وأنا آخذ بمحجزكم عن النار ، وأنتم تفلتون من يدي " (٣) فرسول الله - ﷺ - قد بذل شتى السبل لنصح الخلق وبيان الحق لهم ، إذ تارة تجده يغشى الناس في أماكنهم وفي منازلهم ، وحيناً تراه - ﷺ - يغدق بالعتاء والثناء ولين الجانب تأليفاً وتقريباً ، وحيناً يرسل كتبه ورسله إلى أنحاء المعمورة ، كل ذلك لإبلاغ الحق وإسداء النصح ، ولتقوم حجة الله على المخالفين المعاندين .

وحينما ننظر إلى سيرته العطرة - ﷺ - نجد مصداق ذلك ، فقد جاء أنه - ﷺ - كان يغشى الناس في أسواقهم وفي منازلهم . معنى ، ولم يكن هذا أمراً نادراً ، بل استمر على هذا الصنيع لمدة عشر سنين .

فعن جابر بن عبد الله - ﷺ - : " أن النبي - ﷺ - لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم ومحنة وعكاظ ، ومنازلهم في منى من يؤويني من ينصروني حتى أبلغ رسالات ربي فله الجنة " (٤) .

كما كان يذهب إلى آحاد الناس ليوصل إليهم الحق واضحاً جلياً ، فينتشلهم مما هم فيه من الباطل والهوى فذهب - ﷺ - إلى عدد من اليهود ، كما ذهب إلى المنافقين والمشركين ، فعن أبي هريرة - ﷺ - قال : بينا

(١) لباب النقول - السيوطي ١٤٣ وانظر فتح البيان - صديق بن حسن خان ١٢/٨ ، ويشير هنا الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - إلى فائدة حسنة حين قال : " فإن المأمور بدعاء الخلق إلى الله عليه التليغ والسعي بكل سبب يوصل الهداية ، وسد طرق الضلال والغواية بغاية ما يمكنه ، مع التوكل على الله في ذلك ، فإن اهدوا فيها ونعمت ، وإلا فلا يحزن ولا يأسف ، فإن ذلك مضعف للنفس " تيسير الكريم الرحمن - السعدي ٩/٥ .

(٢) جمع حنذب والجنادب هذا الصرار الذي يشبه الجراد . شرح صحيح مسلم - النووي ٥٥/١٥ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب ( شفقتة ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم ) ١٧٩٠/٤ رقم : ٢٢٨٥ .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب التاريخ ٦٢٤/٢ وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي فقال عنه : صحيح . التلخيص مع المستدرک ٦٢٥/٢ ، دار المعرفة - بيروت ، ط . د .

نحن في المسجد خرج رسول الله - ﷺ - فقال : انطلقوا إلى يهود ، فخرجنا حتى جئنا بيت المدراس (١)  
 فقام النبي - ﷺ - فناداهم ، فقال : يا معشر يهود أسلموا تسلموا ، فقالوا : بلغت يا أبا القاسم " (٢)  
 فرسول الله - ﷺ - بلغهم ونصحهم حتى إنهم أقرروا بإبلاغه إياهم ، ومع ذلك لم يذعنوا لطاعته (٣)  
 وقد كان - ﷺ - كثيراً ما يجاور أهل الكتاب ويجادلهم بغية إصلاحهم (٤) فكان رفيقاً - ﷺ - بهم عطوفاً  
 عليهم ، يستدنيهم إليه ، وفي الوقت نفسه يلزمهم بما عندهم ، فليزيمهم بما يقرون (٥)  
 ومن ذلك حوار - ﷺ - مع عتبة بن ربيعة - وكان سيداً في قومه - حتى كاد أن يقارب الإسلام بعدما سمع  
 آيات من سورة فصلت تلاها عليه المصطفى - ﷺ - (٦)

كما كان - ﷺ - يتألف الناس ويحببهم إلى الحق ، ومن ذلك دفعه للأموال الطائلة تأليفاً وتقريباً ، ولا شك  
 أن في هذا محاولة لإصلاح السادة المطاعين ، وبه إنقاذ للاتباع المقلدين ، ثم هو إشباع لرغائب النفوس التي  
 طالما شغلت بمتاع الزوال ، فإن مثل هذا الصنيع علاج نافع لما ترسب في تلك النفوس ، فقد كان - ﷺ -  
 يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، ومن ذلك قوله - ﷺ - وهو مقبل من حنين حين سأله الأعراب حتى  
 اضطرروه إلى سمره خطفت رداءه - ﷺ - ، فكان منه أن وقف وقال : " أعطوني ردائي ، فلو كان عدد هذه  
 العضاة (٧) نعماً لقسمته بينكم ، ثم لا تجدونني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً " (٨)

(١) بكسر الميم من الدرر ، والمراد به كبير اليهود ، ونسب البيت إليه ؛ لأنه هو الذي كان صاحب دراسة كتبهم أي قراتها . فتح  
 الباري - ابن حجر ٣٩٣/١٢ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ( وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً .. ) ١٩٢/٩ جزء من رقم : ١١٧ .

(٣) انظر فتح الباري - ابن حجر ٣٨٩/١٣ .

(٤) انظر على سبيل المثال صحيح مسلم كتاب الحيض ، باب ( بيان صفة ماء الرجل والمرأة .. ) ٢٥٢/١ رقم : ٣١٥ .

(٥) انظر تاريخ الجدل - عمد أبوزهرة ٥٣ .

(٦) انظر السيرة النبوية - ابن هشام ٢٩٣/١ ودلائل النبوة - البيهقي ٢٠٣/٢ .

(٧) العضاة شجر الشوك كالطلع والعوسج والسدر . فتح الباري - ابن حجر ٣١٢/٦ .

(٨) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس ، باب ( ما كان النبي ﷺ يعطي المولفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ) ٢٠٣/٤ جزء من  
 رقم : ٥٥ .

وقد عبر أنس بن مالك - ؓ - عن نجاح مثل هذا الأسلوب حين قال : " إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا ، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها " (١) وبنحوه عبر صفوان بن أمية - ؓ - وذلك حين قال عن نفسه : " والله لقد أعطاني رسول الله - ﷺ - ما أعطاني ، وإنه لأبغض الناس إلي فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي " (٢) ومن تأليفه لهم نحو قوله - ؓ - في حق أبي سفيان - ؓ - :  
" من دخل دار أبي سفيان فهو آمن " (٣).

قال النووي - رحمه الله تعالى - : " وفيه تأليف لأبي سفيان وإظهار لشرفه " (٤).  
ومن ذلك أيضاً صنيعه مع ثمامة بن أثال حين عفى عنه ، وأطلقه ، فما كان منه إلا أن أسلم ، وأعلن الشهادتين ، وبين لرسول الله - ﷺ - مدى انقلاب حاله نحوه ونحو دينه (٥).  
قال النووي - رحمه الله تعالى - معلقاً على قوله - ؓ - أثناء حديثه مع ثمامة - : " ما عندك يا ثمامة " : هذا من تأليف القلوب ، وملاطفة لمن يرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير " (٦).  
قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " والمؤلفة قلوبهم نوعان : كافر ومسلم ، فالكافر : إما أن يرجى بعطيته منفعة كإسلامه أو دفع مضرتة إذا لم يندفع إلا بذلك ، والمسلم المطاع يرجى بعطيته المنفعة أيضاً كحسن إسلامه أو إسلام نظيره " (٧).

ولم يكن حرصه واهتمامه - ؓ - بكبار القوم فحسب ، بل نجده كذلك مع عامة الناس ، ومن ذلك عيادته للغلام اليهودي إذ قعد رسول الله - ﷺ - عند رأس الغلام ، وحثه على الإسلام ، وكان أبو الغلام حاضراً

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب ( ما سئل رسول الله شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه ) ١٨٠٦/٤ رقم : ٢٣١٢ .

(٢) المرجع السابق رقم : ٢٣١٣ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب ( فتح مكة ) ١٤٠٨/٣ جزء من رقم : ١٧٨٠ .

(٤) شرح صحيح مسلم - النووي ٣٦٩/١٢ .

(٥) انظر صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب ( وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال ) ٢/٦ رقم : ٣٦٨ ومسلم في كتاب الجهاد

والسير ، باب ( ربط الأسير وحبسه وحواز المن عليه ) ١٣٨٦/٣ رقم : ١٧٦٤ .

(٦) شرح صحيح مسلم - النووي ٣٣٢/١٢ .

(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع ابن قاسم ٢٩٠/٢٨ .

فقال لابنه : " أطع أبا القاسم ، فأسلم ، فخرج النبي - ﷺ - وهو يقول : الحمد لله الذي انقذه من النار " (١).

وحين اجتمع اليهود والنصارى عند رسول الله - ﷺ - دعاهم إلى الإسلام ، وبين لهم بطلان معتقدتهم وفساده (٢).

كما كان - ﷺ - حريصاً على دعوة المنافقين والمشركين ، ومن ذلك أنه - ﷺ - " مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود ، فيهم عبد الله بن أبي .. فدعاهم إلى الله - ﷻ - وقرأ عليهم القرآن " (٣).

وفي هذا بيان ما كان عليه النبي - ﷺ - من دوام الدعاء إلى الله تعالى وتألف قلوبهم (٤).

بل لقد روي أن رسول الله - ﷺ - عاد ابن أبي في مرضه الذي مات فيه (٥).

وشاهد القول أنه - ﷺ - قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة إلى التوحيد وإقامة الحجج والبيئات ما شارفوا به أن

يتركوا دينهم المبني على الهوى لولا فرط لجاحهم وغاية عنادهم (٦).

ومما يبين حرصه وكمال نصحه أيضاً ما كان يرسله من الكتب والرسائل إلى أنحاء المعمورة ، فعن أنس - ﷺ -

: " أن نبي الله - ﷺ - كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار ، يدعوهم إلى الله

تعالى " (٧) ومما يروى أن الرسول - ﷺ - أرسل إلى يهود خيبر كتاباً يدعوهم فيه إلى الإسلام ، ويذكرهم

بما في كتبهم (٨).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب ( إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام ) ١٩٨/٢ جزء من رقم : ١١١ .

(٢) انظر السيرة النبوية - ابن هشام ٥٥٤/٢ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب ( دعاء النبي وصبره على أذى المنافقين ) ١٤٢٢/٣ جزء من رقم : ١٧٩٨ .

(٤) انظر شرح صحيح مسلم - النووي ٤٠١/١٢ .

(٥) انظر البداية والنهاية - ابن كثير ٣١/٥ .

(٦) انظر روح المعاني - الألويسي ٣٣/١١ .

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب ( كتب النبي إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله ) ١٣٩٧/٣ جزء من رقم : ١٧٧٤ .

(٨) انظر السيرة النبوية الصحيحة - د. أكرم العمري ٣١٩/١ .

كما بعث - ﷺ - رسله ، فقد وجه مصعب بن عمير - ﷺ - إلى المدينة ، فأسلم خلق كثير من الأنصار ، ومن أسلم من أشرفهم أسيد بن الحضير - ﷺ - وسعد بن معاذ - ﷺ - فأسلم بإسلامهما جل بني عبد الأشهل (١) كما أوصى - ﷺ - علياً - ﷺ - حين أعطاه الراية إلى خير أن يبدأهم بالدعوة ، وذلك حين قال له : " انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم " (٢) .

كما بعث - ﷺ - أباموسى الأشعري - ﷺ - ومعاذ بن جبل - ﷺ - إلى اليمن ، وأمرهما بالتيسير والتبشير (٣) . وما بين جدوى مثل هذا الصنيع خروج عدد كبير من باطلهم ، ودخولهم في الإسلام ، بل لقد شمل ذلك عدداً من الرؤساء والزعماء كالنجاشي - رحمه الله تعالى - ، فقد وفقه الله تعالى للإسلام والإيمان (٤) .

وخلاصة القول : إن بذل الجهد في علاج المدعويين من اتباع الهوى وإسداء النصيحة إلى الخلق برهم وفاجرهم وبيان الحق لهم أمر من شأنه أن يغير كثيراً من النفوس ، ولقد حرص المصطفى - ﷺ - كل الحرص على هذا الأمر ، فبذل قصارى جهده المبارك حتى حطمه الناس ، كل ذلك لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن اتباع الهوى إلى اتباع الحق والهدى ، فقد سئلت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - : هل كان النبي - ﷺ - يصلي وهو قاعد ؟ فقالت : " نعم بعدما حطمه الناس " (٥) . قال النووي - رحمه الله تعالى - : قال الرواي في تفسيره : يقال حطم فلاناً أهله إذا كبر فيهم ، كأنه لما حمله من أمورهم وأثقالهم والاعتناء بمصالحهم صبروه شيخاً محطوماً (٦) .

وكل ما أصاب الرسول - ﷺ - وصحبه الكرام - رضي الله عنهم - لا لشيء إلا أنه يدعوهم إلى أن يخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الفساد إلى الصلاح ، ومن سخط الله إلى رضوانه ، ومن عذابه الخالد إلى

(١) انظر السيرة النبوية - ابن هشام ٤٣٦/٢ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب ( غزوة خيبر ) ٢٨٠/٥ جزء من رقم : ٢٣١ .

(٣) انظر صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب ( بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ) ٣٢٢/٥ رقم : ٣٤١ ومسلم في

كتاب الجهاد والسير ، باب ( في الأمر بالتيسير وترك التنفير ) ١٣٥٩/٣ رقم : ١٧٢٣ .

(٤) انظر شرح صحيح مسلم - النووي ٣٤٩/١٢ .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب ( جواز النافلة قائماً وقاعداً .. ) ٥٠٦/١ رقم : ٧٢٢ .

(٦) شرح صحيح مسلم - النووي ٢٥٦/٦ .

نعيمه الدائم ، ولم يلتفتوا إلى ذلك - إلا من وفقه الله تعالى - مع وضوح الحجة ، وإنما كان مهمهم أنه يدعوهم إلى خلاف هواهم " (١) .

فقد كان رسول الله - ﷺ - يتصدى للناس ويختلط بهم ، ويتحمل ما كان منهم بأبي هو وأمي - ﷺ - كيف لا ، وهو القائل : " المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم " (٢) فهو - ﷺ - " لم يزل قائماً بأمر الله لا يرده عنه راد ، مشمراً في مرضاة الله لا يصد عنه ذلك صاد إلى أن أشرقت الدنيا برسالته ضياءً وابتهاجاً ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار ، وبلغ دينه القيم ما بلغ الليل والنهار " (٣) فرفع الله به المقابح وشرع المصالح ، فسار أصحابه معه وبعده في ضوء سيرته وهدية (٤) وهكذا يكون الإصلاح " إذ حقيقة الإصلاح إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله ، بإزالة ما طرأ عليه من فساد ، وما علق به من شائبة الهوى والاختلال ، وهذا لا يكون إلا بالسير على منهاج النبوة لا غير " (٥)

(١) القائد إلى تصحيح العقائد - العلمي ١٩٢/٢ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند - شاكر ٩٤/٧ رقم : ٥٠٢٢ قال أحمد شاكر : اسناده صحيح .

(٣) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٥/١ .

(٤) انظر تلبس إبليس - ابن الجوزي ١٠ .

(٥) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية - بكر بن عبد الله أبو زيد ١١٨ ، دار ابن الجوزي - الدمام ، ط : الثانية :



## المطلب الثاني الاحتساب على متبع الهوى

إن الاحتساب (١) على متبع الهوى وشدة الإنكار والغلظة عليه أمر مطلوب ، إذ من الناس من لا ينتفع بما يقدم إليه من نصيحة مشفقة ، بل ربما تجده يكابر ويعاند على الرغم من وضوح الحق له .  
ولقد احتسب - ﷺ - على أهل الكتاب والمشركين والمنافقين ، فتراه - ﷺ - تارة يغلظ بالقول عليهم ، وتارة تراه يسعى بنفسه ويحتسب لإزالة المنكر ، وحيناً آخر تراه يبعث من يقوم بالاحتساب ، كما تجده - ﷺ - تارة يأمر بحرق مواقع الرذيلة وطمس معالمها وإن تلبست بلباس الشرع والدين ، وكذا فعل صحابته من بعده رضي الله عنهم أجمعين .

جاء في الحديث عن النعمان بن بشير - ﷺ - قال : قال النبي - ﷺ - : " مثل المدخن في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة ، فصار بعضهم في أسفلها ، وصار بعضهم في أعلاها ، فكان الذي في أسفلها يعمرون بالماء على الذين في أعلاها ، فتأذوا به ، فأخذوا فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة ، فأتوه فقالوا : ما لك ؟ قال : تأذيتم بي ولا بد لي من الماء ، فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجوا أنفسهم ، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم " (٢) فين - ﷺ - أن للمجتمع نظاماً يحميه من الغرق والسقوط ، وهذا مما يحصل به النجاة لمن أقامه وأقيم عليه ، وإلا هلك العاصي بالمعصية والساكت بالرضا بها (٣) فالمتجمع الذي لا يقوم بشعيرة الله تعالى فيه ، فإنه عرضة للغرق والتفرق والاختلاف وأنواع الشرور .  
قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " وإذا كان الكفر والفسوق والعصيان سبب الشر والعدوان ، فقد يذنب الرجل أو الطائفة ، ويسكت آخرون عن الأمر والنهي ، فيكون ذلك من ذنوبهم وينكر عليهم آخرون إنكاراً منهياً عنه ، فيكون ذلك من ذنوبهم ، فيحصل التفرق والاختلاف والشر وهذا من أعظم الفتن والشرور قديماً وحديثاً " (٤) .

(١) الاحتساب بمعنى الإنكار ومنه المحتسب . انظر لسان العرب - ابن منظور ٣١٧/١ والمعجم الوسيط - إبراهيم أنيس وآخرون ١٧١/١ مادة ( حسب ) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات ، باب ( القرعة في المشكلات .. ) ١٦/٤ رقم : ٤٩ .

(٣) انظر فتح الباري - ابن حجر ٣٧٠/٥ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع ابن تيمية ١٤٢/٢٨ .

كما أن التفريط فيهما من شأته أن يروج للباطل وينشره ، وذلك أنه " إذا عدم الإنكار ممن شأنه الإنكار مع ظهور العمل وانتشاره وعدم خوف المنكر ووجود القدرة عليه ، فلم يفعل ، دل عند العوام على أنه فعل جائز لا حرج فيه " (١).

ولا شك أن القيام بمثل هذه المهمة العظيمة يحتاج إلى صبر وعناء ، ولقد نقل عن أويس القرني - رحمه الله تعالى - أنه قال : " إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يدع للمؤمن صديقاً ، نأمرهم بالمعروف فيشتمون أعراضنا ويجدون على ذلك أعواناً من الفاسقين ، حتى والله لقد رموني بالعظام ، وأيم الله لا أدع أن أقوم فيهم بحقه " (٢).

وهذا ظاهر في سيرة رسول الله - ﷺ - ، فحين قام فيهم بأمر الله تعالى " سرعان ما عارضوا معرفته بالنكر وغيروا في وجه صوابه بالإفك ، ونسبوا إليه إذ خالفهم في الشرعة ، وناذبهم في النحلة كل محال ، ورموه بأنواع البهتان " كما صوبوا له " عند ذلك حرب العداوة ، ورموه بسهام القطيعة ، وصار أهل السلم كلهم حرباً عليه ، عاد الولي الحميم عليه كالعذاب الأليم " (٣) ومع ذلك نجد رسول الله - ﷺ - قائماً بحق القيام بأمر دعوته ، ويتضح المقصود ببيان شئ من المواقف من سيرته العطرة :

فلقد استخدم - ﷺ - الإغلاظ وشدة الإنكار القوي مع يهود ، ومن ذلك ما جاء في خبر إسلام عبداً لله بن سلام - ﷺ - وأنه طلب من المصطفى - ﷺ - أن يسألهم عنه وكيف هو فيهم وأن لا يخبرهم بنبأ إسلامه فأرسل إليهم رسول الله - ﷺ - ، فلما حضروا قال لهم : " يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله " وفي نهاية الحوار لما رأى شدة تكذيبهم جاء في الرواية : " فأخرجهم رسول الله - ﷺ - " (٤).

ففي هذه الحادثة يتضح الإغلاظ وشدة الإنكار في موضعين :

الأول - حين قال - ﷺ - : " يا معشر يهود ويلكم " ومعلوم أن كلمة ويل يراد به التقرع والتويخ قال ابن الأثير - رحمه الله تعالى - : " الويل : الحزن والهلاك والمشقة من العذاب ، وكل من وقع في هلكة دعا بالويل " (٥).

(١) الاعتصام - الشاطبي ١٠٢/٢ .

(٢) المرجع السابق ٣٠/١ .

(٣) المرجع السابق ١٩/١ - ٢١ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب ( هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ) ١٦٣/٥ جزء من رقم : ٣٩٢ .

(٥) النهاية في غريب الحديث - ابن الأثير ٢٣٦/٥ .

الثاني - إخراجهم لهم - ﷺ - وذلك كما جاء في الرواية " فأخرجهم رسول الله " .

ولا شك أن هذا الصنيع منهم يبين شدة تعنتهم وعنادهم ، وليس هذا منهم في عهد المصطفى - ﷺ - فحسب ، بل هو سمة بارزة لهم عبر التاريخ كما قال تعالى : ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ﴾ (١).

ومن ذلك شدة الإنكار على المنافقين المتخلفين عن الصلاة ، فقد جاء عن أبي هريرة - ﷺ - قال : قال النبي - ﷺ - : " ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً لقد هممت أن أمر المؤذن فيقيم ، ثم أمر رجلاً يؤم الناس ، ثم أخذ شعلاً من نار ، فأحرق على من لا يخرج إلى الصلاة بعد " (٢).

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : " وفي السياق إشعار بأنه تقدم منه - ﷺ - زجرهم عن التخلف بالقول حتى استحقوا التهديد بالفعل " وقال : " وفي الحديث من الفوائد أيضاً تقديم الوعيد والتهديد على العقوبة " (٣).

والله - ﷻ - قد أمر رسوله - ﷺ - باستخدام الغلظة والشدة مع المنافقين فقال تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ (٤).

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : " أمر بالجهاد مع الكفار بالسيف ، ومع المنافقين باللسان وشدة الزجر والتغليظ " (٥).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار ، وهو جهاد خواص الأمة وورثة الرسل ، والقائمون به أفراد في العالم ، والمشاركون فيه ، والمعاونون عليه ، وإن كانوا هم الأقلين عدداً ، فهم الأعظمون عند الله قدراً " (٦).

(١) سورة البقرة / جزء من الآية ٨٧ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان ، باب ( فضل صلاة العشاء في الجماعة ) ٢٦٥/١ رقم : ٤٩ .

(٣) فتح الباري - ابن حجر ١٦٥/٢ .

(٤) سورة التوبة / جزء من الآية ٧٣ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٣٠/٨ .

(٦) زاد المعاد - ابن القيم ٥/٣ .

وفي بيان الحكمة من استخدام الغلظة مع المنافقين قال الشيخ محمد رشيد رضا : " هذا وإن معاشره الرئيس من إمام وملك وأمير لمنافقي قومه بمثل ما يعاشر به المخلصين منهم ، فيه توطين لأنفسهم على النفاق وحمل لغيرهم على الشقاق " (١).

وكما احتسب - ﷺ - بالقول ، احتسب بالفعل ، فقد أمر حين دخل مكة بتطهير البيت الحرام من الأصنام وشارك بنفسه الشريفة في تكسيرها ، جاء في الحديث عن عبد الله - ﷺ - (٢) قال : دخل النبي - ﷺ - مكة يوم الفتح ، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده ، ويقول : جاء الحق وزهق الباطل ، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد " (٣).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " ولما فتح رسول الله - ﷺ - مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنماً فجعل يطعن بسية قوسه في وجوهها وعيونها ، ويقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ وهي تتساقط على رؤوسها ، ثم أمر بها ، فأخرجت من المسجد وحرقت " (٤).

وقال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : " وفعل النبي - ﷺ - ذلك لإذلال الأصنام وعابديها ، ولإظهار أنها لا تنفع ولا تضر ، ولا تدفع عن نفسها شيئاً " (٥).

كما أمر رسول الله - ﷺ - بإخراج ما كان داخل الكعبة من صور إبراهيم وإسماعيل وإسحاق - عليهم الصلاة والسلام - وهم يستقسمون بالأزلام ، وقال : " قاتلهم الله لقد علموا ما استقسموا بها قط " (٦). وليس هذا فحسب ، بل لما تم تطهير البيت الحرام بعث رسول الله - ﷺ - بعوثاً إلى أماكن مختلفة لإزالة الأصنام التي بها ومن ذلك : أنه - ﷺ - أرسل جرير بن عبد الله البجلي - ﷺ - إلى ذي الخلصة (٧) ليريح الناس من شرها ، فعن جرير - ﷺ - قال : كان بيت في الجاهلية يقال له ذو الخلصة والكعبة اليمانية

(١) تفسير القرآن الحكيم - محمد رشيد رضا ١٠/٥٥١ .

(٢) المراد ابن مسعود . فتح الباري - ابن حجر ٨/٢٠ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب ( أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ) ٣٠٢/٥ رقم : ٢٩٤ وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب ( إزالة الأصنام من حول الكعبة ) ١٤٠٨/٣ رقم : ١٧٨١ .

(٤) إغاثة اللهفان - ابن القيم ٢/٣١٤ .

(٥) فتح الباري - ابن حجر ٨/٢٠ .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب ( أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ) ٣٠٣/٥ رقم : ٢٩٥ .

(٧) وهو بيت في اليمن كان فيه أصنام يعبدونها . شرح صحيح مسلم - النووي ١٦/٢٦٨ وانظر فتح الباري - ابن حجر ٨/٨٩ .

والكعبة الشامية ، فقال لي النبي - ﷺ - ألا ترينني من ذي الخلصة ، فنفرت في مائة وخمسين راكباً فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده ، فأتيت النبي - ﷺ - فأخبرته ، فدعا لنا ولأحمس " (١) .

قال النووي - رحمه الله تعالى - : " وفيه النكاية بآثار الباطل ، والمبالغة في إزالته " (٢) .

ومنه أيضاً أنه - ﷺ - أرسل المغيرة بن شعبه - ﷺ - إلى اللات فهدمها وحرقها بالنار (٣) كما أرسل خالد بن

الوليد - ﷺ - إلى نخلة لهدم العزى ، فهدمها (٤) كما أرسل - ﷺ - سعد بن زيد الأشهلي - ﷺ - إلى مناة

بالمشلل ، فهدمه وعاد إلى مكة (٥) وأرسل عمرو بن العاص - ﷺ - إلى سواع صنم هذيل فهدمه (٦) .

وبذلك أزيلت أكبر مواقع الشرك ومنابع الرذيلة ، وهذه الأصنام هي التي أشير إليها في قوله - ﷺ - :

﴿ أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ (٧) .

وقد أوصى علي - ﷺ - أبا الهياج الأسدي بما أوصاه به رسول الله - ﷺ - من طمس التماثيل ، وذلك حين

قال له : " ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله - ﷺ - أن لا تدع تماثلاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا

سويته " (٨) .

قال النووي - رحمه الله تعالى - : " فيه الأمر بتغيير صور ذوات الأرواح " (٩) .

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : " لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها

وإبطالها يوماً واحداً ، فإنها شعائر الكفر والشرك ، وهي أعظم المنكرات " (١٠) .

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب ( غزوة ذي الخلصة ) ٣٢٧/٥ رقم : ٣٥٢ وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ،

باب ( من فضائل جرير بن عبد الله ) ١٩٢٥/٤ رقم : ٢٤٧٦ .

(٢) شرح صحيح مسلم - النووي ٢٦٩/١٦ .

(٣) انظر السيرة النبوية - ابن هشام ٥٤١/٤ وسبل الهدى والرشاد - الصالحى ٣٤٦/٦ .

(٤) انظر الاستيعاب - ابن عبد البر ١٢/٢ والطبقات الكبرى - ابن سعد ١١١/٢ .

(٥) انظر الطبقات الكبرى - ابن سعد ١١١/٢ وسبل الهدى والرشاد - الصالحى ٣٠٤/٦ .

(٦) انظر تاريخ الأمم والملوك - الطبري ١٦٣/٢ والطبقات الكبرى - ابن سعد ١١١/٢ .

(٧) سورة النجم / الآية ١٩ - ٢٠ .

(٨) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز ، باب ( الأمر بتسوية القبور ) ٦٦٦/٢ رقم : ٩٦٩ .

(٩) شرح صحيح مسلم - النووي ٤١/٧ .

(١٠) زاد المعاد - ابن القيم ٥٠٦/٣ .



وهكذا لم تنزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله - ﷺ - رسوله - ﷺ - فأمر بهدمها وكسرها (١).  
ومن ذلك أن رسول الله - ﷺ - أمر بهدم مسجد الضرار وتحريقه ؛ لأنه أسس على غير تقوى من الله - ﷻ -  
بل إرصاداً لمن حارب الله ورسوله وتفريقاً بين المؤمنين .

قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - أثناء حديثه عن فقه غزوة تبوك وفوائدها : " ومنها تحريق أمكنة  
المعصية التي يعصى الله ورسوله فيها وهدمها ، كما حرق رسول الله - ﷺ - مسجد الضرار ، وأمر بهدمه  
وهو مسجد يصلى فيه ، ويذكر اسم الله فيه ، لما كان بناؤه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين ومأوى للمنافقين  
وكل مكان هذا شأنه ، فواجب على الإمام تعطيله ، إما بهدم وتحريق ، وإما بتغيير صورته وإخراجه عما  
وضع له " (٢).

وخلاصة القول ومقصوده : إن من الناس من لا يرتدع بنصيحة مشفق ، ولا بيان للحق مشرق ، بل تجده  
مقاوماً للحق مصراً على باطله ، ومن هذا شأنه فحري أن يغلظ عليه في الإنكار .

قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - : " والناس يحتاجون إلى مداراة ورفق في الأمر بالمعروف بلا  
غلظة إلا رجلاً مبايناً معلناً بالفسق والردى ، فيجب عليك نهيهِ وإعلامه ؛ لأنه يقال : ليس لفاسق حرمة  
فهذا لا حرمة له " (٣) فكم عانى - ﷺ - من أمثال هؤلاء ، فقد ابتلي رسول الله - ﷺ - بما تراه في أوائل  
السيرة ، فكلفه - ربه ﷻ - أن يدعو قومه إلى ترك ما نشأوا عليه تبعاً لأبائهم من الشرك والضلال

(١) انظر تلبس إبليس - ابن الجوزي ٧١ وإغاثة اللهفان - ابن القيم ٣٠٠/٢ .

(٢) زاد المعاد - ابن القيم ٥٧١/٣ . وقد كان الصحابة - رضي الله عنهم - على درب نبيهم - ﷺ - سائرون ، ومن ذلك على سبيل المثال  
أن الفاروق - ﷺ - أمر بقطع الشجرة التي بويح تحتها النبي - ﷺ - فقطعها ؛ لأن الناس كانوا ينهبون تحتها ، فخاف عليهم الفتنة . البدع  
والنهي عنها - ابن وضاح ٤٩ ، قال ابن القيم : " فإذا كان هذا فعل عمر بالشجرة التي ذكرها الله في القرآن ، وبايع تحتها الصحابة  
رسول الله ﷺ ، فماذا حكمه فيما عدلها من هذه الأنصاب والأوثان " إغاثة اللهفان - ابن القيم ٣٢٧/١ ، وقال ابن تيمية : " وكان عمر  
بن الخطاب إذا رآهم يتنابرون مكاناً يصلون فيه لكونه موضع نبي ينهاهم عن ذلك " منهاج السنة - ابن تيمية ٤٨١/١ ، وينحوه صنع  
عثمان بن عفان - ﷺ - حين حارب بيتاً للصنم بصنعاء . انظر تلبس إبليس - ابن الجوزي ٧٧ وإغاثة اللهفان - ابن القيم ٣١٥/٢ .

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - الخلال ، تحقيق : مشهور حسن وهشام السقا ٣٥ ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : الأولى :

ويصارحهم بذلك سراً وجهاً ، ليلاً ونهاراً ، ويدور عليهم في نواديهم ومجتمعاتهم وقراهم ، فاستمر - ﷺ - على ذلك - في مكة - نحو ثلاث عشرة سنة ، وهم يؤذونه أشد الأذى " (١) .

وهكذا يقتدي الدعاة إلى الله تعالى برسولهم وقدوتهم - ﷺ - على الرغم من صعوبة الأمر وشدته ، إذ المتعرض لمثل هذا الأمر ينحو نحو عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - في العمل حيث قال : " ألا وإني أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله - ﷻ - قد فني عليه الكبير ، وكبر عليه الصغير ، وفصح عليه الأعجمي وهاجر عليه الأعرابي ، حتى حسبه ديناً لا يرون الحق غيره " (٢) .

وهكذا نجد رسول الله - ﷺ - ومن اقتفى أثره قد وقف للباطل وجيوشه بحزم وعلم حتى ردها خائبة وقمعها في سراديبها خانعة ، والله - ﷻ - لا يخلي الزمان من أقوام قوام بشرعه ، يردون على المتخربين ، وينكرون على المخالفين ، ويبينون غلط الغالطين ، ومن المعلوم أن ذلك لا يكون بالفوضى والارتجال ، وإنما تنحسم مثل هذه الأمور وغيرها بمساندة ولاية أمر المسلمين ، وذلك " لما في السلطان من حراسة الدين والذب عنه ودفع الأهواء منه ، وحراسة التبديل فيه ، وزجر من شذ عنه بارتداد ، أو بغى فيه بعناد ، أو سعى فيه بفساد ، وهذه أمور إن لم تنحسم عن الدين بسلطان قسوي ورعاية وافية أسرع فيه تبديل ذوي الأهواء وتحريف ذوي الآراء ، فليس دين زال سلطانه إلا بدلت أحكامه ، وطمست أعلامه " (٣) .

(١) القائد إلى تصحيح العقائد - المعلمي ١٩١/٢ .

(٢) الاعتصام - الشاطبي ٣٢/١ .

ولعل مما يحسن التنبيه عليه حول ما ذكر من الاحتساب بالشدّة والإغلاظ ، أن ذلك يكون بمراعاة الأصلاح ، وفي سيرة رسول الله - ﷺ - ما يرشد إلى هذا ، ومن ذلك منعه للفاروق - ﷺ - من أن يقتل زعيم النفاق ابن أبي ، وذلك حين قال - ﷺ - له : " دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه " أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن ، باب ( قوله : سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم .. ) ٢٧٠/٦ جزء من رقم : ٣٩٩ ، قال ابن تيمية : " ومن هذا الباب ترك النبي ﷺ لعبد الله بن أبي بن سلول وأمثاله من أئمة النفاق والفجور ، لما لهم من أعوان ، فإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزمة إزالة معروف أكبر من ذلك ، بغضب قومه وحميتهم ، وبنفسور الناس إذا سمعوا أن رسول الله ﷺ يقتل أصحابه " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - ابن تيمية ٤٨ وانظر من صفات الداعية اللين والرفق - د. فضل إلهي ٥٩ - ٦٠ ، مطابع سفير - الرياض ، ط : الثانية : ١٤١٢ هـ ففيه نقولات نافعة .

(٣) أدب الدنيا والدين - الماوردي ٢٠٤ .



## المطلب الثالث الجهاد في سبيل الله ضد أهل الأهواء

إن المدافعة بين الحق والباطل سنة ماضية إلى قيام الساعة ، فأهل الشر وحماته لا يزالون مستمرين في

عداوة أهل الحق وقتلهم حتى ينقلوهم إلى فسادهم إن تهيأ لهم ذلك ، واستطاعوا إليه سبيلاً (١).

قال الله - ﷻ - : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ (٢) فالكثير من الخلق لا يؤمنون ، ولييان الحق الأبلج لا يدعون ، كما قال تعالى : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ (٣) ويكفي في معرفة كثرتهم ، وأنهم أكثر أهل الأرض ما صح عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : " أول من يدعى يوم القيامة آدم ، فترأى ذريته ، فيقال هذا أبوكم آدم ، فيقول : ليك وسعديك فيقول : أخرج بعث جهنم من ذريتك ، فيقول : يارب كم أخرج ؟ فيقول : أخرج من كل مائة تسعة وتسعين ، فقالوا : يارسول الله إذا أخذ من كل مائة تسعة وتسعون ، فماذا يبقى منا ؟ قال : إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود " (٤).

وفي تفسير الآية الكريمة قال الشوكاني - رحمه الله تعالى - : " أي وما أكثر الناس المعاصرين لك يا محمد - ﷺ - أو ما أكثر الناس على العموم ولو حرصت على هدايتهم ، وبالغت في ذلك بمؤمنين بالله ؛ لتصميمهم على الكفر الذي هو دين آبائهم " (٥) فهذه شنشنة أغلب الخلائق ، إذ الأكثر منهم لأهوائهم متبعون (٦) وخاصة أئمة الكفر الذين هم قدوة لمقلديهم ، وكذا أهل الكتاب الذين كان من الواجب عليهم أن يحوزا قصب السبق في اتباع رسول الإسلام - ﷺ - ولكنهم تركوا الحق لا عن دليل أو شبهة طارئة ، بل هجره وأقصوه تمرداً وعناداً مع علمهم بأنهم ليسوا على شيء ، ومن كان هذا شأنه فهو لا ينتفع بالبرهان أبداً (٧).

(١) انظر فتح القدير - الشوكاني ٣٣٢/١ .

(٢) سورة البقرة / جزء من الآية ٢١٧ .

(٣) سورة يوسف / الآية ١٠٣ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب ( كيف الحشر ) ١٩٧/٨ رقم : ١١٦ وانظر إغاثة اللهفان - ابن القيم ٣٢٠/٢ .

(٥) فتح القدير - الشوكاني ٨٣/٣ .

(٦) انظر التحرير والتنوير - ابن عاشور ٢٢٧/٦ والكشاف - الزمخشري ٦٠/٢ .

(٧) انظر فتح القدير - الشوكاني ٢٣٩/١ .

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : " وكان ممن تكبر عن الخضوع لأمر الله والتذلل لطاعته والتسليم لقضائه فيما ألزمهم من حقوق غيرهم اليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله - ﷺ - وأحبارهم الذين كانوا برسول الله - ﷺ - وصفته عارفين ، وبأنه الله رسول عالمين ، ثم استكبروا مع علمهم بذلك عن الإقرار بنبوته والإذعان لطاعته " (١) وهكذا فإن مثل هذه النفوس إنما تنشط بما يوافق هواها لا بما يخالفه (٢) .

فالصراع بين الحق والباطل قائم ، والمدافعة مستمرة ، قال الله - ﷻ - : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ (٣) والمعنى قيل : " لولا دفع الله المشركين بالمسلمين ، لغلب المشركون على الأرض ، فقتلوا المسلمين ، وخرّبوا المساجد " (٤) وقد توقع الصديق - ﷺ - فرض الجهاد قبل أن يفرض ، وذلك لما أخرج الكفار المصطفى - ﷺ - من مكة قال عتذ : " أخرجوا نبيهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن ، وقال : فعرفت أنه سيكون قتال " (٥) .

وحين ننظر إلى سيرة المصطفى - ﷺ - مع المدعوين الذين دعاهم ، ولم يألوا جهداً في محاولة إنقاذهم مما هم فيه من الهوى الباطل يتضح ما ذكر ، فلقد مكث - ﷺ - بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو المشركين بأساليب متنوعة ، ويجادلهم بأوضح الحجج البيّنات والدلائل الناصعات ، واستمر على ذلك بقية عمره الشريف ومع ذلك أبى أكثر الناس إلا إعراضاً ونفوراً ، فهؤلاء ومن نخا نحوهم قد عولجوا بشتى السبل ، فكم من نصيحة صادقة جلية قدمت لهم !! وكم من تهديد وترهيب وشدة إنكار وإغلاظ عرض عليهم !! فانتفع بذلك من انتفع !! وبقي هؤلاء في غيهم سائرون ، وعلى عنادهم وبغيهم مصرون ، ومن ثم كان لهم من العلاج أنجع ، ومن الدواء أمثل ، إذ جعل الله - ﷻ - الحديد زاجراً ومعالجاً لمن شاق الحق وقاومه ، فقال

(١) جامع البيان - الطبري ١/٢٢٨ .

(٢) انظر الاعتصام - الشاطبي ١/١٢٤ .

(٣) سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٥١ .

(٤) زاد المعاد - ابن الجوزي ١/٣٠٠ .

(٥) جامع البيان - الطبري ١٠/١٧٢ .

تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسوله بالغيب إن الله قوي عزيز ﴾ (١).

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " أي وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبي الحق وعانده بعد قيام الحجّة عليه " (٢) وفي هذا " الإشارة إلى إعمال السيف بعد إقامة الحجّة ، فإن لم تنفع الكتب تعينت الكتاب والله تعالى قد يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن " (٣) قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " فذكر سبحانه أنه أنزل الكتاب والميزان ، وأنه أنزل الحديد لأجل القيام بالقسط ، وليعلم الله من ينصره ورسوله ، ولهذا كان قوام الدين بكتاب يهدي ، وسيف ينصر " (٤) فإذا ترك المسلمون جهاد خصوم الدين ومناوئيه ، ومالوا إلى الراحة والإخلاد ، تسلط عليهم العدو فأولاهم ذلاً وهواناً لا يتخلصون منه حتى يرجعوا إلى ما هو واجب عليهم من جهاد الكفار والإغلاظ عليهم وإقامة الدين ونصرة الإسلام وأهله (٥).

وقد أمر الله المؤمنين بقتال الكفار ، فقال - ﷺ - : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ﴾ (٦) قال أبو حيان الأندلسي - رحمه الله تعالى - : " أمر تعالى المؤمنين كافة بقتال من يليهم من الكفار ، فجمع من الجهاد جهاد الحجّة وجهاد السيف ، وقال بعض الشعراء في ذلك :  
من لا يعدله القرآن كان له من الصغار وبيض الهند تعديل (٧).

(١) سورة الحديد ، الآية : ٢٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣١٥/٤ .

(٣) أضواء البيان - الشنقيطي ١٧٥/٢ .

(٤) التحفة العراقية - ابن تيمية ٢١ .

(٥) انظر مشاريع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام في فضائل الجهاد - ابن النحاس ، تحقيق : إدريس محمد علي ورفيقه ١٠٦/١ ، دار البشائر الإسلامية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٠ هـ .

ولا شك أن للجهاد فضل عظيم لا يخفى بيانه . انظر طرح التثريب في شرح التثريب - العراقي ، كتاب الجهاد ١٩٢/٧ ، دار إحياء

التراث العربي - بيروت ، ط . ٥ : ١٤١٣ هـ . ومع ذلك وتلك المكانة فاللأمون عليه كثير ، قال ابن القيم : " وأعلى ما يحبه الله ورسوله الجهاد في سبيل الله ، واللأمون عليه كثير ؛ إذ أكثر النفوس تكراهه ، واللأمون عليه ثلاثة أقسام : منافق ، ومخذل مفتر للهمة ، ومرجف مضعف للقوة والقدرة " الكلام على مسألة السماع - ابن القيم ٢٨٩ وانظر التحفة العراقية - ابن تيمية ٦٩ .

(٦) سورة التوبة ، جزء من الآية ١٢٣ .

(٧) البحر المحيط - أبو حيان ١١٧/٥ .

كما أمر - ﷺ - بقتال أئمة الكفر فقال : ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون ﴾ (١) .  
والمعنى : " أي القادة فيه ، الرؤساء الطاعنين في دين الرحمن ، الناصرين لدين الشيطان ، وخصهم بالذكر ؛  
لعظم جنائيتهم ، ولأن غيرهم تبع " (٢) لعلهم بذلك يرجعون عما هم فيه من الكفر والعناد والزيغ  
والضلال ، وربما انقادوا لدين الله تعالى وهجروا باطلهم (٣) .

كما أن في استخدام القوة بالجهاد المشروع علاج لمن تشربت نفوسهم بحسد رسول الله - ﷺ - والمؤمنين ولم  
تنتفع قلوبهم بذكرى الناصحين الصادقين ، فقد قال رسول الله - ﷺ - ليهود بعد أن رغبهم في الإسلام وهم  
يرفضون : " اعلّموا أنّما الأرض لله ورسوله ، وأنّي أريد أن أجليكم من هذه الأرض " (٤) وحين أظهر  
له - ﷺ - يهود بني قينقاع حسدهم جمعهم فحذّروهم ما نزل بقريش (٥) .

جاء في الحديث عن ابن عمر - ﷺ - قال : قال رسول الله - ﷺ - : " بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا  
شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم  
فهو منهم " (٦) .

وجاء أنه - ﷺ - قال : " يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس ؟  
فإن أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وهم وافرون ، وإن لم  
يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فماذا تظن قريش ؟ والله إنني لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله له حتى  
يظهره الله له أو تنفرد هذه السالفة " (٧) .

فتقرير الجهاد لم يكن مبدأً غريباً أو جديداً ، بل هو شرع شرعه الله تعالى ، وبه انتهاء  
الصراع بين دعوة الحق ودعوات الباطل ، وبين دعاة الخيرة ودعاة الضلال ؛ لإسعاد البشر

(١) سورة التوبة / جزء من الآية ١٢ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن - السعدي ٢٠٥/٣ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣٢٤/٢ والجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٥٥/٨ وتيسير الكريم الرحمن - السعدي ٢٠٥/٣ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ( وكان الإنسان أكثر شئ جدلاً ) ١٩٢/٩ جزء من رقم : ١١٧ .

(٥) انظر الكامل في التاريخ - ابن الأثير ٣٣/٢ .

(٦) أخرجه أحمد في المسند - شاكر ١٢١/٧ رقم : ٥١١٤ قال أحمد شاكر : اسناده صحيح .

(٧) أخرجه أحمد في المسند ٤٣٧/٤ جزء من رقم : ١٨٨٦٣ .

ونشر الدعوة وإبناحها بين الناس (١) فقد كان رسول الله - ﷺ - يوصي أصحابه - رضي الله عنهم - وهم متوجهون إلى ساحات الرغى بدعوة الخلق إلى دين الله تعالى ، وما وصيته - ﷺ - لحامل الراية إلى خير - ﷺ - عنا ببعيد (٢) بل لقد كان - ﷺ - من كمال رأفته ورحمته ونصيحته أن يدعو بالهداية لمن حاربه وقاتله كثيف (٣) وهكذا " فإن الله سبحانه أقام دين الإسلام بالحجة والبرهان ، والسيف والسنان ، فكلاهما في نصره أخوان شقيقان " (٤).

ولهذا كان للجهاد في سبيل الله تعالى أثر عظيم في إخراج الناس من ظلمات الباطل والهموى إلى نور الحق والهدى ، إذ كثير من الخلق لا ينقادون للحق بدون قوة تحملهم على ذلك ، والجهاد الشرعي صنف من أصناف هذه القوة التي تمنع وتقلل من تفشي الأهواء ، وتساهم في نشر الخير بين العباد ، فالجهاد في سبيل الله - ﷺ - كان سبباً في دخول كثير من الناس في دين الله - ﷺ - ولعل مما يبين هذا الأمر ويوضحه الواقع التاريخي لدعوة رسول الله - ﷺ - إذ كان عدد المشاركين في أوائل الغزوات ومن اعتنق الإسلام لا يزال قليلاً (٥).

جاء في الحديث عن حذيفة - ﷺ - قال : قال النبي - ﷺ - : " اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس ، فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل ، فقلنا نخاف ونحن ألف وخمسمائة " (٦).

فلما كثرت غزوات الرسول - ﷺ - وصحابته - رضي الله عنهم - (٧) انتشر الإسلام انتشاراً بالغاً في غضون سنوات قليلة ، فقد كان عدد من خرج مع رسول الله - ﷺ - في غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً من الناس واجتمع في حجة الوداع بشر كثير (٨).

(١) انظر أساليب نباح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي - عبد الله آل موسى ٢٢٩ ، عالم الكتاب - الرياض ، ط : الأولى : ١٤٠٥ هـ .

(٢) انظر صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب ( غزوة خيبر ) ٢٧٩/٥ رقم : ٢٣١ .

(٣) انظر زاد المعاد - ابن القيم ٤٩٧/٣ - ٥٠٤ .

(٤) الفروسية - ابن القيم ، تعليق : السيد عزت العطار ٢ ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ط : الثانية : ١٤١٤ هـ .

(٥) انظر فتح الباري - ابن حجر ٢١٩/٦ .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب ( كتابة الإمام الناس ) ١٦٥/٤ جزء من رقم : ٢٥٦ .

(٧) وللإطلاع على ما ذكر حول غزواته ﷺ انظر صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب ( كم غز النبي ﷺ ) ٤٠/٦ رقم : ٤٥٣ وما

بعده وتاريخ الإسم والملوك - الطبري ٢٠٦/٢ وسبل الهدى والرشاد - الصالحى ١٦/٤ ، ٩/٦ .

(٨) انظر دلائل النبوة - البيهقي ٢١٩/٥ - ٤٣٢ وتاريخ الإسلام المغازي - الذهبي ٦٣١ .

ويؤكد هذا الجانب ما كان يردده أحياء العرب قبل فتح مكة ، فقد جاء : " وكانت العرب تلوم (١) بإسلامهم الفتح ، فيقولون : اتركوه وقومه ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق ، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم " (٢).

قال ابن اسحاق - رحمه الله تعالى - : " وإنما كانت العرب تربص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش ، وأمر رسول الله - ﷺ - ، وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم وأهل البيت الحرام .. وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله - ﷺ - وخلافه ، فلما افتتحت ودانت له قريش ، ودوخها الإسلام ، وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله - ﷺ - ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله " (٣).  
وصدق القائل حين قال :

دعا المصطفى دهرأ بمكة لم يجب      وقد لان منه جانب وخطاب

فلما دعا والسيف صلت بكفه      له أسلموا واستسلموا وأتابوا (٤).

بل لقد كان للإعداد في سبيل الله - ﷻ - أثر في تغيير بعض النفوس ، فهذا أبوسفيان يخرج هو ومن معه لتلمس خبر رسول الله - ﷺ - وما هو فاعل ، فيدركه حرس رسول الله - ﷺ - فيأتون به إلى المصطفى - ﷺ - وعندئذ أمر رسول الله - ﷺ - العباس - ﷺ - أن يجلس أباسفيان عند خطم الجبل ؛ لتمر به جنود الله فيراها (٥).

(١) بفتح أوله واللام وتشديد الواو أي تنتظر . فتح الباري - ابن حجر ٢٨/٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب ( وكان النبي ﷺ قد مسح وجهه عام الفتح ) ٣٠٦/٥ جزء من رقم : ٣٠٨ .

(٣) السيرة النبوية - ابن هشام ٥٦٠/٤ . قال ابن القيم : " وهذه عادة الله سبحانه في الغايات العظيمة الحميدة إذا أراد أن يوصل عبده إليها هياً لها أسباباً من المحن والبلايا والمشاق ، فيكون وصوله إلى تلك الغايات بعدها ، كوصول أهل الجنة إليها بعد الموت ، وأهوال البرزخ والبعث والنشور .. وكما أدخل رسول الله ﷺ إلى مكة ذلك المدخل العظيم بعد أن أخرجه الكفار ذلك المخرج ، ونصره ذلك النصر العزيز ، بعد أن قاسى مع أعداء الله ما قاساه " إغاثة اللهفان - ابن القيم ١٤٦/٢ .

(٤) انظر أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه - علي نفيح العلياني ٢٦٩ ، دار طيبة - الرياض ، ط : الثانية : ١٤١٦ هـ .

(٥) انظر صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب ( أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ) ٣٠٠/٥ رقم : ٢٨٨ .

قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : " وإنما حبسه هناك لكونه مضيئاً ؛ ليرى الجميع ، ولا يفوته رؤية أحد منهم " (١) .

وبعد أن رأى أبوسفيان ما رأى كان مما قال : " ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة " وقال بعد أن رجع إلى مكة صارخاً بأعلى صوته : " يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن " (٢) .

وهكذا نجد المصطفى - ﷺ - قد " جاهد في الله حق جهاده بالقلب والجنان ، والدعوة والبيان ، والسيف والسنان ، وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد بقلبه ولسانه ويده " (٣) وكذا صحابته من بعده - رضي الله عنهم - وعلى سبيل المثال هاهوذا صديق هذه الأمة - ﷺ - يخطب بعد رحيل رسول الله - ﷺ - عن الدنيا واختياره للرفيق الأعلى ، فكان مما قاله الصديق - ﷺ - : " فإن دين الله قائم ، وإن كلمة الله تامة ، وإن الله ناصر من نصره ومعز دينه ، وإن كتاب الله بين أظهرنا ، وهو النور والشفاء ، وبه هدى الله - ﷺ - محمداً - ﷺ - وفيه حلال الله وحرامه ، والله لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله ، إن سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد ، ولنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله - ﷺ - فلا يبغين أحداً إلا على نفسه " (٤) .

وبهذا يتضح مما سبق ، أن القوة المتمثلة في الجهاد الشرعي في سبيل الله - ﷺ - علاج ناجح لمن لم يوفقه الله لطريق الرشاد بالسبل الهينة الرفيعة (٥) إذ الجهاد في سبيل الله ضد أهل الباطل والهوى مظهر للدين ، وقامع لعناد الكافرين (٦) .

والله يهدي إليه من يشاء .

(١) فتح الباري - ابن حجر ٩/٨ .

(٢) السيرة النبوية - ابن هشام ٤/٤٠٤ .

(٣) زاد المعاد - ابن القيم ٥/٣ .

(٤) البداية والنهاية - ابن كثير ٥/٢١٣ .

(٥) انظر دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي - الملاحى ٣٠٢ والشخصية اليهودية من خلال القرآن تاريخ وسمات ومصير - د. صلاح

الخالدي ١٢ ، دار القلم - دمشق ، ط : الأولى : ١٤٠٧ هـ .

(٦) انظر شرح الأربعين حديثاً النبوية - ابن دقيق العيد ، تحقيق : قاسم الرفاعي ٣٧ ، دار الندوة الجديدة - بيروت ، ط . د : ١٤١٤ هـ .

## الخطبة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والشكر له على توفيقه بأن سهل لي جميع العقبات .  
وفضل الله ونعمه - ﴿١﴾ - كثيرة لا تعد ولا تحصى ، فأسأله تبارك وتعالى أن يوفقني إلى حق شكرها ، والعمل بمقتضاها ﴿٢﴾ رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴿٣﴾ (١) .

فلقد تم هذا البحث المتواضع بعون من الله وتوفيقه ، وأسأل الله أن يتجاوز عن الخطأ والزلل والتقصير ويمكن تلخيص أهم نتائج البحث فيما يلي :

١ - إن المراد باتباع الهوى في اللغة : هو السير وراء ما تهوى وتميل إليه النفوس على تفاوت في درجاته .  
وفي الاصطلاح : هو ميل النفس إلى الشهوات والشبهات من غير داعية الشرع والعقل السليم .

٢ - إن لفظ الهوى لا يذم على الإطلاق ، ولكن الذي يذم هو اتباع الهوى مع مجاوزة الحد المشروع والمعقول .

٣ - إن اتباع الهوى إذا أطلق فإنما ينصرف إلى الهوى المذموم إلا إذا قيد بنعت يخرج منه دائرة الذم التي هي أصل فيه ، كأن يقال : هوى حسن وهوى موافق للصواب .

٤ - شدة التحذير في نصوص الوحي وأقوال السلف الصالح من اتباع مختلف الأهواء ، والأمر بالاستقامة والنبات على المنهج السوي .

٥ - هناك فرق بين خطأ الاجتهاد والخطأ عموماً واتباع الهوى ، وأن معرفة هذا الفرق أمر ضروري ليعامل كل بما يلائمه .

٦ - إن لاتباع الهوى مجموعة طرق وأسباب توصل إليه ، وهي : الأسباب الداخلية ويندرج فيها : النفس الأمارة بالسوء / الإخلاق إلى الأرض وزخرفها / صفتا الظلم والجهل / صفتا الكبر والحسد .

(١) سورة النمل / جزء من الآية ١٩ .



الأسباب الخارجية ويندرج فيها : تسلط الشيطان ووسوسته / جهود أهل الكتاب والمشركون والمنافقين في نشر الأهواء / الخلل في مصدر التلقي .

٧ - إن لاتباع الهوى مجموعة مظاهر وصور يمكن الاستدلال بها على أن من صدرت منه يكون متبعاً لهواه وهي : المظاهر الفردية ويندرج فيها : الانشغال بالأهل والأموال / الخصومة والتماذي في الباطل / التكاسل والتخذيل .

المظاهر الاجتماعية ويندرج فيها : التقليد والمحاكاة / التلبس والمخادعة / موالة الكافرين ومعاداة المؤمنين .  
٨ - هناك فرق بين حسن التعامل والولاء والبراء .

٩ - هناك فرق بين حسن الاتباع والثبات على الحق ، وبين التقليد الأعمى والتعصب له .

١٠ - إن لاتباع الهوى أثراً سيئاً على الفرد والمجتمع تلخص فيما يلي : الآثار على الفرد : الضلال عن الحق والهدى / الوقوع في التذبذب والتناقض / الوقوع في الهموم والأحزان / حصول الإثم والذم والهوان .

الآثار على المجتمع : تفشي المخالفات والمعاصي / انتشار العداوة والبغضاء / استحقاق العقوبة ووقوعها .

١١ - إن وقاية المدعو من اتباع الهوى وصيانته مما يؤديه ويضره أمر ممكن ، ومما يعين على ذلك ما يلي : ترسيخ مبدأ الانقياد والاستجابة لله - ﷻ - ورسوله - ﷺ - / التحذير من اتباع مختلف الأهواء / سد الذرائع المفضية إلى اتباع الهوى .

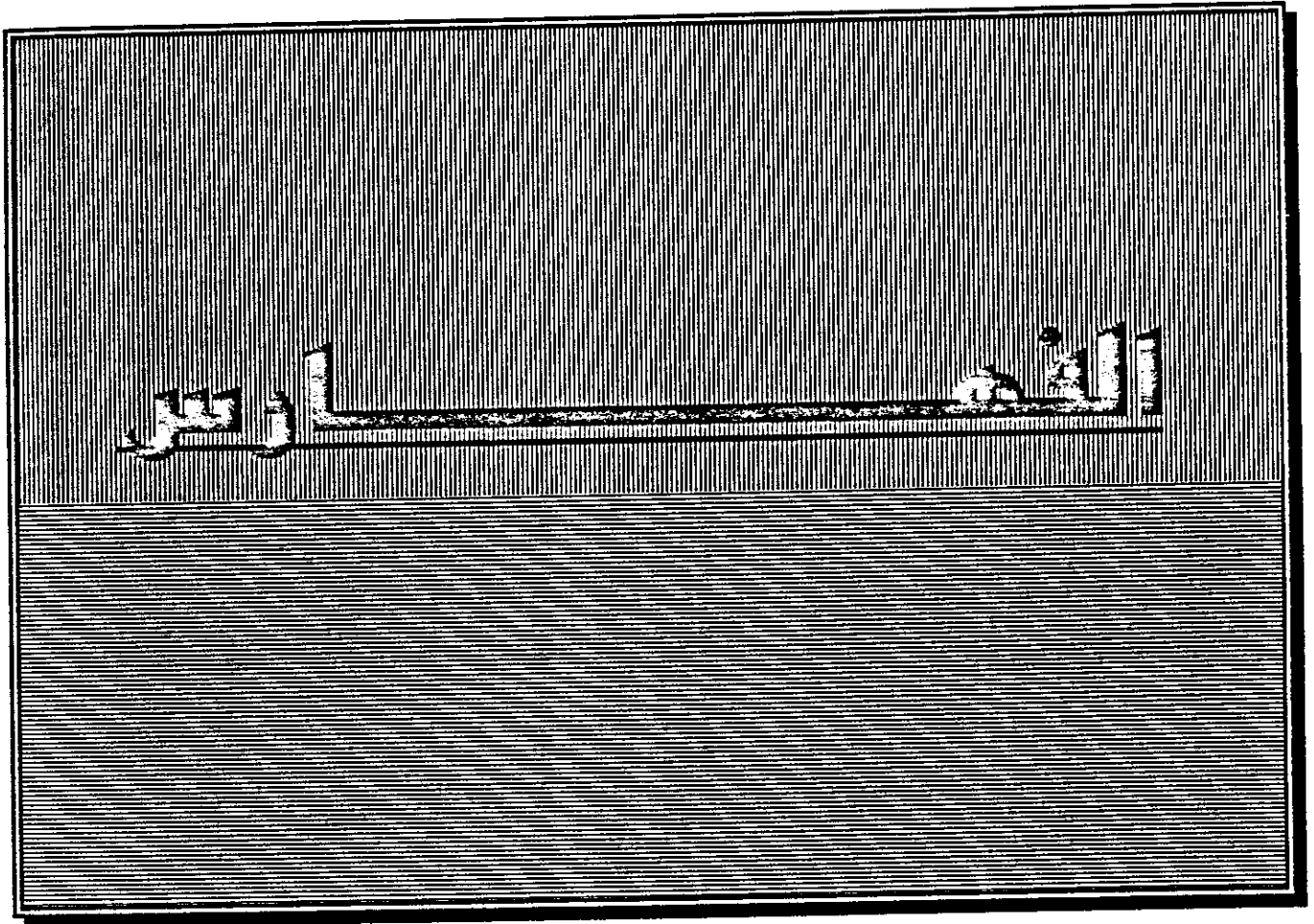
١٢ - إن من المدعويين صنف لا يأخذ بسبيل الوقاية ابتداءً ، بل يرتع ويدخل في حمى لا يحل له ولوجه فيكون عرضة لاتباع مختلف الأهواء ، ومن ثم يستلزم في حقه العلاج ، ومما يعين على ذلك ما يلي : مناصحة أهل الأهواء وبيان الحق لهم / الاحتساب على متبع الهوى / الجهاد في سبيل الله - ﷻ - ضد أهل الأهواء .

## التوصيات :

- ١ - الحرص والعناية بتوحيد مصادر تلقي الدين والتحذير من اتباع المشارب والمصادر الباطلة .
- ٢ - العناية بدراسة العوائق - عموماً - التي تشكل عائقاً أمام قبول المدعو للحق والهدى والصدق في حمله وتبنيه .
- ٣ - إجراء دراسة حول مداخل الشيطان على العبد وبيان سبل إغوائه وإضلاله .
- ٤ - إبراز الجهود الآتمة لأهل الكتاب في مواجهة الدعوة الإسلامية قديماً وحديثاً .

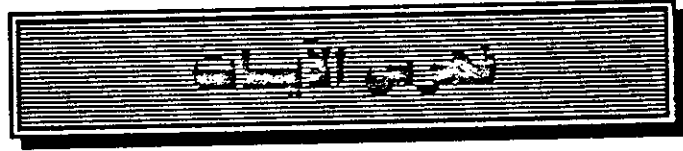
٥ - إبراز جهود المنافقين في زعزعة الأمن وخلخلة الصف ونشر الإرجاف والشائعات بين العباد إلى غير ذلك من مساعيهم الآثمة ، والتي تستحق - هي وما قبلها - أن تفرد بدراسة مستقلة تستقرأ فيها أعمالهم وتستقصى أخبارهم ، وكذا المشركين .

هذه أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث المتواضع  
والله أسأل أن يعلمني ما ينفعني ، وينفعني بما علمني ، وأن يزيدني علماً وعملاً إنه سميع قريب مجيب الدعاء  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين  
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .





٢٧٠	..... (١) الفهرس العام
٢٧١	..... (٢) فهرس الآيات
٢٨٠	..... (٣) فهرس الأحاديث
٢٨٥	..... (٤) فهرس الآثار
٢٨٨	..... (٥) فهرس الأعلام
٢٩٣	..... (٦) فهرس الأبيات الشعرية
٢٩٤	..... (٧) فهرس المراجع
٣٠٩	..... (٨) فهرس الموضوعات



رقم الصفحة

رقم الآية

الآية

سورة الفاتحة

غير المغضوب عليهم ولا الضالين

٢١٦

٧

سورة البقرة

أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم

٢١

٨٧

ألا إنهم هم المفسدون

١٠٤

١٢

إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب

٢٢٠

١٧٤

بشما اشترؤا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله

٦٧

٩٠

فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي

١٩٣

٣٨

في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا

١٧

١٠

لا يكلف الله نفساً إلا وسعها

٣١

٢٨٦

لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدو

١٤١

٢٨٤

ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين

٦٧

١٠٥

وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة

١١٨

١٩٥

وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل

٣١

٣٠

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم

٧

٣٤

وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن

١٤٩

٩١

وقالت اليهود ليست النصرى على شئ

١٥٠

١١٣

وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصرى

١٥٠

١١١

ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية

٤٠

١٤٥

ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق

١٥٨

٤٢

ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم

٢٥٩

٢١٧

ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم

١٨٨

٨٩

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض

٢٦٠

٢٥١

ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً

٢٠٧

١٦٥

يعرفونه كما يعرفون أبناءهم

٧٨

١٤٦

### سورة آل عمران

٦٦  
٥٨  
٢٢٨  
٢١٠  
٨٢  
١٤٢  
٥٣  
١٣٢  
١٥٩  
ب  
٢٣٠

١٢٠  
١٥٢  
٧  
١٠٣  
٧٢  
١٦٧  
١٨٥  
٥٥  
٧١  
١٠٢  
٣٠

إن تمسكم حسنة تسوهم  
منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة  
هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات  
واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا  
وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا  
وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا  
وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور  
يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم  
يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل  
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته  
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً

### سورة النساء

٢٢١  
١٣٩  
٦١  
١٦٩  
١٦٩  
٢٢٧  
١٨٥  
١٧٢  
٧٣  
٢٣١  
٢٠٤  
ب

١٤٥  
١٤٢  
١٧  
١٣٨  
١٣٩  
٦٥  
١٤٣  
٦١  
١١٩  
١١٥  
٢٧  
١

إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار  
إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم  
إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة  
بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً  
الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين  
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم  
مذبذبين بين ذلك لا إلى هولاء ولا إلى هؤلاء  
وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول  
ولأمنينهم  
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى  
ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً  
يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة

### سورة المائدة

١٧٣  
١٩٥  
٢١٠  
٢١٥  
٨٠

٨٠  
٣١  
١٤  
١٣  
٧٧

ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا  
فأصبح من النادمين  
فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء  
فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية  
قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم

٨٣	٧٠	كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم
٨٢	٧٠	لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل
٢١٠	٦٤	وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة
٢٣٥	٤٩	وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم
٩٩	٦١	وإذا جازؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر
١٢	٢٧	واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق
٢١٢	١٤	ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم
٨١	٦٤	ويسعون في الأرض فساداً

### سورة الأنعام

٢١٠	١٥٩	إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء
١٣٣	٢٥	حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا
١٩٣	٨٢	الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم
١٣٥	٣٣	فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
٢٣٨	٦٨	فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين
١٧٨	٥٦	قل إني نهييت أن أعبد الذين تدعون من دون الله
٢٥	١٥٣	وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه
١٠٨	١١٩	وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم
٤٣	١٣٦	وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً
١٣٨	١١٢	وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن
٤٤	٥٥	وكذلك تفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين
٦٢	١١١	ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى
١٧٩	١١٠	ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة

### سورة الأعراف

١٠	١٢	أنا خير منه خلقتني من نار
٧٣	١٥	إنك من المنظرين
٢٠٠	١٧٦	فمثلته كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث
٧٢	١٦	قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم
١٣٠	٣٣	قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
٥٤	٢٠	ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
١٣٠	٢٨	وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها
٣٩	١٧٥	واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها
٦٢	١٣٨	وجاوزنا بيني إسرائيل البحر

ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه  
ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض  
يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان

### سورة الأنفال

ذلك أن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم  
وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك  
وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك  
يسألونك عن الأنفال

### سورة التوبة

اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً  
ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم  
فاستمتعتم بخلافكم كما استمتع الذين من قبلكم  
فرح المخلفون بمغذهم خلاف رسول الله  
فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم  
فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم  
وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض  
ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن  
ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني  
ويخلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم  
يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار  
يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر

### سورة يوسف

وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء  
وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين

### سورة الحجر

قال لم آكن لأسجد لبشر خلقتني من طين

### سورة النحل

إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا  
ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة  
وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة  
وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر

### سورة الإسراء

٥٥ ١٧٦  
١٨٣ ١٧٦  
٧٠ ٢٧

٢١٤ ٥٣  
١٣٧ ٣٢  
٩٥ ٣٠  
١١٧ ١

١٠٦ ٣١  
١٨٢ ١٢٧  
١٧ ٦٩  
١٤٣ ٨١  
٢٦٢ ١٢  
١٢٢ ٥٥  
١٣٦ ١٢٧  
١٢٢ ٧٥  
١٤٣ ٤٩  
٩٩ ٥٦  
٢٦١ ١٢٣  
١٠٢ ٧٤

٤٨ ٥٣  
٢٥٩ ١٠٣

٨ ٣٣

٧٤ ٩٩  
٢٠٢ ٢٥  
٢١٧ ١١٢  
٢٣١ ٩



١٠	٦٢	أرأيتك هذا الذي كرمت علي
١٣٨	٩٢	أو تسقط السماء علينا كسفاً
٢٥٥	٨١	حاء الحق وزهق الباطل إن الباطل
٢٤٢	٣٢	ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً
٣١	٧٠	ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر

### سورة الكهف

٢٤٥	٦	فلعلك باحع نفسك على آثارهم
٢٣٧	٢٨	واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
٥٧	٢٨	ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا
٥٥	٢٨	ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا
١٢٧	٥٤	ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل
١٣٢	٥٦	ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق

### سورة مريم

١١٦	٧٧	أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً
-----	----	---

### سورة طه

٢١	١٥	إن الساعة آتية أكاد أخفيها
١٩٣	١٢٤	ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً

### سورة الحج

١٢٩	٨	ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى
١٢٩	٣	ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان
١٨٦	١١	ومن الناس من يعبد الله على حرف

### سورة المؤمنون

٢٤	١١٥	أنحسبتم أنما خلقناكم عبثاً
٩٠	٦٩	أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون
٩٥	٦٧	مستكبرين به سامراً تهجرون
٢٠٩	٧١	ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض

### سورة النور

٢٣١	٦٣	فليحذر الذين يخالفون عن أمره
١٤٢	٦٣	قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً
١٠٣	٣٣	ولا تکرهوا فتياتکم علی البغاء إن أردن تحصناً
٢٤٣	٣١	يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن

### سورة الفرقان

٢٠٥	٤٣	أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً
١٣٥	٤٢	إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها
٦٥	٢١	لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً

### سورة النمل

٢٦٦	١٩	رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي
-----	----	--

### سورة القصص

٢٣	٥٠	فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم
٥٥	٧٩	فخرج على قومه في زينته
٢٢٧	٦٨	وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة

### سورة العنكبوت

١٢٧	٤٦	ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن
-----	----	--

### سورة الروم

٢	٢٩	فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله
---	----	----------------------------------

### سورة لقمان

٢٣٣	٢٣	فلا تفرنكم الحياة الدنيا
-----	----	--------------------------

### سورة الأجزاء

٥٩	٧٢	إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض
١٧	٣٢	فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض
١٠١	٣٧	وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه
٢٢١	٦٧	وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا
٢٢٧	٣٦	وما كان لؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً
ب	٧٠	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً
٢٢١	٦٦	يوم تقلب وجوههم في النار

### سورة سبأ

٩٢	٣١	وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا
----	----	-------------------------------

### سورة يس

١٦١	٤٧	وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا
-----	----	--

### سورة الصافات

١٥٤	٦٩	إنهم ألفوا آباءهم ضالين
١٥٤	٧٠	فهم على آثارهم يهرعون

### سورة جن

١٣٤	٥	أجعل الألهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب
١١	٧٩	قال رب فأنظرنني إلى يوم يعثون
٢٤	٢٧	وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً
١٣٤	٦	وانطلق الملائم منهم أن امشوا واصبروا
١٨٢	٢٦	يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض

### سورة الزمر

١٦١	٣	ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفاً
١٦٠	٣	والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله

### سورة غافر

١٣١	٥٦	إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم
١٣٣	٤	ما يجادل في آيات الله إلا الذين ظلموا
١٦٢	٢٦	وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه

### سورة فرقت

٦٣	٢٦	وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن
----	----	--

### سورة الشورى

٢٠٤	٢١	أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله
٢٢٠	٢٢	ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا
٢٥	١٥	فلذلك فادع واستقم كما أمرت
١٣٤	١٦	والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب لهم

### سورة الزخرف

١٥٤	٢٢	بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة
٥٦	٢٩	بل تمتعت هؤلاء وأباؤهم
١٢٨	٥٨	بل هم قوم خصمون
١٥٤	٢٤	قال أولو حنتكم بأهدى مما وجدتم عليه
١٣٢	٥٨	ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون
١٥٤	٢٣	وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير

### سورة الجاثية

١٧٤	١٩	وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض
-----	----	-------------------------------

### سورة محمد

١٧٤	٢٦	قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر
-----	----	--

وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك

٩٦ ١٣

### سورة الفتح

سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا

١٢١ ١١

فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً

١٩٣ ١٨

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً

١٨٧ ٨

### سورة ق

بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريب

١٨٩ ٥

### سورة الجاثيات

وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون

٢٢٦ ٥٦

### سورة النجم

أفرأيتم اللات والعزى

٢٥٦ ١٩

إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس

٢٠٨ ٢٣

ما ضل صاحبكم وما غوى

٩٠ ٢

ومناة الثالثة الأخرى

٢٥٦ ٢٠

### سورة القمر

وكذبوا واتبعوا أهواءهم

٧٥ ٣

### سورة الحديد

لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان

٢٦١ ٢٥

### سورة المجادلة

ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم

١٧٠ ١٤

إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين

٢٠٢ ٢٠

استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله

٢٠٢ ١٩

### سورة الحشر

ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا

١٧٠ ١١

بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى

٢١١ ١٤

يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين

٢١٧ ٢

### سورة الممتحنة

لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين

١٦٦ ٨

### سورة الصف

فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم

١٧٨ ٥

### سورة المنافقون

٩٩	١	قالوا نشهد إنك لرسول الله
٢٣٥	٤	هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله
١١٤	٩	يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم
		<b><u>سورة التغابن</u></b>
١١٥	١٥	إنما أموالكم وأولادكم فتنة
		<b><u>سورة الملك</u></b>
١٩	٤	الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً
		<b><u>سورة الجن</u></b>
٢٠٦	٦	وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن
		<b><u>سورة الإنسان</u></b>
٥	٣	إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً
		<b><u>سورة النازعات</u></b>
٣٠	٤١	وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
		<b><u>سورة المطفيين</u></b>
٢٢٠	١٦	ثم إنهم لصالوا الحميم
٢٢٠	١٥	كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
		<b><u>سورة البروج</u></b>
١٣٥	١٩	بل الذين كفروا في تكذيب
		<b><u>سورة البلد</u></b>
٥	١٠	وهديناه النجدين
		<b><u>سورة الشمس</u></b>
ب	٩	ونفس وما سواها

## فهرس الأملات

### الحديث

### رقم الصفحة

١٢٨	أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم.....
٢٤١	أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكناين من قبلكم.....
١٢٣	تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميسة.....
١٠٦	أتيت النبي - ﷺ - وفي عنقي صليب من ذهب.....
٣	أصبحنا على فطرة الإسلام.....
٢٤٩	أطع أبا القاسم ، فأسلم ، فخرج النبي - ﷺ - وهو يقول.....
٢٤٧	أعطوني ردائي ، فلو كان عدد هذه العضاة.....
٢٣٣	أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه.....
٢٢١	ألا أخيركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر.....
٢٨	أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله.....
١٠٩	أن أباطالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي.....
١٦٩	أن أنساً - ﷺ - قال : قيل للنبي - ﷺ - : لو أتيت عبداً لله بن أبي.....
٣١	أن الله قال قد فعلت.....
٢٤٦	أن النبي - ﷺ - لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم.....
٢٢٩	أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله.....
٧٨	أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام.....
٢٤٢	أن عمر بن الخطاب - ﷺ - أتى رسول الله - ﷺ - بنسخة من التوراة.....
١٦٤	أوثق عرى الإيمان الحب في الله.....
٢٥٩	أول من يدعى يوم القيامة آدم ، فزأى ذريته.....
٧٢	إذا استيقظ - أراه أحدكم - من منامه فتوضأ.....
٤١	إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله.....
١٩٤	إذا قرأ ابن آدم السجدة ، فسجد اعتزل الشيطان بيكي.....
٧٣	إن الشيطان قعد لابن آدم بأطره.....
٣١	إن الله تجاوز عن أمي الخطأ.....

## الحديث

## رقم الصفحة

- ١١٠ ..... إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً.....
- ٢١٠ ..... إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويكره لكم ثلاثاً.....
- ١٨٣ ..... إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من.....
- ١١٥ ..... إن لكل أمة فتنه.....
- ٢٨ ..... إن مما أخشى عليكم شهوات الغي.....
- ٢١٨ ..... اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه.....
- ٢٦٢ ..... اعلموا أنما الأرض لله ورسوله ، وأني أريد أن أجليكم.....
- ٢٦٣ ..... اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس.....
- ٢٥٠ ..... انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم.....
- ٣٢ ..... بعث النبي - ﷺ - خالداً بن الوليد إلى بني جذيمة.....
- ٢٦٢ ..... بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له.....
- ٢٤٧ ..... بينا نحن في المسجد خرج رسول الله - ﷺ - فقال : انطلقوا إلى يهود.....
- ١٨ ..... تعرض الفتن على القلوب كالحصير.....
- ١٩ ..... جاء ناس من أصحاب النبي - ﷺ - فسألوه : أنا نجد.....
- ٦٠ ..... خرجنا في سفر ، فأصاب رجلاً منا حجر فشجّه.....
- ١١٧ ..... خرجنا مع النبي - ﷺ - ، فشهدت معه بدرأ.....
- ٢٥٥ ..... دخل النبي - ﷺ - مكة يوم الفتح ، وحول البيت.....
- ٢٣٩ ..... دعوني ما تركتكم إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم.....
- ١٠٨ ..... رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه.....
- ١٩٩ ..... رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار.....
- ١٨٩ ..... شرنا وابن شرنا ، وانتقصوه.....
- ٢٥٣ ..... فأخرجهم رسول الله.....
- ٢٨ ..... فأما المهلكات فشج مطاع.....
- ١٨٨ ..... فأني رجل فيكم عبداً لله بن سلام.....
- ٢٣٨ ..... فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه.....
- ١٣٠ ..... فإنهم إن يعلموا أنني قد أسلمت قالوا في.....
- ٣ ..... فجاءني جبريل - عليه السلام - بإناء من خمر.....

## الحديث

## رقم الصفحة

- ٢٢٧ ..... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين.....
- ٧٨ ..... فقال رسول الله - ﷺ - يامعشر اليهود ويلكم.....
- ١٧٠ ..... فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة حمر عبد الله بن أبي.....
- ٢٣٧ ..... فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه.....
- ٢٠٣ ..... فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه.....
- ٥٣ ..... فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى.....
- ١٦١ ..... قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط.....
- ٢٥٥ ..... قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط.....
- ١٦٧ ..... قدمت علي أمي ، وهي مشركة في عهد رسول الله.....
- ٢٥٥ ..... كان بيت في الجاهلية يقال له ذو الخلصة.....
- ٢٣ ..... كان رجل يسرف على نفسه.....
- ٧١ ..... كان رسول الله - ﷺ - معتكفاً فأتته أزوره ليلاً.....
- ١١٥ ..... كان رسول الله - ﷺ - يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين.....
- ١٨٣ ..... كان رسول الله - ﷺ - يكثر أن يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلبي.....
- ٦٥ ..... الكبير بطر الحق وغمط الناس.....
- ٧١ ..... كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه.....
- ٢ ..... كل مولود يولد على الفطرة.....
- ٢١٤ ..... لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب.....
- ١٤ ..... لا تقتل نفس ظلماً إلا كان.....
- ١٩٨ ..... لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم.....
- ٤٠ ..... لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك.....
- ١٥٢ ..... لتبعن سنن من كان قبلكم شراً شراً.....
- ٢١٥ ..... لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم.....
- ١٣٨ ..... لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به.....
- ٣٢ ..... لما قدم معاذ - ﷺ - من الشام.....
- ٢٣٣ ..... اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق.....
- ٢١٨ ..... اللهم اشدد وطأتك على مضر.....



## الحديث

## رقم الصفحة

- لولا أن تعيرني قريش..... ١١٠, ١٥٦
- ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر..... ١٤٠
- ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء..... ٢٥٤
- ليس لنا مثل السوء الذي يعود في هبته..... ٢٠٠
- المؤمن الذي يخالط الناس ويصير على أذاهم أعظم أجراً..... ٢٥١
- ما ذئبان جائعان أرسلتا في غنم..... ١١٩
- ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه..... ١٧٩
- مثل المدخن في حدود الله والواقع فيها..... ٢٥٢
- مثل المنافق ، كمثل الشاة العائرة بين الغنم..... ١٨٦
- مثلي ومثلكم ، كمثل رجل أوقد ناراً..... ٢٤٦
- المجاهد من جاهد نفسه في سبيل الله..... ٢٢٩
- مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود..... ٢٤٩
- من أعطى الله تعالى ، ومنع الله تعالى..... ١٦٥
- من دخل دار أبي سفيان فهو آمن..... ٢٤٨
- من سمع بالدجال فليأمن عنه..... ٢٣٩
- من سن في الإسلام سنة حسنة فله..... ١٩٨
- من كانت الآخرة همه ، جعل الله غناه في قلبه..... ١٩٤
- هو على ملة عبدالمطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله..... ١٥٥
- وإنه سيخرج من أمي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء..... ٢٣٢
- وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم..... ٢٢٥
- وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم..... ٥
- وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم..... ٧٣
- وعظنا رسول الله - ﷺ - يوماً..... ٢٧
- وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده..... ٢٢٧
- وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده..... ٢٧
- يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم..... ٢٥٤
- يا حاطب ما هذا..... ١١٨

## الحديث

## رقم الصفحة

- يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل ..... ١٠٢
- يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله ..... ٢٥٣
- يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ..... ١٨٤
- يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ..... ٢٦٢
- يا رسول الله علمني شيئاً أقوله إذا أصبحت ..... ٥٠
- اليهود مغضوب عليهم ، والنصارى ضلال ..... ٢١٦
- يوشك أن تداعى عليكم الأمم ..... ٥٤

## مختار النور

### الأثر

### رقم الصفحة

٢٦٠	أخرجوا نبيهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون.....
٢٥٦	ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله.....
٢٥٨	ألا وإني أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله.....
٢٠٢	أما بعد ، فإن العبد إذا عمل بمعصية الله.....
٢٤٠	أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة.....
٢٥٤	أمر بالجهاد مع الكفار بالسيف ، ومع المنافقين باللسان.....
٢٤٩	أن نبي الله - ﷺ - كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي.....
٢٨	أنتم في زمان يقود الحق الهوى.....
١١٨	أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية.....
٢٩	إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتين.....
١٥	إن أشقى الناس رجلاً لابن آدم.....
٢٥٣	إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يدع للمؤمن صديقاً.....
٢٠٨	إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء.....
٢٤٨	إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا.....
١٨٨	إن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج.....
١٨٧	إنا لنجد صفة رسول الله - ﷺ - : إنا أرسلناك شاهداً.....
٢٢٢	إنما سمي الهوى ؛ لأنه يهوي بصاحبه.....
٢٨	إنما هذا القرآن كلام فضعه مواضعه.....
٢٣٤	إياكم وتحكيم الشهوات ، فإن عاجلها ذميم.....
٢٣٢	تعلموا الإسلام ، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه.....
٢١٧	جعلوا يخربونها من أجوافها ، وجعل المؤمنون.....
٢١٦	حاربت النضير وقريظة ، فأجلى بني النضير.....
١٩٧	حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة.....

## الأثر

### رقم الصفحة

- ٢٣٠ ..... حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم
- ٨ ..... حسد إبليس آدم على ما أعطاه الله
- ٣٧ ..... سأقول فيها بجهد رأيي ، فإن أصبت
- ٢٥٠ ..... سئلت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - : هل كان النبي - ﷺ - يصلي وهو قاعد
- ٣٧ ..... السنة ما سنه الله - ﷻ - ورسوله
- ٢٨ ..... سيأتي أناس يجادلونكم بشبهات القرآن
- ٢٦ ..... عليك بتقوى الله - ﷻ - والاستقامة
- ٢٦ ..... عليكم بالطريق فلئن لزمتموه
- ١٨٢ ..... فإن اتباع الهوى يصد عن الحق
- ٢٦٥ ..... فإن دين الله قائم ، وإن كلمة الله تامة
- ٢١٦ ..... فالغضب على الغضب ، غضبه عليهم فيما
- ٣٧ ..... فعملت لذلك أعمالاً
- ١٤٤ ..... فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله
- ١٨٧ ..... في التوراة يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً
- ١٥٤ ..... قال ذلك مشركو قريش : إنا وجدنا آباءنا
- ٢١٧ ..... كان أهل الحرم آمنين ، يذهبون حيث شاءوا
- ٢٠٦ ..... كان أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن
- ١٨٦ ..... كان الرجل يقدم المدينة ، فإن ولدت امرأته
- ٢٠٨ ..... كان عبداً لله بن أبي بن سلول يقول لجارية له
- ٦١ ..... كفى بخشية الله علماً
- ٢٠٥ ..... كلما هوى شيئاً ركبته ، وكلما اشتهى شيئاً أتاه
- ١١٦ ..... كنت رجلاً قيناً ، وكان لي
- ٧٢ ..... كيف ننحو من الشيطان وهو يجري
- ٢٣٩ ..... لا تجالس أهل الأهواء ، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب
- ١٤٠ ..... لقد رأيتنا ، وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق
- ١٧٩ ..... لما جحد المشركون ما أنزل الله
- ٢١١ ..... المؤمنون بعضهم لبعض نصحاء

## الأثر

### رقم الصفحة

- ٢١٩ ..... ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره.....
- ٢٦ ..... ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه.....
- ٢٦ ..... ما ذكر الله هوى في القرآن إلا عابه.....
- ٣٨ ..... ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي.....
- ١٩٢ ..... ما كان رجل على رأي من البدعة.....
- ٥٨ ..... ما كنت أحسب أن في أصحاب محمد.....
- ١٥ ..... ما من مقتول يقتل ظلماً إلا كان.....
- ١٨٦ ..... مثل المؤمن والمنافق والكافر ، مثل ثلاثة نفر.....
- ١٩٢ ..... من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل.....
- ٣٩ ..... هذا مثل ضربه الله - ﷻ - لمن عرض عليه الهدى.....
- ١٣٤ ..... هم أهل الكتاب ، كانوا يجادلون المسلمين.....
- ١٧١ ..... هم المنافقون تولوا اليهود.....
- ٢٠٨ ..... هن بغايا ، كن في الجاهلية معلومات لهن رايات.....
- ٢٤٨ ..... والله لقد أعطاني رسول الله - ﷺ - ما أعطاني.....
- ١٨٦ ..... ومن الناس من يعبد الله على حرف.....
- ٣٩ ..... وهذه أشد آية على العلماء.....
- ٢١٩ ..... يا رسول الله أبيضت خضراء قريش.....
- ١٦٥ ..... يا مجاهد أحب في الله تعالى ، ووال في الله.....
- ٢٥ ..... يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتكم.....
- ٢٢٨ ..... يا رسول الله أوحى من السماء ، فالتسلم لأمر الله.....



<u>رقم الصفحة</u>	<u>العلم</u>
٨, ٣	الآجري
٩٧	آل ياسر
١١٨	أبو أيوب الأنصاري
٩	أبو حامد الغزالي
٢١٩	أبو الدرداء
١٥٢	أبو سعيد الخدري
٩٠	أبو سفيان
٤٥	أبو السعود
١٥٠	أبو حيان الأندلسي
٣٣	أبوداود
٣١	أبوذر الغفاري
١٠٩	أبو طالب
١٠٠	أبو عامر الفاسق
٢	أبو هريرة
١٦٧	أسماء بنت أبي بكر
٩	الألوسي
٨٨	إبراهيم خليل أحمد
١٧	ابن أبي العز الحنفي
٨٣	ابن إسحاق
١٢, ٩	ابن الأثير
١٠	ابن الجوزي
١٢٠	ابن الختلي

## العلم

## رقم الصفحة

١٠٨	ابن السائب الكلبي
٥	ابن العربي
١٧, ١٠, ٤	ابن القيم
١٨٥	ابن النحاس
١٨, ٤	ابن تيمية
٥	ابن جزري الكلبي
٢٥	ابن حجر
٦٧	ابن حزم
٦, ٤	ابن خلدون
٢٣	ابن رجب
١٣	ابن عاشور
٢٦	ابن عباس
١٢	ابن كثير
٤٢	ابن معين
٦٥	ابن منظور
٤٤	البخاري
١٨٨	بشر ابن البراء
٣٥	البطلوسي
٦١	البغوي
٩٧	بلال
٢٤	البيضاوي
١٨١	البيهقي
٥٤	ثوبان
٢٧	جابر
١٤٢	الجد بن قيس

## العلم

## رقم الصفحة

١١٨	حاطب بن أبي بلتعة
١٩٦	الحجاج بن علاط
١٨	حذيفة
١١٥	الحسن بن علي
١١٥	الحسين بن علي
١٦٥	حمد بن عتيق
٣٢	خالد بن الوليد
١١٦	خباب
٢٧	الخطابي
١٢٤	دحية الكلبي
٢١	الرازي
٦٠	الراغب الأصفهاني
١١٦	الزجاج
٩٧	زنيرة
١٠١	زيد بن حارثة
٧٣	سيرة بن أبي فاكه
٧٥	سراقه بن مالك
١٤	السعدي
٩٧	سعيد بن جبير
٢٩	سهل التستري
١٢٤	السهيلي
٢٦, ٢٢	الشاطبي
٢٢٢	الشعبي



## المعلم

## رقم الصفحة

٦٢	الشوكاني
١٥٧	صالح المقبل
٦٨	صفية بنت حيي بن أخطب
٢٦	طاووس
٢٤٠	الطحاوي
١١٧	عبادة بن الصامت
١٩٦	العباس بن عبدالمطلب
١٩١	عبدالرحمن بن ملجم
١٦٤	عبداللطيف بن عبدالرحمن
٥٧	عبدالله بن أبي
٣٢	عبدالله بن أبي أوفى
٩٣	عبدالله بن جحش
٧٨	عبدالله بن سلام
٧٨	عبدالله بن عمر
١٥	عبدالله بن عمرو
٢٨ , ١٤	عبدالله بن مسعود
١٠٦	عدي بن حاتم
٢٧	العرياض بن سارية
٦١	العظيم أبادي
٥٨	علي بن الحسين
١٩١	عمران بن حطان
٣٤	العيني
٢١	القاسمي
٨	قتادة
١٦٧	القرافي

## العلم

## رقم الصفحة

١٥	القرطبي
٣٣	قيس بن سعد
١١٩	كعب بن مالك
٨	مالك
٢٩	الماوردي
١١	محمد الأمين الشنقيطي
٦٧	محمد رشيد رضا
١٥٣	مرعي الخنبلي
٢٠٢	معاوية
١٩	المعلمي
٢٣٤	ميمون بن مهران
١٥	النخعي
١٤٠	النسفي
٣	النوي
١٣٨	ورقة بن نوفل
٥٠	ولي الله الدهلوي

## شهرية الأبيات الشعرية

### البيت

### رقم الصفحة

- ١٩١..... إنني لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا.
- ١٨٩..... جعلوا القرآن عضيضاً إذ عضهوه أنـ سواعاً معددة من النقصان.
- ٢٢٩..... خالف هواك إذا دعاك لرية فلب خبير في مخالفة الهوى.
- ٢٦٤..... دعا المصطفى دهنأ بمكة لم يجب وقد لان منه جانب وخطاب.
- ٧٦..... دلاهم بفرور ثم أسلمهم إن الخبيث لمن والاه غرار.
- ١٩٣..... الضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتبين الأشياء.
- ٢٢٩..... علم المحجة بين لمريده ورأي القلوب عن المحجة في عمى.
- ٢٦٤..... فلما دعا والسيف صلت بكفه له أسلموا واستسلموا وأنا بوا.
- ٦٧..... كل العداوة قد ترجى إفاقتها إلا عداوة من عاداك من حسد.
- ٢٦١..... من لا يعدله القرآن كان له من الصغار وبيض الهند تعديل.
- ٢٢٩..... ولقد عجت لهلك ونجاته موحودة ولقد عجت لمن نجا.
- ١٩١..... يا ضرية من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا.

## فهرس المرادف

- ١ - الآداب الشرعية والمنح المرعية - ابن مفلح ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، ط . د .
- ٢ - آكام المرجان في أحكام الجان - الشبلي ، تحقيق : مصطفى عاشور ، مكتبة الساعي - الرياض ، ط : د .
- ٣ - أخلاق العلماء - الآجري ، تحقيق : إسماعيل الأنصاري ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ط . د : ١٣٩٨هـ .
- ٤ - أدب الإسلام - صالح حمدي حماد ، مطبعة هندية بالموسكي - مصر ، ط : الثانية : ١٣٣١هـ .
- ٥ - أدب الدنيا والدين - الماوردي ، تحقيق : مصطفى السقا ومحمد سكر ، دار إحياء العلوم - بيروت ، ط : الأولى : ٤٠٨هـ .
- ٦ - الأرواح النوافع وهو ملحق بكتاب العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ - صالح بن المهدي المقبل ، مكتبة دار البيان - دمشق ، ط : د .
- ٧ - أساليب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي - عبد الله آل موسى ، عالم الكتاب - الرياض ، ط : الأولى : ١٤٠٥هـ .
- ٨ - أسباب النزول - الواحدي ، تعليق : د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير - دمشق ، ط : الثانية : ١٤١٣هـ .
- ٩ - أسد الغابة في معرفة الصحابة - ابن الأثير ، تحقيق : علي محمد معوض وزميله ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٥هـ .
- ١٠ - الأسفار المقدسة قبل الإسلام - د. صابر طعيمة ، عالم الكتب - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٦هـ .
- ١١ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين الشنقيطي ، عالم الكتب - بيروت ، ط . د .
- ١٢ - الأعلام - خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط : العاشرة : ١٩٩٢م .
- ١٣ - أعلام الموقعين عن رب العالمين - ابن القيم ، رتبه : محمد عبدالسلام إبراهيم ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١١هـ .
- ١٤ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - ابن تيمية ، تعليق : أبو عبد الله محمد بن رسلان ، دار العلوم الإسلامية - القاهرة ، ط . د : ١٤٠٩هـ .
- ١٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - الخلال ، تحقيق : مشهور حسن وهشام السقا ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٠هـ .
- ١٦ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - البيضاوي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٨هـ .

- ١٧ - الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام ، النشأة والأسباب - د. ناصر العقل ، دار الوطن - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١٥ هـ .
- ١٨ - أوثق عرى الإيمان - سليمان بن عبد الله ، تحقيق : الوليد بن عبدالرحمن الفريان ، دار طيبة - الرياض ، ط : الأولى : ١٤٠٩ هـ .
- ١٩ - أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة - د. يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط : الثالثة عشر : ١٤١٢ هـ .
- ٢٠ - الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة - ابن بطة ، تحقيق : رضا معطي ، دار الراجعية - الرياض ، ط : الثانية : ١٤١٥ هـ .
- ٢١ - إحياء علوم الدين - الغزالي ، عالم الكتب ، ط . د .
- ٢٢ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - أبو السعود ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط : الثانية : ١٤١١ هـ .
- ٢٣ - إسرائيل والتلمود : إبراهيم خليل أحمد ، دار المنار - القاهرة ، ط . د . : ١٤١٠ هـ .
- ٢٤ - الإشارة إلى سيرة المصطفى ﷺ - وتاريخ من بعده من الخلفاء - مغلطاي بن قليج ، تحقيق : محمد نظام الدين الفتيح ، دار القلم - دمشق ، ط : الأولى : ١٤١٦ هـ .
- ٢٥ - الإشارة إلى وفيات الأعيان المنتقى من تاريخ الإسلام - الذهبي ، تحقيق : إبراهيم صالح ، دار ابن الأثير - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ .
- ٢٦ - الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : د : ١٨٥٣ م .
- ٢٧ - إعلام الزمرة بأحكام الهجرة - حماد الأنصاري ، مكتبة الدار - المدينة المنورة ، ط . د .
- ٢٨ - إغاثة اللفهان في مصائد الشيطان - ابن القيم ، تحقيق : محمد عفيفي ، المكتب الإسلامي - بيروت . ط : الثانية : ١٤٠٩ هـ .
- ٢٩ - الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم - د. عبدالرحمن بن إبراهيم المطروودي ، مطابع التقنية للأوفست - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١٠ هـ .
- ٣٠ - الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم - البطليوسي ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية ، دار الفكر - دمشق ، ط : الثالثة : ١٤٠٧ هـ .
- ٣١ - الإيدز وباء العصر - د. محمد بن علي البار ، د. محمد أيمن صافي ، دار المنارة - جدة ، ط : الأولى : ١٤٠٧ هـ .
- ٣٢ - الإيمان - ابن أبي شيبه ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، دار الأرقم - الكويت ، ط : الثانية : ١٤١٥ هـ .
- ٣٣ - الإيمان - ابن تيمية ، تعليق : د. محمد خليل هراس ، دار الفكر ، ط . د .

- ٣٤ - استخراج الجدل من القرآن الكريم - ابن الحنبلي ، تحقيق : محمد صبحي حلاق ، مؤسسة الريان - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٣ هـ .
- ٣٥ - الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي - د. عبدالله الطريقي ، مؤسسة الرسالة ، ط : الثانية : ١٤١٤ هـ .
- ٣٦ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب - ابن عبدالبر ، تحقيق : علي محمد معوض وزميله ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٥ هـ .
- ٣٧ - الاعتصام - الشاطبي ، وبه تعريف السيد محمد رشيد رضا ، دار الفكر ، ط . د .
- ٣٨ - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم - ابن تيمية ، تحقيق : د . ناصر العقل ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ .
- ٣٩ - بحر العلوم - السمرقندي ، تحقيق : علي محمد معوض وآخرون ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٣ هـ .
- ٤٠ - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي ، تحقيق : عادل الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٣ هـ .
- ٤١ - بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية ، جمع - يسري السيد محمد ، دار ابن الجوزي - الدمام ، ط : الأولى : ١٤١٤ هـ .
- ٤٢ - بدائع الفوائد ، تحقيق : معروف رزيق وآخرون ، دار الخير - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٤ هـ .
- ٤٣ - البداية والنهاية - ابن كثير ، تحقيق : أحمد أبو ملحم وآخرون ، دار الريان للتراث - القاهرة ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ .
- ٤٤ - البداية والنهاية - ابن كثير ، تحقيق : د . أحمد أبو ملحم وآخرون ، دار الريان للتراث - القاهرة ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ .
- ٤٥ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - الشوكاني ، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة ، ط . د .
- ٤٦ - البدعة أسبابها ومضارها - محمود شلتوت ، تعليق : علي حسن عبدالحميد ، دار ابن الجوزي - الدمام ، ط : الثانية : ١٤١٣ هـ .
- ٤٧ - البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف - ابن حمزة الحسيني ، المكتبة العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٢ هـ .
- ٤٨ - تاريخ الأمم والملوك - الطبري ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الثالثة : ١٤١١ هـ .
- ٤٩ - تاريخ الإسلام - المغازي - الذهبي ، تحقيق : د . عمر عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٧ هـ .
- ٥٠ - تاريخ الجدل - محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، ط : الأولى : ١٩٣٤ .

- ٥١ - تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية - محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي - القاهرة ، ط : د .
- ٥٢ - تاريخ خليفة ابن خياط - ابن خياط ، تحقيق : د. أكرم ضياء العمري ، دار طيبة - الرياض ، ط : الثانية : ١٤٠٥ هـ .
- ٥٣ - التبيان في أقسام القرآن - ابن القيم ، تعليق : فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٥ هـ .
- ٥٤ - التحرير والتوير - الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ط . د .
- ٥٥ - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي - المباركفوري ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٠ هـ .
- ٥٦ - التحفة العراقية في أعمال القلوب - ابن تيمية ، تحقيق : سليمان الحرش ، دار الهدى - الرياض ، ط : الأولى : ١٤٠٧ هـ .
- ٥٧ - التدابير الواقية من الزنا في الفقه الإسلامي - د. فضل إلهي ، الكتب الإسلامي - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٣ هـ .
- ٥٨ - تذكرة الحفاظ - الذهبي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط . د .
- ٥٩ - الترغيب و والترهيب من الحديث الشريف - المنذري ، تعليق : مصطفى عمارة ، دار الريان للتراث ، ط : د : ١٤٠٧ هـ .
- ٦٠ - التسهيل لعلوم التنزيل - ابن جزئ الكلبي ، تحقيق : محمد اليونسى وإبراهيم عوض ، أم القرى للطباعة - القاهرة ، ط : د .
- ٦١ - تصنيف آيات القرآن الكريم - محمد محمود إسماعيل ، دار اللواء - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١٣ هـ .
- ٦٢ - التعريفات - الجرجاني ، حققه : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الثانية : ١٤١٣ هـ .
- ٦٣ - تعظيم قدر الصلاة - محمد بن نصر المروزي ، تحقيق : د. عبدالرحمن الفريوائي ، مكتبة الدار - المدينة المنورة ، ط : الأولى : ١٤٠٦ هـ .
- ٦٤ - تفسير الجلالين - السيوطي والمحلي ، راجعه : مروان سوار ، دار المعرفة - بيروت ، ط : د .
- ٦٥ - تفسير القرآن الحكيم الشهر المنار - محمد رشيد رضا ، دار الفكر - بيروت ، ط . د .
- ٦٦ - التفسير الكبير - الرازي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ .
- ٦٧ - تفسير سورة النور - ابن تيمية ، تحقيق : د. عبد العلي عبد الحميد حامد ، الدار السلفية - الهند ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ .
- ٦٨ - تفصيل آيات القرآن الحكيم - جول لابوم ، ترجمة : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الثانية : ١٩٦٩ م .
- ٦٩ - تقريب التهذيب - ابن حجر ، دراسة : محمد عوامة ، دار القلم - دمشق ، ط : الثالثة : ١٤١١ هـ .

- ٧٠ - تلبس إبليس - ابن الجوزي ، تحقيق : د . السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الخامسة : ١٤١٢ هـ .
- ٧١ - تنصير المسلمين بحث في أخطر استراتيجية طرحها مؤتمر كولورادو التنصيري - عبدالرزاق ديار بكرلي ، دار النفائس - الرياض ، ط : الثانية : ١٤١١ هـ .
- ٧٢ - تهذيب الأسماء واللغات - النووي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : د .
- ٧٣ - تهذيب التهذيب - ابن حجر ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ط : الثانية : ١٤١٣ هـ .
- ٧٤ - توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم - أحمد بن عيسى ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : الثالثة : ١٤٠٦ هـ .
- ٧٥ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - السعدي ، تحقيق : محمد زهري النجار ، مكتبة الهدى ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ .
- ٧٦ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن - الطبري ، دار الفكر - بيروت ، ط . د : ١٤٠٨ هـ .
- ٧٧ - الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي - الترمذي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ .
- ٧٨ - جامع العلوم والحكم - ابن رجب ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط : الرابعة : ١٤١٣ هـ .
- ٧٩ - جامع النقول في أسباب النزول - ابن خليفة عليوي ، مطابع الإشعاع - الرياض ، ط : الأولى : ١٤٠٤ هـ .
- ٨٠ - جامع بيان العلم وفضله - ابن عبدالبر ، تحقيق : أبي الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي - الدمام ، ط : الأولى : ١٤١٤ هـ .
- ٨١ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ .
- ٨٢ - الجرح والتعديل - القاسمي ، تحقيق : محمد القاضي ، دار الحديث - مصر ، ط . د .
- ٨٣ - الجهاد في سبيل الله . حقيقته وغايته - د . عبدالله أحمد القادري ، دار المنارة - جدة ، ط : الثانية : ١٤١٣ هـ .
- ٨٤ - الجواب الكافي - ابن القيم ، تحقيق : أبي حذيفة عبيدالله بن عالية ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : د : ١٤١٣ هـ .
- ٨٥ - حجة الله البالغة - الدهلوي ، تعليق : محمد شريف سكر ، دار إحياء العلوم - بيروت ، ط : الثانية : ١٤١٣ هـ .
- ٨٦ - حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار - ابن الديبع الشيباني ، حققه : عبدالله إبراهيم الأنصاري ، مطبعة محمد هاشم الكتبي - دمشق ، ط : د .
- ٨٧ - الحديث النبوي وعلم النفس - د . محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ، ط : الأولى : ١٤٠٩ هـ .
- ٨٨ - الحرب النفسية ضد الإسلام في عهد الرسول في مكة - د . عبدالوهاب كحيل ، عالم الكتب - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٦ هـ .



- ٨٩ - الحسبة في الإسلام - ابن تيمية ، تحقيق : سيد بن أبي سعدة ، مكتبة دار الأرقم - الكويت ، ط : الأولى : ١٤٠٣ هـ .
- ٩٠ - الحسنه والسيئة - ابن تيمية ، تقديم : د. محمد غازي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط . د .
- ٩١ - حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية - بكر بن عبدالله أبوزيد ، دار ابن الجوزي - الدمام ، ط : الثانية : ١٤١٠ هـ .
- ٩٢ - الحكم والتحاكم في خطاب الوحي - عبدالعزيز مصطفى كامل ، دار طيبة - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١٥ هـ .
- ٩٣ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - أبو نعيم ، دار أم القرى - القاهرة ، ت : د .
- ٩٤ - الحوادث والبدع - أبو بكر الطرطوشي ، تحقيق : علي بن حسن الحلبي الأثري ، دار ابن الجوزي - الدمام ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ .
- ٩٥ - الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة : محمد التونسي ، دار التراث - القاهرة ، ط : د .
- ٩٦ - الدر المنثور في التفسير المأثور - السيوطي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ .
- ٩٧ - الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية - عبد الحميد بن باديس ، تعليق : علي بن عبد الحميد ، دار المنار - الخرج ، ط . د .
- ٩٨ - الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية - سيرتوماس و . أرنولد ، ترجمة : د. حسن إبراهيم حسن وآخرون ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ، ط : الثالثة : ١٩٧٠ م .
- ٩٩ - دعوة التوحيد - د. محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٦ هـ .
- ١٠٠ - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة - البيهقي ، تحقيق : د. عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٥ هـ .
- ١٠١ - الدلائل في حكم موالة أهل الإشرارك - سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ، تقديم : الوليد الفريان ، مكتبة دار الهداية الرياض ، ط : د .
- ١٠٢ - دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي وسبل علاجها - عبد الرحمن الملاحي ، دار عالم الكتب - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١٤ هـ .
- ١٠٣ - الدين الخالص - السيد محمد صديق خان ، تحقيق : محمد زهري النجار ، مكتبة دار التراث - القاهرة ، ط : د .
- ١٠٤ - ديوان أبي العتاهية ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : د .
- ١٠٥ - الذريعة إلى مكارم الشريعة - الراغب الأصفهاني ، تحقيق : أبو اليزيد العجمي ، دار الوفاء - المنصورة ، ط : الثانية : ١٤٠٨ هـ .
- ١٠٦ - ذم الهوى - ابن الجوزي ، تصحيح أحمد عبدالسلام عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الثانية : ١٤١٣ هـ .
- ١٠٧ - رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر - محمد قطب ، دار الوطن - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ .

- ١٠٨ - الرحيق المختوم - صفي الرحمن المباركفوري ، دار الريان - القاهرة ، ط : السادسة : ١٤٠٨ هـ .
- ١٠٩ - الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل - أبو حامد الغزالي ، تحقيق : د. محمد الشرقاوي ، دار أمية - الرياض ، ط : الأولى : ١٤٠٣ هـ .
- ١١٠ - الردود - بكر بن عبدالله أبوزيد ، المبحث الرابع ظاهرة التخذيل ، دار العاصمة - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١٤ هـ .
- ١١١ - الرسائل المفيدة - عبداللطيف بن عبدالرحمن ، تقديم : عبدالرحمن الرويشد ، دار العلوم - القاهرة ، ط : د . د .
- ١١٢ - رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع وموقف السلف منها - النشأة والأسباب - د. ناصر العقل ، دار الوطن - الرياض ط : الأولى : ١٤١٥ هـ .
- ١١٣ - الرسالة القيرصية - ابن تيمية ، تحقيق : علي المدني ، دار المدني - جدة ، ط . د : ١٤٠٦ هـ .
- ١١٤ - رفع الملام عن الأئمة الأعلام - ابن تيمية ، طبع ونشر الرئاسة العامة
- ١١٥ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - الألوسي ، دار الفكر - بيروت ، ط . د : ١٤١٤ هـ .
- ١١٦ - الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام - السهيلي ، تحقيق : عبدالرحمن الوكيل ، ن و ط : د .
- ١١٧ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين - ابن القيم ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط . د : ١٤٠٣ هـ .
- ١١٨ - روضة الناظر عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين - محمد بن عثمان القاضي ، مطبعة الحلبي ، ط : الثالثة : ١٤١٠ هـ .
- ١١٩ - زاد المعاد - ابن القيم ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط : السابعة : ١٤٠٥ هـ .
- ١٢٠ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - محمد بن يوسف الصالحي الشامي ، تحقيق : إبراهيم التريزي وزميله ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة ، ط : د : ١٤١١ هـ .
- ١٢١ - سبيل النجاة والفكاك - حمد بن عتيق ، تحقيق : الوليد الفريان ، دار طيبة - الرياض ، ط . د : ١٤٠٩ هـ .
- ١٢٢ - سلسلة الأحاديث الصحيحة - الألباني ، مكتبة المعارف - الرياض ط : الأولى : ١٤١٢ هـ .
- ١٢٣ - السنة - المروزي ، تعليق : أبو محمد سالم بن أحمد ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ .
- ١٢٤ - سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية - بيروت ، ط : د .
- ١٢٥ - سنن الدارمي - الدارمي ، تحقيق : فواز زمر ، خالد المعلمي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٧ هـ .
- ١٢٦ - سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث الإسلامي ، دار المعرفة - بيروت ط : الثالثة : ١٤١٤ هـ .
- ١٢٧ - سير أعلام النبلاء - الذهبي ، تحقيق : حسين الأسد ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط : التاسعة : ١٤١٣ هـ .

- ١٢٨ - السيرة النبوية الصحيحة - د. أكرم العمري ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، ط : الخامسة : ١٤١٣هـ .
- ١٢٩ - السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار - الشوكاني ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى ، ت : د .
- ١٣٠ - الشخصية اليهودية من خلال القرآن تاريخ وسمات ومصير - د. صلاح الخالدي ، دار القلم - دمشق ، ط : الأولى : ١٤٠٧هـ .
- ١٣١ - شذرات البلاتين من طيبات كلمات سلفنا الصالحين ، دار القلم - بيروت ، ط : د .
- ١٣٢ - شرح الأربعين حديثاً النووية - ابن دقيق العيد ، تحقيق : قاسم الرفاعي ، دار الندوة الجديدة - بيروت ، ط : د : ١٤١٤هـ .
- ١٣٣ - شرح السنة - البغوي ، تحقيق : زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : الثانية : ١٤٠٣هـ .
- ١٣٤ - شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز ، تحقيق : بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان - دمشق ، ط : الأولى : ١٤٠٥هـ .
- ١٣٥ - شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز ، تحقيق : د . عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط : الرابعة : ١٤١٢هـ .
- ١٣٦ - شرح مسلم - النووي ، مراجعة : خليل الميس ، دار القلم - بيروت ، ط : الأولى : ت . د .
- ١٣٧ - الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الأهواء المارقين - ابن بطة العسكري ، تحقيق : رضا بن نعيان معطي ، مكتبة الفيصلية - مكة ، ط : د : ١٤٠٤هـ .
- ١٣٨ - الشريعة - الآجري ، تحقيق : محمد الفقي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٣هـ .
- ١٣٩ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - ابن القيم ، اعتناء : خالد عبداللطيف العلمي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٥هـ .
- ١٤٠ - صحيح البخاري ، عالم الكتب - بيروت ، ط : الخامسة : ١٤٠٦هـ .
- ١٤١ - صحيح الترغيب والترهيب - الألباني ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٢هـ .
- ١٤٢ - صحيح الجامع الصغير وزيادته - الألباني ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : الثالثة : ١٤٠٨هـ .
- ١٤٣ - صحيح سنن ابن ماجه - الألباني ، تعليق : زهير الشاويش ، مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ، ط : الثالثة : ١٤٠٨هـ .
- ١٤٤ - صحيح سنن الترمذي - الألباني ، تعليق : زهير الشاويش ، مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ، ط : الأولى : ١٤٠٨هـ .

- ١٤٥ - صحيح سنن النسائي - الألباني ، تعليق : زهير الشاويش ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط : الأولى : ١٤٠٩ هـ .
- ١٤٦ - صحيح مسلم - مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد - المملكة العربية السعودية ، ط : د : ١٤٠٠ هـ .
- ١٤٧ - صفات المنافقين - ابن القيم ، مطابع الفرزدق التجارية - الرياض ، ط . د : ١٤١٠ هـ .
- ١٤٨ - صفة الصفوة - ابن الجوزي ، ضبط إبراهيم رمضان وسعيد اللحام ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٩ هـ .
- ١٤٩ - صيحة تحذير من دعاة التنصير - محمد الغزالي ، دار الصحوة - القاهرة ، ط : الأولى : ١٤١٢ هـ .
- ١٥٠ - صيد الخاطر - ابن الجوزي ، تحقيق : محمد عوض ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الثالثة : ١٤١٠ هـ .
- ١٥١ - الطبقات الكبرى - ابن سعد تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٠ هـ .
- ١٥٢ - الطبقات الكبرى - ابن سعد ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٠ هـ .
- ١٥٣ - طرح الشريب في شرح التقريب - العراقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط . د : ١٤١٣ هـ .
- ١٥٤ - طريق الدعوة في ظلال القرآن - جمع أحمد فائر ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط : الثالثة عشرة : ١٤١٢ هـ .
- ١٥٥ - طريق المهجرتين وباب السعادتين - ابن القيم ، تعليق : عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم - الدمام ، ط : الأولى : ١٤٠٩ هـ .
- ١٥٦ - ظاهرة وخبائث المنافقين في التاريخ - عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم - دمشق ، ط : الأولى : ١٤١٤ هـ .
- ١٥٧ - عقود الجمان من أضواء البيان - عبدالله بن محمد بابا الشنقيطي ، دار روضة الصغير - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١٣ هـ فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر ، تحقيق : عبدالعزيز بن باز وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٠ هـ .
- ١٥٨ - العقيدة في الله - د. عمر بن سليمان الأشقر ، مكتبة الفلاح - الكويت ، ط : الخامسة : ١٩٨٤ م .
- ١٥٩ - علماء ومفكرون عرفتهم - محمد المجدوب ، دار الشواف - الرياض ، ط : الرابعة : ١٩٩٢ م .
- ١٦٠ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري - العيني ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط : د .
- ١٦١ - عون المعبود شرح سنن أبي داود - العظيم آبادي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٠ هـ .
- ١٦٢ - عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير - ابن سيد الناس ، مكتبة المقدسي - القاهرة ، ط . د : ١٣٥٦ هـ .
- ١٦٣ - عيون الأخبار - ابن قتيبة ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : د .

- ١٦٤ - الغارة على العالم الإسلامي - ل . ل شاتليه ، ترجمة : محب الدين الخطيب وزميله ، المكتبة السلفية - القاهرة ، ط : الرابعة : ١٣٩٨ هـ .
- ١٦٥ - غرائب النفس البشرية وأمراضها ومنهج الإسلام في معالجتها - د. مرسي شعبان السويدي ، دار الصحابة للتراث - طنطا ط : الأولى : ١٤١٢ هـ .
- ١٦٦ - غريب الحديث - ابن قتيبة ، فهرسة : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ .
- ١٦٧ - فتح البيان في مقاصد القرآن - صديق بن حسن خان ، راجعه : عبدا لله الأنصاري ، المكتبة العصرية - بيروت ، ط : د : ١٤١٢ هـ .
- ١٦٨ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - الشوكاني ، تدقيق : سعيد محمد اللحام ، المكتبة التجارية - مكة المكرمة ، ط : د : ١٤١٢ هـ .
- ١٦٩ - الفخر المتوالي فيمن انتسب للنبي ﷺ من الخدم والموالي - الحافظ السخاوي ، تعليق : مشهور محمود سلمان ، مكتبة المنار - الأردن ، ط : الأولى : ١٤٠٧ هـ .
- ١٧٠ - الفرقان بين الحق والباطل - ابن تيمية ، تحقيق : حسين غزال ، دار إحياء العلوم - بيروت ، ط : الثالثة : ١٤٠٧ هـ .
- ١٧١ - الفروسية - ابن القيم ، تعليق : السيد عزت العطار ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ط : الثانية : ١٤١٤ هـ .
- ١٧٢ - الفروق - القرافي ، عالم الكتب - بيروت ، ط : د .
- ١٧٣ - فصول في التفكير الموضوعي - د. عبدالكريم بكار ، دار القلم - دمشق ، ط : الأولى : ١٤١٣ هـ .
- ١٧٤ - فقه السيرة - الغزالي ، تخريج : محمد ناصر الدين الألباني ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط : السابعة : ١٩٧٦ م .
- ١٧٥ - فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة - د. محمد سعيد البوطي ، دار الفكر المعاصر - بيروت ، ط : العاشرة : ١٤١١ هـ .
- ١٧٦ - الفهرست - ابن النديم ، دار المعرفة - بيروت ، ط : د .
- ١٧٧ - الفوائد - ابن القيم ، تحقيق : أحمد راتب عرموش ، دار النفائس - بيروت ، ط : الخامسة : ١٤٠٤ هـ .
- ١٧٨ - الفوز الكبير في أصول التفسير - ولي الله الدهلوي ، تعريب : سليمان الندوي ، دار الصحوة - القاهرة ، ط : الثانية : ١٤٠٧ هـ .
- ١٧٩ - في ظلال القرآن - سيد قطب ، دار الشروق - القاهرة ، ط : السابعة عشرة : ١٤١٢ هـ .
- ١٨٠ - القائد إلى تصحيح العقائد ، وهو القسم الرابع من كتاب التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل - عبدالرحمن المعلمي تحقيق : الألباني ، مكتبة المعارف - الرياض ، ط : الأولى : ١٣٨٦ هـ .

- ١٨١ - القاموس المحيط - الفيروزآبادي ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط : الثانية : ١٤٠٧ هـ .
- ١٨٢ - القرآن وعلم النفس - د. محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق - القاهرة ، ط : الرابعة ١٤٠٩ هـ .
- ١٨٣ - قصص من حياة الرسول وأصحابه - محمد علي دولة ، دار القلم - دمشق ، ط : السابعة : ١٤١٥ هـ .
- ١٨٤ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام - العز بن عبدالسلام ، تحقيق : عبدالغني الدقر ، دار الطبع - دمشق ، ط : الأولى : ١٤١٣ هـ .
- ١٨٥ - القول السديد في كشف حقيقة التقليد - محمد الأمين ، دار الصحوة ، ط : الأولى : ١٤٠٥ هـ .
- ١٨٦ - الكامل في التاريخ - ابن الأثير ، تحقيق : أبي الفداء عبدالله القاضي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٧ هـ .
- ١٨٧ - كتاب الأصنام - ابن السائب الكلبي ، تحقيق : أحمد زكي ، الدار القومية - القاهرة ، ط . د : ١٣٤٣ هـ .
- ١٨٨ - كتاب الزهد - أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني ، تحقيق : د. عبدالعلي عبدالحميد ، الدار السلفية - بومباي ، ط : الأولى : ١٤٠٣ هـ .
- ١٨٩ - كتاب الزهد - الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق محمد السيد زغلول ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٩ هـ .
- ١٩٠ - الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار - ابن أبي شيبة ، تحقيق : مختار أحمد الندوي ، الدار السلفية - الهند ، ط : الأولى : ١٤٠٣ هـ .
- ١٩١ - الكتاب المقدس ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، ط . د .
- ١٩٢ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - حاجي خليفة ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط . د .
- ١٩٣ - الكلام على مسألة السماع - ابن القيم ، تحقيق : د. راشد الحمد ، دار العاصمة - الرياض ، ط : الأولى : ١٤٠٩ هـ .
- ١٩٤ - كلمة الحق في القرآن الكريم موردها ودلالاتها - الراوي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ، ط : د : ١٤٠٩ هـ .
- ١٩٥ - لباب التأويل في معاني التنزيل - الخازن ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر ، ط : الثانية : ١٣٧٥ هـ .
- ١٩٦ - لباب النقول في أسباب النزول - السيوطي ، راجعه : حسن تميم ، دار إحياء العلوم - بيروت ، ط : السابعة : ١٤١٠ هـ .
- ١٩٧ - لقط المرجان في أحكام الجان - السيوطي ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٦ هـ .

- ١٩٨ - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرّة المضية في عقيدة الفرقة المرضية - السفاريني ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : الثالثة : ١٤١١ هـ .
- ١٩٩ - مؤامرة الصهيونية على العالم - أحمد عطار ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط : الثالثة : ١٣٩٩ هـ .
- ٢٠٠ - ماذا تقول التوراة والإنجيل عن محمد - أحمد ديدات ، ترجمة وليد عثمان ، دار ابن الجوزي - الدمام ، ط : الأولى : ١٤١٠ هـ .
- ٢٠١ - متن العقيدة الطحاوية - الطحاوي ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض ، ط . د : ١٤٠٤ هـ .
- ٢٠٢ - متن القصيدة النونية - ابن القيم ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، ط : الأولى : ١٤١٥ هـ .
- ٢٠٣ - المجتمع المدني في عهد النبوة - د. أكرم العمري ، ط : الأولى : ١٤٠٤ هـ .
- ٢٠٤ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - الهيثمي ، تحقيق : عبدالله الدويش ، دار الفكر - بيروت ، ط : د . د : ١٤١٤ هـ .
- ٢٠٥ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع - عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد ، مكتبة المعارف ، ط . د .
- ٢٠٦ - مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، أشرف عليه - عبدالسلام بن برجس ، دار العاصمة - الرياض ، ط : الثانية : ١٤٠٩ هـ .
- ٢٠٧ - مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة - محمد حميد الله ، دار النفائس - بيروت ، ط : السادسة : ١٤٠٧ هـ .
- ٢٠٨ - محاضرات في النصرانية - محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي - القاهرة ، ط : د .
- ٢٠٩ - محاولات اغتيال النبي - عبدالمنعم الهاشمي ، مكتبة البخاري - الكويت ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ .
- ٢١٠ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - ابن عطية الأندلسي ، تحقيق : المجلس العلمي بفاس ، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة ، ط : د : ١٣٩٩ م .
- ٢١١ - مداخل المؤلفين والأعلام العرب - فكري الجزائر ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض ، ط . د : ١٤١١ هـ .
- ٢١٢ - مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين - ابن القيم ، دار الحديث - القاهرة ، ط : د .
- ٢١٣ - مدارج التنزيل وحقائق التأويل - عبدالله النسفي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط . د : ١٤٠٨ هـ .
- ٢١٤ - مداواة النفوس - ابن حزم ، تحقيق : إبراهيم بن محمد ، مكتبة الصحابة - طنطا ، ط : الأولى : ١٤٠٧ هـ .
- ٢١٥ - المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم - د. محمد بن علي البار ، دار القلم - دمشق ، ط : الأولى : ١٤١٠ هـ .
- ٢١٦ - مدرسة التفسير في الأندلس - مصطفى إبراهيم المشني ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٦ هـ .
- ٢١٧ - مروج الذهب ومعادن الجوهر - المسعودي ، تحقيق : قاسم الشماصي الرفاعي ، دار القلم - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ .

- ٢١٨ - مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب - مرعي بن يوسف الخنبلي ، تحقيق : د. نجم عبدالرحمن خلف ، مكتبة الرشد - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ .
- ٢١٩ - المستدرك على الصحيحين - الحاكم ، دار المعرفة - بيروت ، ط . د .
- ٢٢٠ - مسند الإمام أحمد ، إعداد د. سمير الجدوب وآخرون ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٣ هـ .
- ٢٢١ - المسند من أسباب النزول - مقبل بن هادي الوادعي ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، ط . د : ١٤١٠ هـ .
- ٢٢٢ - مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام في فضائل الجهاد - ابن النحاس ، تحقيق : إدريس محمد علي ورفيقه ، دار البشائر الإسلامية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٠ هـ .
- ٢٢٣ - مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار - ابن حبان البستي ، تحقيق : مرزوق علي إبراهيم ، دار الوفاء - المنصورة ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ .
- ٢٢٤ - مصائب الإنسان من مكائد الشيطان - ابن مفلح ، دار الغد العربي - القاهرة ط . د .
- ٢٢٥ - المصنف - عبدالرزاق الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط : الثانية : ١٤٠٣ هـ .
- ٢٢٦ - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية - ابن حجر ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، دار المعرفة - بيروت ، ط : د : ١٤١٤ هـ .
- ٢٢٧ - مع الله دراسات في الدعوة والدعاة - محمد الغزالي ، دار القلم - دمشق ، ط : الأولى : ١٤٠٩ هـ .
- ٢٢٨ - معالم السنن شرح سنن أبي داود - الخطابي ، تحرير وترقيم : عبدالسلام عبدالشافي محمد ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ .
- ٢٢٩ - معاني القرآن - الفراء ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار السرور - بيروت ، ط . د .
- ٢٣٠ - معاني القرآن الكريم - النحاس ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى - مكة ، ط : الأولى : ١٤١٠ هـ .
- ٢٣١ - معاني القرآن وإعرابه - الزجاج ، تحقيق : د. عبدالجليل شلي ، عالم الكتب - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ .
- ٢٣٢ - معجم المؤلفين العرب تراجم مصنفي الكتب العربية - عمر رضا كحاله ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط : د : ١٣٧٦ هـ .
- ٢٣٣ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الحديث : القاهرة ، ط : الثانية : ١٤٠٨ هـ .
- ٢٣٤ - المعجم الوسيط : د . إبراهيم أنيس وآخرون ، المكتبة الإسلامية - تركيا ، ط . د .
- ٢٣٥ - معجم مقاييس اللغة - ابن فارس ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، دار الجيل - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ .



- ٢٣٦ - المعروفون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم - د. سميرة محمد جمجوم ، ٢٩١ وما بعدها ، دار المجتمع - جدة ، ط . د : ١٤٠٧ هـ .
- ٢٣٧ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم - طاش كبرى زاده ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٥ هـ .
- ٢٣٨ - مفتاح دار السعادة - ابن القيم ، تحقيق : سيد إبراهيم وعلي محمد ، دار الحديث - القاهرة ، ط : الأولى : ١٤١٤ هـ .
- ٢٣٩ - المفردات - الراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة - بيروت ، ط . د .
- ٢٤٠ - المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة - بيروت ، ط . د .
- ٢٤١ - مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين - د. عمر بن سليمان الأشقر ، دار النفائس - الأردن ، ط : الثانية : ١٤١١ هـ .
- ٢٤٢ - مقدمة ابن خلدون - ابن خلدون ، دار الجليل - بيروت ، ت . د .
- ٢٤٣ - مكائد الشيطان - ابن أبي الدنيا ، تحقيق : مجدي السيد ، مكتبة القرآن - القاهرة ، ط . د .
- ٢٤٤ - من صفات الداعية اللين والرفق - د. فضل إلهي ، مطابع سفير - الرياض ، ط : الثانية : ١٤١٢ هـ .
- ٢٤٥ - مناظرة الهند الكبرى بين الشيخ رحمة الله والقس بيفندر ، تحقيق : د. أحمد السقا ، مكتبة الإيمان - المنصورة ، ط : الأولى : ١٤١٢ هـ .
- ٢٤٦ - المنافقون في القرآن الكريم - د. عبدالعزيز الحميدي ، دار المجتمع - جدة ، ط : الأولى : ١٤٠٩ هـ .
- ٢٤٧ - مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع وأصولهم وسماتهم - د. ناصر العقل ، دار الوطن - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١٥ هـ .
- ٢٤٨ - مناهج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية - ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ، ط : الأولى : ١٤٠٦ هـ .
- ٢٤٩ - مناهج العابدين - الغزالي ، تعليق : موفق الجبر ، الحكمة - سورية ، ط : الأولى : ١٤١٥ هـ .
- ٢٥٠ - المواجهة الصراع مع الشيطان وحزبه - حسن قطامش ، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض ، ط : الأولى : ١٤١٥ هـ .
- ٢٥١ - المواعظ والمجالس - ابن الجوزي ، حققه : محمد إبراهيم سنبل ، دار الصحابة للتراث - طنطا ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ .
- ٢٥٢ - موعظة الإمام الأوزاعي : يوسف محمد صديق ، دار المجتمع - جدة ، ط : الأولى : ١٤١١ هـ .
- ٢٥٣ - موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع - د. إبراهيم بن عامر الرحيلي ، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة ، ط : الأولى : ١٣١٥ هـ .

- ٢٥٤ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال - الذهبي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة - بيروت ، ط : د .
- ٢٥٥ - نزهة المتقين شرح رياض الصالحين : د. مصطفى سعيد الخمر وآخرون ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط : الأولى : ١٣٧٩هـ .
- ٢٥٦ - النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة - غازي فريح ، دار النفائس - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١١هـ .
- ٢٥٧ - النفاق والمنافقون في عهد رسول الله - إبراهيم علي سالم ، مطبعة حسني ، ط . د : ١٣٧٦هـ .
- ٢٥٨ - التكت والعيون - الماوردي ، تعليق : السيد بن عبدالمقصود ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : د .
- ٢٥٩ - النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية - بيروت ، ط : د .
- ٢٦٠ - نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار - الشوكاني ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط : د .
- ٢٦١ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى - ابن القيم ، تخريج : مصطفى الشلي ، مكتبة السوادي - جدة ، ط : الثانية : ١٤١٠هـ .
- ٢٦٢ - هدي الساري مقدمة فتح الباري - ابن حجر ، تحقيق : عبدالعزيز بن باز وترقيم : محمد فؤاد عبدالباقى ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤١٠هـ .
- ٢٦٣ - هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين - إسماعيل باشا البغدادي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط . د : ١٩٥١ م .
- ٢٦٤ - هذا الحبيب محمد رسول الله يا محب - أبو بكر الجزائري ، مكتبة لينة - دمنهور ط : الأولى : ١٤٠٨ هـ .
- ٢٦٥ - الوابل الصيب من الكلم الطيب - ابن القيم ، تحقيق : محمد عبدالرحمن عوض ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط : الرابعة : ١٤١٣هـ .
- ٢٦٦ - الوصية الكبرى - ابن تيمية ، تحقيق : حماد سلامة ، مكتبة المنار - الأردن ، ط : الأولى : ١٤٠٩هـ .
- ٢٦٧ - الوفا بأحوال المصطفى - ابن الجوزي ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : الأولى : ١٤٠٨هـ .
- ٢٦٨ - الولاء والبراء في الإسلام - محمد القحطاني ، دار طيبة - الرياض ، ط : الثالثة : ١٤٠٩هـ .

## التحرير المرحوم

□ المقدمة ..... أ - س

□ الفصل التمهيدي ..... ١

◆ المبحث الأول ..... ٢  
 • المطلب الأول ..... ٢  
 • المطلب الثاني ..... ٧

بدايات اتباع الهوى في حياة الإنسان  
 الإنسان والفتنة  
 بدايات الانحراف في حياة البشر

◆ المبحث الثاني ..... ١٧  
 • المطلب الأول ..... ١٧  
 • المطلب الثاني ..... ٢٤

موقف الوحي من اتباع الهوى  
 الهوى المذموم بين الشهوة والشبهة  
 موقف نصوص الكتاب والسنة من اتباع الهوى

◆ المبحث الثالث ..... ٣١  
 • المطلب الأول ..... ٣١  
 • المطلب الثاني ..... ٣٥

الفرق بين خطأ الاجتهاد واتباع الهوى  
 احتمال ورود الخطأ على الإنسان  
 الفرق بين خطأ الاجتهاد واتباع الهوى

□ الفصل الأول أسباب اتباع المدعو للهوى في العهد النبوي ..... ٤٦

تمهيد ..... ٤٧

◆ المبحث الأول ..... ٤٨  
 • المطلب الأول ..... ٤٨

الأسباب الداخلية لاتباع الهوى  
 النفس الأمارة بالسوء

٥٣.....	الإخلاء إلى الأرض وزخرفها	المطلب الثاني
٥٩.....	صفتا الظلم والجهل	المطلب الثالث
٦٥.....	صفتا الكبر والصد	المطلب الرابع
٧٠.....	الأسباب الخارجية لاتباع الهوى	المبحث الثاني
٧٠.....	تسلط الشيطان ووسوسته	المطلب الأول
٧٧.....	تمهيد لجهود أهل الكتاب والمتركين والمنافقين في نثر الأهواء	
٧٨.....	جهود أهل الكتاب في نثر الأهواء	المطلب الثاني
٩٠.....	جهود المتركين في نثر الأهواء	المطلب الثالث
٩٩.....	جهود المنافقين في نثر الأهواء	المطلب الرابع
١٠٥.....	الخلل في مصدر تلقي الدين	المطلب الخامس

## □ الفصل الثاني مظاهر اتباع المدعو للهوى في العهد النبوي ١١٢

تمهيد..... ١١٣

١١٤.....	المظاهر الفردية لاتباع الهوى	المبحث الأول
١١٤.....	الانشغال بالأهل والأموال	المطلب الأول
١٢٧.....	الخصومة والتمادي في الباطل	المطلب الثاني
١٣٩.....	التكاسل والتفخيل	المطلب الثالث
١٤٧.....	المظاهر الاجتماعية لاتباع الهوى	المبحث الثاني
١٤٧.....	التقليد والمحاكاة	المطلب الأول
١٥٧.....	التبليس والمخادعة	المطلب الثاني
١٦٤.....	موااة الكافرين ومعاداة المؤمنين	المطلب الثالث

□ الفصل الثالث آثار اتباع المدعو للهوى في العهد النبوي ١٧٦

تمهيد

١٧٧.....		
١٧٨.....	آثار اتباع الهوى على الفرد	◆ المبحث الأول
١٧٨.....	الضلال عن الحق والهدى	• المطلب الأول
١٨٥.....	الوقوع في التذبذب والتناقض	• المطلب الثاني
١٩٣.....	الوقوع في الهموم والأحزان	• المطلب الثالث
١٩٨.....	الوقوع في الإثم والذم والهوان	• المطلب الرابع
٢٠٤.....	آثار اتباع الهوى على المجتمع	◆ المبحث الثاني
٢٠٤.....	تفشي المخالفات والمعاصي	• المطلب الأول
٢١٠.....	انتشار العدواة والبغضاء	• المطلب الثاني
٢١٤.....	استحقاق العقوبة ووقوعها	• المطلب الثالث

□ الفصل الرابع الهدي النبوي في التعامل مع اتباع المدعو للهوى ٢٢٢

تمهيد :

٢٢٤.....		
٢٢٥.....	الهدي النبوي في الوقاية من اتباع المدعو للهوى	◆ المبحث الأول
٢٢٥.....	ترسيخ مبدأ الانقياد والاستجابة لله ورسوله	• المطلب الأول
٢٣١.....	التحذير من اتباع مختلف الأهواء	• المطلب الثاني
٢٣٧.....	سد الذرائع المفضية إلى اتباع الهوى	• المطلب الثالث
٢٤٤.....	الهدي النبوي في علاج المدعو من اتباع الهوى	◆ المبحث الثاني
٢٤٤.....	مناصحة أهل الأهواء وبيان الحق لهم	• المطلب الأول

٢٥٢	الاحتساب على متبع الهوى	المطلب الثاني
٢٥٩	الجهاد في سبيل الله ضد أهل الأهواء	المطلب الثالث
٢٦٦		الخاتمة
٢٩٦		الفهارس
٢٧٠		الفهرس العام
٢٧١		فهرس الآيات
٢٨٠		فهرس الأحاديث
٢٨٥		فهرس الآثار
٢٨٨		فهرس الأعلام
٢٩٢		فهرس الأبليات الشعرية
٢٩٤		فهرس المراجع
٣٠٩		فهرس الموضوعات